مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

ديوان
ابن حيّوس

الأمير مصطفى الدولة أبي الفتيان محمد بن سلطان المشهور بابن حيّوس الغنوي الدمشقي

٣٩٤ - ٤٧٣

الجزء الأول

عُني بنشره وتحقيقه

خليل مردم بك

المطبعة الهاشمية بدمشق

١٣٧١ هـ - ١٩٥١ م

المقــدّمة

ابن حَيّوس

٣٩٤ — ٤٧٣

حياته

الأمير مصطفى الدولة (١) أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حَيُّوس بن محمد بن المرتضى ابن محمد بن الهيثم (٢) بن عثمان الغَنَوي الدمشقي . يتصل نسبه بقبيلة غَنِيّ بن أعْصُر، وهي من العرب العدنانية، كانت منازلها في الجاهلية بنجد مجاورةً لطيء؛ ونزحت طوائف منها بعد الإسلام إلى العراق والجزيرة والشــام ، قال ابن حزم في جمهرة أنساب العرب (ص ٢٣٦ و ٢٣٧) : «وغَنِيّ بالجزيرة والكوفة ولهم ظاعنة ضخمة بطفوف الشام » .

وقد أشار ابن حَيُّوس إلى نسبه هذا في غير موضع من شعره، من ذلك قوله:

إلى أنْ أبَتْ لي عَزْمَةٌ أعْصُرِيَّةٌ ... صَرَعْتُ بِها الخَطْبَ الّذي كانَ صارِعي (٣)

كان الهيثم بن عثمان الغَنَوي — الجد السابع لابن حَيُّوس — من أهل الجزيرة، ومن قواد المعتصم (٤) ، ومن الرؤساء الذين مدحهم البحتري، وله فيه قصيدتان ومقطوعة ، (٥) منها القصيدة التي فيها الأبيات السائرة في وصف الربيع :

أتاكَ الرَّبيعُ الطَّلْقُ يَخْتالُ ضاحِكاً ... مِنَ الحُسْنِ حَتّى كادَ أنْ يَتَكَلَّما

ويقول ابن حَيُّوس مفتخراً بنسبه إلى الهيثم :

---

(١) في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١٢ « صفي الدولة » وهو خطأ مطبعي .

(٢) في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/١٢ « الهيثم بن عدي بن عثمان » وهو خطأ مطبعي أو وهم من المصحح ، فالهيثم بن عدي لم يكن غنوياً ، وهو غير الهيثم بن عثمان الغنوي .

(٣) ديوان ابن حيوس ص ٣٢٨ وانظر أيضاً ص ٦٦ وص ١٥٠

(٤) تاريخ الأمم والملوك للطبري ج ١٠ ص ٣٠٨

(٥) ديوان البحتري طبعة بيروت ص ١٢٤ وص ١٢٦ وص ٥٧٧

إِنَّ الْوَفَاءَ طَرِيقُ أَسْلَافِي الْأُلَى   عَمَرُوهُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ الْهَيْثَمِ [1]

وَمَضَوْا فَأَحْسَنَتْ النِّيَابَةَ عَنْهُمُ   فِي الْقَوْلِ وَالْأَفْعَالِ غَيْرَ مُذَمَّمِ

لا نعلم أول من نزح من الجزيرة إلى دمشق من أبناء الهيثم الغنوي . ولكنا نعلم أن حَيُّوس بن محمد - جد أبي الشاعر والذي اشتهر الشاعر بالنسبة إليه - كان من سكان دمشق ، وكان له فيها دار فخمة ، توارثها بنوه من بعده إلى زمن الشاعر ، وسيأتي تعيين مكانها .

أما سلطان بن محمد - والد الشاعر - فقد كان من أمراء العرب [2]،وكان له مع وجاهته نصيب من العلم ، فقد روى شيئاً من الحديث وروي[3] عنه .

وأم الشاعر بنت القاضي أبي العباس أحمد بن هٰرون المعروف بابن الجندي الغساني قاضي غوطة دمشق [4] .

* * *

ولد ابن حَيُّوس بدمشق يوم السبت سلخ صفر سنة (٣٩٤) أربع وتسعين وثلاثمائة. ونشأ نشأة جمعت بين الوجاهة والعلم . فأهل أبيه من ذوي الوجاهة والثراء ، وأهل أمه من أهل العلم والتقوى . قال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار [5] : « ابن حَيُّوس من بيت يخيّم على منازل النجوم فخاره ، ويحوّم على مناهل الغيوم مطاره »

وكانت دار أبيه التي ورثها عن جده حَيُّوس في زقاق عَطّاف [6] داخل باب الجابية [7] .

---

(١) ديوان ابن حيوس ص ٥٧٢

(٢) صفحة العنوان من مخطوطة ديوان ابن حيوس نسخة السلطان سليم نقلاً عن مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي. وورد في نسختين مخطوطتين من وفيات الأعيان لابن خلكان محفوظتين في دار الكتب الظاهرية تحت رقم ٣٢ ورقم ٥٤١٨ بترجمة ابن حيوس مانصه : (كان يدعى بالأمير لان أباه كان من أمراء العرب) وورد في مخطوطة تاريخ الاسلام الكبير للذهبي نسخة السلطان احمد الثالث باستانبول رقم ١٢٨ الجزء الحادي عشر ورقة ٢٨٠ بترجمة ابن حيوس (إن أباه كان من أمراء العرب) وكذلك في الوافي بالوفيات للصفدي ج ٣ المحفوظ بالسليمانية باستانبول . أما النسخة المطبوعة من ابن خلكان ج ٢ ص١٢ فقد تصحفت كلمة (العرب) فيها إلى (المغرب) فوهم بعض الناس أن أصل الشاعر من المغرب ، وليس كذلك .

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر مخطوط في دار الكتب الظاهرية بترجمة كلثوم بن زياد المحاربي الداراني.

(٤) توفي سنة ٣٨٤ وله ترجمة بتاريخ دمشق لابن عساكر .

(٥) ج ١٠ ص ٣٤١ (مخطوط) .

(٦) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧١

(٧) تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٢١٦ وثمار المقاصد ص ٦١ والدارس في تاريخ المدارس ج٢ ص ٣٠٤

ولئن تنوسي اليوم اسم زقاق عطّاف ، فيمكن تعيين محله على وجه التقريب بحي الخيضريّة (١).
ولما بلغ السادسة من عمره ولد لأبيه غلام آخر سماه محمداً أيضاً وكناه بأبي المكارم تمييزاً بينه وبين أخيه الأكبر الشاعر أبي الفتيان محمد وذلك سنة (٤٠٠). وهكذا كان للشاعر كنية ولقبان (الأمير مصطفى الدولة أبو الفتيان محمد) أما الإمارة فلأن أباه كان من أمراء العرب،(٢) ولم يشاركه أخوه أبو المكارم بها ، وأما تلقيبه بمصطفى الدولة فنرجح أن يكون أحد أمراء دمشق أنعم عليه به ، ولعله الدِّزْبري الآتي ذكره ، وأما الكنية فمن أبيه . وتقلّب الشقيقان في أعطاف النعمة، وطلبا العلم معاً ونبغ كل منهما في فنه ، أما أبو الفتيان فقد كان ميله للشعر والأدب ، وأما أبو المكارم فللفقه والفرائض(٣) . وندع الآن الفقيه لنواصل بحثنا عن الشاعر .

لا نعلم كيف طلب ابن حَيُّوس العلم ولا أسماء مشايخه ولا أسماء الكتب التي درسها ، على أن أثر العلم والتمكن من اللغة والأدب ظاهر في شعره ، ولم يذكر عنه في هذا الباب إلا أنه روى هو وأخوه أبو المكارم الحديث عن خالهما القاضي أبي نصر محمد بن أحمد بن هٰرون المعروف بابن الجندي الغساني ، وعن أبيهما سلطان ، وسيأتي بسط ذلك عند الكلام على علمه وأدبه في فصل خاص .

وفي سنة (٤٠٦) وكان عمر الشاعر إذ ذاك اثنتي عشرة سنة نزل في دار ابن حَيُّوس ضيفاً على أبيه ، أنوشتكين الدِّزْبري أحد قواد الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي(٤). فكان لهذه الضيافة أثر في نفس الشاعر ظهر بعد أربع عشرة سنة حين عاد الدِّزْبري إلى دمشق والياً عليها وحين تمكن ابن حَيُّوس من قياد الشعر . فقصر شعره عليه حتى أصبح شاعره الخاص .

وذلك أنه لما قتل الحاكم بأمر الله سنة (٤١١) وولي ابنه الظاهر انتقض الشام على الفاطميين، فاجتمع حسّان بن المفرّج أمير بني طيء، وصالح بن مرداس أمير بني كلاب وسنان بن عليان أمير بني كلب وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب الى عانة لصالح ، ومن الرملة إلى مصر لحسّان ، وتكون دمشق لسنان ، فاستولى صالح على حلب سنة (٤١٤)، واستولى حسّان على

(١) ويلفظه الدماشقة « الخضيريّة »
(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص ٦
(٣) قال ابن عساكر : « كان أوحد زمانه في علم الفرائض » تاريخ دمشق ج ١٥ ورقة ١٩٠ ب
(٤) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧١

الرملة سنة (٤١٥)، وحاصر سنان مدينة دمشق سنة (٤١٦) ومات سنة (٤١٩). فجهز الظاهر سنة (٤١٩) أنوشتكين الدزبري بجيش عظيم، وكانت وقعة الأقحوانة قرب طبرية سنة (٤٢٠) بينه وبين صالح وحسّان وانجلت عن مقتل صالح وانهزام حسّان [1]، ودخل الدزبري دمشق دخول الظافرين. وكان ابن حَيُّوس إذ ذاك ابن خمس وعشرين سنة قد استكمل ثقافته وتمكن من رياضة الشعر. وهو الذي عرف الدزبري قبل بضع عشرة سنة. تقرب منه الآن ومدحه بقصيدتين ذكر فيها ما تمّ على يديه من النصر، وهما أول ما دوّن من شعر ابن حَيُّوس، مطلع الأولى:

هَلْ لِلْخَلِيطِ الْمُسْتَقِلِّ إِيابُ ... أَمْ هَلْ لِأَيَّامٍ مَضَتْ أَعْقابُ [2]

ومطلع الثانية:

حَمى النَّوْمَ أَجْفانَ صَبٍّ وَصِبْ ... غُرابٌ عَلَى غُصُنٍ مِنْ غَرَبْ [3]

ولازمه وصار شاعره الخاص وأكثر من مدحه في كثير من المناسبات ودوّن في قصائده أعماله في الحرب والسياسة والإدارة والعمران، وصحبه ثلاث عشرة سنة منذ أن دخل دمشق والياً عليها سنة (٤٢٠) إلى أن توفي بحلب سنة (٤٣٣). ولما فتح الدزبري حلب سنة (٤٢٩) وقتل صاحبها نصر بن صالح بن مرداس، دخل معه إلى حلب وأنشده قصيدة أولها [4]:

أَمَّا وَسَيْفُكَ فِي النُّفُوسِ مُحَكَّمُ ... فَالْعِزُّ أَجْمَعُهُ إِلَيْكَ مُسَلَّمُ

ومدحه بغيرها أيضاً يذكر فيها هذه الوقعة كالقصيدة التي أولها [5]:

سَلِ الْمَقادِيرَ ما أَحْبَبْتَهُ تُجَبِ ... فَما لَها غَيْرَ ما تَهْواهُ مِنْ أَرَبِ

وفي هذه المدة مرّ ابن حَيُّوس وهو في طريقه إلى حلب على معرة النعمان وزار أبا العلاء

---

(١) الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٧٩

(٢) الديوان ص ٥٧

(٣) الديوان ص ٦٥

(٤) الديوان ص ٥٤٩

(٥) الديوان ص ٧١

المعري وجرى بينهما حديث في الشعر والشعراء رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق بترجمة عبد المحسن الصوري في خبر يحسن إيراد بعضه هنا قال : « . . . وذُكر عن أبي العلاء بن سليمان أنه كان يعيب عبد المحسن الصوري بقصر النفس ، فحُدِّثتُ أن أبا الفتيان بن حَيُّوس لما حضر عند أبي العلاء المعري أنشده أبو العلاء أبياتاً لعبدالمحسن الصوري وقال: هذه لقصيرك ، فقال له أبو الفتيان : هو أشعر من طويلك . يعني المتنبي ، فمدّ أبو العلاء يده إليه وقبض على ثوبه وقال : الأمراء لا يُناظَرون » .

ومدح ابن حَيُّوس الدِّزْبري بما لم يمدح به أحداً سواه ، وعدد قصائده فيه أربعون قصيدة ، وذلك أقصى ما يمكن أن يقوله شاعر في مدح إنسان ، ومدح من حاشية الدِّزْبري الشريف فخر الدولة نقيب الطالبيين وقاضي دمشق (١) وصدقة بن يوسف الفلاحي ناظر الأموال (٢) وكانا قد أتيا إلى دمشق مع الدِّزْبري . كل ذلك وابن حَيُّوس يدّعي بأنه لا يمدح مستجدياً لأنه من ذوي اليسار ، ولكنه يطلب المجد والعلاء ، وله في هذا المعنى أبيات غير قليلة موزّعة في قصائده ، من ذلك قوله :

وَما أَعْرِفُ ٱلْفَقْرَ حَتّى أَقُولَ عَلَى أَنَّني رَبُّ بَيْتِ ٱلْفَقْرْ (٣)

وولي دمشق بعد وفاة الدِّزْبري سنة (٤٣٣) الأمير ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن الحسين ابن ناصر الدولة الحمداني ، فأقام والياً فيها إلى سنة (٤٤٠) فتقرّب ابن حَيُّوس منه ومدحه وحاول أن يكون عنده كما كان عند الدِّزْبري وله فيه عشر قصائد ، ومدح كاتبه (٤) .

وفي سنة (٤٤١) ولي دمشق الأمير حيدرة بن الحسين بن مفلح فمكث الى سنة (٤٥٠) فعزل عنها ، ثم وليها دفعة ثانية سنة (٤٥٣) وصرف عنها سنة (٤٥٥) فلم يقل فيه ابن حَيُّوس إلا قصيدة واحدة (٥) .

وسبب ذلك فيما نظن أن ابن حَيُّوس انصرف عن الولاة إلى الوزراء « ومن قصد البحر استقلّ السواقيا » فقد ولي وزارة المستنصر الفاطمي الوزير أبو محمد الحسن بن علي اليازوري سنة (٤٤٢) واستمر في الوزارة إلى سنة (٤٥٠) وهو من أعظم وزراء الفاطميين علماً

(١) انظر الديوان ص ٣١٢ و ٣٨٥ و ٥٠٠
(٢) انظر الديوان ص ٣٠٤
(٣) الديوان ص ٢٤٠
(٤) انظر الديوان ص ٦٣٣
(٥) انظر الديوان ص ٤٢

وذكاء ودهاء وسياسة وتدبيراً ، فرحل إليه ابن حَيُّوس واتصل به ولقي عنده الحفاوة والإكرام، ومدحه مدة وزارته بإحدى عشرة قصيدة، رحل إلى القاهرة أكثر من مرة لينشده ما قاله فيه من القصائد، وقد يبعث ببعضها من دمشق إذا تعذر السفر عليه. وقد أشار إلى رحلته إليه في عدة مواضع من شعره[1] . وما قاله في اليازوري أراه من جيد شعره .

وتولى الوزارة سنة (٤٥٠) الوزير أبو الفرج محمد بن جعفر المغربي فمدحه ابن حَيُّوس بقصيدتين[2] وتولى الوزارة بين سنة (٤٥٠) وسنة (٤٥٤) الوزير أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ثلاث مرات فمدحه ابن حَيُّوس بقصيدة واحدة[3] .

ومنذ سنة (٤٥٤) اضطربت أمور الدولة الفاطمية في مصر واختلت شؤون الوزارة وتتالى الوزراء واحداً بعد واحد ، ومنهم من يمكث فيها شهوراً ومنهم من كانت مدة وزارته أياماً ومنهم من مكث فيها يوماً واحداً[4]، إلى أن استدعى المستنصر بدراً الجمالي الأرمني سنة (٤٦٥) وفوض إليه جميع أموره. وكانت الحال في دمشق أشبه بالفوضى ، فالولاة بها كالوزراء في القاهرة لا يكاد أحدهم يستقر بها حتى يخرج معزولاً أو مدحوراً ، والأمور تزداد سوءاً ، وأهل البلد أحزاب يثورون بالولاة والقواد . وتأججت الفتنة سنة (٤٦٠) فثار أهل دمشق بأمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني والي الشام واضطروه إلى الخروج من قصر الإمارة وأحرقوا القصر ونقضوا بقاياه[5] وكان ذلك إيذاناً بزوال حكم الفاطميين عن الشام .

واشتد الخلف بين الجنود وبين أهل دمشق ، وطرحت النار في جانب منها فاحترقت ، واتصلت منه بجامع بني أمية من غربيه فاحترق في شعبان سنة (٤٦١) ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة[6] ونهبت دور أهل البلد وأموالهم فعظم الخطب واشتد الأمر . واستولى في هذه السنة على دمشق معلى بن حيدرة الكتامي من غير أن يؤمر له بذلك عند خلو دمشق من متول بعد ما هرب أمير الجيوش ، فأساء السيرة في أهلها ووقعت بينه وبين عساكر البلد وحشة فهرب إلى بانياس[7] .

(١) انظر الديوان ص ١٩٤ وص ٣٥٣ وص ٥٩٧

(٢) انظر الديوان ص ٤٥٢ وص ٥٦٢

(٣) انظر الديوان ص ١٩٨

(٤) انظر كتاب الاشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي من ص ٤٩ إلى ص ٥٤

(٥) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٣

(٦) » » » » ص ٩٦

(٧) خطط الشام للأستاذ محمد كرد علي ٢٥٥/١

وفي سنة (٤٦٣) فتح أتسز بن أوق الخوارزمي من أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي القدس، وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها. فضاق الناس وصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد(١).

ويطول صمت ابن حيوس في هذه الفترة التي تقدر بعشر سنوات من سنة (٤٥٤) إلى سنة (٤٦٤) حتى كأنه أصفى، فلا تقع العين في ديوانه على شيء من الشعر يدل على أنه قيل في تلك الفترة من الزمن. حتى إذا تتالت الفتن على دمشق وعمها الدمار وفقد الأمن وشاع الخوف وذهبت الأموال ونزح عنها أكثر سكانها، وبدا لابن حيوس أن يتركها انفجر في صدره بركان من الشعر فقال قبل أن يترك دمشق (٢):

لَقَدْ دُفِعْنا إِلىٰ حالَيْنِ لَسْتُ أَرىٰ ... ما بَيْنَ ذاكَ وَهٰذا حَظَّ مُخْتارِ
إِمّا الْمُقامِ عَلَى خَوْفٍ وَمَسْغَبَةٍ ... أَوِ الرَّحيلِ عَنِ الْأَوْطانِ وَالدّارِ
وَالْمَوْتُ أَيْسَرُ مِنْ هٰذا وَذاكَ وَما ... كَرْبُ الْمَماتِ وَلا في الْمَوْتِ مِنْ عارِ
مَنْ جاوَرَ الْأُسْدَ لَمْ يَأْمَنْ بَوائِقَها ... وَلَيْسَ لِلْأُسْدِ إِبْقاءٌ عَلَى الْجارِ

ذهب في هذه الفتن جميع ما يملك ابن حيوس مما ورثه وجمعه، وهو الذي كان يدل في شعره بيسر حاله ويدعي أنه لم يمدح أحداً بغية المال لأنه من أرباب النعمة والثراء، وأنه لم يعرف الفقر:

وَلَمْ أَعْرِفِ الْفَقْرَ حَتّى أَقولَ ... عَلَى أَنَّني رَبُّ بَيْتِ الْفَقْرْ (٣)

لقد أصبح رقيق الحال يشكو ظلم الزمان فيقول(٤):

تَحَيَّفَني الزَّمانُ بِكُلِّ فَنٍّ ... فَما أَنْفَكُّ مِنْ داءٍ عُضالِ
وَأَعْوَزَتِ الْأَمانَةُ فيهِ حَتّى ... تَخَوَّفَتِ الْيَمينُ مِنَ الشِّمالِ

(١) ابن الأثير ج ١٠ ص ٢٣
(٢) الديوان ص ٢٩٧
(٣) الديوان ص ٢٤٠
(٤) الديوان ص ٤٦٦

وَأَذْهَبَ كُلَّ ما أَحْوِي ضَياعًا فَها أَنا ذا بِنارِ الْفَقْرِ صالِ
وَقَدْ أَوْدَعْتُ ما أَبْقَى صَدِيقاً فَعَرَّضْتُ الْبَقِيَّةَ لِلْوَبالِ
لَقَدْ آلَتْ بِيَ الدُّنْيا — فَقُبْحاً لِما صَنَعَتْ — إِلَى هٰذا الْمَآلِ
وَغالَ الدَّهْرُ مَنْزِلَتي وَوَفْري فَأَرْخَصَ مِنْ مَدِيحي كُلَّ غالِ
سَأَتْرُكُ ذِي الْبِلادَ بِلا اخْتِيارٍ وَأَهْجُرُ أَهْلَها لا عَنْ تَقالِ
بِحالٍ لَوْ تَأَمَّلَها عَدُوِّي لَساهَمَني الرَّزِيَّةَ أَوْ رَثَى لِي

وضاقت عليه دمشق لاضطراب أحوالها قبل زوال الحكم الفاطمي عنها ، ولما مُني به من فقد ما تملك يداه ، ولكرهه لمن يريدون الاستيلاء عليها من الأتراك السلجوقيين الذين لايفهمون الشعر العربي ، زد على ذلك أنهم لا يمكن أن يعتبروه إلا من أنصار الدولة الفاطمية ، بعد أن وقف شعره على مدح وزرائها وأمرائها وولاتها .

عزم ابن حَيُّوس على ترك دمشق ، ولكن إلى أين ؟ أيذهب إلى مصر وحالها في الاختلال لا تقل عن دمشق ؟ أم يذهب إلى بغداد وقد عرّض ببني العباس ونال منهم في غير موضع من شعره ؟ وله في ذلك أقوال منها :

وَمَنْ أَبُوهُ عَلِيٌّ لا يُنازِعُهُ مِيراثَ أَحْمَدَ باغٍ عَمُّهُ قُثَمُ (١)

أم يذهب إلى حلب وقد كان حرباً على أمرائها المرداسيين ، معدوداً في بطانة الدِّزْبري عدوهم الألد وقاتل كبيرهم صالح بن مرداس ثم ابنه نصر ، وما مدح الدِّزْبري بقصيدة إلا ذمهم بها؟

أَوْلادُ مِرْداسٍ لِسَيْفِكَ طُعْمَةٌ فِي كُلِّ أَرْضٍ أَنْجَدُوا أَوْ أَتْهَمُوا (٢)

وكان في الساحل الشامي قاضيان هما أشبه بأميرين مستقلين ، القاضي أمين الدولة أبو طالب عبد الله بن عمّار في طرابلس الشام ، والقاضي عين الدولة أبو الحسن محمد بن أبي عقيل في صور ،

(١) الديوان ص ٦٢٢ وقثم بن العباس عم الخلفاء العباسيين .
(٢) الديوان ص ٥٥٢

فلم يجد بداً من الذهاب إلى أحدهما ، فترك دمشق في أوائل سنة (٤٦٤) مغيظاً محنقاً وخائفاً يترقب، وإلى ذلك يشير بقوله (١) :

وَلِلحَمِيَّةِ لاَ عَنْ زَلَّةٍ حَكَمَتْ ... بِالْبُعْدِ فارَقْتُ أَخْدَانًا وَخُلاَّنَا
تُخِيفُني بَلَدٌ حَتَّى أَعُودَ إِلَىٰ ... أُخْرَىٰ كَأَنِّيَ عِمْرَانُ بنُ حِطَّانَا

ويقول (٢) :

وَنَبَا بِيَ ٱلْوَطَنُ ٱلْقَدِيمُ وَإِنَّنِي ... فِي ٱلْبُعْدِ عَمَّنْ حَلَّهُ لَسَعِيدُ

ويقول في التفجع على فراق دمشق (٣) :

فِرَاقٌ قَضَى أَلاَّ تَأَسِّيَ بَعْدَ أَنْ ... مَضَى مُنْجِداً صَبْرِي وَأَوْغَلْتُ مُتْهِمَا
وَفَجْعَةُ بَيْنٍ مِثْلُ صَرْعَةِ مالِكٍ ... وَيَقْبُحُ بِي أَلاَّ أَكُونَ مُتَمِّمَا
خَلِيلَيَّ إِنْ لَمْ تُسْعِدَانِي عَلَى ٱلْأَسَى ... فَمَا أَنْتُمَا مِنِّي وَلاَ أَنا مِنْكُمَا
وَحَسَّنْتُمَا لِي سَلْوَةً وَتَنَاسِياً ... وَلَمْ تَذْكُرَا كَيْفَ ٱلسَّبِيلُ إِلَيْهِمَا

ودخل طرابلس الشام في أوائل سنة (٤٦٤) ولم يكد يستقر بها ويترفق في الوصول إلى صاحبها القاضي أمين الدولة حتى توفي أمين الدولة في شهر رجب سنة (٤٦٤) وخلفه ابن أخيه القاضي جلال الملك أبو الحسن علي بن عمّار . فقال ابن حَيُّوس قصيدة يرثي السلف ويعزي الخلف أولها (٤) :

ذُدْ بِالْعَزَاءِ ٱلْهَمَّ عَنْ طَلِبَاتِهِ ... لاَ تُسْخِطَنَّ ٱللهَ فِي مَرْضَاتِهِ

فلم تستفزّ هذه الرقية جلالَ الملك ، ولم يبسط له حبل الرجاء لما عرف به ابن حَيُّوس من الميل إلى الفاطميين .

(١) الديوان ص ٦٥٧
(٢) الديوان ص ١٥٨
(٣) الديوان ص ٥٩٩
(٤) الديوان ص ١٣٢

فلم يبق أمامه إلا القاضي عين الدولة صاحب صور ، ورأى من الحيطة أن يختبره قبل الذهاب إليه فكتب إليه قصيدتين[1] يشكو بها رجلاً استودعه مالاً فخانه ، ويشرح فيهما ما صار إليه من سوء الحال وضياع الثروة وحيف الدهر . وتوسل إليه مرة بأحد أصدقائه وله في ذلك قصيدة[2] تشير إلى أنه لم يستفد من الوسيلة .

واتفق أن كان بطرابلس الشام وقتئذ الأمير علي بن منقذ الأديب النبيل جد أسامة بن منقذ ، فاجتمع بابن حَيُّوس وأنس كل بصاحبه وكانا يلتقيان من حين لآخر ، ورأى ابن منقذ انصراف القاضي جلال الملك عن ابن حَيُّوس وحذره منه لما عرف من ميله إلى الفاطميين ، فأشار عليه أن يفد على محمود بن نصر المرداسي صاحب حلب . فورد على ابن حَيُّوس مالم يكن في حسبانه ، كيف يقصد محموداً بعد ما سارت قصائده في النيل من أبي محمود نصر وجده صالح بن مرداس ؟ حتى رد عليه ابن أبي حصينة أحد شعراء بني مرداس[3] وبعد ما عرفه الناس من أنه شاعر عدوهم الألد أنوشتكين الدِّزْبري ؟ ولكي يطمئن ابن حَيُّوس إلى ما أشار به ابن منقذ ، عرض عليه أن يُصحبه بابنه نصر بن علي ليقدمه إلى صاحب حلب ويكون صلة التعارف بينهما ووسيلة التجمل والصفاء بعد الجفاء .

وكان الأمر كذلك ، وبرح ابن حَيُّوس طرابلس الشام صحبة نصر بن علي بن منقذ ، ودخل حلب في شوال سنة (٤٦٤) وكان قد بلغ السبعين من عمره ، وعلم أن صاحب حلب مرتاح لوفوده فتنفس الصعداء ، وأعد قصيدة من عيون شعره ، وعُيِّن له يوم اللقاء .

قال ابن العديم في زبدة الحلب[4] « ... وكان محمود قد جلس في مجلسه وأمر بإحضار الشراب فشرب أقداحاً ثم قال ارفعوا الخمر فان ابن حَيُّوس يحضرني ممتدحاً وفي نفسي أن أهبه جائزة سنية ، فإن كان الشراب في مجلسي قيل وهبه وهو سكران ، فرفع . وحضر الأمير أبو الفتيان فأنشده قصيدته الميمية التي أولها[5] :

قِفُوا فِي الْقِلَى حَيْثُ انْتَهَيْتُمْ تَذَمُّما ... وَلَا تَقْتَفُوا مَنْ جَارَ لَمَّا تَحَكَّمَا

(١) انظر الديوان ص ٣٩٦ و ص ٤٦٥
(٢) انظر الديوان ص ٤٦٩
(٣) انظر الحاشية رقم (٤) ص ٥٥٢
(٤) صورة شمسية
(٥) انظر الديوان ص ٥٩٨

وهي قصيدة طويلة أحسن فيها كل الإحسان ، وذكر إشارة ابن منقذ عليه بقصده فقال :

سَأَشْكُرُ رَأْيًا مُنقِذِيًّا أَحلَّني ... ذَرَاكَ فقَدْ أَوْلَى جَمِيلاً وَأَنْعَما

فوهب له ألف دينار ذهباً في صينية فضة وجعلها له رسماً عليه في كل سنة » .

وفي هذه القصيدة يتفجع على فراق دمشق بأبيات تقدم ذكرها ، ويحن إلى ماضي أيامه بها ويشير إلى بلوغه السبعين من عمره فيقول :

سَقَى اللهُ أَيَّامَ الصِّبا كُلَّ هاطِلٍ ... مُلِثٍّ إذا ما الغَيْثُ أَنْجَمَ أَثْجَما (١)

وَعَيْشاً سَرَقْناهُ بِرَغْمِ رَقِيبِنا ... وَقَدْ مَلَّ مِنْ طُولِ السُّهادِ فَهَوَّما

بِمَعْصُورَةٍ وَالدَّهْرُ ما اصْفَرَّ عُودُهُ ... فَيَلْوِي وَما أَلْوَى بِعادٍ وَجُرْهُما

أَرَاحَتْ مِنَ الهَمِّ الدَّخِيلِ وَشَجَّعَتْ ... جَباناً وَسَنَّتْ لِلْبَخِيلِ التَّكَرُّما

وَشادٍ جَزاهُ اللهُ رَوْحاً وَرَحْمَةً ... إذا ما اسْتَحَقَّ المُحْسِنُونَ التَّرَحُّما

فَلَسْتَ تَرَى إِلَّا يَداً صافَحَتْ يَداً ... لِإِنْجازِ وَعْدٍ أَوْ فَماً لاثِماً فَما

بِأَذْيالِ دَوْحٍ نَيْرَبِيٍّ (٢) كَأَنَّهُ ... سَماءُ دُجًى أَبْدَتْ مِنَ النَّوْرِ أَنْجُما

إِذا قابَلَتْ شَمْسُ الأَصائِلِ ما عَلا ... تَدَنَّرَ أَوْ بَدْرُ الظَّلامِ تَدَرْهَما

إِلامَ أُمَنِّي النَّفْسَ مالاً تَنالُهُ ... وَأَذْكُرُ عَيْشاً لَمْ يَعُدْ مُذْ تَصَرَّما

وَقَدْ قالَتِ السَّبْعُونَ لِلَّهْوِ وَالهَوَى ... دَعا لي أَسِيرِي وَاذْهَبا حَيْثُ شِئْتُما

وأحسن محمود بن نصر وفادة ابن حَيُّوس واحتفى به وأقبل عليه وصحبه وجعله من جلسائه وأغدق عليه نعمه ، فحسنت حاله وأثرى وعوض مافقده وبنى داراً بحلب عين مكانها ابن

---

(١) أنجم : أقلع . وأثجم : أمطر بسرعة .

(٢) نسبة إلى النيرب أحد متنزهات دمشق المشهورة .

خلكان بقوله :هي الدار المعروفة الآن بالأمير علم الدين سليمان بن جندر . وواصل ابن حَيُّوس قصائده في محمود ولقي من نبله وكرمه ماجعله مديناً لابن منقذ الذي قدمه إلى محمود وأنساه الفاطميين ووزراءهم وأمراءهم ،وفي ذلك يقول من قصيدة كتب بها إلى ابن منقذ(١) :

يا ابْنَ ٱلْمُقَلَّدِ قَدْ قَلَّدْتَنِي مِنَناً ... ما قارَبَ ٱلْحَمْدُ أَدْناها وَلا كَرَبا

فَيُمْنُ جَدِّكَ أَفْضى بِي إِلىٰ مَلِكٍ ... ما ٱبْتَزَّهُ ٱلشِّعْرُ إِلاَّ هَزَّهُ طَرَبا

أَغْنىٰ وَأَقْنىٰ وَأَدْنىٰ ثُمَّ أَغْرَبَ فِي ... إِنعامِهِ فَأَفادَ ٱلْعَقْلَ وَٱلأَدَبا

فَكُلُّ نَوْءٍ بِمِصْرٍ جادَنِي زَمَناً ... فِداءُ نَوْءٍ سَقانِي ٱلرِّيَّ فِي حَلَبا

وفي سنة (٤٦٦) توفي أخوه القاضي أبو المكارم محمد بن حَيُّوس الفقيه الفرضي ، ترجمه ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال : « كان مستخلفاً من قبل الحكام على الفروض والتزويجات ، وكان ديّناً حسن الطريقة ، وكان أوحد زمانه في علم الفرائض » .

ولم تطل حياة الأمير محمود بن نصر بعد مجيء ابن حَيُّوس إلى حلب فقد توفي سنة (٤٦٧) ورثاه ابن حَيُّوس بعد أن كان مدحه بعشر قصائد ، وخلفه ابنه الأمير نصر وجرى على رسم أبيه في رعاية ابن حَيُّوس وإيثاره على غيره من الشعراء ، دخل عليه ابن حَيُّوس لما تولى بعد أبيه وأنشده القصيدة التي أولها :(٢)

كَفَى ٱلدِّينَ عِزّاً ما قَضاهُ لَكَ ٱلدَّهْرُ ... فَمَنْ كانَ ذا نَذْرٍ فَقَدْ وَجَبَ ٱلنَّذْرُ

وبعد أن مدحه ورثى أباه وعزّاه عنه قال :

تَباعَدْتُ عَنْكُمْ حُرْفَةً لا زَهادَةً ... وَسِرْتُ إِلَيْكُمْ حِينَ مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ

وَجادَ ٱبْنُ نَصْرٍ لِي بِأَلْفٍ تَصَرَّمَتْ ... وَإِنِّي عَلِيمٌ أَنْ سَيُخْلِفُها نَصْرُ

وَما بِي إِلَى ٱلْإِشْطاطِ فِي ٱلسَّوْمِ حاجَةٌ ... وَقَدْ عُرِفَ ٱلْمُبْتاعُ وَٱنْفَصَلَ ٱلسِّعْرُ

(١) انظر الديوان ص ٢٢
(٢) انظر الديوان ص ٢٤٢

فأطلق له نصر ألف دينار وقال : وحياتي لو قال سيضعفها نصر لأضعفها .

واجتمع على باب نصر جماعة من الشعراء وامتدحوه وتأخرت صلته عنهم ، ونزل بعد ذلك إلى دار بولص النصراني ، وكانت له عادة بغشيان منزله وعقد مجلس الأنس عنده ، فجاءت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم إلى باب بولص ، وفيهم أبو الحسن أحمد بن محمد بن الدويدة المعري فكتبوا إليه أبياتاً اتفقوا على نظمها وقيل بل نظمها ابن الدويدة وهي :

عَلَى بابِكَ ٱلْمَحْرُوسِ مِنَّا عِصابَةٌ ... مَفالِيسُ فَٱنْظُرْ في أُمُورِ ٱلْمَفالِيسِ

وَقَدْ قَنِعَتْ مِنْكَ ٱلْجَماعَةُ كُلُّها ... بِعُشْرِ ٱلَّذي أَعْطَيْتَهُ لِٱبْنِ حَيُّوسِ

وَما بَيْنَنا هٰذَا ٱلتَّفاوُتُ كُلُّهُ ... وَلٰكِنْ سَعِيدٌ لا يُقاسُ بِمَنْحُوسِ

فأطلق لهم مائة دينار وقال : والله لو قالوا « بمثل الذي أعطيته لابن حَيُّوس » لأعطيتهم مثله.

وأكثر ابن حَيُّوس من مدح نصر بن محمود على قصر مدة إمارته، ففي الديوان عشر قصائد قيلت فيه في أقل من سنة. وذلك أن نصراً تولى الإمارة بعد أبيه سنة (٤٦٧) وقتل في شوال سنة (٤٦٨) قال ابن العديم في زبدة الحلب « وفي يوم عيد الفطر من سنة ثمان وستين وأربعمائة عيّد نصر بن محمود في أحسن زي وكان الزمان ربيعاً والأرض نضرة ، واحتفل الناس في عيدهم وتجملوا بأفخر ملابسهم ، ودخل عليه ابن حيوس فأنشده قصيدة منها :

صَفَتْ نِعْمَتانِ خَصَّتاكَ وَعَمَّتا ... حَدِيثُهُما حَتَّى ٱلْقِيامَةِ يُؤْثَرُ (١)

فشرب إلى العصر وحمله السكر على الخروج إلى الأتراك وسكناهم في الحاضرة وأراد أن ينهبهم وحمل عليهم فرماه تركي بسهم في حلقه فقتله » .

وتولى بعد نصر بن محمود أخوه سابق بن محمود ، فدخل عليه ابن حَيُّوس ومدحه بقصيدة أولها(٢) :

عَلَيَّ لَها أَنْ أَحْفَظَ ٱلْعَهْدَ وَٱلْوِدَّا ... وَإِنْ لَمْ يُفِدْ إِلاَّ ٱلْقَطِيعَةَ وَٱلصَّدَّا

(١) انظر الديوان ص ٢٧٠

(٢) انظر الديوان ص ١٤٤

فأطلق له سابق ألف دينار وجعل له في كل شهر ثلاثين ديناراً (١) . وكانت منزلته عنده كمنزلته عند أخيه نصر ووالده محمود . وبقي يقول فيه الشعر إلى أن استولى شرف الدولة أبو المكارم مسلم بن قريش العُقيلي على حلب سنة (٤٧٣) وانقضت دولة آل مرداس. وفي الديوان من شعر ابن حَيُّوس في سابق ثماني قصائد .

دخل ابن حَيُّوس حلب في شوال سنة (٤٦٤) وهو ابن سبعين سنة وبقي في كنف آل مرداس حتى انقرضت دولتهم سنة (٤٧٣) وقال فيهم كثيراً من الشعر، وفي الديوان من شعره فيهم ثلاثون قصيدة من أجزل شعره وأحسنه ، يعجب الإنسان كيف استجابت له وهو في عشر الثمانين من عمره .

ثمّ استيلاء مسلم بن قريش على حلب في شهر ربيع الآخر سنة (٤٧٣) فمدحه ابن حَيُّوس بقصيدة من أحسن ما قال من الشعر ولعلها آخر ما قال . قال ابن العديم في زبدة الحلب :

« مدح ابن حَيُّوس شرف الدولة بالقصيدة التي أولها :

ما أدْرَكَ الطَّلِبَاتِ مِثْلُ مُصَمِّمٍ ... إنْ أقْدَمَتْ أعْدَاؤُهُ لَمْ يُحْجِمِ (٢)

فلما وصل إلى قوله :

أَنْتَ الَّذِي نَفَقَ الثَّنَاءُ بِسُوقِهِ ... وَجَرَى النَّدَى بِعُرُوقِهِ قَبْلَ الدَّمِ

اهتز شرف الدولة وأمره بالجلوس ، فأتمها جالساً ، وأجازه بألفي دينار وقرية . وقيل إنه لما مدحه ابن حَيُّوس قال له وزيره أبو العز بن صدقة البغدادي : هذا رجل كبير السن ولم يبق من عمره إلا القليل فأرى أن تعظم له الجائزة فتحصل على الذكر الجميل. فأقطعه الموصل جائزةً له، فمات في هذه السنة قبل أن يصل إليها ، وترك مالاً جزيلاً .فقيل لشرف الدولة: هذا لا وارث له إلا بيت المال . فقال : والله لا يدخل خزائني مال قد جمعه من صلات الملوك ، انظروا له قرابةً . فسألوا عن ذلك فوجدوا له من ذوي الأرحام بنت أخ فأعطاها ماله جميعه ، وهي بنت أخيه أبي المكارم محمد بن سلطان بن حَيُّوس (٣) »

---

(١) زبدة الحلب (مخطوط) .

(٢) الديوان ص ٥٦٩

(٣) ومثل هذه الرواية مع اختلاف يسير بالألفاظ في خريدة القصر لعماد الأصفهاني ج ٢ ورقة ١٧٢ (نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي) .

توفي ابن حَيُّوس في شعبان سنة (٤٧٣) ثلاث وسبعين وأربعمائة بحلب وهو في الثمانين من عمره ولم يعقب ولداً. قال جمال الدين القفطي في كتابه «المحمدون[١] من الشعراء» بترجمة ابن حَيُّوس: «... قلت ودفن بمقبرة بني الموصول على جانب الخندق خارج باب قنسرين. وكانت بنت أخيه (٢) أبي المكارم مزوجة بحلب إلى أحد بني جرادة، وله منها ولد سمته باسم أبيها، ونشأ ورحل إلى بغداد وخالط أهل العلم وسمع كثيراً ثم عاد إلى حلب وأولدبها، وبها مات رحمه الله تعالى»

* * *

وقبل أن أختم هذا الفصل أريد أن أشير إلى أن هناك شاعرين يتصحف اسمهما على الناس باسم ابن حَيُّوس، أحدهما مغربي من أهل فاس، والآخر أندلسي من أهل إشبيلية.

أما الأول فقد نبه إلى وهم الناس فيه ابن خلكان في وفيات الأعيان ٢/١٥ فقال: «وفي شعراء المغاربة ابن حَبُّوس بالباء الموحدة المخففة، وإنما ذكرته لئلا يتصحف على كثير من الناس بابن حَيُّوس ورأيت خلقاً كثيراً يتوهمون أن المغربي يقال له ابن حَيُّوس أيضاً، وهو غلط والصواب ماذكرته والله أعلم» وابن حَبُّوس المغربي هذا هو أبوعبد الله محمد بن حسين بن عبد الله بن حَبُّوس ولد بفاس سنة (٥٠٠) وتوفي سنة (٥٧٠) وله ترجمة في التكملة لابن الأبار ص ٣٧٠. وبعد كل ذلك فقد تصحف اسمه على صاحب تاج العروس فظنه ابن حَيُّوس وأورده في مادة (حاس).

وأما الثاني فقد ذكره عبد الرحيم العباسي في معاهد التنصيص ١/٢٣٦ بعد ترجمة ابن حَيُّوس الدمشقي فقال «وابن حَيُّوس الاشبيلي ... له في أشتر العين لا تفارقه الدمعة:

شَتَرَتْ فَقُلْنَا زَوْرَقٌ فِي لُجَّةٍ   مالَتْ بِإِحْدَى دَفَّتَيْهِ الرِّيحُ

فَكَأَنَّمَا إِنْسَانُهَا مَلَّاحُهُ   قَدْ خافَ مِنْ غَرَقٍ فَظَلَّ يَمِيحُ»

فكتبتُ منذ أربع سنوات إلى الصديق الفاضل الأستاذ عبد العزيز محمد الأهواني وكان في مدريد يتخصص بالأدب الأندلسي أسأله عن ابن حَيُّوس الاشبيلي فأجابني بما يلي: «صاحب

(١) نسخة مصورة في خزانة المجمع العلمي العربي

(٢) هي فاطمة بنت أبي المكارم محمد بن سلطان بن حيوس وزوجها أحمد والد أبي غانم محمد بن هبة الله ابن أبي جرادة. «اعلام النبلاء نقــلا عن الوافي بالوفيات والمختار من الكواكب المضية» ١/٣٠٦

الأبيات في أشتر العين هو أبو العباس احمد بن حَسُّون (بنونين) ورد ذلك في كتاب المُغرب في حُلى المَغرب لعلي بن سعيد المغربي ، وهذا الكتاب مخطوط موجود في دار الكتب المصرية ونسخة الدار بخط المؤلف نفسه ومعي من هذا الأصل نسخة هنا في اسبانيا . ورد في الجزء الأول ورقة ٢٩٩ ما يأتي : – أبو العباس احمد بن حسون الإشبيلي من بيوت إشبيلية واغنيائها . . . وإذن فالصواب في نص صاحب معاهد التنصيص أن يكون الاسم ابن حَسُّون الإشبيلي لا ابن حَيُّوس كما ذكر » .

* * *

علمه وأدبه

نشأ ابن حَيُّوس في بيت وجاهة وثراء ، وأهل أمه بيت علم وصلاح ، فجده لأمه القاضي أبو العباس أحمد بن هٰرون بن موسى المعروف بابن الجندي الغساني قاضي غوطة دمشق(١) ، وخاله القاضي أبو نصر محمد بن أحمد الجندي الغساني إمام جامع دمشق وخليفة القاضي بها(٢) . وأبوه سلطان(٣) كان مع وجاهته وثرائه على أثارة من العلم .

لا نعرف كيف ابتدأ ابن حَيُّوس يطلب العلم في حداثته وماهي الكتب التي درسها وعلى من درسها . وكل ما اطلعنا عليه في هذا الشأن أنه وأخاه أبا المكارم سمعا خالهما أبا نصر(٤) – أي أخذا علم الحديث عنه – كما رويا عن أبيهما سلطان . وكان ميل أبي المكارم إلى علوم الدين فبرع في الفقه وكان أوحد زمانه في الفرائض . أما أبو الفتيان فقد كان أميل إلى الشعر والأدب واللغة ، على أن ثقافته في علوم الدين وغيرها ظاهر أثرها في شعره .

ولما قدم أبو بكر الخطيب البغدادي دمشق سنة (٤٥١) وسكنها مدة صحب ابن حَيُّوس وروى عنه وعن أخيه أبي المكارم ، كما روى عنه أبو محمد بن السمرقندي(٥) . وسمع منه طائفة من شعره أبو المفضل يحيى بن علي القرشي قاضي دمشق وجد ابن عساكر لأمه وقرىء عليه

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦)

(٢) توفي سنة ١٧ ؛ وله ترجمة بتاريخ دمشق لابن عساكر ج ١٤ ورقة ٣٧٠ ب (مخطوط)

(٣) انظر الحاشية رقم (٣) ص (٦)

(٤) ابن عساكر ج ١٥ ورقة ١٩٠ و ١٩١ (مخطوط) .

(٥) تاريخ الاسلام الكبير للذهبي ج ١١ ورقة ٢٨٠ (مخطوط) .

ببغداد سماعه من شعر ابن حَيُّوس،[1] وروى عنه أيضاً شيئاً من شعره أبو القاسم النسيب علي ابن ابراهيم بن العباس خطيب دمشق وذكر أنه ثقة .

وذكر ابن خلكان والصفدي أن ابن حَيُّوس كان شيخ ابن الخياط الشاعر الدمشقي المشهور، وأن ابن الخياط لما دخل حلب سنة (٤٧٢) وبها يومئذ ابن حَيُّوس كتب إليه ابن الخياط :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي ما يُباعُ بِدِرْهَمٍ　　وَكَفاكَ مِنِّي مَنْظَرِي عَنْ مَخْبَرِي
إلاَّ بَقِيَّةُ ماءِ وَجْهٍ صُنْتُهـا　　عَنْ أَنْ تُباعَ وَأَيْنَ أَيْنَ ٱلْمُشْتَرِي

فقـال لو قال « وأنت نعم المشتري » لكان أحسن [2] .

أما ثقافته في العربية وآدابها فواسعة تظهر في كل قصيدة من شعره ، فهناك إشارات كثيرة إلى عيون من طرائف الأدب والتاريخ في الجاهلية والإسلام حيث يحسن إيرادها ، مثل الإشارة إلى أخبار العرب وأيامهم وملوكهم وفرسانهم وأجوادهم وخطبائهم وشعرائهم وفحول خيلهم وإبلهم ، والاقتباس من أمثالهم والسائر من أشعارهم . ومثل الإشارة إلى عظام الحوادث وأعلام الرجال في الإسلام من الخلفـاء والملوك والقواد والفاتحين والشعراء وأصحاب الشأن . وايراد الشواهد على ذلك يطول كثيراً فإنها مبثوثة في مواطن كثيرة من شعره. ولنكتف بإيراد شيء مما يدل على ثقافته في الدين والمنطق والنجوم ، فقد كان يتفقه في بعض المواطن من شعره ، من ذلك قوله : ص٤٣٥

وَٱلْفِقْهُ غَيْرُ مُبِيحَةٍ أَحْكامُهُ　　مَنْ لاَ يُؤَدِّي ٱلْفَرْضَ أَنْ يَتَنَفَّلا

وقوله : ص ٥٣٢

مَواهِبُ لَمَّا لَمْ تُغادِرْ فَرِيضَةً　　وَلا سُنَّةً فِي ٱلْجُودِ جادَتْ تَنَفُّلا

وقوله : ص ١٥٨

قَدْ أَعْوَزَ ٱلْماءُ ٱلطَّهُورُ وَما بَقِي　　غَيْرُ ٱلتَّيَمُّمِ لَوْ يَطِيبُ صَعِيدُ

(١) مخطوطة ابن عساكر ج ١٠ ورقة ٨٠ بترجمة يحيى بن علي القرشي .
(٢) وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٥ والوافي بالوفيات للصفدي ج ٣ (مخطوط)

وقوله : ص ٢٠٣

بَدَّدْتَ وَفْرَكَ في فَرْضٍ وَنافِلَةٍ ... وَسُنَّةٍ فَجَمَعْتَ السُّؤْدُدَ البَدَدا

وقوله : ص ٦٠١

تَيَمَّمْتُ لَمَّا أَعْوَزَ المَاءُ طاهِراً ... فَيَمِّمْنَ بي بَحْراً كَفانِي التَّيَمُّما

وقوله وفيه مسألة في الفرائض : ص ٥٠٢

وَأَبُو الرَّسُولِ فَجَدُّكُمْ أَوْلَى بِهِ ... مِنْ دُونِ إخْوَتِهِ بِلاَ إشْكالِ

أنَّى يَكُونُ شَرِيكُهُ في عَمِّهِ ... كَشَرِيكِهِ في عَمِّهِ وَالخالِ

نَسَبٌ بَنُو العَلاَّتِ عَنْهُ بِمَعْزِلٍ ... وَبِذاكَ تَقْضِي سُورَةُ الأَنْفالِ

وقوله وفيه من مصطلح المنطق الجوهر والعرض : ص ٦٤

وَمِنَ الثَّنا عَرَضٌ وَمِنْهُ جَواهِرٌ ... وَمِنَ الجَواهِرِ جامِدٌ وَمُذابُ

وقوله وفيه من مصطلح الفلكيين النعائم وهي من منازل القمر : ص ٥٩٧

عَلاَ قِمَمَ النَّعائِمِ مُسْتَطِيلاً ... وَسارَ وَمِنْ قَلائِصِهِ النَّعامَى

ومثله قوله وفيه من مصطلحهم القِران : ص ٦٤٣

لأَنَّكَ مُنْذُ صِرْتَ لَهـا قَرِيناً ... بَدَا في الأَرْضِ تأْثِيرُ القِرَانِ[1]

وأشباه هذا مما يدل على ثقافته العامة .

* * *

صفته وأخلاقه

كل من ترجم لابن حَيُّوس لم يصف شيئاً من هيئته أو ملبسه أو ما يشير إلى شيء من ذلك ، فلا نعلم أكان طويلاً أم قصيراً بديناً أم نحيفاً أبيض أم أسمر ، وما إلى هـذا من الصفات التي تعين على تمثله واستحضار صورته في الذهن . ولكن سيرته مع الأمراء المرداسيين في حلب وهو في عشر الثمانين من عمره تدل على أنه كان قوي البنية شديداً ممتلئاً صحة ونشاطاً ، فقد كان يصحبهم ويجالسهم ويركب معهم ، وإلى ذلك يشير بقوله : ص ٢٧٤ .

(١) وورد في شعره ذكر النسرين ص ١٦١ والفرقدين ص ٤٤ وبهرام وكيوان وزحل والمشتري والحمل والجوزاء والثريا في غير موضع .

وَما أَضْعَفَتْ عشرُ الثَّمانينَ مُنَّتِي   كَما تُضعِفُ الضِّرغامَ وَهْوَ غَضَنْفَرُ

ركب يوماً مع محمود بن نصر صاحب حلب إلى ظاهر حلب ينظر المدّ في النهر وقال في ذلك أبياتاً تجدها في الديوان ص ١٩٧ . وكان يوماً مع محمود أيضاً وقد زلّت قوائم فرس كان تحته فقال أبياتاً تجدها في الديوان ص ٦٣٢ . وبقي ممتّعاً بعقله وإدراكه وشاعريته وحواسه إلى آخر أيام حياته ، ولعله يشير إلى ذلك بقوله يخاطب نصر بن محمود صاحب حلب : ص ٦١٠

عَلَّمْتَنا الطَّلَباتِ مِنْ بَعْدِ الغِنى   وَرُزِقْتَ شَيْخاً يَقْبَلُ التَّعْليما

ولم يظهر عليه من علامات الشيخوخة إلا انحناء ظهره قبل وفاته ، على أنه كانحناء السيف من غير عجز ، وإلى ذلك يشير في آخر قصيدة قالها قبيل وفاته ببضعة أشهر : ص٥٧٧

وَلَئِنْ حَنَتْ ظَهْرِي السُّنُونَ بِمَرِّها   فَالرُّمْحُ يَنْفَعُ وَهْوَ غَيْرُ مُقَوَّمِ

وقبل ذلك قال وقد ملّ من طول الحياة : ص ٣٩٢

صَحِبْتُ لَيالِي الدَّهْرِ حَتّى مَلِلْتُني   وَثَقَّلْتُ حَتّى آنَ لي أَنْ أُخَفَّفا

أما أخلاقه فقد كان يغلب عليه الجد والتصاون . فليس في سيرته أو شعره لهو أو عبث أو مجون ، ولم يكن مختالاً فخوراً ، ولا سبّاباً طعّاناً ، ويكاد ديوانه يخلو من الغزل ووصف الخمر والفخر والهجاء لولا أبيات في هذه المعاني أحسن في بعضها وظهر عليه التعمل في بعضها . ولعل غلبة الجد عليه جعلته خشناً في بعض أحاديثه . قال ابن عساكر(١) : « كان أبو الفتيان ابن حَيُّوس يوماً مع الشريف أحمد بن علي النصيبي قاضي دمشق في أيام المستنصر ، فقال الشريف : وددت لو كنتُ في الشجاعة مثل علي ، وفي السخاء مثل حاتم ، وذكر غيرهما . فقال له أبو الفتيان : وفي الصدق مثل أبي ذر الغفاري ، يعرّض له بأنه كذاب ، لأن المترجم كان يرمى بالكذب » . وكذلك قوله لأبي العلاء المعري لما أنشده شيئاً من شعر عبد المحسن الصوري وقال هذا لقصيرك . فقال له ابن حَيُّوس هو أشعر من طويلك . يعني المتنبي ، فأراد أبو العلاء أن يحوّل مجرى الحديث . فمدّ يده إليه وقبض على ثوبه وقال : الأمراء لا يناظَرون (٢) .

(١) تاريخ دمشق ١/ ٤١٠
(٢) انظر ص ٨

كان ابن حَيُّوس طموحاً إلى الثراء والجاه والاستزادة منها ، عزوفاً عن اللهو والتصابي . وقد أشار إلى ذلك في عدة مواطن من شعره منها قوله : ص ١٥٨

أَمّا ٱلنِّساءُ فَما لهُنَّ عُهُودُ ... وَلَهُنَّ عَنْكَ وَما ظَلَمْنَ مَحِيدُ

وَٱبْغِ ٱلنَّباهَةَ وَٱلثَّراءَ بِعَزْمَةٍ ... لَمْ يَثْنِهـا لَوْمٌ وَلاَ تَفْنِيدُ

وهو إلى ذلك شاعر منصرف إلى قرض الشعر لا يشتغل بسواه ، فلم يكن له بد إذن من التكسب به - وإن كان يدعي أنه لا يريد بمدحه المال لأنه غني موسر - فمدح ولكنه لم يمدح إلا أميراً أو وزيراً أو من في معناهما، وابتدأ بمدح والي دمشق أنوشتكين الدِّزْبري سنة (٤٢٠) وهو مولى تركي واستمر بمدح ولاة دمشق واحداً بعد واحد إلى سنة (٤٥٤) حين اضطربت أحوال دمشق ولم تستقم حال الولاة بعدها ، ومدح ثلاثة من الوزراء ورحل إلى القاهرة لهذه الغاية ، وكأنه حين التزم ألا يمدح إلا رجال الدولة وأصحاب السلطان أصبح شاعراً من شعراء الدولة الفاطمية ومن دعاتها السياسيين ، فكان يهاجم خصومهم ويشتد على الخارجين عليهم ، ولكنه قد شهد مصارع جميع أولئك الولاة والوزراء الذين مدحهم واتصل ببعضهم اتصالاً وثيقاً ولم يرث واحداً منهم .

كان في مدحه لرجال الدولة الفاطمية ينال من بني العباس ويعرّض بضعف الخليفة في بغداد ، ويزين للفاطميين الاستيلاء على العراق ، من ذلك قوله : ص ١٨١

عَجِبْتُ لِمُدَّعِي ٱلآفاقِ مُلْكاً ... وَغـايَتُهُ بِبَغْدادَ ٱلرُّكُودُ

وَمِنْ مُسْتَخْلَفٍ بِٱلْهُوْنِ راضٍ ... يُذادُ عَنِ ٱلْحِياضِ وَلاَ يَذُودُ

وقد كان على تسننه يمدح رجال الدولة الفاطمية بما يرتاحون إليه من النيل من بني أمية وبني العباس ، ولكنه لم يتعرض للصحابة بسوء . قال : ص ٦٢٣

حَوادِثُ وَرَّثَتْ مَرْوانَ ظالِمَةً ... خِلافَةً لَمْ يُخَلِّفْها لَهُ ٱلْحَكَمُ

وَعاوَدَتْ بِبَنِي ٱلْعَبّاسِ قاهِرَةً ... بَنِي أُمَيَّةَ حَتّى زالَ مُلْكُهُمُ

حَتّى إذا أَقْلَعَتْ عَنْ جَوْرِها عَقَدَتْ ... مِنْ ذِي ٱلإمامَةِ عَقْداً لَيْسَ يَنْفَصِمُ

كان أول من مدح من ولاة دمشق أنوشتكين الدِّزْبري وهو مولى تركي جاء على رأس جيش ضخم لمقاتلة عرب الشام الذين خرجوا على طاعة الفاطميين ، فكان ابن حَيُّوس في قصائده بالدِّزْبري يمدح الأتراك ويعرِّض بالعرب من ذلك قوله ص ٦٢٨ :

وَعَزْمَةٍ مُذْ أَلَمَّتْ بِالشَّآمِ بَنَتْ ... دُونَ الْخِلَافَةِ سُوراً لَيْسَ يَنْهَدِمُ
وَطالَمَا عَرَّسَتْ في أَرْضِهِ فِتَنٌ ... تَشِيبُ مِنْها قُلُوبُ الْخَلْقِ لا اللِّمَمُ
وَرُبَّ جَيْشٍ إذَا سالَ الْفَضاءُ بِهِ ... رَأَيْتَ فِيهِ جِبالَ الْأَرْضِ تَصْطَدِمُ
بَحْرٌ فَإنْ عَسَلَتْ فِيهِ الرِّماحُ أَرَتْ ... أَمْواجَ بَحْرِ الْمَنايا كَيْفَ تَلْتَطِمُ
ثَنَاهُ بَأْسُكَ فَانْصاعَتْ كَتائِبُهُ ... كَأَنَّ آسادَها مِنْ ذِلَّةٍ نَعَمُ
عَنَتْ حُماةُ بُيُوتِ الشَّعْرِ راغِمَةً ... مُذْ طُنِّبَتْ لَكَ في أَوْطانِها الْخِيَمُ
وَكَمْ لَهُمْ مَوْقِفٌ جالَ الْحِمامُ بِهِ ... لَوْ كانَ غَيْرُكَ فِيهِ الْخَصْمَ ما خُصِمُوا
مَنَعْتَ آسادَهُمْ قَسْراً فَرائِسَها ... فَلَيْسَ يُنْكَرُ أَنْ تَنْبُو بِها الْأَجَمُ
ذَرْهُمْ وَنُصْرَةَ مَنْ لاذُوا بِعَقْوَتِهِ ... فَقَدْ وَهَتْ عَرَبٌ بِالرُّومِ تَعْتَصِمُ

وله أشياء كثيرة في هذا المعنى موجودة في قصائده بالدِّزْبري .

فلما أفل نجم الفاطميين من الشام ، واضطر ابن حَيُّوس إلى مغادرة دمشق إلى حلب والالتجاء إلى بني مرداس الذين طالما نهش أعراضهم ؛ ورأى عندهم مالم ير عند غيرهم من حسن الوفادة تغيرت نغمته فقال معرِّضاً بالفاطميين :

فَكُلُّ نَوْءٍ بِمِصْرٍ جادَنِي زَمَناً ... فِداءُ نَوْءٍ سَقانِي الرِّيَّ فِي حَلَبا

وكان محمود بن نصر صاحب حلب قطع خطبة المستنصر الفاطمي وخطب للقائم بأمر الله الخليفة العباسي ، وأرسل الخليفة إليه الخلع مع نقيب النقباء ، فقال ابن حَيُّوس في ذلك قصيدة

عرّض بها بالفاطميين وبما يروى عنهم من التأويل ويرمون به من التعطيل ، وذكر الخليفة العباسي بالتعظيم والتبجيل يقول فيها : ص ٤٢٣

وَلَكَ ٱلْأَدِلَّةُ أَوْضَحَتْ حَتَّى رَأَى ... إِثْبَاتَ فَضْلِكَ مَنْ رَأَى ٱلتَّعْطِيلا

وَلِمُرْهَفَاتِكَ بِالْفُنَيْدِقِ (١) وَقْعَةٌ ... مَلَأَتْ مَسَامِعَ مَنْ بِمِصْرَ صَلِيلا

غُرُّوا بِأَنْ شَرَّفْتَ عَنْهُمْ مَذْهَباً ... فِي ٱلرَّأْيِ مَا عَرَفُوا لَهُ تَأْوِيلا

ومنها :

مِنْ مُقْرَبَاتٍ أَوْرَدَتْ أَمَّاتُهَا ... بَرَدَى وَأَحْرِ بِأَنْ يَرِدْنَ ٱلنِّيلا

فَلْتَحْذَرِ ٱلْهِمَمُ ٱلْمُذَالَةُ فِي ٱلثَّرَى ... هِمَماً تَجُرُّ عَلَى ٱلسَّمَاءِ ذُيُولا

مُنْذُ ٱنْبَرَتْ دُونَ ٱلْخَلِيفَةِ جُنَّةً ... مَلَأَتْ غِرَارَ ٱلنَّائِبَاتِ فُلُولا

وَلَقَدْ دَعَاكَ إِلَى ٱلَّتِي إِدْرَاكُهَا ... عَسِرٌ فَكُنْتَ بِمَا أَرَادَ كَفِيلا

أَعْلَمْتَهُ أَنْ لَيْسَ يَذْهَبُ ثَأْرُهُ ... مَا دُمْتَ لِلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ مُدِيلا

وَأَتَاكَ مِنْ إِكْرَامِهِ وَصِفَاتِهِ ... مَا جَاوَزَ ٱلْإِكْرَامَ وَٱلتَّبْجِيلا

هٰذَا هُوَ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي لَا يُرْتَقَى ... أَدْنَاهُ وَٱلْعِزُّ ٱلَّذِي مَا نِيلا

وأراد أن يقطع صلته بالفاطميين ، فعالج طبعه واقتسره على نظم قصيدة(٢) هجا بها بدراً الجمالي وزير المستنصر ومدح محمود بن نصر ، وليس له في الهجاء من القصائد غيرها لأنه لم يكن هجّاء .

وكأن محمود بن نصر بعد أن أغدق على ابن حَيُّوس عطاياه وغمره باحسانه أراد أن يقرعه ضمناً ، فاقترح عليه أن يرثي أباه نصر بن صالح الذي طالما مزّق ابن حَيُّوس أديمه ، وعيّن له

(١) انظر الحاشية رقم (١) ص ٤٢٣

(٢) انظر الديوان ص ١١٩

البحر والقافية [1]، وفي ذلك من المضايقة والحرج والتبكيت المعنوي ما فيه، لما فرط من أقوال ابن حَيُّوس في النيل من نصر.

كان ابن حَيُّوس على نبل أسرته ويساره وعلمه وأدبه وشاعريته زاهداً في الفخر والاعتداد بالعصبية العربية، وهو من أقل الشعراء فخراً واعتداداً بالنسب، يشير إلى ذلك قوله: ص ٩٦

فَقَدْ تَرَكْتُ غَنِيًّا غَيْرَ مَقْلِيَةٍ   لَمَّا تَجَدَّدَ لِي فِي عَامِرٍ نَسَبُ

و (غني) قبيلته و (عامر) جد بني كلاب قبيلة المرداسيين [2].

ولم تستيقظ به العصبية العربية إلا حين طغى سيل الأتراك السلجوقيين على العراق والشام قبيل سنة (٤٥٠) وعلى رأسهم طغرل بك السلجوقي، وفي ذلك يقول ابن حَيُّوس مستنهضاً همة الوزير اليازوري لصد طغرل بك الذي وصفه بالحية: ص ٤٠٥

وَقَدْ دَبَّ مِنْ أَقْصَى الْمَشَارِقِ حَيَّةٌ   لَهَا لَدَغَاتٌ لَا تُدَاوَى وَلَا تُرْقَى
فَطَبَّقَ تِلْكَ الْأَرْضَ ظُلْماً وَظُلْمَةً   فَكُنْ فَلَقاً يَجْلُو دَجُوجِيَّهُ فَلْقَا
فَمِنْ دُونِ دِينٍ قَدْ تَوَلَّيْتَ نَصْرَهُ   قَبَائِلُ مِنْ قَيْسٍ وَقَحْطَانَ مَا تُلْقَى
هُمُ سَلَبُوا كِسْرَى بنَ سَاسَانَ مُلْكَهُ   وَقَبْلَهُمُ عَقَّ الْمُلُوكَ وَمَا عُقَّا
وَذَادُوا عَلَى الْيَرْمُوكِ ذَادَةَ قَيْصَرٍ   بِكُلِّ حُسَامٍ يَمْنَعُ النَّاطِقَ النُّطْقَا
وَلَا شَكَّ أَنَّ التُّرْكَ يَنْسَوْنَ رَمْيَهُمْ   بِطَعْنٍ بِهِ أَنْسَيْتَ صِنْهَاجَةَ الزَّرْقَا

ويقول أيضاً: ص ١٨١

لَقَدْ طَاحَ الرَّجَاءُ بِطُغْرُلْبَكٍّ   وَكَمْ أَمَلٍ إِلَى أَجَلٍ يَقُودُ
كَأَشْدَقِ عَبْدِ شَمْسٍ إِذْ تَبَغَّى   تُرَاثاً لَمْ يُخَلِّفْهُ سَعِيدُ
وَجَاوَرَ أَهْلَ تِلْكَ الْأَرْضِ مِنْهُ   مُرِيدٌ لِاجْتِيَاحِهِمُ مُرِيدُ
وَأَرْسَلْتَ الْعِتَاقَ الْجُرْدَ قُبًّا   يُعَارِضُ مُمْتَطًى مِنْهَا مَقُودُ

(١) انظر الديوان ص ٣٥٦
(٢) انظر أيضاً ص ٣٨٥

وَمِنْ أُدَدٍ وَعَدْنَانَ عَلَيْهَا جُنُودٌ لاَ تُلاَقِيهَا جُنُودُ
مِنَ الْأُسَرِ الَّتِي أَلْوَتْ بِكِسْرَى وَذَاكَ وَمَنْ سِلاَحُهُمُ الْجَرِيدُ

ويقول لمسلم بن قريش لما استولى على حلب سنة (٤٧٣) وهي آخر ما قال من الشعر : ص ٥٧٠

يا رَحْمَةً بُعِثَتْ فَأَحْيَتْ أُمَّةً قَدْ طَالَمَا مُنِيَتْ بِمَنْ لَمْ يَرْحَمِ
فِي يَوْمِ قَارٍ رَايَةٌ لَكَ فَهِمَتْ مِنْ قَادَةِ الْأَتْرَاكِ مَنْ لَمْ يَفْهَمِ
لَمَّا تَقَاصَرَتِ الصَّوَارِمُ وَالْخَطَى حَذَرَ الْبَوَارِ وَثَبْتَ وَثْبَةَ ضَيْغَمِ
فِي عُصْبَةٍ كَعْبِيَّةٍ تَرَكُوا الْقَنَا مُتَعَوِّضِينَ بِكُلِّ أَبْيَضَ مِخْذَمِ
يَلْقَوْنَ أَعْرَاءً بِكُلِّ كَرِيهَةٍ يَجْتَابُ فِيهَا اللَّيْثُ ثَوْبَ الْأَرْقَمِ
قَلَّلْتُمُ عَدَدَ الْعِدَى بِقَوَاضِبٍ كَثَّرْنَ أَزْوَادَ النُّسُورِ الْحُوَّمِ
مِنْ مُرْهَفَاتٍ لَمْ تَزَلْ أَيْمَانُكُمْ أَنْصَارَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ أَيْوَمِ
مَا عَايَنَتْهَا التُّرْكُ تَحْكُمُ فِي الطُّلَى حَتَّى تَوَلَّتْ طَائِشَاتِ الْأَسْهُمِ
مِنْ نَابِذٍ لِسِلاَحِهِ فَاتَ الرَّدَى سَبْقًا وَمِنْ مُسْتَلْئِمٍ مُسْتَسْلِمِ
فَخَصَصْتَ بِالْإِذْلاَلِ كُلَّ مُقَلْنَسٍ وَعَمَمْتَ بِالْإِعْزَازِ كُلَّ مُعَمَّمِ
وَغَدًا سَتُخْلِي الشَّامَ مِنْهُمْ مِثْلَمَا أَخْلَتْ خُزَاعَةُ مَكَّةً مِنْ جُرْهُمِ
يَوْمٌ لَعَمْرُكَ لَمْ تَزَلْ أَخْبَارُهُ مَسْمُوعَةً مِنْ مُنْجِدٍ أَوْ مُتْهِمِ
عَزَّتْ بِهِ عَرَبُ الْبِلاَدِ كَعِزِّهَا بِالْقَادِسِيَّةِ يَوْمَ مَقْتَلِ رُسْتُمِ

أَصْفَيْتَ لِلْعَرَبِ ٱلْمَشَارِبَ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ كَرُمْحٍ لَا يُمَانُ بِلَهْذَمِ

وفي هذه القصيدة يذكر نسبه الذي طالما تناساه فيقول :

إِنَّ ٱلْوَفَاءَ طَرِيقُ أَسْلَافِي ٱلْأُلَىٰ عَمْرُوهُ مَا بَيْنِي وَبَيْنَ ٱلْهَيْثَمِ

هذه صورة استعنت على تصويرها بأخبار الشاعر وأقواله . قد تكون غير تامة ولكن فيها مشابه تحكيه في أخلاقه وأطواره. وقد يكون له عذر في بعض ما يؤخذ عليه في سيرته ، وقديماً قيل : يباح للشاعر مالا يباح لغيره .

* * *

شعره

ابن حيّوس شاعر محسن، لم يدوّن شيء مما قاله من الشعر إلا بعد أن بلغ السادسة والعشرين من عمره ، فليس في ديوانه قصيدة قيلت قبل سنة (٤٢٠). والشعراء عادةً يبدؤن بنظم الشعر قبل بلوغهم العشرين . ولعله لم يرتض ما قاله في صباه فأتلفه ولم يدوّن منه شيئاً .

وبواكير قصائده تريك أنه كان ينحو منحى أبي تمام الطائي ويترسم خطاه على أصعب السبل ، وأعني بذلك أنه يذهب مذهبه في الصنعة اللفظية وفي الغوص على المعاني ، من ذلك قوله من قصيده قالها سنة (٤٢٠)

أَوْصَابُ جِسْمِي مِنْ جِنَايَةِ بُعْدِكُمْ وَٱلصَّبْرُ صَبْرٌ بَعْدَكُمْ أَوْ صَابُ[1]

دَامَتْ سَحَابَةُ تَحْتَ ظِلِّ سَحَابَةٍ وَجَرَىٰ عَلَى دَارِ ٱلرَّبَابِ رَبَابُ

وَسَقَىٰ بِقَاعَ ٱلْجُونِ جَوْنٌ مُرْزِمٌ مَا لِلذِّهَابِ ٱلْغُمْرِ عَنْهُ ذَهَابُ

وهي كما ترى صنعة لفظية متكلفة . وفي القصيدة نفسها محاولة للغوص على المعاني على طريقة أبي تمام يقول فيها :

كَانُوا حَدِيداً فِي ٱلْوَغَىٰ لَـٰكِنَّهُمْ لَمَّا ٱصْطَلَوْا نَارَ ٱلْمُظَفَّرِ ذَابُوا

ويقول :

وَجَوَاهِرٌ غَمَرَ ٱلنُّضَارَ شُعَاعُهَا فَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِهَا جِلْبَابُ

(١) الديوان ص ٥٨

ومنها :

وَمِنَ الثَّنا عَرَضٌ وَمِنْهُ جَواهِرٌ ... وَمِنَ الْجَواهِرِ جامِدٌ وَمُذابُ

رَوَّيْتَ تُرْبَ الْمَجْدِ تُرْبَ مَدائِحٍ ... لِسُهُولِها وَوُعُورِها إعْشابُ

وَالْأَرْضُ تُجْدِبُ حِينَ يَهْجُرُها الْحَيا ... وَيُصابُ فِيها الْخِصْبُ حِينَ تُصابُ

هذا في أول أمره فلما احتنك وملك زمام القول أحسن التصرف في السير على نهج أبي تمام ، وبقي معجباً به إلى آخر حياته ، يلذّ له أن يحاكيه في أوزانه وما يسهل عليه من أغراضه ، كقصيدته في فتح حلب التي أولها : ص ٧١

سَلِ الْمَقادِيرَ ما أَحْبَبْتَهُ تُجِبِ ... فَما لَها غَيْرَ ما تَهْواهُ مِنْ أَرَبِ

وقد عارض بها قصيدة أبي تمام في فتح عمورية :

اَلسَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْباءً مِنَ الْكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْجِدِّ وَاللَّعِبِ

وكأبياته في وصف القلم : ص ٣٠٧

عَجَباً لَها تَجْرِي بِأَسْوَدَ فاحِمٍ ... يَكْسُو الطُّرُوسَ ظَلامُهُ أَنْوارا

وهي تنظر لأبيات أبي تمام في وصف القلم :

لَكَ الْقَلَمُ الْأَعْلَى الَّذِي بِشَباتِهِ ... تُصابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلَى وَالْمَفاصِلُ

وهو معجب أيضاً بالبحتري ، يشبهه في بعض قصائده من حيث استواء الشعر وعدم التفاوت، ولكن إعجابه بأبي تمام أشد . وبشعرهما تخرّج وعلى غرارهما يطبع ، وإلى ذلك يشير في وصف قصيدة له : ص ١٦٤

لَوْ أَنَّ فَحْلَيْ طَيِّءٍ حَضَرا لَها ... أَمْضَى حَبِيبٌ حُكْمَها وَوَلِيدُ

ولم يكن من المعجبين بأبي الطيب المتنبي .

أظهر خصائص شعر ابن حَيُّوس الفصاحة، والجزالة، والاستواء وعدم التفاوت، وطول النفس .

وقد عزا ابن فضل الله العمري[1] فصاحة أسلوبه إلى أنه كان يخرج إلى البادية ويعاشر البدو قال : « . . . وكان يتردد إلى البادية أحياناً . ويتخذ مما حول الزمان أوطانا ، فأتت على أشعاره فصاحة البدو ولطف الحضر ، وجاءت فيها مواضع كأنما خرجت من ألسنة العرب »

وكأن حبه للجزالة والسمو أغراه بالإكثار من ذكر الجبال واليفاع والتشبيه بها وذكر أسمائها كرضوى وحِراء وثهلان ومُتالع وشمام ويلملم ويذبل وأجأ وسلمى، ولأمر مالم يذكر من ملوك الغسانيين إلا جَبَلَة بن الأيهم ، وجبلة مشتق من الجبل والأيهم الجبل الصعب الطويل الذي لا يرتقى . وهو أميل إلى الأوزان الجزلة الطويلة كالطويل والبسيط والكامل والوافر ، وقلما يختار الأوزان القصيرة . وهكذا فالمتانة في شعره أظهر من الرقة ، وربما أرادها فاستعصت . وقد كان هو نفسه يعلم ذلك من طبعه . قال ابن عساكر[2] « سمعت جدي القاضي يحيى بن علي القرشي يذكر عن أبي الفتيان ابن حَيُّوس أنه كان يقول : إني ليعرض لي الشيء من شعر أبي تمام والبحتري وغيرهما من المتقدمين ، فأعمل في معناه فأبلغ مرادي منه ، ولا أقدر على أن أبلغ من موازنة شعر عبد المحسن الصوري ما أريد ، لسهولة ألفاظه وعذوبة معانيه وقصر أبياته. وذكر شيخنا أبو القاسم النسيب قال : قال لي أبو الفتيان بن حَيُّوس : يقال إن أغزل ما قيل قول جرير :

إِنَّ الْعُيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ   قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتْلَانَا
يَصْرَعْنَ ذَا اللُّبِّ حَتَّى لَا حَرَاكَ بِهِ   وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللهِ أَرْكَانَا

وقول عبد المحسن أغزل منه :

بِالَّذِي أَلْهَمَ تَعْذِيـ   ـبِي ثَنَايَاكِ الْعِذَابَا
مَا الَّذِي قَالَتْهُ عَيْنَا   كِ لِقَلْبِي فَأَجَابَا »

وشعره على كثرته بيّن الاستواء غير متفاوت يشبه بعضه بعضاً ، وقد يعلو في بعض قصائده ولكنه قلما يسف أو يسخف . فله الحسن وله الأحسن ، والرديء نادر جداً . فهو من هذه الناحية يشبه البحتري ، على أن البحتري أطبع وأعذب .

(١) مسالك الابصار ج (١٠) ص ٣٤١ (مخطوط) .

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر بترجمة عبد المحسن الصوري ج ١٠ ورقة ٢٢٥ (مخطوط)

وهو من أطول الشعراء نفساً تتراوح أبيات قصائده بين السبعين والمائة وقد تزيد ، وليس له من المقطعات إلا مقدار يسير ، يشابه في طول نفسه ابن الرومي ومهيار الديلمي ،ويقصر عن الأول في ابتكار المعاني وتعدد المناحي . والغريب في أمره أن أحسن شعره وأمتنه وأكثره اطراداً وتسلسلاً ماقاله بعد أن بلغ السبعين من عمره ، وهي السن التي يسكت فيها الشعراء عادة . والقصيدة[1] التي قالها قبل وفاته بأشهر وهو شيخ هرم قد بلغ الثمانين وأنشدها بحضرة مسلم بن قريش من الصفوة المختارة من شعره ، وفي ذلك دليل على قوة طبعه وتوقد شاعريته .

وقد كان على فصاحة أسلوبه ونصاعة بيانه يعمد إلى الصنعة اللفظية ويذهب في ذلك مذهب أبي تمام ، وقد أخذ عليه ابن فضل الله العمري شدة ولعه بالجناس فقال : « . . . وديوانه كبير الحجم ، كأنما طلع في آفاقه النجم ، وقد اعتمد فيه الجناس فأكثر منه حتى كدر صفوه الزلال ، وستر عفوه حتى كاد يبطل به عمل السحر الحلال[2] »

ومما يسترعي الانتباه أن لحاسة الشم محلاً في عدة مواطن من شعره من ذلك قوله :ص ٣٥١

مَجْـــدٌ تَضَوَّعَتِ ٱلْبِلَادُ بِنَشْرِهِ   طِيباً فَأَغْنَى سائِفاً أَنْ يَسْمَعا

ما إِنْ أَتى فَهْمَ ٱلْقَرِيبِ عِبارَةً   حَتَّى أَتى أَنْفَ ٱلْبَعِيدِ تَضَوُّعا

وقوله يصف إحدى قصائده :ص ٣٥٠

إِذَا قَلَّ عَرْفُ ٱلْمِسْكِ مِنْ طُولِ لُبْثِهِ   أَجَدَّ لَهَـــا مَرُّ ٱللَّيَالِي تَضَوُّعا

ومثل ذلك غير قليل في شعره [3].

ويعجبني من معانيه التي أحسن فيها قوله : ص ٣٢٧

مُخـــالِفَةٌ أَقْوالُهُمْ وَفِعالُهُمْ   كَما خالَفَ ٱلصَّهْباءَ لَوْنُ ٱلْفَواقِعِ

وقوله :ص ٤٠٤

وَقَدْ تَلِدُ ٱلْمَعْرُوفَ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ   وَلٰكِنَّها مِنْ قَبْلِهِ تُكْثِرُ ٱلطَّلْقا

---

(١) انظر الديوان ص ٥٦٩

(٢) مسالك الأبصار ج ١٠ ص ٣٤١ (مخطوط)

(٣) انظر على سبيل المثال أيضاً ص ٢٠٩ و ٢٦٠ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٧٦ و ٢٨٥ و ٣١٦ و ٣٣٣

وقوله : ص ٤٤٢

تُضْحِي سُيُوفُكَ لِلْبِلادِ مَفاتِحاً ‏ فَإِذَا فَتَحْتَ جَعَلْتَهـا أَقْفالا

وقوله : ص ٦٤

وَجَواهِرٌ غَمَرَ النُّضارَ شُعاعُها ‏ فَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوارِها جِلْبابُ

وقوله : ص ٢٦٦

فَبَكَى وَأَضْحَكَهُ الرَّجاءُ فَما رَأَتْ ‏ عَيْنٌ سِواهُ ضاحِكاً مُسْتَعْبِرا

وقوله : ص ٢٧٨

وَلَمْ يَكُ مِثْلَ الصُّبْحِ يَقْدُمُهُ الدُّجَى ‏ وَلٰكِنَّها شَمْسٌ تَقَدَّمَها فَجْرُ

وقوله : ص ٣٠٧

زانَتْ فَضائِلُهُ بَدائِعَ نَظْمِها ‏ كَمْ مِعْصَمٍ أَضْحَى يَزِينُ سِوارا

وقوله : ص ١٠٧

أُناسٌ سُقُوا دَرَّ الْإِباءِ لِيَنْتَخُوا ‏ كَما سُقِيَ الْماءَ الْحَدِيدُ لِيَصْلُبا

وقوله : ص ١٥

تُذْكَى مَصابِيحُ الظَّلامِ عُلالَةً ‏ أَبَداً وَما يَجْلُوهُ كَابْنِ ذُكاءِ

وقوله : ص ٧٢

كَذٰلِكَ النّارُ فِي نَفْعٍ وَفِي ضَرَرٍ ‏ مُيَمَّمٌ نُورُها مَرْهُوبَةُ اللَّهَبِ

وقوله : ص ٩٩

شَفَعَ الشَّجاعَةَ بِالْخُشُوعِ لِرَبِّهِ ‏ ما أَحْسَنَ الْمِحْرابَ فِي الْمِحْرابِ

وقوله : ص ١٤١

وَإِذَا ٱلنَّارُ نامَ مُوقِدُهـا عَنْـ ـها فَأَجْدِرْ بِأَنْ تَحُولَ رَمادا

وقوله : ص ٣٩٩

وَوَلَّوْا عَنْ حَرِيمِهِمُ فِراراً فَكُنْتَ بِصَوْنِ مَنْ تَرَكُوا حَقِيقا

وقوله : ص ٥٣٤

تَجارَى بِفُرْسانٍ تُضاعِفُ أَيْدَها إِذا صارَتِ ٱلْأَيْدِي مِنَ ٱلرُّعْبِ أَرْجُلا

وقوله : ص ١٤٦

يَدُلُّ وَلَمْ يُدْلَلْ عَلَى نَهْجِ سُؤْدُدٍ كَذاكَ ٱلنُّجُومُ ٱلزُّهْرُ تَهْدِي وَلا تُهْدَى

وقوله : ص ١٧٤

وَلا تُخْلِ قَلْباً فِي ٱلْوَرَى مِنْ مَخافَةٍ فَلَوْلا حَياةُ ٱلْخَوْفِ لَمْ يَمُتِ ٱلْحِقْدُ

وقوله : ص ١٨٤

جَناحا جارِحٍ غَرْثانَ هِيضـا فَأَصْبَحَ لا يَطِيرُ وَلا يَصِيدُ

وقوله : ص ١٩٢

بِهِ صَمَمٌ عِنْدَ ٱلسُّؤَالِ فَإِنْ لَحَى عَلَى ٱلْجُودِ لاحٍ كانَ أَسْمَعَ مِنْ خُلْدِ

ومثل ذلك غير قليل تقدم بعضه في الأمثلة التي سبق إيرادها من شعره .

ويلوح على شعره أثر الثقافة في الأدب واللغة والتاريخ، إلى إلمام بالعلوم الدينية والعقلية ، وقد سبق تفصيل ذلك في الكلام على علمه وأدبه . ولكن هناك أثراً آخر هذا مكان معالجته وهو أثر الباطنية في شعره .

كان ابن حَيُّوس سنياً ولم يكن باطنياً . ولكنه ولد ونشأ في حكم الدولة الفاطمية ، واتصل بولاتها ووزرائها زمناً طويلاً . وقضى من عمره سبعين سنة في سلطانها ، فترك كل ذلك أثراً ظاهراً في شعره .

وكان هواه السياسي — على تسننه — مع الفاطميين حتى عرف بمشايعته لهم ، وكان يمدح رجالهم بما يرتاحون إليه ، ويدعو إلى طاعة القوم ويحمل على خصومهم ، ولم يكن له بد من

ذلك بعد أن أصبح وكأنه شاعر الدولة فى الشام . وأبرز أثر للباطنية فى شعره تقديس أئمتهم تقديساً يرفعهم إلى أفق أعلى من أفق البشر ، ويجعل الدنيا مخلوقة لأجلهم ، وفي ذلك يقول : ص ٢٨٥

...وَقَدْ جَرَى ٱلْقَلَمُ ٱلْأَعْلَى بِنُصْرَتِهِ ... فَقَبْلَ يُدْعَى بِهِ مُسْتَنْصِراً نُصِرا

وَخُصَّ بِٱلشَّرَفِ ٱلْمَحْضِ ٱلَّذِي ٱرْتَفَعَتْ ... لَهُ ٱلنَّوَاظِرُ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِي بَهَرا

نُورِ ٱلنَّبِي ٱلَّذِي ما زَالَ مُنْتَقِلاً ... فِيمَنْ دَعا ظاهِراً مِنْهُمْ وَمُسْتَتِرا

أَهْلُ ٱلصَّفا كَرُمَتْ أَعْراقُهُمْ وَزَكَتْ ... فَكُلُّ صَفْوٍ سِوَاهُمْ عائِدٌ كَدَرا

وَما بَقِي خَلَفٌ مِنْهُمْ فَمَا نَقَضَتْ ... مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلنَّدَى أَيْدِي ٱلرَّدَى مِرَرا

هُمُ ٱلْأُلَى أَخَذَ ٱللهُ ٱلْعُهُودَ لَهُمْ ... وَٱلنَّاسُ ذَرٌّ عَلَى مَنْ بَرَّ أَوْ فَجَرا

لِأَجْلِهِمْ خَلَقَ ٱلدُّنْيا وَأَسْكَنَها ... وَذَنْبُ آدَمَ لَوْلاهُمْ لَما غُفِرا

أَئِمَّةٌ لَمْ يَغِبْ عَنَّا لَهُمْ قَمَرٌ ... إِلَّا وَأَعْقَبَنا مِنْ سِنْخِهِ قَمَرا

لا تَسْأَلَنَّ ٱلْقَوافِي عَنْ فَضائِلِهِمْ ... إِنْ شِئْتَ تَعْرِفُها فَٱسْأَلْ بِها ٱلسُّوَرا

وهذا بعض ما يعتقده الإسماعيليون فى أئمتهم . ولابن هانيء الأندلسي كبير شعراء الفاطميين وأقدمهم قصائد في المعز الفاطمي تشتمل على عقيدة الإسماعيليين في الإمام منها قوله (١) :

هُوَ عِلَّةُ ٱلدُّنْيا وَمَنْ خُلِقَتْ لَهُ ... وَلِعِلَّةٍ ما كانَتِ ٱلْأَشْياءُ

مِنْ صَفْوِ ماءِ ٱلْوَحْيِ وَهْوَ مُجاجَةٌ ... مِنْ حَوْضِهِ ٱلْيَنْبُوعُ وَهْوَ شِفاءُ

مِنْ أَيْكَةِ ٱلْفِرْدَوْسِ حَيْثُ تَفَتَّقَتْ ... ثَمَراتُها وَتَفَيَّأَ ٱلْأَفْياءُ

(١) تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني للدكتور زاهد علي ص ١٥ وانظر الفصل الرابع في شرح الاصطلاحات الاسماعيلية في الديوان للدكتور زاهد علي ص ٥٢ من المقدمة .

مِنْ شُعْلَةِ ٱلْقَبَسِ ٱلَّتِي عُرِضَتْ عَلَى ... مُوسَى وَقَدْ حارَتْ بِهِ ٱلظَّلْماءُ
مِنْ مَعْدِنِ ٱلتَّقْدِيسِ وَهْوَ سُلالَةٌ ... مِنْ جَوْهَرِ ٱلْمَلَكُوتِ وَهْوَ ضِياءُ
مِنْ حَيْثُ يُقْتَبَسُ ٱلنَّهارُ لِمُبْصِرٍ ... وَتُشَقُّ عَنْ مَكْنُونِها ٱلْأَنْباءُ
فَتَيَقَّظُوا مِنْ غَفْلَةٍ وَتَنَبَّهُوا ... ما بِٱلصَّباحِ عَنِ ٱلْعُيُونِ خَفاءُ
لَيْسَتْ سَماءُ ٱللهِ ما تَرَأَوْنَها ... لٰكِنَّ أَرْضاً تَحْتَوِيهِ سَماءُ
أَمَّا كَواكِبُها لَهُ فَخَواضِعٌ ... تُخْفِي ٱلسُّجُودَ وَيَظْهَرُ ٱلْإِيماءُ

وقوله :

ما شِئْتَ لا ما شاءَتِ ٱلْأَقْدارُ ... فَٱحْكُمْ فَأَنْتَ ٱلْواحِدُ ٱلْقَهّارُ(١)

ولم يبلغ ابن حيّوس هذا المبلغ، لأن تسننه يحجز بينه وبين الغاية التي جرى إليها ابن هاني .

وفي قسم من شعر ابن حيّوس ظاهرة غريبة وهي تهوين شأن العرب ، تجدها في كثير من القصائد التي مدح بها أنوشتكين الدزبري ، مثال ذلك قوله للدزبري : ص ٧٣

بَنَيْتَ لِلْعَجَمِ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُبَلِّغَهُمْ ... مَجْداً بَناهُ رَسُولُ ٱللهِ لِلْعَرَبِ
لاذَتْ بِكَ ٱلْعَرَبُ ٱلْعَرْباءُ وَٱعْتَلَقَتْ ... مِنْ جُودِ كَفِّكَ حَبْلاً غَيْرَ مُنْقَضِبِ
أَصْفَيْتَها ٱلْمالَ شِرْباً وَٱلْعُلَى كَلَأً ... مِنْ بَعْدِ أَنْ رَضِيَتْ بِٱلْماءِ وَٱلْعُشُبِ
ناقَضْتَ حُكْمَهُمُ لَمَّا أَبَحْتَهُمُ ... ما قَدْ سَلَبْتَ بِأَطْرافِ ٱلْقَنا ٱلسُّلُبِ
أَعْدَمْتَها ٱلْجَهْلَ وَٱلْإِعْدامَ مُذْ وَجَدَتْ ... فِي ظِلِّكَ ٱلرَّغَبَ ٱلْمَخْلُوطَ بِٱلرَّهَبِ

(١) تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ص ٣٦٥

ومثل هذا تجده في ص (٢٣٠ و ٢٦٤ و ٣٤٢ و ٥٢٢ و ٥٤١ و ٥٤٤) من الديوان ، ولست أدري أ كان ذلك اقتفاء لأثر ابن هاني الذي يقول :

وَلَمْ أَقِسْكَ بِشَيْبَانٍ وَما جَمَعَتْ ... لٰكِنَّما أَنْتَ عِنْدِي كُلُّ رِبْعِيِّ[1]

لا بَلْ رَبِيعَةَ وَالْأَحْلَافُ مِنْ مُضَرٍ ... بَلْ أَنْتَ كُلُّ تِهامِيٍّ وَنَجْدِيِّ

بَلْ شِسْعُ نَعْلِكَ عَدْنانٌ وَما وَلَدَتْ ... بَلْ أَنْتَ وَحْدَكَ عِنْدِي كُلُّ إِنْسِيِّ

على أن ابن حَيّوس رجع عن تهوين شأن العرب وتنبهت به العصبية العربية لما رأى سيل الأتراك السلجوقيين يطغى على العراق والشام .

ومن آثار الباطنية في شعره نسبة المعجزات إلى غير الأنبياء ، فقد طالما نسبها إلى ممدوحيه من الولاة والأمراء والوزراء ، وادعى أن سلطانهم من السماء ، وله في ذلك أقوال كثيرة ، منها قوله : ص ٨٥

لَتَخِذْتَ إِعْجازَ الْأَنامِ خَلِيقَةً ... فَغَرِيبُ ما تَأْتِيهِ لا يُسْتَغْرَبُ

وقوله : ص ٢٩٠

هَنـاكَ انْفِرادُكَ بِالْمُعْجِزاتِ ... وَيَوْمُكَ ذا فَهْوَ يَوْمٌ أَغَرُّ

وقوله : ص ٣٦٥

قَضَى بِحُكْمِ الْـكِتابِ مُتَّبِعًا ... وَأَظْهَرَ الْمُعْجِزاتِ مُبْتَدِعا

وقوله : ص ٢٦٣

ما هٰذِهِ الْأَفْعالُ فِي قَدْرِ الْوَرَى ... فَلِذاكَ نَحْنُ نَظُنُّ يَقْظَتَنا كَرَى

وقوله : ص ٢٦٥

وَهَلْ تَعْصِي مُلُوكُ الْأَرْضِ مَلْـكًا ... بِسُلْطانٍ سَمائِيٍّ أُعِينـــــــا

(١) تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ص ٨١٠

وأمثال ذلك كثيرة جداً . ومن آثار الباطنية في شعره أنه كان يصف بعض من يمدحهم بالتقية ، ويقرنها بصفات المدح كالحمية والحزم ، من ذلك قوله : ص ١٣

وَلَقَدْ جَمَعْتَ حَمِيَّةً وَتَقِيَّةً ثَنَتَا إِلَيْكَ عِنَانَ كُلِّ ثَنَاء

وقوله : ص ٢٧٧

حَمِيَّةُ بَأْسٍ قَدْ تَلَتْهَا تَقِيَّةٌ فَطَالُوا وَهُمْ بَدْوٌ وَطَابُوا وَهُمْ حَضْرُ

وقوله : ص ٣٢١

ذُدْتَ الْحَمِيَّةَ بِالتَّقِيَّةِ رَاغِباً فِي الْأَجْرِ تُغْرِبُ فِي الْجَمِيلِ وَتُبْدِعُ

وقوله : ص ٣٥٢

وَلَقَدْ أَضَفْتَ إِلَى التَّقِيَّةِ هَيْبَةً جَبَرَتْ عَدُوَّكَ أَنْ يَذِلَّ وَيَخْضَعَا

وقوله : ص ٤٠٣

وَقَدْ زِدْتَهَا مِنَ التَّقِيَّةِ نِحْلَةً فَكُنْتَ الْأَعَفَّ الْأَحْلَمَ الْأَكْرَمَ الْأَتْقَى

وقوله : ص ٥٩١

فَاقَ الْمُلُوكَ حَمِيَّةً وَتَقِيَّةً مَلِكٌ سَرَتْ عَزَمَاتُهُ وَأَقَامَا

وقوله : ص ٦٢٣

حَمِيَّةٌ أَفْنَتِ الْمُرَّانَ تَنْصُرُهَا تَقِيَّةٌ زَالَ فِيهَا الشَّكُّ وَالْوَهَمُ

ومنها استعماله القول المأثور الذي يتمثل القوم به كثيراً وهو (جفّ القلم) قال : ص ٥٤٨

جَرَى لَكَ فِي اللَّوْحِ أَلَّا عَزِيزَ يَعِزُّ عَلَيْكَ وَجَفَّ الْقَلَمْ

ومنها إشارته إلى أحكام النجوم، فقد كان القوم يعنون بها وبتأثيرها واختلاف مطالعها وقرانها ، قال : ص ١٦٤

وَأَرَى النُّجُومَ تَخَالَفَتْ أَحْكَامُهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُنَّ سُعُودُ

وقال : ص ٥٣٠

فَلاَ تَجْعَلْ لِمَقْدَمِهِ أَوَانَا عَلَيْهِ الطَّالِعُ الْمُخْتَارُ دلاّ
وَأَبْعِدْ أَنْ تُدَبِّرَهُ نُجُومٌ تَمَنَّى أَنْ تَحُلَّ بِحَيْثُ حلاّ

وقال : ص ٥٥١

وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ عَوَاقِبِ رَأْيِهِ أَيْقَنْتَ أَنَّ ظُنُونَهُ تَتَنَجَّمُ

وقال : ص ٦٤٣

لِأَنَّكَ مُنْذُ صِرْتَ لها قَرِيناً بَدَا فِي الْأَرْضِ تَأْثِيرُ الْقِرَانِ

وهذا بحث طريف يحتاج استقصاؤه وشرحه إلى دراسة خاصة لا تتسع لها هذه المقدمة .

وأبواب شعره على كثرته قليلة طغى عليها باب المديح ، فليس له في الحكمة أو الفخر أو الهجاء ما يستحق الدراسة ، وليس له في الرثاء قصيدة خالصة ، وإنما له أربع قصائد يصح أن يكون عنوان ثلاث[1] منها (مات الملك فليحيى الملك) وذلك أن ابن حَيُّوس كان يرثي السلف من الأمراء ويعزي الخلف ويمدحه وهو المقصود ، قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات[2] :

« ولابن حَيُّوس أبيات جمع في كل بيت منها بين الرثاء والمديح وهي :

فَلِلّٰهِ مُلْكٌ زَيَّنَ الدَّسْتَ مَلْكُهُ وَجادَ الْحَيا مَلْكاً تَضَمَّنَهُ الْقَبْرُ
وَكُنَّا نَظُنُّ الْأَرْضَ تُظْلِمُ بَعْدَهُ فَقُمْتَ مَقامَ الشَّمْسِ إِذْ أَفَلَ الْبَدْرُ
صَبَرْنا عَلَى حُكْمِ الزَّمانِ الَّذي سَطا عَلَى أَنَّهُ لَوْلاكَ لَمْ يَكُنِ الصَّبْرُ
غَزانا بِبُؤْسَى لاَ يُفارِقُها الْأَسَى تُقارِنُ نُعْمَى لاَ يَقُومُ بِها شُكْرُ
وَكادَ شِعارُ الْخَوْفِ يَنْبَثُّ فِي الْوَرَى فَنادَى شِعارُ الْأَمْنِ يا نَصْرُ يا نَصْرُ »[3]

---

(١) انظر الديوان ص ٢٤٢ وص ٣٥٦ و ص ٤٧٩

(٢) الجزء الثالث بمكتبة المدرسة السليمانية باستانبول (مخطوط)

(٣) انظر الديوان ص ٢٤٣

فلم يبق له إلا قصيدة واحدة رثى بها محمود بن نصر وعزّى بها والدته علوية ابنة وثاب النميري أولها : ص ١١٤

يَطْمَعُ ٱلنَّاسُ فِي ٱلْبَقاءِ وَتَأْبَى ... نُوَبٌ تَسْلُبُ ٱلنُّفُوسَ ٱغْتِصابا

وغزله قليل وقد يكون أقل الشعراء غزلاً ، وربما أشار في بعض قصائده إلى ذلك قال : ص ٥١٤

فَضائِلٌ مَلأَتْ شِعْرِي بِكَثْرَتِها ... مِنْ أَنْ يَفُوزَ بِهِ ٱلتَّشْبِيبُ وَٱلْغَزَلُ

وذلك الغزل القليل أحسن في بعضه كقوله : ص ٤٠٩

أَرَقَدْتَ عَنْ قَلَقِ ٱلْفُؤادِ مَشُوقِهِ ... فَأَمَرْتَ بِٱلسُّلْوانِ غَيْرَ مُطِيقِهِ

وَمُمَنْطَقٍ يُغْنِي ٱلنَّدِيمَ بِوَجْهِهِ ... عَنْ كَأْسِهِ ٱلْمَلْأَى وَعَنْ إِبْرِيقِهِ

فِعْلُ ٱلْمُدامِ وَلَوْنُها وَمَذاقُها ... فِي مُقْلَتَيْهِ وَوَجْنَتَيْهِ وَرِيقِهِ

وليس له في الغزل الخالص إلا قصيدتان (١) قصَر فيهما نفسَه على خلاف ما عرف به من طول النفس ، وليس فيهما ما يطرب . على أن له أبياتاً حسنة في الحنين إلى دمشق والتفجع على فراقها، ذكر فيها مسارح صباه ومعاهد أُنسه في متنزهاتها مثل النَّيْرَب وسَطْرَى ومَقْرَى، وفي ما يحيط بدمشق مثل آبل ودير قانون وعلمية وداعِل (٢) .

وله في الوصف مقاطع حسنة ولكنها قليلة أتت ضمن قصائد المدح كوصف موكب (٣) الأمير حيدرة بن مفلح والي دمشق ، ووصف الدار (٤) التي بناها محمود بن نصر بن مرداس صاحب حلب .

أما المديح فهو الذي طغى على كل ما سواه ، يطول به نفسه ويتصرف به كما يشاء وتنقاد له القوافي وتطيعه المعاني ، فيعبر عما يحيك بصدره ويجول بخاطره بأسلوب جزل مبين ، وكأنما

(١) انظر الديوان ص ٧٨ و ص ٦٦٣
(٢) انظر الديوان ص ١٥٢ و ٤٧٢ و ٦٠٠
(٣) انظر الديوان ص ٤٤
(٤) انظر الديوان ص ٣٢٢

قصائده في المدح صور أو سير للممدوحين تصف خصائصهم وتنطق بأعمالهم وتشير إلى حوادثهم، وليست من المدح المبتذل الذي يمكن أن يمدح به كل إنسان .

وتشتمل قصائد مدحه على فنون من القول يقتضيها المقام ، كوصف الوقائع والسلاح والخيل وغير ذلك . ولكنه لا يتغزل في مطالعها إلا في القليل النادر . وهي في جملتها أشبه بالشعر السياسي ، لأنها قيلت في الملوك والوزراء والأمراء ، وفي كل منها دعوة إلى سياسة الممدوح وحملة على خصومه . حتى عرف بشايعته لسياسة الفاطميين ثم لبني مرداس .

وهو على استواء شعره وعدم تفاوته له الحسن والأحسن . ويعجبني من شعره ثلاث قصائد تعد من عيون الشعر أحسن فيها كل الإحسان ، مطلع الأولى : ص ٢٤٢

كَفَى ٱلدِّينَ عِزّاً ما قَضاهُ لكَ ٱلدَّهْرُ   فَمَنْ كانَ ذا نَذْرٍ فَقَدْ وَجَبَ ٱلنَّذْرُ

والثانية : ص ٥٩٨

قِفُوا في ٱلقِلَى حَيْثُ ٱنْتَهَيْتُمْ تَذَمُّما   وَلاَ تَقْتَفُوا مَنْ جارَ لَمّا تَحَكَّما

والثالثة : ص ٥٦٩

ما أَدْرَكَ ٱلطَّلِباتِ مِثْلُ مُصَمِّمٍ   إِنْ أَقْدَمَتْ أَعْداؤُهُ لَمْ يُحْجِمِ

أما منزلته بين الشعراء فقد اتفق على أنه من المحسنين المجيدين ، انتهت إليه زعامة الشعر في الشام بعد وفاة أبي العلاء المعري ، فلم يكن في الشعراء من يتقدم عليه . قال ابن ماكولا : « الأمير أبو الفتيان محمد بن حَيّوس شاعر مجيد لم أدرك بالشام أشعر منه[1] » . على أن الذين سبقوه من شعراء الشام كأبي تمام الطائي والبحتري وأبي العلاء المعري كانت لهم زعامة الشعر العربي عامة ، أما ابن حَيّوس فقد آلت إليه زعامة الشعر ولكن في الشام خاصة .

* * *

(١) الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب ج ١ ورقة ١٨٥ (مخطوط) . ودعاه الذهبي في سير أعلام النبلاء ج ١١ ص٧٩ : «بشاعر الشام» ، كما دعاه المزي في الكشف والبيان ج ٢٢ ورقة ١٢ « بأمير الشعراء » وكلاهما مخطوط .

لغته

من خصائص ابن حَيُّوس فصاحة لغته وجزالة ألفاظه من غير إغراب . ومفرداته على كثرتها ليس فيها وحشي أو مستكره ، وهو بصير في انتقائها وصوغها ووضعها حيث ينبغي أن تكون. وتراكيبه محكمة رصينة يقل فيها التقديم والتأخير ، وقوافيه على طول قصائده تدل على سعة ثروته اللغوية ليس فيها مجتلب أو مقتسر . وقد يستعمل في تراكيبه غير المألوف ليدل على سعة اطلاعه في العربية وعلومها ، من ذلك قوله : ص ١٢٩ .

مُقْوِرَّةٌ طالَما أَنْضَيْتَها تَعَباً عِلْماً بِأَنَّ سَيَجْني الرَّاحَةَ التَّعَبُ

وهذا تركيب غير مألوف ولكن سبقه إليه أبو السمراء الغساني فقال :

كُلُّ الرِّجالِ وَإِنْ تَعَفَّفَ جَهْدَهُ لا بُدَّ أَنَّ بِنَظْرَةٍ سَيَخُونُ

ومن ذلك قوله : ص ٨٣

لَوْ كانَ ذَنْبُكَ فِي الزَّمانِ اللَّذْ مَضَى لَمْ تَفْتَخِرْ بِحِمَى كُلَيْبٍ تَغْلِبُ

وَاللَّذْ لغةٌ في الذي ، قال أبو الطيب المتنبي:

لَوْلَمْ تَكُنْ مِنْ ذا الْوَرَى اللَّذْ مِنْكَ هُوَ عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِها حَوّاءُ

وثنّاه بحذف النون فقال : ص ٥١١

وَراءَها عَلَما النَّصْرِ اللَّذا كَفَلا لِمَنْ أَظَلاَّ بِعِزٍّ لَيْسَ يَنْتَحِلُ

وعدّد الفاعل في قوله : ص ٥٥٨

فَفَرَّقَهُمْ بَحْرُ الرَّدَى وَهْوَ ساكِنٌ فَماذا يَظُنُّونَ الشَّقِيُّونَ إِنْ طَمَى

على أن الذي أريد أن أخصه بالذكر ، ألفاظ حظيت عنده فأكثر من ترديدها. منها (المساعي) ويريد بها الأعمال العظيمة الصالحة، انظر الديوان (ص ٧ و ١٢ و ٢٥ و٢٩ و ٣٧ و ٧٧ و ٨٧ و٩١ و ١١٠ و ١٨٩ و ٢٠٢ و ٢٢٣ ، و ٢٣٨ ، و ٢٦٣ و ٢٧٣ و ٣٤١ ، و ٣٤٧ و ٣٧٥

٤٠٢ و ٤٠٧ و ٤٣١ ، ٥١٦ ، ٥٢٧ و ٥٣٦ و ٥٦٨ ، ٥٩٦ ، ٦٣١ ، ٦٦٤) ، ومادة (سطا) وما يشتق منها كالسطوة ويجمعها على سُطى انظر الديوان (ص ٢٨و٤٨ و٥٥و٦٣ و ٦٩ و ٨١ و ٩٠ و ٩٥ و ١١١ و ١١٥ و ١٢٢ و ١٢٤و١٦٩ و ١٨٤و ١٩٨و٢٠٦و٢٠٨ و ٢٢٠ و ٢٢٥ و ٣٠٠ و ٣٠٢ و ٣٣٧ و ٣٦٤) ، ويكثر من استعمال (تردي الخيل) أي ترجم الأرض بحوافرها ، انظر الديوان (ص ١٠٣ و ١٦٧ و ١٩١ و ٢٠٢ و ٢٢٤) كما يكثر من استعمال(ألوى به)أي ذهب به وأهلكه ، انظر الديوان (ص ٣٥و١٩١و١٩٨ و ٢١١و٢٤٧ ٢٥٢ و ٥٦٦) وقد سبقت الإشارة إلى كثرة ما يلهج به من ذكر الهضاب واليفاع والجبال وترديد أسمائها . ومما أغري به إضافة كلمة أم إلى المعنى الذي يريده كأم العزاء وأم الهم وأم الغادرين وأم المخافة وأم المدامة وأم الحمد وأم المجد .

قال : ص ٥٣٩

وَتَرَى بِهـا أُمَّ الْمُدامَةِ عاقِراً ... أَبَداً وَأُمَّ الْحَمْدِ حُبْلَى مُتْئِما[1]

ويستعمل (ظافر) بمعنى ظاهر أو أيد[2]. ويكثر من استعمال (عاود) بدلاً من عاد[3].

وفي لغته كلمات وجمل لا يزال الدماشقة يستعملونها فى أحاديثهم إلى اليوم مثل (العوافي ، وحمل الثقلة ، والتثقيل ، والتخفيف ، وكفّى) . قال: ص ٣٨١

وَعَوافٍ تَتْرَى وَلاَ رُؤيَتْ مِنْكَ ... رُبُوعُ الْعَلْيا وَهُنَّ عَوافِ

وهي جملة دعائية لا يزال أهل دمشق يستعملونها فيقولون (على العوافي)

وقال : ص ٣٧٦

فَلا يُلْزِمَنِّي شُكْرُها حَمْلَ ثِقْلَةٍ ... فَمَنْ لِي بِشِعْرٍ حامِلٍ مِنْهُ ما خَفَّا

لَعَمْرِي لَقَدْ خُوِّلْتُ ما دُونَهُ الْغِنَى ... وَفِي عُشْرِ مِعْشارِ الَّذِي نِلْتُ ما كَفَى

(١) انظر أيضاً الديوان ص ٣٤٦ و ٤٣٩ و ٤٨٢ و ٦٢٥

(٢) انظر الديوان ص ٢٥ و ٢٩ و ١٨١ و ٢٠١ و ٦٠٤ و ٦١٨ و ٦٦٨

(٣) انظر الديوان ص ٥١ و٧٧ و ٨٨ و ١٧٣ و ١٩٨ و٢٨٨ و ٣٤٩

وقال : ص ٣٩٢

صَحِبْتُ لَيالِي الدَّهْرِ حَتَّى مَلِلْنَنِي ... وَثَقَلْتُ حَتَّى آنَ لِي أَنْ أُخَفِّفا

وهذه كلها تعابير يصح أن يطلق عليها دمشقية .

واستعمل كلمة (جمس) بقوله : ص ٣١١

وَجَمْمَسَنِي مُسْتَخْبِراً فَصَفَعْتُهُ ... فَقُمْتُ بِلاَ أَنفٍ وَقامَ بِلاَ راسِ

ويظهر أنها من لغة العامة في دمشق بعصر الشاعر بمعنى هزّ رأسه أو رفعه ، وقد بقيت إلى عصر ابن عُنين (أوائل القرن السابع) فاستعلها بمعنى التيه قال :

تَجَمْمُسُ قَلَّ مَنْ يُنـــاظِرُهُ ... فِي النَّاسِ إِلاَّ تَعَنْفُقُ الرَّخْبِي (١)

وقد وردت في شعره أسماء رومية لمجاورة الروم للشام ولكثرة الوقائع بين العرب وبين الروم في أيام الشاعر منها : (الدَّوْقَس) وهي لاتينية Dux أي الرئيس ، و(الدُّمُسْتُق) وهو لقب قائد جيش الروم ، و(البِطريق) وهو القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ، و (القَطبان) وهو عامل أنطاكية الرومي .

قال : ص ٦١٣

كالدَّوْقَسِ الْمَغْرُورِ ظَنَّ بِجَهْلِهِ ... أَنَّ الْوِهادَ تُطاوِلُ الآكاما

وقال : ص ٥٨٩

وَلْيَلْزَمِ الْحِصْنَ الدُّمُسْتُقُ مُحْجِماً ... عَنْ حَرْبِها فَسَيَحْمَدُ الإِحْجاما

وقال : ص ٤١٢

وَافَى مَلِيكَ الرُّومِ مِنْهُ مانِعٌ ... عَنْ نَصْرِ دَوْقَسِهِ وَعَنْ بِطْرِيقِهِ

وقال : ص ٥٤٦

وَقالُوا بَغَى الْقَطَبانُ اللِّقـــاءَ ... وَأَوْعَـــدَ بِالْحَرْبِ فِيما زَعَمْ

* * *

(١) ديوان ابن عنين ص ١٧٩

ديوانه

رزق ابن حَيُّوس السعادة بشعره، فكان بنو مرداس يعطونه على القصيدة ألف دينار ، وكان الأدباء والعلماء في حياته يتلقون شعره عنه، ويقرؤونه عليه ، ويقرؤه الناس عليهم في الشام وغير الشام . فقد روى عنه شيئاً من شعره أبو القاسم علي بن ابراهيم النسيب خطيب دمشق ، وسمع منه طائفة من شعره قاضي دمشق يحيى بن علي القرشي جد ابن عساكر لأمه وقريء عليه في بغداد سماعه من شعر ابن حَيُّوس .

وعني الأدباء بعد ابن حَيُّوس بجمع شعره وتدوينه فكان منه ذلك الديوان الضخم، وجمعه غير واحد، قال جمال الدين القفطي في كتابه « المحمدون من الشعراء » : (... جمع ديوانه جماعة، وأجود ما جمعه ابن أكبر بن المعري نزيل مصر، فإنه أكبرها وأكثرها).

والمعروف من نسخ ديوانه أربع(١)

الأولى : نسخة السلطان سليم المحفوظة في خزانة لاله لي باستانبول رقم ١٧٢٦

الثانية : نسخة رئيس الكتاب المحفوظة في خزانة عاشر باستانبول رقم ٩٤٩

الثالثة : نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٩١ فهرس الدارج ٣ ص ١٠٧

وسنصف هذه النسخ الثلاث .

والرابعة : في غوطا بالمانيا رقم ٢٢٤١ بذلت الجهد في سبيل الحصول على صورة منها بعونة المستشرق الكبير الأستاذ ف . كرنكو فعلمت بعد مراسلات متعددة أنها فقدت مع ما فقد من كتب غوطا في الحرب العالمية الثانية .

وفي خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا نسخة رقمها (٣٠٣) منقولة عن نسخة دار الكتب المصرية لم نر حاجة لتصويرها .

وفي خزانة مجلس النواب في طهران (مجلس شوراي ملي) ديوان مخطوط ذكر في الفهرس أنه ديوان ابن حَيُّوس . وبعد تصويره اتضح لنا أنه لشاعر من أهل كرمان متأخر عصره عن ابن حَيُّوس.

وفي مكتبة برلين خمس صفحات فيها مختارات من شعر ابن حَيُّوس تلطف فبعث لنا بصورة عنها الدكتور ج . كرامر في توبنغن، وهي بخط حديث وليس فيها شيء غير موجود في الديوان .

---

(١) تاريخ الأدب العربي للأستاذ بروكلمن ج ١ ص ٢٥٦ والذيل ج ١ ص ٤٥٦

هذا كل ما يعرف عن ديوان ابن حَيُّوس[1] بذلنا الجهد في سبيل تصوره والإتيان به لتحقيقه ونشره في سلسلة مطبوعات المجمع العلمي العربي .

اجتمع لدينا ثلاث صور من نسخ الديوان، والعمدة فيها نسخة لالهلي ونسخة عاشر، أما النسخة المصرية فتبع لهما . على أن النسخ الثلاث يتمم بعضها بعضا . وقد استعنت بها كلها في تحقيق الديوان، وعند اختلاف الرواية كنت أثبت في المتن ما أرجحه وأذكر في الحاشية الرواية المختلفة . وقد يكون النص في بعض الأحيان خطأ في النسخ الثلاث فأجتهد في تصويبه إما في المتن وإما في الحاشية مع الإبقاء على الأصل . على أنه لا يزال في النفس أشياء من مواطن في الديوان لم أطمئن إليها ولم أهتد إلى تقويمها فتركتها على حالها، وأرجو أن يهتدي غيري إلى تقويمها .

ولم أجد من شعر ابن حَيُّوس إلا أبياتاً يسيرة غير مذكورة في الديوان أثبتها في الحواشي حيث ينبغي أن تكون[2]. وهاك وصف النسخ التي اعتمدنا عليها .

(١) نسخة السلطان سليم المحفوظة في خزانة لالهلي باستانبول تحت رقم ١٧٢٦ والمرموز اليها بحرف (ل)

نسخة قديمة، خطها نفيس يشبه خطوط أوائل القرن السابع ، وقلمها القلم المعروف بالنسخ . وهي من وقف السلطان سليم بن السلطان مصطفى طبع على هامش الورقة رقم (٤٥) خاتم وقفه، وهذا نقشه بأربعة أسطر: « هذا وقف سلطان الزمان ـ الغازي سلطان سليم خان ـ ابن السلطان مصطفى خان ـ عفى عنهما الرحمان ١٢١٧ » وكذلك على الورقة رقم (٩٣) والورقة رقم (١٣٩). عدد ما بقي من أوراقها (٢٢١) ورقة، في كل صفحة (١٥) سطراً ، تغلب عليها الصحة في الرواية والنقط والشكل . سقط من أولها ورقة واحدة تشتمل صفحتاها على تسعة عشر بيتاً . ونرجح أن تكون اقتطعت اقتطاعاً طمعاً بما يكون عادةً في صدر الصفحة الأولى من النقوش المذهبة النفيسة في المخطوطات القيمة . وسقط من آخرها عدد غير قليل من الأوراق ذهب معها سبع قصائد ومقطوعة من قافية النون ولم يبق من هذه القافية إلا بقايا قصيدتين .

والنسخة مرتبة على حروف المعجم ، يُراعى في كثير من الأحيان الترتيب الزمني في إيراد

---

(١) وذكر الأستاذ بروكلمن مرجعين آخرين يتصلان بابن حيوس:

الأول: رسالة المستشرق مولر طبعت في بون سنة ١٨٢٩ كتب إلي الأستاذ كرانكو أنها رسالة باللغة اللاتينية تشتمل على ترجمة نبذة من تاريخ حلب لابن العديم فيها أخبار آل مرداس وليس فيها شيء ذو بال عن ابن حيوس .

الثاني : فهرس مصادر الدراسات الشرقية جاء في ص ٨١٨ منه ذكر ابن حيوس .

(٢) انظر حاشية الديوان ص ١٩ و ١٣١ و ١٣٥ و ٦٣٢

القصائد في كل قافية ، فقصائد الشاعر التي قالها في دمشق مقدمة على القصائد التي قالها في حلب في الغالب ، بخلاف بقية النسخ التي لا تراعي هذا الأمر ، وتكتفي بالقافية دون اعتبار الزمن فيها . ومن هنا تختلف مواضع القصائد في كل قافية بهذه النسخة عن بقية النسخ حتى نهاية قافية العين ، وتتفق مع بقية النسخ في الترتيب من قافية الفاء إلى آخر الديوان . ويذكر في آخر كل قافية عدد أبياتها ، مثال ذلك ما ورد في آخر قافية الألف من أن عدد أبياتها ١٥٧ بيتاً وهكذا بقية القوافي .

ومجموع ماورد فيها من القصائد أقل منه في بقية النسخ ، وتختلف في رواية بعض القصائد زيادة ونقصاً ، كما تختلف في رواية بعض الأبيات وفي تقديم بعضها أو تأخيره . وقد أشير إلى كل ذلك في مواضعه . وهذه الفروق تدل على أن جامع هذه النسخة هو غير جامع نسخة عاشر الآتي وصفها ، تصديقاً لقول القفطي من أن ديوان ابن حَيُّوس جمعه غير واحد .

(٢) نسخة رئيس الكتاب المحفوظة بخزانة عاشر باستانبول تحت رقم ٩٤٩ والمرموز اليها بحرف (ع)

نسخة قديمة ، كتب على ظاهرها بخط غير قديم : «ديوان شاعر الدهر نادرة العصر فصيح الزمان بليغ الأوان ابن حَيُّوس عفي عنه» . وتحت ذلك موجز ترجمة ابن حَيُّوس بثلاثة عشر سطراً من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي . وفي أعلى الصفحة خطوط مَن ملك هذه النسخة ، ففي الزاوية اليمنى ما نصه : «من كتب أبي بكر بن رستم بن أحمد الشرواني» . وفي الزاوية اليسرى : «من كتب العبد علي عزت» وتحته خاتمه . وتحت ذلك مانصه : «من العواري المعادة والهبات المستفادة لدى العبد الفقير محمد الخفاجي سامحه الله سبحانه عنه آمين» .

وفي ظهر هذه الورقة في أعلى الزاوية اليسرى ما نصه : « الله حسبي من كتب أبي بكر بن رستم بن أحمد الشرواني » . وتحته : « هذا لله المالك الأحد عند عبده مصطفى سامي» . وفي نصف الصفحة خاتم صنوبري الشكل في أعلاه أذينة نقش فيها : «الله حسبي» ، ونقش في الخاتم عشرة أسطر هذا نصها : « بسم الله الرحمن الرحيم - وقف هذا الكتاب مصطفى - رئيس الكتاب السابق لوجه الله - الخالق وسلمه للمتولي وحكم بصحته - حاكم الشرع الشريف وشرط الاستفادة - منه لأولاده فثم فثم وبعدهم - يعمل به كافي الوقفية إلى قيام - الساعة وأخزى الله - من اشتراه عنا - سنة ١١٥٤ - » .

ثم تأتي أوراق الديوان، وخطها من خطوط القرن السابع، وقلمها قلم النسخ، ويبدو لنا أن الورقة الأولى اقتطعت طمعاً بما عليها من النقوش المذهبة، وعوض عنها بورقة نسخت فيها أبيات الورقة الأولى بخط يختلف عن خط بقية الصفحات .

وعدد أوراق هذه النسخة ٢٥١ ورقة، في كل صفحة خمسة عشر سطراً . وفي آخرها بضع عشرة صفحة بخط أحدث من خط الأصل، في كل صفحة منها تسعة عشر سطراً . وخط البقية واضح منقوط ومشكول تغلب عليه الصحة وإن كان لا يخلو من الغلط .

والنسخة مرتبة على حروف المعجم ، ومن خصائص هذه النسخة أن يذكر في أول كل قصيدة بحرها ، ويرمز إلى عدد أبياتها بحروف الجمّل، مثال ذلك ماورد في الورقـــة التاسعة والعشرين: (كامل وقال يمدح أمير الجيوش الدزبري عج) فالمراد بكامل: بحر الكامل، وبعج: ثلاثة وسبعون بيتاً ، لأن العين تدل على ٧٠ والجيم على ٣ وهكذا بقية القصائد ، إلا القصائد المنقولة بخط حديث في آخر النسخة وهي أربع قصائد فلم يرمز في أوائلها إلى عدد أبياتها، وتقع من الورقة ٢٤٣ إلى الورقة ٢٤٧ ومن الورقة ٢٤٩ إلى الورقة ٢٥١ .

وقد ورد في آخر النسخة مانصه : (وهذا آخر ديوان الأديب الشاعر الأمير أبي الفتيان ابن حَيُّوس تغمده الله برحمته وفيه زيادة عن غيره والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده)

ويترجح عندنا أن جامع هذه النسخة هو ابن أكبر المعري لما فيها من الزيادات التي لم ترد في غيرها ، وقد ورد في كتاب « المحمدون من الشعراء » للقفطي أن ما جمعه ابن أكبر المعري من شعر ابن حَيُّوس يزيد على ما جمعه غيره .

أما الفروق التي بين هذه النسخة وبين نسخة لالهلي فقد ذكرت عند الكلام على نسخة لالهلي

(٣) نسخة دار الكتب المصرية بالقاهرة رقم ٥٩١ . فهرس الدار ج ٣ ص ١٠٧ والمرموز اليها بحرف (م) :

نسخة حديثة، عدد أوراقها ١٧٤ ورقة، في كل صفحة ٢١ سطراً ، مخطوطة بقلم النسخ، خالية من الشكل، وليس في آخرها اسم ناسخها ولا تاريخ نسخها . دخلت بالشراء إلى دار الكتب سنة ١٨٨٣ م . وهي مرتبة على حروف المعجم، ويغلب على الظن أنها منقولة من نسخة عاشر فيها متفقتان في الترتيب والرواية ، والفوارق القليلة بينها قد تكون من سهو الناسخ . على أن في آخرها اختلافاً في الترتيب قد يكون من اجتهاد الناسخ، ويلخص بما يأتي :

القصيدة التي أولها : ص ٦٣٧

إِدْرَاكُ وَصْفِكَ لَيْسَ فِي ٱلْإِمْكَانِ ... ما لِلْمَقَالِ بِذَا ٱلْفَعَالِ يَدَانِ

ذات قسمين وردت في هذه النسخة متصلة بقسميها ، ووردت في نسخة عاشر منفصلة ، كل قسم على حدة ، وبين القسمين سبع قصائد ، وقد أشير إلى ذلك في مكانه من الديوان .

وورد في نسخة عاشر قصيدة أولها : ص ٦٤٢

بِجِيدِ عُلاكَ مَدْحِي كُلَّ آنٍ ... يَلُوحُ كَأَنَّهُ عِقْدُ ٱلْجُمَانِ

لم ترد في هذه النسخة . كما أن في آخر قصائد قافية النون اختلافاً بينها في الترتيب . ويغلب على الظن أن بعض قصائد هذه النسخة عورضت بنسخة لاله لي .

وقد جاء في آخر النسخة ما نصه : (هذا آخر ديوان الأديب الشاعر الأمير أبي الفتيان بن حَيُّوس وفيه زيادة عن غيره والحمد لله رب العالمين) .

* * *

هذا هو الشاعر الذي أنجبته دمشق قبل نحو من ألف سنة ، ورأى المجمع العلمي العربي أن ينشر ديوانه نشراً علمياً بعد أن ضنّ الدهر به زمناً طويلاً ، فعهد إليّ في تحقيقه ، فبذلت الجهد في سبيل إخراجه أقرب ما يكون إلى الصحة ، والله يتولى المجمع برعايته ويجزيه عن العربية وآدابها خير الجزاء .

دمشق | ٤ المحرم سنة ١٣٧١
٤ تشرين الأول ١٩٥١ | خليل مردم بك

(رموز النسخ المخطوطة من ديوان ابن حيوس)

ل نسخة السلطان سليم المحفوظة في مكتبة لالهلي باستانبول .
ع نسخة رئيس الكتاب المحفوظة في مكتبة عاشر باستانبول .
م نسخة دار الكتب المصرية .

ولذاك ارجو ان يقوم مدائحي بايسير ما تولي لا اشبهت اشعبا

اصاو لماء المدح مجدك مشربا واصفيته من جودك الغمر مشربا

فلا عذر للشعر الذي شاع فضله اذا لم يكن في وصف فضلك مطنبا

وهذي المساعي عن صفاتك عية ولكنها لم تمل الا لتكتبا

فلا برح الملك المعز مانعا مكانك من اعلى من الناس واحجبا

ولا زلت تجلوا الحادثات وتجتلي عذارى القوافي ما جلا الصبح غيهبا

وقال ايضا

على قافية التاء

يرثي القاضي الاجل امين الدولة

ابا طالب عبد الله بن محمد بن عمار

ابن الحسين بن قيس بن عبد الله

ادريس بن ابي يوسف الطائي

قدس الله روحه وكانت

وفاته بطرابلس الشام يسر الله

فتحها ليلة السبت النصف من

صفحة من نسخة السلطان سليم المحفوظة في خزانة لاله لي باستانبول والمرموز إليها بحرف (ل)

(ديوان ابن حيّوس)

رجب سنة اربع وستين واربعماية

ويحرر القاضي الاعز الاجل

سيد الحكام جلال الدولة وعمادها

ذا المعالي صفي امير المؤمنين

ذُدنا العزاء الهم عن طلباته لا تسخطن الله في مرضاته

لك من سداد لك بخبر بل منكر ان الزمان جرى على عاداته

انكلته احداثه وخطوبه فاصبر له ان نال بعض تراته



صدع القلوب بما اتى متيقنا ان الاديم واتت من حسناته

ان التي عم الزمان مصابها وتشعبت شعب المنى بوفاته

ايلوا شتات الشمل شيب طينهم اتى وقد ملكت جمع شتاته

لما رأى ان الشبيبة للعلى وزر وبان الضعف في حركاته

ولا كل منها ما تولى بهجة وفدا حباتك راضيا بحياته

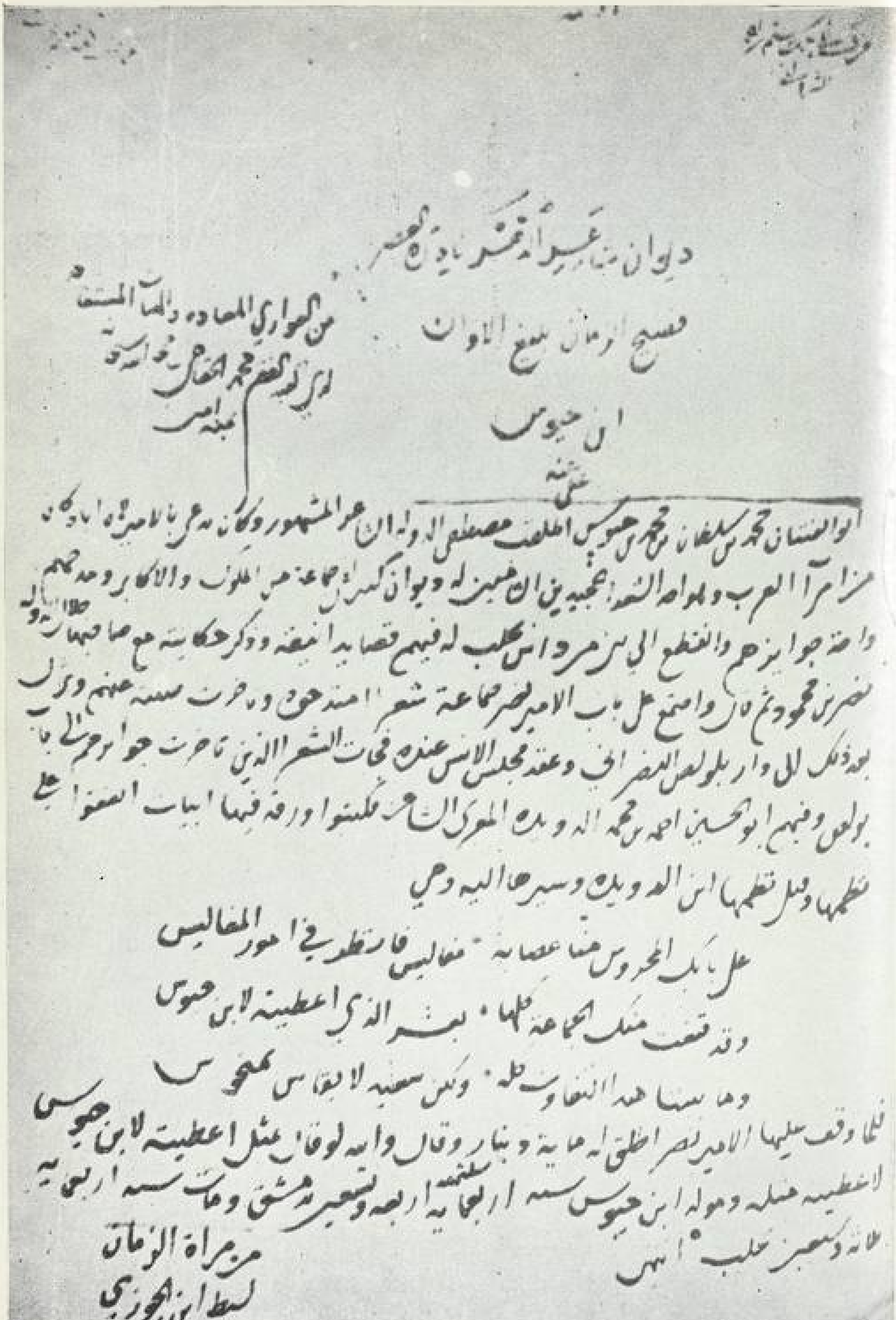
فلذاك لا تأبوهم مستبشرا حتى طينا الموت بعض عفاته

وقضا علينا ان يقوم مقامه بعد الفراق فلم يقف بوصاته

مليت ما ورثته من عزه ودفيت بالمسموع من دعواته

صفحة من نسخة السلطان سليم المرموز إليها بحرف (ل)

(ديوان ابن حيوس)



ديوان [illegible]

[illegible] الزمان [illegible] الديوان

ابن حيوس

أبو الفتيان محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الملقب مصطفى الدولة الشاعر المشهور وكان يدعى بالأمير لأن أباه كان
من أمراء العرب و[illegible] الشعراء المجيدين له ديوان كبير لقي جماعة من الملوك والأكابر ومدحهم
وأخذ جوائزهم وانقطع إلى بني مرداس بحلب وله فيهم قصائد أنيقة وذكر حكاية مع صاحب حلب [illegible]
نصر بن محمود [illegible] واجتمع على باب الأمير نصر جماعة شعراء امتدحوه وما خرجت صلته عنهم [illegible]
بعد ذلك [illegible] وعقد مجلس الأنس عنده فجاءت الشعراء الذين تأخرت جوائزهم [illegible]
[illegible] وفيهم أبو الحسين أحمد بن محمد الدويدة المعري الشاعر فكتبوا ورقة فيها أبيات الشعر [illegible]
نظمها وقيل نظمها ابن الدويدة وسيرها إليه وهي

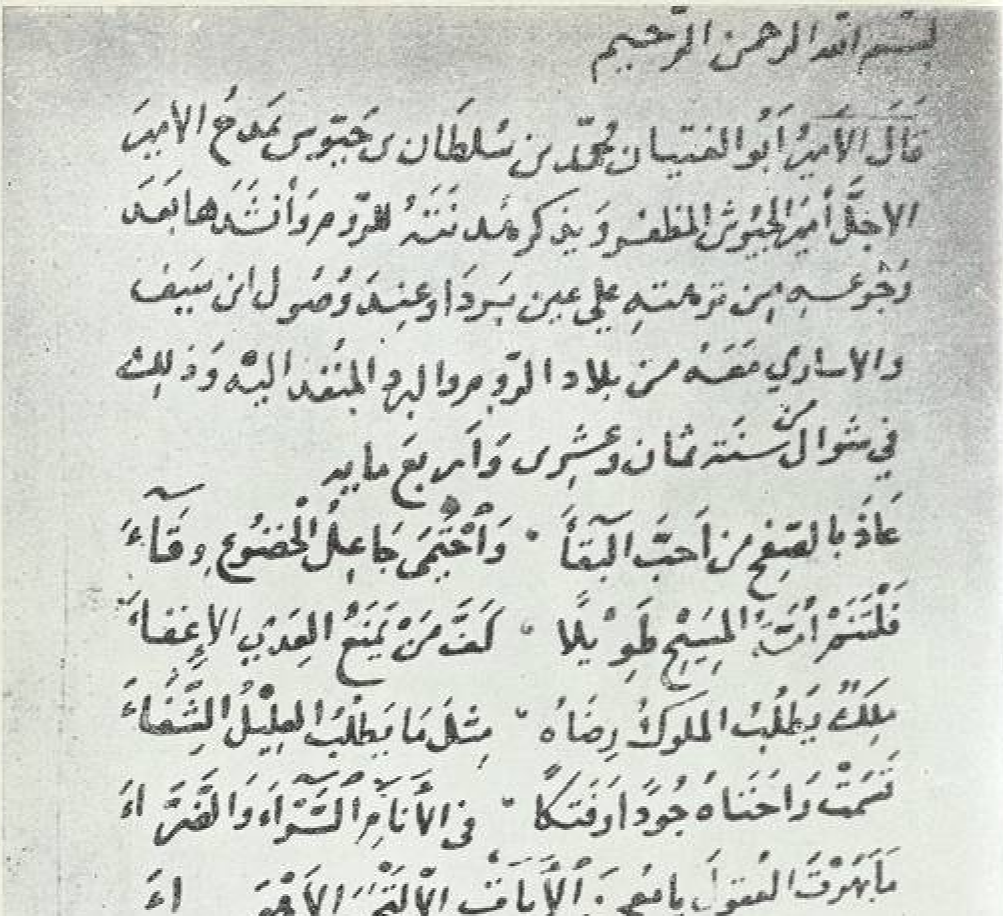
على بابك المحروس منا عصابة ... مفاليس فانظر في أمور المفاليس
وقد قنعت منك الجماعة كلها ... بعشر الذي أعطيته لابن حيوس
وما بيننا هذا التفاوت كله ... ولكن سعيد لا يقاس بمنحوس

فلما وقف عليها الأمير نصر أطلق لهم مائة دينار وقال والله لو قالوا بمثل ما أعطيته لابن حيوس
لأعطيتهم مثله ومولد ابن حيوس سنة أربعمائة [illegible] بدمشق ومات سنة أربعمائة
[illegible] بحلب انتهى

من مرآة الزمان
لسبط ابن الجوزي

صفحة العنوان من نسخة رئيس الكتاب المحفوظة في خزانة عاشر باستانبول والمرموز إليها بحرف (ع)

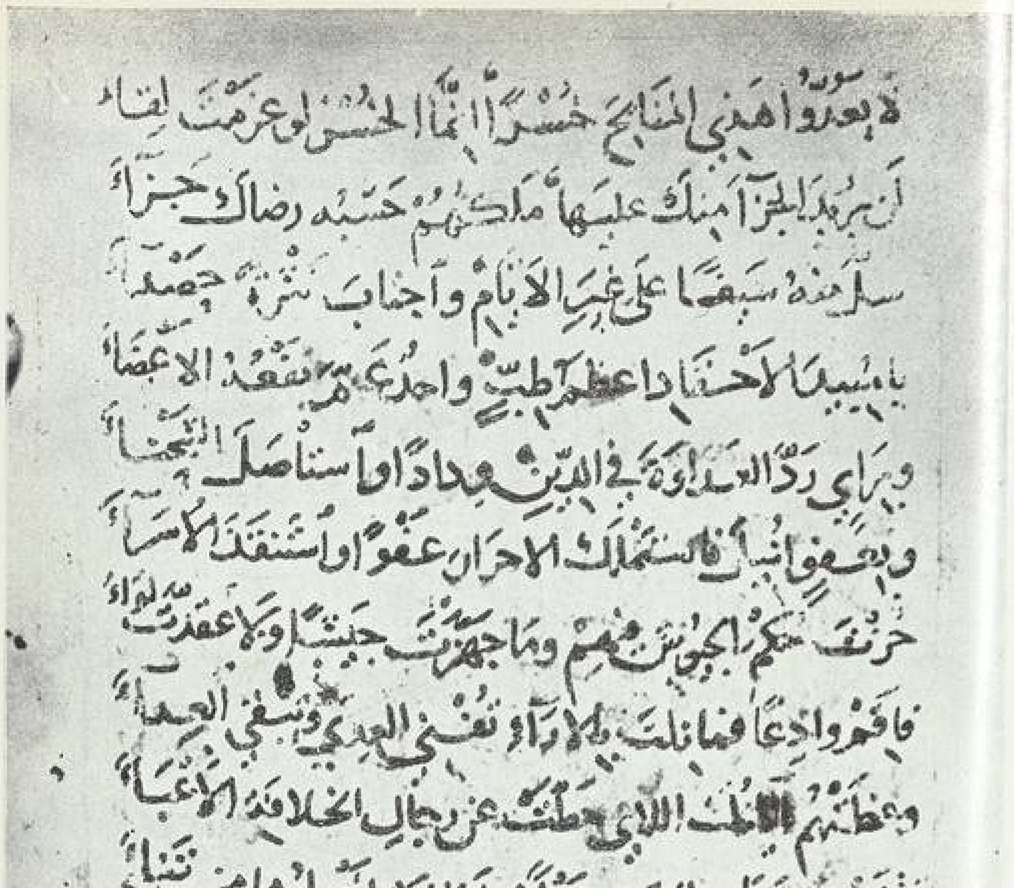
(ديوان ابن حَيُّوس)


بسم الله الرحمن الرحيم

قال الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس يمدح الأمير
الأجل أمير الجيوش المظفر ويذكر مدينة [illegible] الروم وأنشدها بعد
رجوعه من ترجمته على عين بردا عند وصول ابن سيف
والأسارى معه من بلاد الروم والبرج المنفذ اليه وذلك
في شوال سنة ثمان وعشرين وأربع مائة

عاذ بالصفح من أحب البقاء • واختبر جاعل الخضوع وقاء
فلتسر آية المسيح طويلا • لعن من يمنع العدى الإعفاء
ملك يطلب الملوك رضاه • مثل ما يطلب العليل الشفاء
نعمة [illegible] جودا وفتكا • في الأنام السراء والضراء
ما بهرت العقول يا معجز الألباب الا [illegible] الأمر اء
مدنة [illegible] على الروم فكانوا [illegible] اهلياء
وان استعجم المقال فذي الأفعال قد أصبحت به فصحاء
لم يغل رأي من يصانع بالسبي رجاء أن يمنع الأشياء
أمنوا بالإمداد [illegible] من هذه العوادي حتى [illegible]
نظرت تحت المسالك فيهم [illegible] المطاء

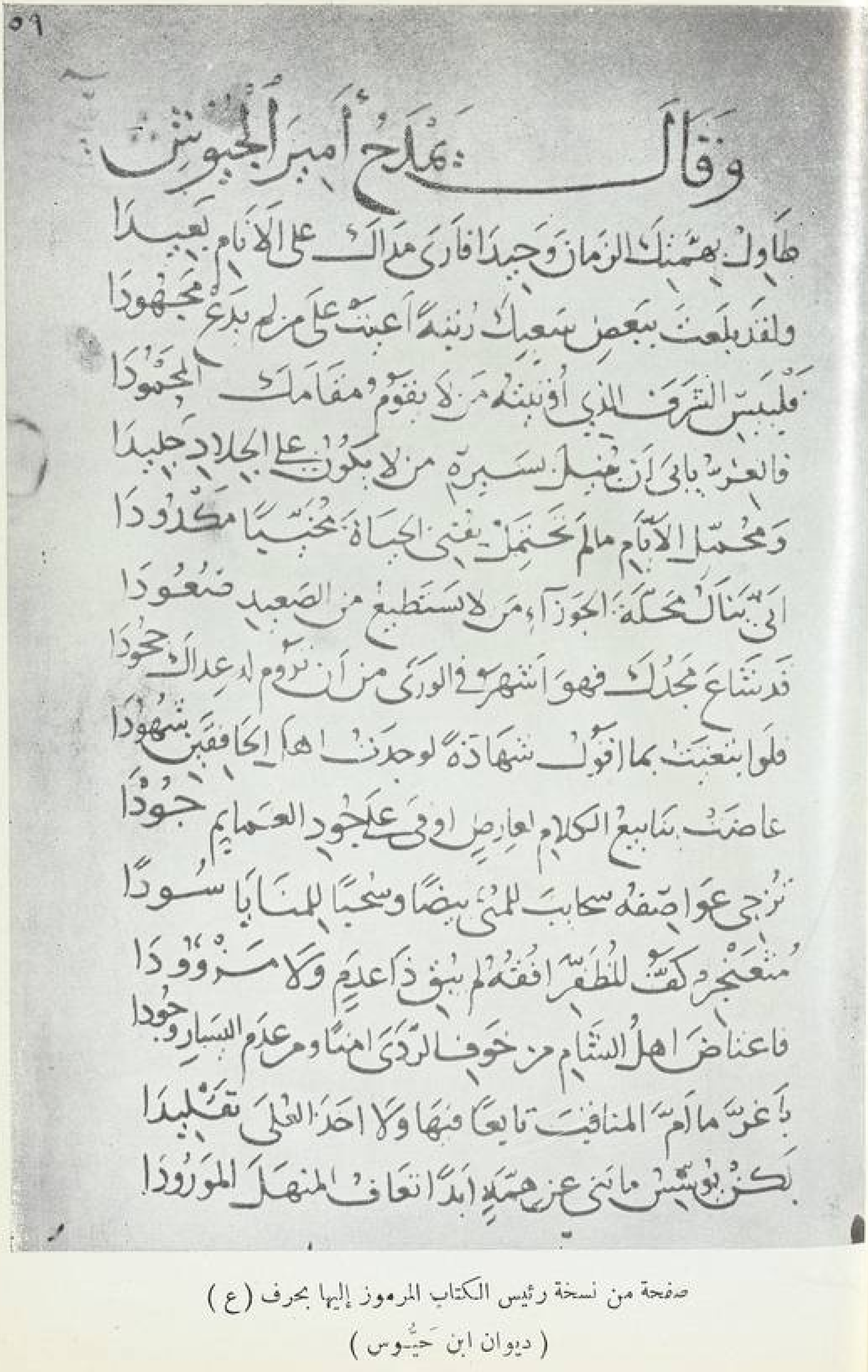
الصفحة الأولى من نسخة رئيس الكتاب المحفوظة في خزانة عاشر باستانبول والمرموز إليها بحرف (ع)
(ديوان ابن حيوس)



لا يعدوا أهدى المنايح خسراً إنما الخسر لو عدمت لقاء
أن يريد الجزاء منك عليها مالكٌ حسبه رضاك جزاء
سل منه سيفاً على غِيَر الأيام واجتاب نثرةً جصداء
يا سبيعاً لأخذنا داعظم طبٍّ واحدٍ ثم تنفعه الأعضاء
وبرأي ردّ العداوة في البين عداداً واستأصل الشحناء
وبعفوٍ أبيت فاستملك الأحرار عفواً واستنقذ الأسراء
حزنف منكم الجيوش منهم وما جهزت جيشاً ولا عقدت لواء
فاقمعوا ادعاً فما نلت بالآراء تغني العدى وتشفي العداء
وعظتهم الأمن اللائي عطفت عن رجال الخلافة الأعباء
نه أنهم دنا من الحرب جهلاً وأخافت أجبارها من تشاء
وكلاب إذ صبحتهم بيوم أكثر القتل فيهم والسباء
في كماةٍ تمشي الرماح إلى الموت إذا دبت الكماة الضراء
كيف يقوى على محاربة الطائر من لا يواجه الطرداء
كان إقدام عامر الكذاب إذ وفدا حسنوا هناك البلاء
عجباً للذي حوى مفخر الفتح ولما يشهد عليه الهيجاء

الصفحة الثانية من نسخة رئيس الكتاب المرموز إليها بحرف (ع)

(ديوان ابن حَيُّوس)



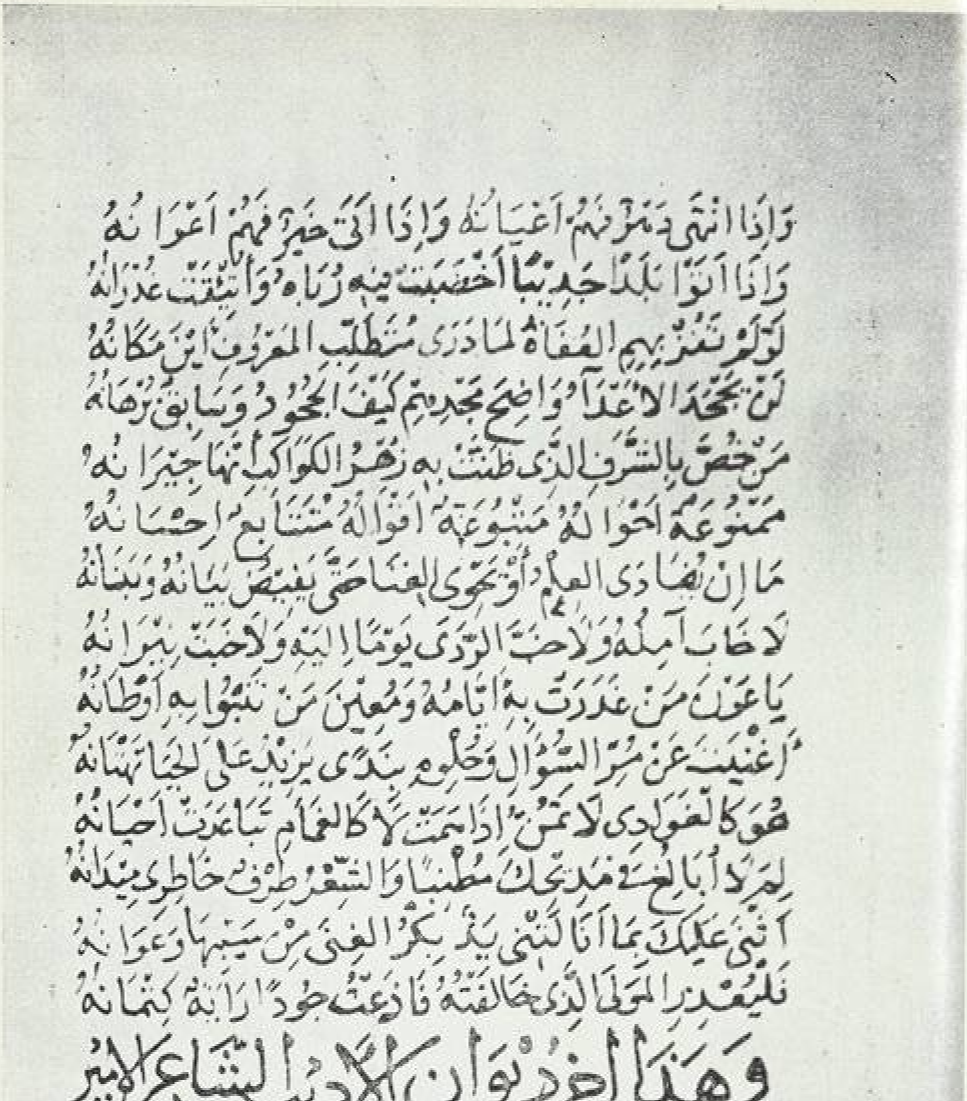
٥٩

وقال يمدح أمير الجيوش

حاول بهمتك الزمان وجدا فأرى مداك على الأنام بعيدا
ولقد بلغت ببعض سعيك رتبة أعيت على من لم يدع مجهودا
فليبس الشرف الذي أوتيته من لا يقوم مقامك المحمودا
والعز يأبى أن ينيل سريرة من لا يكون على الجلاد جليدا
ومحمل الأيام ما لم تحمل يغني الحياة مخيبا مكدودا
أنى ينال محلة الجوزاء من لا يستطيع من الصعيد صعودا
قد شاع مجدك فهو أشهر في الورى من أن نروم له عداك جحودا
فلو ابتغيت بما أقول شهادة لوجدت أهل الخافقين شهودا
غاضت ينابيع الكلام لعارض أوفى على جود الغمائم جودا
ترجى عواصفه سحائب للمنى بيضا وسحبا للمنايا سودا
متعجرد كفت للطغام أنفه لم يبق ذا عدم ولا مزؤودا
فاعتاض أهل الشام من خوف الردى أمنا ومن عدم اليسار وجودا
لا غرو ما أم المناقب تابعا منها ولا أحد العلى تقليدا
لكن بنو حسن ما ثنى عزمه أبدا أن تعاف المنهل المورودا

صفحة من نسخة رئيس الكتاب المرموز إليها بحرف (ع)

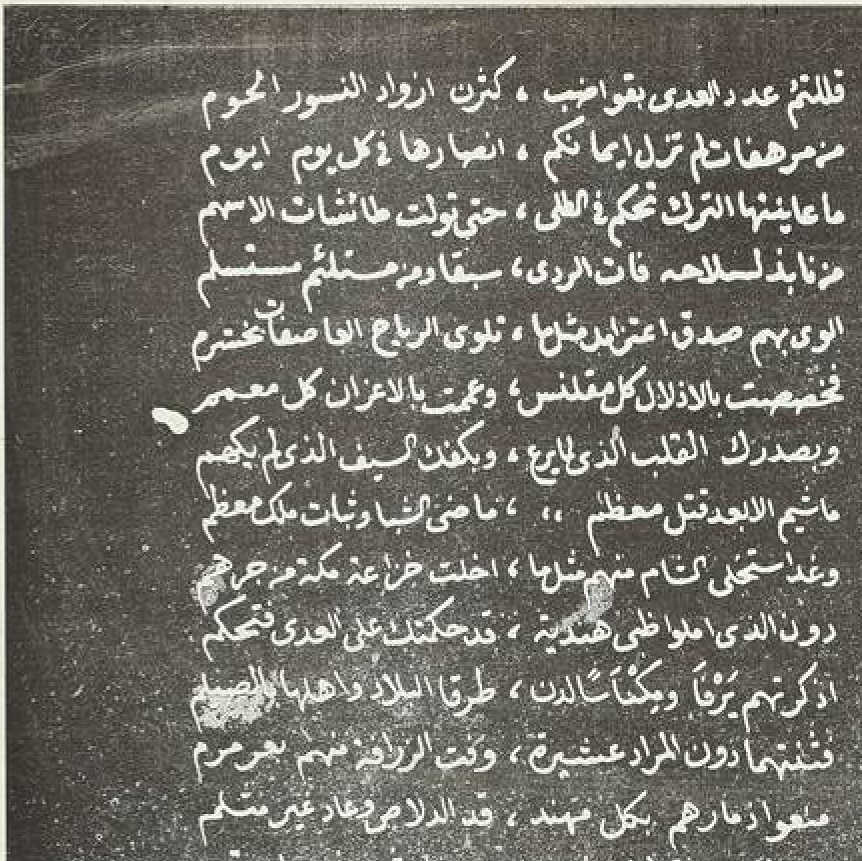
(ديوان ابن حيّوس)



وإذا انتمى دنت لهم أعيانه وإذا أتى خبر فهم أعوانه
وإذا أتوا بلدًا جديبًا أخصبت فيه رباه وأينعت غدرانه
لو لم تعز بهم العفاة لما درى متطلب المعروف أين مكانه
لن يجحد الأعداء واضح مجدهم كيف الجحود وسابق برهانه
من خص بالشرف الذي ظنت به زهر الكواكب أنها جيرانه
ممنوعة أحواله متنوعة أقواله متتابع إحسانه
ما إن يضادي العلم أو يحوي الفصاحة يقبض بيانه وبنانه
لا خاب آمله ولا حب الردى يومًا إليه ولا خبت نيرانه
يا غوث من غدرت به أيامه ومعين من نبتوا به أوطانه
أغنيت عن مر السؤال وحلوه بندى يزيد على الحيا تهتانه
هو كالغوادي لا تمن إذا همت لا كالغمام تتابعت أحيانه
لم يدأبا في مدحك مطنبا والشعر طرف خاطري ميدانه
أثني عليك بما أنا أثنى به بكر الغنى من سيبها وعوانه
فليعذر المولى الذي خالفته فأذعت جودًا رأيه كتمانه

وهذا آخر ديوان الأديب الشاعر الأمير
أبي الفتيان ابن حيوس
تغمده الله برحمته وفيه زيادة عن غيره والحمد لله وحده وصلى الله على ...

الصفحة الأخيرة من نسخة رئيس الكتاب المرموز إليها بحرف (ع)
(ديوان ابن حيُّوس)



فللتم عدد العدى بقواضب ، كثرت ازواد النسور الحوم
من مرهفات لم تزل ايمانكم ، انصارها في كل يوم ايوم
ما عاينتها الترك تحكم في الطلى ، حتى تولت طائشات الاسهم
من نابذ لسلاحه فات الردى ، سبقا ومن متلثم مستسلم
الوى بهم صدق اعتزامك مثل ما ، تلوى الرياح العاصفات بمخترم
فخصصت بالاذلال كل مغلس ، وعممت بالاعزاز كل معمم
وبصدرك القلب الذي لم يرع ، وبكفك السيف الذي لم يكهم
ما شيم الا بعد قتل معظم ، ماضي الشبا وثبات ملك معظم
وغدا ستجلى الشام منه مثل ما ، اخلت خزاعة مكة من جرهم
دون الذي املوا ظبى هندية ، قد حكمتك على العدى فتحكم
اذكرتهم يرفا ومكنا سالفا ، طرقا البلاد واهلها بالصيلم
فتنتهما دون المراد عشيرة ، وقت الزرافة منهم بعرمرم
منعوا ذمارهم بكل مهند ، قد الدلاص وعاد غير مثلم
يوم لعرك لم تزل اخباره ، تسمو عنه من منجد او متهم
عزت به عرب البلاد كعزها ، بالقادسية يوم مقتل رستم
امنت قبائل عامر صرف الردى ، والحدب في ظل المعز المنعم
متحصنين بذروة لا ترتقى ، متمسكين بعروة لم تفصم
ان اجدبوا لاذوا بغيث هاطل ، او روعوا عاذوا بطود ايهم
اصبحت للعرب المنار بحدك ، كانت كرمح لا يعان بلهذم
لا راعت الايام من بعنا ئه ، كنز الفقير وعصمة المستعصم
انت الذي نفق الثنا بسوقه ، وجرى الندى بعروقه قبل الدم
وتحقق

صفحة من نسخة دار الكتب المصرية المرموز إليها بحرف (م)

(ديوان ابن حيوس)

ديوان

ابْنِ حَيُّوس

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

قافية الهمزة

١

قال الأمير أبو الفتيان محمد بن سلطان بن حَيُّوس يمدح الأمير الأجل أمير الجيوش المظفَّر (١) ، ويذكر هدنته للروم (٢) ، وأنشدها بعد رجوعه من نزهته

---

(١) هو أنوشتكين الدِّزْبِري ، مولده في البلد المعروف بِخُتَّن من بلاد تركستان ، سُبي منه وحُمل إلى كاشغر ، فهرب إلى بخارى ومُلِك بها ، وحُمل إلى بغداد ثم إلى دمشق سنة ٤٠٠ وكان شتيم الوجه بيِّن التركية ، فاشتراه بدمشق القائد دِزْبِر الديلمي فنسب إليه ، وأهداه إلى الحاكم بأمر الله العبيدي الفاطمي صاحب مصر سنة ٤٠٣ وسيَّره الحاكم في عسكر إلى الشام سنة ٤٠٦ ودخل دمشق ثم عاد إلى مصر . ثم ولي بعلبك فقيسارية . وفي سنة ٤١٤ ولاَّه الظاهر بن الحاكم فلسطين ، وفي سنة ٤١٩ ولاَّه دمشق . وسار سنة ٤٢٩ في أيام المستنصر بن الظاهر إلى حلب فملكها وقتل صاحبها نصر بن صالح بن مرداس ، وعاد إلى دمشق وتقلبت به الأحوال وتوفي بحلب سنة ٤٣٣ . وكان ذا شجاعة وشهامة وفطنة وسياسة حسنة وإنصاف ومعرفة بأمور الحرب ، ضبط أمور الشام مدة ولايته ، واختلَّت بعده ، ولم يل الشام من ولاة الفاطميين مثله . أما ألقابه فهي : الأمير المظفَّر أمير الجيوش عدة الإمام سيف الخلافة عضد الدولة شرف المعالي أبو منصور منتجب الدولة . وكثيراً ما يذكر ابن حَيُّوس هذه الألقاب في مدحه له . وله ترجمة وافية في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧١ . وترجم له ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٥١/٣ وسماه أنوجور الختني .

(٢) ذكر ابن الأثير خبر هدنة الروم في حوادث سنة ٤٢٩ فقال : « وفيها هادن المستنصر بالله العلوي صاحب مصر ملكَ الروم وشرط عليه إطلاق خمسة آلاف أسير » .

الكامل ١٥٩/٩

على عين بَرَدَا (١) ، وعند وصول ابن سَيف والأسارى معه من بلاد الروم والبُرد المنفذ اليه ، وذلك في شوال من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة .

عاذَ بِالصفحِ مَنْ أحبَّ البقاء وَاحْتَمَى جاعِلُ الخُضُوعِ وِقاء
فَلْتَنَمْ أُمّةُ المَسيحِ طَوِيلاً كَفَّ مَنْ يَمْنَعُ العِدَى الإغفاء
مَلِكٌ يَطْلُبُ المُلُوكُ رِضاهُ مِثْلَما يَطْلُبُ العَليلُ الشِّفاء (٢)
قَسمَتْ رَاحَتاهُ جُوداً وَفَتْكاً في الأَنامِ السَّرَّاءَ وَالضَّرَّاء
ما بَهَرْتَ العُقُولَ يا مُعْجِزَ الآيا تِ إلاَّ لِتَجْمَعَ الأَهْواء
هُدْنَةٌ بقَّتِ النُّفُوسَ عَلَى الرُّو مِ فَكانُوا بِشُكْرِها أمْلِياء
وَإنِ اسْتَعْجَمَ المَقالُ فَذِي الأَفْعالُ قَدْ أَصْبَحَتْ بِهِ فُصَحاء
لم يُفِدْ رَأيُ مَنْ يُصانِعُ بِالشَّيْءِ رَجاءَ أنْ يَمْنَعَ الأشْياء
أَمِنُوا بِالإهْداءِ ما خِيفَ مِنْ هٰذي العَوادِي حَتَّى لَظَنُّ اهْتِداء
نَظَرٌ ثَبَّتَ المَمالِكَ فِيهِمْ رُبَّ أَخْذٍ تَخالُهُ إعْطاء

(١) بَرَدَى : نهر دمشق المشهور وكثيراً ما يكتبه القدماء بالألف كما رسم في الأصل ، ولكن المعروف اليوم أن يرسم بالألف المقصورة . ومنبع بَرَدَى قرب الزبداني ويجري إلى عين الفيجة فتنضم إليه .

(٢) ذكر ابن الأثير في الكامل ٩ / ١٧٣ أن أنوشتكين كانت تعظمه الملوك وتهابه الروم .

لا يَعُدُّوا هٰذِي ٱلْمَنائحَ خُسْراً إنَّما ٱلْخُسْرُ (١) لو عزَمْتَ لِقاءَ
لَنْ يُريدَ ٱلْجَزاءَ مِنْكَ عَلَيْها مَلْكُهُمْ ، حَسْبُهُ رِضاكَ جَزاءَ
سَلَّ مِنْهُ سَيفاً عَلى غِيَرِ ٱلأَيّامِ وَٱجْتابَ نَثْرةً (٢) حَصْداءَ
يا مُبيدَ ٱلأَحْقادِ أَعْظَمُ طَبٍّ (٣) واحِدٌ عَمَّ نَفعُهُ ٱلأَعْضاءَ
وَبِرَأْيٍ رَدَّ العَداوَةَ في ٱلدِّينِ وِداداً وَٱسْتأْصَلَ ٱلشَّحْناءَ
وَبِعَفْوٍ أُنيلَ فَٱسْتَمْلَكَ ٱلأَحْرارَ عَفْواً وَٱسْتَنْقَذَ ٱلأُسَراءَ
حُزْتَ حُكْمَ ٱلْجُيُوشِ فيهِمْ وما جَهَّزْتَ جَيْشاً وَلا عقَدْتَ لِواءَ
فَأَقِمْ وادِعاً فَما نِلْتَ (٤) بِالآراءِ تُفْني العِدى وَتُبْقي العِداءَ
وَعَظَتْهُمْ آياتُكَ ٱللّائي حَطَّتْ عَنْ رِجالِ ٱلْخِلافَةِ ٱلأَعْباءَ
قَتَلَتْ (٥) مَنْ دَنا مِنَ ٱلْحَرْبِ جَهْلاً وَأَخافَتْ أَخْبارُها مَنْ تَناءَى
وَكِلابٌ (٦) إِذْ صَبَّحَتْهُمْ (٧) بِيَوْمٍ أَكْثَرَ ٱلْقَتْلَ فِيهِمُ وَٱلسِّباءَ

(١) في الأصل (الحسن) وهو تصحيف .
(٢) اجتاب : لبس . والنثرة الحصداء : الدرع الضيقة الحلق المحكمة .
(٣) الطَّبُّ : الماهر الحاذق بعمله والعالم بالطِّب .
(٤) لعله : فما زلت .
(٥) من هنا تبتدىء نسخة لاله لي المرموز إليها بحرف (ل) .
(٦) بنو كلاب من عرب الشام وهم بطن من عامر بن صعصعة من العرب العدنانية ملكوا حلب ونواحيها وكثيراً من مدن الشام وأول من ملك منهم صالح بن مرداس (نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب للقلقشندي ص ٣٢٩)
(٧) أصبحتهم (ل) .

في كُماةٍ تَمْشِي ٱلْبَرَاحَ إِلىٰ ٱلْمَوْ ... تِ إذا دبَّتِ ٱلْكُماةُ ٱلضَّراءِ [1]

كَيْفَ يَقْوىٰ عَلَى مُحارَبَةِ ٱلطِّـ ... رْدِ مَن لا يُواجِهُ [2] ٱلطُّرَداءِ

كانَ إِقْدامُ عامِرٍ [3] لَكَ إِضْرا [4] ... ءِ وَقَدْ أَحْسَنُوا [5] هُناكَ ٱلْبَلاءِ

عَجَباً لِلَّذي حوىٰ مَفْخَرَ ٱلْفَتْـ ... ـحِ وَلَمّا يُشاهِدِ ٱلْهَيْجاءِ

فَأَقامَتْ وَلَوْ أَقَمْتَ عَلَى السُّخْـ ... ـطِ لَجاءَتْ في أَهْلِها شُفَعاءِ [6]

حِينَ راؤا ٱلسُّيُوفَ لَمْ تُغْنِ شَيْئاً ... أَغْمَدُوها وَجَرَّدُوا ٱلْآراءِ

رَهِبُوا أَنْ يَكُونَ حَرْبُكَ لِلْمُلْـ ... ـكِ ٱنْتِهاءً فَٱسْتَعْطَفُوكَ ٱبْتِداءِ

وَأَناخُوا بِكَ ٱلْمُنىٰ حِينَ أَلْفَوْا ... في يَدَيْكَ ٱلْآراءَ وَٱلْإِجْراءِ

فَسَقَيْتَ ٱلْمُنىٰ مِنَ ٱلْأَمْنِ رِيّاً ... وَرَكَزْتَ ٱلْقَنا ٱللِّدانَ ظِماءِ

هَبْكَ أَعْطَيْتَهُمْ أَماناً أَعَدَّيْـ ... ـتَ إِلىٰ أَشْرَفِ ٱلْخِلالِ ٱلْعَطاءِ

---

(١) الكُماة : جمع كَمِيّ وهو الشجاع أو لابس السلاح . والبَراح : المكان الذي لاسترة فيه . والضَّراء : الاستخفاء يقال : هو يمشي الضَّراءَ : إذا مشى مستخفياً في ما يواريه من الشجر . ويقال للرجل إذا ختل صاحبه هو يدبُّ له الضَّراء ويمشي له في الخَمَر .

(٢) من لم يواجه الطرداء (ل) .

(٣) انظر الحاشية رقم (٦) ص ٥

(٤) إطراء (ل)

(٥) حسَّنوا (م)

(٦) هذا البيت وأربعة عشر بيتاً بعده ساقطة من (ل)

مِنَّةٌ عَلَّمَتْ ذَوِي ٱلْبُخْلِ ٱلْجُو   دَ وَسَنَّتْ لِلْغَادِرِينَ (١) ٱلْوَفَاءْ
فَعَلُوا مَا حَبَاكَ مَجْداً فَلَمْ أَدْ   رِ ٱعْتِمَاداً أَتَوْهُ أَمْ إِخْطَاءْ
حِينَ فَكُّوا أَسْرَى فَأَحْرَزْتَ أَجْراً   وَأَنَالُوا وَفْراً فَحُزْتَ ثَنَاءْ
فَلِهٰذَا أَطْلَقْتَهُمْ مِنْ إِسَارِ ٱلْـ   خَوْفِ بَعْضاً مَنّاً وَبَعْضاً فِدَاءْ
فَٱشْكُرِ ٱلْآنَ لِلْمَسَاعِي ٱللَّوَاتِي   جَعَلَتْ فِي إِسَارِكَ ٱلطُّلَقَاءْ
وَإِذَا رُمْتَ غَايَةً بَعُدَتْ نَيْـ   ـلاً أَخَذْتَ الظُّبَى بِهَا كُفَلَاءْ
لَوْ تَيَمَّمْتَ أَرْضَ خَفَّانَ (٢) يَوْماً   لَأَحَلَّتْ ٱلزَّئِيرَ فِيهَا عُوَاءْ
عَطَفُوا دَهْرَهُمْ بِعَطْفِكَ عِلْماً   أَنَّهُ لَنْ يَشَاءَ حَتَّى تَشَاءْ
عَرَفَ ٱلنَّاسُ مِنْهُمُ ٱلْحَزْمَ قِدْماً   فَلِهٰذَا سَمَّوْهُمُ حُكَمَاءْ
لَمْ تَزَلْ (٣) تَقْهَرُ ٱلْعِدَى فَلِهٰذَا   كُلَّمَا أَنْجَبُوا ٱسْتَزَدْتَ (٤) سَنَاءْ
يُحْرِزُونَ ٱلْمَدَى وَتَذْهَبُ بِٱلْحَمْـ   ـدِ فَمَا يَرْبَحُونَ إِلَّا ٱلْعَنَاءْ
أَيُّ حَيْفٍ (٥) وَلِلْخِلَافَةِ (٦) سَيْفٌ   تَسْتَمِدُّ السُّيُوفُ مِنْهُ ٱلْمَضَاءْ

---

(١) كذا ولعله (للغادرين) .
(٢) خَفَّان : مأسدة قرب الكوفة .
(٣) لم يزل يقهر ... (ع) و (م) .
(٤) استردت (ل) .
(٥) أي حتف (م) .
(٦) من ألقاب الممدوح : سيف الخلافة .

فَلْتُفاخِرْ(١) بِحَدِّهِ بَعْدَ عِلْمٍ أَنَّ صَفْوَ الْحَياةِ مِمّا أَفاءَ
ما تَخَلَّفْتَ عَنْ صَلاحٍ لِهذا الدِّينِ مُذْ ظَلْتَ تَخْلُفُ الْخُلَفاءَ
رُقْتَهُمْ بِالْإِباءِ وَالنُّصْحِ فَالْآباءُ مِنْهُمْ تُوصي بِكَ الْأَبْناءَ
وَأَبَنْتَ الْغِنى لَهُمْ عَنْ جَميعِ الْخَلْقِ مُذْ صادَفوا لَدَيْكَ الْغَناءَ
تُوقَدُ النّارُ في الظَّلامِ وَلٰكِنْ لَيْسَ يَجْلُو الْهَزِيعَ كَابْنِ ذُكاءَ(٢)
ما سَبَقْتَ الْكُفاةَ في الْأَمَدِ الْأَبْعَدِ إِلّا لِتَعْدَمَ الْأَكْفاءَ
خابَ راجي الْعُلُوِّ يا عَضُدَ(٣) الدَّوْلَةِ مُذْ أَحْرَزَتْ يَداكَ الْعَلاءَ
وَلِمَنْ يَبْتَغي عُقوقَكَ ظَنٌّ عَوَّدَتْهُ صَفاتُكَ(٤) الْإِكْداءَ
مَنْ بَغى أَنْ يَعِزَّ سِلْماً وَحَرْباً فَلْيُقارِعْ قِراعَكَ الْأَعْداءَ
يا أَميرَ الْجُيوشِ(٥) لا عَدِمَتْ مِنْكَ أَميراً يَسْتَخْدِمُ الْأُمَراءَ

(١) فلنفاخر (م) .

(٢) الهزيع من الليل : الطائفة منه . وابن ذُكاء : الصبح . وفي (ع) و (ل) الهريع وهو تصحيف .

(٣) من ألقاب الممدوح : عضد الدولة .

(٤) الصفاة : الحجر الصلد الضخم . والإكداء : الرد والإخفاق وأصله بلوغ الكُدية وهي الصفاة العظيمة الشديدة . يقال أكدى الحافر أي بلغ الكدية فلا يمكنه أن يحفر .

(٥) من ألقاب الممدوح : أمير الجيوش .

فَإِذا ما ٱلْأَصْحابُ خامَتْ(١) عَنِ ٱلْأَرْ ... بابِ كانُوا بِسَيْفِهِ عُتَقاءَ
أَنْتَ غَيْثٌ إِذا ٱعْتَرى ٱلْأَرْضَ مَحْلٌ ... وَدَواءٌ إِذا ٱشْتَكى ٱلدِّينُ داءَ
فِضْتَ حَتَّى عَلَى ٱلتُّرابِ نَوالاً ... وَفَكَكْتَ ٱلْعُناةَ حَتَّى ٱلْماءَ(٢)
أَفَعَيْناً حَفَرْتَ(٣) أَمْ هُوَ بَحْرٌ ... بانَ لَمّا كَشَفْتَ عَنْهُ ٱلْغِطاءَ
لَمْ نَخَلْ قَطُّ أَنَّ في ٱلْعَزْمِ سَيْلاً ... تَذْهَبُ ٱلرّاسِياتُ(٤) فيهِ جُفاءَ(٥)
فَمِنَ النّاسِ مَنْ يَقولُ: تَعالَتْ ... هِمَّةٌ تَتْرُكُ ٱلْجِبالَ هَباءَ
وَمِنَ النّاسِ قائِلٌ: لَيْسَ يُسْتَنْكَرُ أَنْ تُجْرِيَ ٱلْبِحارُ ٱلنِّهاءَ(٦)
أَثَرٌ(٧) سَوْفَ تَنْقَضي حِقَبُ ٱلدَّهْرِ ... وَلَمْ تَسْتَطِعْ لَهُ إِخْفاءَ
قَدْ رَأَتْ رَأْيَكَ ٱلْمُلوكُ وَعَجْزاً ... تَرَكُوا(٨) ما أَتَيْتَ لا إِلْغاءَ

(١) خامت أي نكصت وجبنت. وفي (ع) و (م) حامت وهو تصحيف.
(٢) يظهر من هذا البيت وما بعده أن الممدوح تعهد عين بردى بالإصلاح والكري.
(٣) جهزت (ل)
(٤) الراسبات (ل)
(٥) الجُفاء: ما نفاه السيل إذا رمى به.
(٦) النهاء: أصغر محابس المطر والنهاء من الماء ارتفاعه.
(٧) شرف سوف ... (ل)
(٨) تركوا ما أبيت لا الإلغاء (ل)

لأَفَضْتَ ٱلْأَمْواهَ حتّىٰ تُخِيلَ[١] ٱلصَّـ يْفُ مِمّا سقَتْ فَرَوَّتْ شِتاءَ
كَمْ بِقُطْرَيْ دِمَشْقَ مِنْ قَفْرَةٍ حَصَّـاءَ[٢] صارَتْ خَمِيلَةً خَضْراءَ
جادَها مِنْ جَمِيلِ رَأْيِكَ نَوْءٌ قَدْ كَفاها أَنْ تَرْقُبَ ٱلْأَنْواءَ
فَجَنَىٰ أَهْلُها مِنَ ٱلْماءِ مالاً إِنَّ رَيَّ ٱلثَّرىٰ يُفِيدُ ٱلثَّراءَ
فَلْيَشِمْ غَيْرُنا ٱلسَّحابَ فَقَدْ أَنْـ شَأَتَ في ٱلْأَرْضِ دِيمَةً وَطْفاءَ
نِعْمَةٌ عَمَّتِ ٱلْبِلادَ وَأُخْرىٰ في ٱبْنِ سَيْفٍ قَدْ عَمَّتِ ٱلْأَحْياءَ
فَٱنْكَفا مُطْلَقاً وَلَوْ غَيْرُكَ ٱلطّا لِبُ إِطْلاقَهُ لَطالَ ثَواءَ
وَإِذا[٣] ٱلْخَطْبُ طالَ في دَفْعِهِ ٱلْخَطْـ بُ وَأَعْيا فَصَلْتَهُ إِعْياءَ
مِنَّةٌ في عَدِيٍّ[٤] قَدْ جَلَّتِ ٱلْغَمّـاءَ عَنْهُمْ وَفاقَتِ ٱلنَّعْماءَ
عَظُمَتْ مَوْقِعاً وَما زِلْتَ بِٱلْآ لاءِ قِدْماً تُطَرِّزُ ٱلْآلاءَ
كُلَّ يَوْمٍ تُسْدي إِلَيْهِمْ يَداً بَيْـ ضاءَ تُلْوي[٥] بِأَزْمَةٍ سَوْداءَ
فَتَغَمَّدْ سَمِيَّهُ مِنْكَ بِٱلرَّأْ فَةِ وَٱلْعَفْوِ مُحْسِناً إِنْ أَساءَ

---

(١) تُخيِل (ل)
(٢) الحَصّاء : الجدبة الجرداء .
(٣) فإذا ... (ع) و (م)
(٤) عدي : بطن من بني عامر بن صعصعة .
(٥) ألوىٰ به : ذهب .

مُلْحِقاً بِالْإِحْسانِ مَعْناً بِكَلْبٍ[١] لِيَكونَ الْحَنانُ[٢] فيهِ[٣] سَواءُ
قَدْ أَصَمَّ[٤] الْخُطوبَ مِنْ حَيْثُ نادى مَلِكٌ بِالنَّدى يُجيبُ النِّداءُ
فَتَدارَكْ حُشاشَةً لَمْ تَدَعْ مِنْـ ـها صُروفُ الزَّمانِ إِلاّ ذَماءُ
وَإِنِ[٥] اسْتَنْقَذَتْ[٦] جَرائِمُهُ الرَّحْـ ـمَةَ فَاصْفَحْ حَمِيَّةً وَإِباءُ
لَيْسَ ذا الْمُلْكُ راضِياً أَنْ[٧] تُرى الرّو مُ لِعُرْبٍ مِنْ بَعْدِها خُفَراءُ
خَلَفَتْكَ الْمُلوكُ فيهِمْ وَلكِنْ مِثْلَما يَخْلُفُ الظَّلامُ الضِّياءُ
لَمْ تَزَلْ مُبْدِعاً فَلَمْ أَدْرِ إِلْها مًا عَرَفْتَ الْإِعْجازَ أَمْ إِيحاءُ
أَمْ أَصارَ السُّمُوَّ قِسْمَكَ مَنْ عَـ ـلَّمَ مِنْ قَبْلُ آدَمَ الْأَسْماءُ
فَتَجاوَزْ رُكوبَ جُرْدِ الْمَذاكي أَنَفاً مِنْـهُ وَامْتَطِ الْجَوْزاءُ[٨]
مَيَّزَتْكَ الْأَفْعالُ عَنْ عالَمِ الْأَرْ ضِ فَلا غَرْوَ أَنْ تَنالَ السَّماءُ

---

(١) معن : بطن من ربيعة . وكلب : بطن من قضاعة .
(٢) الحنان (م)
(٣) فيك (ل)
(٤) أضم (ع) و (م)
(٥) فإن (ع) و (م)
(٦) استنفذت (ع) استنقذت (م)
(٧) أن يرى ... (ل)
(٨) المذاكي : الخيل التي تم سنها وكملت قوتها . والجوزاء : برج في السماء .

غَمَرَتْني آلاءُ جُـــودِكَ حَتّى ... لَمْ تَدَعْ لي في ٱلْعالَمينَ رَجاء
فَرَفَضْتُ ٱلْوَرى وَغَيْرُ مَلُومٍ ... تارِكُ ٱلرَّشْحِ مَنْ أَصابَ الرَّواء (١)
دامَ عَيْشي في ذا ٱلْجَنابِ هَنيئاً ... فَلْيَدُمْ في ذَراهُ(٢) شِعري هناء
حَسُنَتْ في ٱلْعُيُونِ مَرْأًى مَساعِيـ ... ـكَ وَطابَتْ بَيْنَ ٱلْوَرى أَنْباء
خَلَقَ ٱللّٰهُ فيكَ ما شِئْتَ فَضْلاً ... فَلْيَقُلْ كُلُّ مادِحٍ ما شـاء
قَدْ مَلَأْتَ ٱلْأَرْضَ العَرِيضَةَ عَدْلاً ... فَلا أَهْلُهـــا ٱلسَّماءَ دُعاء
فَوَقانا ٱلْأَسْواءَ فيكَ جَميعـاً ... مَنْ وَقانا بِقُرْبِكَ ٱلْأَسْواء

٢

وقال (٣) يمدح الأمير ناصر الدولة(٤) وسيفها أبا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان رحمه الله تعالى ، وأنشده إياها في عيد الأضحى من سنة ست وثلاثين وأربع مئة .

مَحْضُ ٱلْإِباءِ وَسُؤْدُدُ ٱلْآباءِ ... جَعَلاكَ مُنْفَرِداً عَنِ ٱلْأَكْفاء

---

(١) الرشح : تحلب الماء : والرَّواء : الماء العذب الكثير المروي . وفي (ل) تارك النشح إذ أصاب الرواء .

(٢) الذَّرا : فناء الدار ونواحيها وكل ما استترت به ، يقال أنا في ظل فلان وفي ذَراه أي في كنفه وستره .

(٣) وقال يمدح ناصر الدولة(ع) و (م)

(٤) هو الأمير ناصر الدولة وسيفها ذو المجدين أبو محمد الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة الحسن بن أبي الهيجاء عبد الله بن حمدان التغلبي ، ولي دمشق بعد أنوشتكين الدزبري سنة ٤٣٣ من قبل المستنصر العبيدي الفاطمي صاحب مصر ، فأقام والياً فيها إلى سنة ٤٤٠ إذ قبض عليه وسُيِّر إلى مصر .

« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٨٣ وتاريخ دمشق لابن عساكر ٤/١٧٠ »

وَلَقَدْ جَمَعْتَ حَمِيَّةً وَتَقِيَّةً (١) ثَنَتَا (٢) إِلَيْكَ عِنَانَ كُلِّ ثَنَاء
يا مَنْ إذا أَجْرَى الأَنَامُ حَدِيثَهُ وَصَلُوا ثَنَــــاءً طَيِّبًا بِدُعَاء
اَلدَّهْرُ في أَيَّامِ عِزِّكَ لا انْقَضَتْ مُتَعَوِّضٌ مِنْ ظُلْمَةٍ بِضِيَــاء
وَتَحَكُّمُ الأَيَّامِ مُنْذُ رَدَعْتَهَا عَنْ جَوْرِهَا كَتَحَكُّمِ الأُسَرَاء
حُطْتَ الرَّعِيَّةَ بِالرِّعَايَةِ رَأْفَةً فَاضَتْ عَلَى الْقُرَبَاءِ وَالْبُعَدَاء
وَشَمِلْتَهَا بِالْعَدْلِ إِحْسَانًا بِهَا فَجَزَاكَ عَنْهَا اللّٰهُ خَيْرَ جَزَاء
عَدْلٌ كُفِيتَ بِهِ الْعِدَاءَ (٣) يَضُمُّهُ عَزْمٌ أَقَامَ قِيَــامَةَ الأَعْدَاء
عَزْمٌ إِذَا سَمِعَ الْعَدُوُّ بِذِكْرِهِ أَغْنَى غَنَاءَ الْغَــارَةِ الشَّعْوَاء
إِنْ صُلْتَ كُنْتَ مُجَبِّنَ الشُّجْعَانِ أَوْ ظَافَرْتَ كُنْتَ مُشَجِّعَ الْجُبَنَاء
وَإِذَا مَرَرْتَ عَلَى مَكَانٍ مُجْدِبٍ نَابَتْ يَدَاكَ لَهُ عَنِ الأَنْوَاء
كَمْ أَزْمَةٍ سَوْدَاءَ رَاعَتْ (٤) إِذْ عَرَتْ جَلَّيْتَهَـــا بِنَدَى يَدٍ بَيْضَاء
وَكَتِيبَةٍ شَهْبَاءَ مِنْ مَاذِيِّهَا (٥) لاقَيْتَهَـــا بِعَنِيَّةٍ دَهْمَاء

---

(١) التقية : الوقاية والحذر .
(٢) تثني إليك ... (ل)
(٣) العدى فضمنته عزماً ... (ل)
(٤) ذاعت (ل)
(٥) الكتيبة الشهباء : العظيمة الكثيرة السلاح . والماذيّ : كل سلاح من الحديد .

تَلقى ٱلفوارسُ منكَ في رَهْجِ ٱلوَغى ... زَيْدَ ٱلفوارسِ أَوْ أَبا ٱلصَّهْباءِ[١]
وَٱلعِزُّ لا يَبْقى لِغَيْرِ مُعَوَّدٍ ... أَنْ يَكْشِفَ ٱلغَمّاءَ بِٱلغَمّاءِ
إِنَّ ٱلأَئِمَّةَ في ٱصْطِفائِكَ أَيَّدُوا ... بِمُؤَيَّدِ ٱلرّاياتِ وَٱلآراءِ
ذي هِمَّةٍ عَدَوِيَّةٍ[٢] ما رُوِّعَتْ ... بِعِدىً وَلا[٣] باتَتْ عَلى عُدَواءِ
وَجُدُودُكَ في مَنْعِ ٱلتُّراثِ وَحِفْظِهِ ... أَقْوى[٤] ٱلحُماةِ وَأَوْثَقُ ٱلأُمَناءِ
ما زِلْتَ[٥] مُذْ أَعْلَوْا مَكانَكَ مازِجاً ... صِدْقَ ٱلوَلاءِ لَهُمْ بِحُسْنِ وَفاءِ[٦]
وَلَقَدْ أَعَدُّوا لِلْخُطُوبِ صَوارِماً ... لَيْسُوا وَأَنْتَ إِذا عَدَتْ بِسَواءِ

---

(١) زيد الفوارس : هو زيد بن حصين بن ضرار من فرسان العرب قال الفرزدق :

زيد الفوارس وابن زيد منهم ... وأبو قبيصة والرئيس الأول

« نقائض جرير والفرزدق ١/١٨٨ »

وأبو الصهباء : هو بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني من فرسان العرب .

« النقائض ١/١٩٢ »

(٢) عدوية : منسوبة إلى عديّ أحد أجداد بني حمدان المذكورين في عمود نسبهم . والعُدَواء : المركب لا يطمئن من قعد عليه .

(٣) فلا باتت ... (ع) و (م)

(٤) أنوى : (م) ومعنى أنوى : أحفظ .

(٥) إذ (ل)

(٦) بحسن ثناء (ل)

تُذْكِي مَصابِيحُ الظَّلامِ (١) عُلالَةً   أَبَداً وما يَجْلُوهُ كابْنِ ذُكاءِ (٢)

لَوْ كُنْتَ قِدْماً سَيْفَهُمْ لَمْ يَسْتَثِرْ (٣)   أَبْناءُ هِنْدٍ مِنْ بَنِي الزَّهْراءِ

أَوْ كُنْتَ ناصِرَ حَقِّهِمْ فِيما مَضَى   ما حازَهُ ظُلْماً بَنُو الطُّلَقاءِ (٤)

ما غَيْظُ مَنْ يَبْغِي مَحَلَّكَ ضِلَّةً   إِلَّا كَغَيْظِ ضَرائِرِ الحَسْناءِ

حَسَدٌ كَحَرِّ النّارِ مُنْذُ عَراهُمُ   لا زالَ غَصَّهُمُ (٥) بِبَرْدِ الماءِ

يا ابْنَ الأُلَى ما رُشِّحَتْ أَيْمانُهُمْ   إِلَّا لِبَذْلِ (٦) نَدًى وَعَقْدِ لِواءِ

نَزَلُوا عَلَى حُكْمِ المُرُوءَةِ وَامْتَطَوْا   بِالْبَأْسِ ظَهْرَ العِزَّةِ القَعْساءِ

أَمْواتُهُمْ بِالذِّكْرِ كَالأَحْياءِ   وَلِحَيِّهِمْ فَضْلٌ عَلَى الأَحْياءِ

---

(١) السماء (ل)

(٢) ابن ذُكاء : الصبح .

(٣) لعله لم يَتَّئِرْ : تقول اِتَّأَرَ من زيد أي أدرك منه ثأره . وهند : بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أم معاوية بن أبي سفيان ، وأبناء هند بنو أمية . وبنو الزهراء : أبناء علي بن أبي طالب من فاطمة الزهراء بنت النبي عليهم السلام .

(٤) الطلقاء : هم الذين خلّى عنهم النبي يوم فتح مكة وأطلقهم فلم يسترقهم . والطلقاء من قريش ، والعتقاء من ثقيف . ميزت قريش بهذا الاسم ، كما في النهاية لابن الأثير ، ويريد ببني الطلقاء هنا بني أمية .

(٥) لا زال بغضهم ... (ل)

(٦) يبذل (م)

وَلِآلِ حَمْدانَ (١) اَلْفَخارَ بِأَسْرِهِ ... وَأَجَلُّهُ لِبَني أَبي اَلْهَيْجاءِ
اَلْفائِضينَ عَلَى اَلْعُفاةِ مَواهِباً ... وَالنّاهِضينَ بِباهِظِ (٢) اَلْأَعْباءِ
سَكَنَ اَلْقُصورَ اَلْعِزُّ مُنْذُ حَضَرْتُمُ ... وَبِكُمْ قَديماً حَلَّ في اَلْبَيْداءِ (٣)
وَعَلَوْتُمُ حَتّى لَقالَ عَدُوُّكُمْ ... أَمُلوكُ أَرْضٍ أَمْ نُجومُ سَماءِ
فَلْتَفْتَخِرْ بِكُمُ رَبيعَةُ (٤) بَلْ بَنو ... عَدْنانَ طُرّاً بَلْ بَنو حَوّاءِ
أَيْديكُمُ مَشْكورَةُ اَلْآلاءِ ... وَوُجوهُكُمْ مَشْهورَةُ اَللَّأْلاءِ
وَأَرى مُشَبِّهَكُمْ (٥) بِأَهْلِ زَمانِكُمْ ... كَمُشَبِّهِ اَلْإِصْباحِ بِالْإِمْساءِ
وَلَأَنْتَ في اَلرُّؤَساءِ غَيْرُ مُطاوَلٍ ... وَكَذٰلِكَ اُبْنُكَ في بَني اَلرُّؤَساءِ

---

(١) هو أبو العباس حمدان بن حمدون بن الحرث التغلبي توفي في حدود سنة ٣٠٠ وإليه ينتسب بنو حمدان . وأبو الهيجاء هو عبد الله بن حمدان وهو أبو جد ناصر الدولة ، ولاه المكتفي بالله الموصل وأعمالها سنة ٢٩٣ وعزله المقتدر سنة ٣٠١ ثم ولاه بعض الأعمال وقتل سنة ٣١٧ . « الأعلام »

(٢) بباهض (ل) . بهضه الأمر : فدحه وثقل عليه كبهظه لكنه بالظاء أكثر .

(٣) بالبيداء (ل)

(٤) ربيعة من العرب العدنانية منها بنو تغلب الذين منهم بنو حمدان .

(٥) وأرى المشبهكم ... (ع) و (م)

أَخَذَ الْحُسَيْنُ(١) مِنَ الْمَحاسِنِ صَفْوَها ... عفواً وما أَبْقى سِوى الْأَقْذاء
عَمْري لَقَدْ كَبُتَ الْحَسُودُ بِوُصْلَةٍ ... تَصِلُ الرِّفاءَ بِصالِحِ الْأَبْناء
وَأُجْتابَ(٢) مِنْ خِلَعِ الْخِلافَةِ كُلَّ ما ... تُقْذي(٣) سَناهُ نَواظِرَ النُّظَراء
فَلْيَعْلُ أَبْناءَ الْمُلُوكِ كَما حَوى(٤) ... أَسْنى الْحِباءِ وَعُدَّ في الْأَحْياء
وَمَلابِسُ الْخُلَفاءِ لائِقَةٌ بِمَنْ ... أَضْحى أَبُوهُ ناصِرَ الْخُلَفاء
إِنْ حازَ أَقْطارَ السَّعادَةِ فَهو مَنْ ... نَمَّتْ عَلَيْهِ مَخايِلُ السُّعَداء
وَتَحَدَّثَتْ تِلْكَ الشَّمائِلُ أَنَّهُ ... عَيْنُ الزَّمانِ بِأَلْسُنِ فُصَحاء
فَاثْنِ الْمَلامَةَ في فِراقِ بالِغٍ ... بِأَبي عَلِيٍّ(٥) أَشْرَفَ الْعَلْياء
أَدْناهُ مِنْ أَنْدى الْأَئِمَّةِ راحَةً ... لِمُؤَمِّليهِ أَكْرَمُ(٦) الْوُزَراء

---

(١) يريد بالحسين : ابن الممدوح وهو أبو علي الحسين بن الحسن بن الحسين ، ولقبه أيضاً كلقب أبيه ناصر الدولة . قال ابن عساكر : « ولي إمارة دمشق سنة خمسين وأربعماية فمكث سنتين أميراً ، ثم ندب لقتال بني كلاب ، فجرت بينه وبينهم موقعة في حلب تعرف بواقعة الفُنيدق فكسر ، وخرج إلى مصر منهزماً »

« ابن عساكر ج ٤ ص: ٢٩٠ »

(٢) اجتاب : لبس .

(٣) تقذى (ع) و (م)

(٤) بأن علا (ل)

(٥) أبو علي : هو الحسين ابن الممدوح .

(٦) وأكرم الوزراء (ل)

لَنْ تُحْسَبَ[١] ٱلضَّرّاءُ ضَرّاءً إذا أَفْضَتْ بِصاحِبِها إِلىٰ ٱلسَّرّاءِ
فَٱجْعَلْهُ مِثْلَ ٱلشَّمْسِ يَنْفَعُ وَقْعُها وَضِياؤُها وَمَكانُها مُتَنائِي
لِلْعِزِّ سارَ مُحَمَّدٌ عَنْ أَهْلِهِ ثُمَّ ٱسْتَعانَ بِنُصْرَةِ ٱلْغُرَباءِ
إِنْ كانَ عَنْ عَيْنَيْكَ غابَ فَلَمْ تَغِبْ[٢] أَنْباءُ مَنْ يَأْتي مِنَ ٱلأَبْناءِ
لا يَعْدَمِ ٱلنّائي حَياةَ ٱلْحاضِرِ ٱلـدّاني وَلا ٱلدّاني حَياةَ ٱلنّائي
إِنّا لَنَدْعُو بِٱلْبَقاءِ لِتَسْلَما أَبَداً وَلا نَدْعُو بِقُرْبِ لِقاءِ
فَرَقاً لَعَمْرُكَ أَنْ يُفارِقَ عاصِماً بِٱلْبَأْسِ مَعْصُوماً مِنَ ٱلْفَحْشاءِ
حُكْمٌ[٣] بِغَيْرِ تَحامُلٍ وَحِراسَةٌ حَمَتِ ٱلْهُدىٰ وَتُقىً بِغَيْرِ رِياءِ
لَمْ تُلْفَ في ٱلْعُبّادِ وَٱلزُّهّادِ في[٤] هٰذا ٱلْوَرىٰ فَضْلاً عَنِ ٱلأُمَراءِ
إِنّا أَمِنّا ٱلسُّوءَ مُنْذُ وَلِيتَنا فَوَقَتْكَ أَنْفُسُنا مِنَ ٱلأَسْواءِ
وَهَناكَ ذا ٱلْعِيدُ ٱلَّذي حَسَّنْتَهُ وَبَقِيتَ مَخْصُوصاً بِكُلِّ هَناءِ
مُسْتَعْلِياً[٥] بِمَناقِبٍ مَسْمُوعَةٍ مِنْ أَلْسُنِ ٱلْخُطَباءِ وَٱلشُّعَراءِ

---

(١) لا تحسب ... « شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١/٣١٧ »
(٢) ... فلم يغب أنوار ما يأتي من الأبناء (ل)
(٣) حلم . (م)
(٤) من (ل)
(٥) متعليا (ل)

لا يَجْحَدَنَّكَها(١) الْحَسُودُ تجاهُلاً فَالصُّبْحُ لا يَخْفى عَلَى الْبُصَراء
إنَّ الْمَحامِدَ في الْمَحافِلِ رُتْبَةٌ(٢) ما حُرِّمَتْ إلاّ عَلَى الْبُخَلاء
فَتَمَلَّ مِنْ وَشْيِ الْقَرِيضِ مَلابِساً طَرَّزْتَهـــا بِجَلالَةٍ وَعَلاء
لَوْ كانَ لِلْعَرَبِ الْقَدِيمَةِ مِثْلُها لَمْ (٣) تَحْمَدِ الْمَصْنُوعَ في صَنْعاء
إِنِّي عَقَلْتُ رَكائِبي وَوَســائِلي في حَضْرَةٍ مَسْكُونَةِ الأَفْنــاء
مَأْهُولَةِ الْأَرْجاءِ بِالنِّعَمِ الَّتي ما كُدِّرَتْ بِالْمَنِّ وَالإِرْجاء
شُفِعَتْ مواهِبُها الْجِسامُ بِعِزَّةٍ كَفَلَتْ بِإِعْدائي عَلَى أَعْدائي
أَبَقِيَّةَ الْبَيْتِ الرَّفِيعِ بِناؤُهُ لا زِلْتَ تِرْبَ عُلىً حَلِيفَ بَقاء
مُسْتَمْتِعـــاً بِالْمَأْثُراتِ مُمَتِّعاً أُذُنَ السَّمِيعِ بِها وَعَيْنَ الرّائي(٤)

---

(١) لا يحسدنكها (ل)

(٢) زينة (ل)

(٣) لم يحمد المصنوع لي صنعائي ؟ (م) و (ع). وصنعاء أعظم مدن اليمن وقصبتها. والمراد بالمصنوع في صنعاء: الثياب الفاخرة المنسوجة فيها.

(تابع قافية الهمزة)

(٤) ورد في الكشكول ص ١٩١ للبهاء العاملي ما نصه: قال ابن حيوس:

ما أَبْصَرَتْ عَيْناي أَحْسَنَ مَنْظَراً فِيما رَأَتْ عَيْني مِنَ الْأَشْياء
كَالشّامَةِ الْخَضْراءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ الْــحَمْراءِ تَحْتَ الْمُقْلَةِ السَّوْداء

قافيــة البـاء

٣

وقال (١) يمدح الأمير أبا الحسن علي بن منقذ (٢) ويلقب بسديد الملك سعد الدولة، ويهنيه بعافية ولده .

أَمَّا ٱلْفِراقُ فَقَدْ عاصَيْتُهُ فَأَبىٰ وَطالَتِ ٱلْحَرْبُ إِلاّ أَنَّهُ غَلَبا (٣)

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) متأخر عن موضعها هنا ، وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً وكتب بها إلى الأمير الأجل سديد الملك أبي الحسن علي بن المقلد بن منقذ نضّر الله وجهه عند وصوله إلى ثغر حلب وهو مقيم بطرابلس » .

(٢) هو الأمير أبو الحسن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني الملقب بسديد الملك ، كان شجاعاً كريماً وله شعر جيد . ذكر ابن عساكر أنه دخل دمشق غير مرة . وذكر ابن خلكان أنه كان يتردد إلى حلب قبل تملكه قلعة شيزر ، وصاحب حلب يومئذ تاج الملوك محمود بن نصر بن صالح بن مرداس ، فجرى أمر خاف سديد الملك على نفسه منه ، فخرج من حلب إلى طرابلس الشام ، وصاحبها يومئذ جلال الملك بن عمّار فأقام عنده . وفي ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٦ أن خروجه من حلب كان سنة ٤٦٥ .

وعلي بن مقلد هذا أول من ملك قلعة شيزر من بني منقذ لأنه كان نازلاً مجاور القلعة بقرب الجسر المعروف بجسر بني منقذ ، وكانت القلعة بيد الروم فنازلها وتسلمها بالأمان سنة ٤٧٤ وتوفي سنة ٤٧٩ وقيل سنة ٤٧٥ .

« وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢٦٤ » « تاريخ دمشق لابن عساكر – مخطوط – »
« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٦ و ١١٣ و ١١٤ »

(٣) ورد في إرشاد الأريب لياقوت (١/١٨٧) : « والأمير سديد الملك هو ممدوح فحول الشعراء والذي امتدحه ابن حيوس بقصيدته التي أولها – وكتبها إليه من طرابلس وهو بحلب – :» ولكن ما في القصيدة يدل على أنه كتبها من حلب »

أراني البَيْنُ لمّا حُمَّ عن قَدَرٍ وَداعَنا كُلَّ جِدٍّ قَبْلَهُ لَعِبا
أشْكو إلى اللهِ فقدَ السَّيفِ مُنْصَلِتاً وَاللَّيْثِ مُهْتَصِراً [١] وَالْغَيْثِ مُنْسَكِبا
وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالنَّفْسِ الَّتي بَعُدَتْ عَنِ الدَّنِيّاتِ وَالصَّدْرِ الَّذي رَحُبا
وَمَنْ [٢] أعادَ حَياتي غَضَّةً وَيَدي مَلْأَى وَرَدَّ لِيَ الْعَيْشَ الَّذي ذَهَبا
قَدْ كُنْتُ أَكْرَعُ كاساتِ الْكَرى نُخَباً وَبَعْدَ بَيْنِكَ لَمْ أَظْفَرْ بِهِ نُغَبا [٣]
وَقَدْ أَظَلَّنِيَ السُّقْمُ الْمُبَرِّحُ بي فَإِنْ سَلِمْتُ فَما [٤] أَدَّيْتُ ما وَجَبا
ما اعْتَضْتُ مِنْكَ [٥] وَلَوْ مُلِّكْتُ ما مَلَكَتْ عَيْنُ قارُونَ أَوْ أُسْكِنْتُ عَرْشَ سَبا [٦]
أَقُولُ هٰذا وَقَدْ صَيَّرْتَ لي نَشَبا لَوْلاكَ لَمْ أَرَ لي في غَيْرِهِ [٧] نَسَبا

أمّا الفراق فقد عاصيته فأبى وطالت الحرب إلا أنه غلبا »
وقد نقل طائفة من هذه القصيدة العماد الكاتب في خريدة القصر في ترجمة سديد الملك علي بن منقذ ، قسم شعراء الشام ورقة ١١٣ « مصور في المجمع العلمي العربي »

(١) هصر الأسد فريسته واهتصرها : كسرها والمهتصر الأسد لأنه يهصر فريسته وفي (ل) مهتضماً .

(٢) ومذ (ع) و (م)

(٣) النُّخَب : جمع نُخْبة وهي الشربة العظيمة . والنُّغَب : جمع نُغْبة وهى الجرعة يقال نغب الطائر : أي حسا من الماء .

(٤) وإن (ل)

(٥) عنك (ل)

(٦) قارون : رجل يضرب به المثل في الغنى . وسبأ : مدينة بلقيس باليمن وفيها عرشها العظيم .

(٧) لولاك لم أر لي في بعضه نسبا (ل)

يا بْنَ المُقلَّدِ قَدْ قلّدْتَني مِنَناً ما قارَبَ الحَمْدُ أدْناها ولا كَرَبا
سامَلأْ[1] الأرْضَ مِنْ شُكْرٍ يُقارِنُ ما (أَوْلَيْتَني)[2] رَضِيَ الشّانِيكَ أوْ غَضِبا[3]
فَيُمْنُ[4] جَدِّكَ أَفْضى بي إلى مَلِكٍ[5] ما أَبْتَزَّهُ الشِّعْرُ إلاّ هَزَّهُ طَرَبا
مَحْضِ القَبيلَيْنِ يُنْمى[6] صالِحاً أَبَداً في حَلْبَةِ الفَخْرِ[7] وَثّاباً إذا نُسِبا[8]
ولادَتانِ لَهُ مِنْ عامِرٍ[9] قَضَتا أَنْ يَشْرُفَ النّاسَ خالاً فاقَهُمْ وأَبا
أَغْنى وَأَقْنى وَأَدْنى ثُمَّ أَرْغَبَ[10] في إنْعامِهِ فَأَفادَ العَقْلَ وَالأَدَبا

(١) محل هذا البيت في (ل) آخر بيت من القصيدة .

(٢) ما بين الهلالين بياض في (م) ونقص في (ع) على أن في هامش (م) بخط مغاير : لعله (غمرت جوداً)

(٣) رضي شانيك ام غضبا (ع) و (م)

(٤) ويمن . (ل)

(٥) يريد بذلك أن الممدوح هو الذي قدّمه إلى صاحب حلب محمود بن نصر بن صالح بن مرداس، قال ابن العديم في زبدة الحلب : وفي سنة ٤٦٥ وقيل في شوال سنة ٤٦٤ وفد أبو الفتيان بن حيوس على محمود بن نصر بن صالح (صاحب حلب) وكان سديد الملك ابن منقذ اجتمع به بطرابلس ، ورأى نفور بني عمّار منه لأجل ميله إلى الدولة المصرية ، فأشار عليه أن يقصد محموداً بحلب ، فقصده صحبة نصر بن سديد الملك بن منقذ .

(٦) يلقى (ل) كأنه يشير مورياً إلى صالح بن مرداس جد محمود وإلى وثّاب النميري جده لأمه .

(٧) المجد (ع)

(٨) إذا وثبا (ل)

(٩) يشير بذلك إلى أن محمود بن نصر يمتُّ إلى عامر بن صعصعة بنسبتين ، فأبوه من بني كلاب وهم بطن من عامر بن صعصعة ، وأمه علوية بنت منيع بن وثّاب النُميري وبنو نُمير بطن من عامر بن صعصعة .

(١٠) أغرب (ل)

يَزِيدُنِي كُلَّمَا أَحْضَرْتُ مَجْلِسَهُ   فَضِيلَةً لَمْ يَدَعْ (١) لِي غَيْرَهَا أَرَبا

لَوْ تَدَّعِي الشَّمْسُ يَوْماً نُورَهُ كُسِفَتْ   وَلَوْ جَرَى النَّجْمُ يَبْغِي شَأْوَهُ لَكَبا

شَمَائِلٌ بِصُنُوفِ الْفَضْلِ نَاطِقَةٌ   وَهِمَّةٌ قَارَنَتْ بَلْ طَالَتِ الشُّهُبا

تَدْنُو الْعُلَى أَبَداً مِنْهُ وَإِنْ بَعُدَتْ   عَلَى سِوَاهُ وَيَنْأَى كُلَّمَا قَرُبا

فِي الْمُمْحِلَاتِ غَمَامٌ لَا يُقَالُ وَنَى   وَفِي الْحُرُوبِ حُسَامٌ لَا يُقَالُ نَبا

وَقَبْلَ قَلْعَتِهِ دَامَتْ مُمَنَّعَةً   مَا إِنْ رَأَيْنَا سَمَاءً تُمْطِرُ الذَّهَبا

فَكُلُّ (٢) نَوْءٍ بِمِصْرٍ جَادَنِي زَمَناً   فِدَاءُ نَوْءٍ سَقَانِي الرِّيَّ فِي حَلَبا

أَرَى الْمَطَامِعَ ضَلَّتْ وَهِيَ رَائِدَتِي   قِدْماً وَقَدْ هُدِيَتْ فَاخْتَارَتِ السُّحُبا

يَعِنُّ ذِكْرُكَ أَحْيَاناً فَيُخْبِرُنِي   فَرْطُ الْإِصَاخَةِ عَنْ قَلْبٍ إِلَيْكَ صَبا

يُصْغِي لَهُ فِي حَدِيثٍ جَاءَ مُقْتَضِياً (٣)   لَهُ وَيَبْغِيهِ (٤) إِنْ لَمْ يَأْتِ مُقْتَضِبا

أَنِّي فَيُعْجِبُهُ قَوْلِي وَيُكْثِرُ مِنْ   سَلَامَتِي بَعْدَ أَنْ فَارَقْتُكَ الْعَجَبا

يَا مُحْرِزَ الْمَجْدِ مَوْرُوثاً وَمُبْتَدَعاً   وَحَائِزَ الْفَضْلِ مَوْلُوداً وَمُكْتَسَبا (٥)

وَكُلُّ مَا نِلْتُ مِنْ عِزٍّ وَتَكْرِمَةٍ   وَثَرْوَةٍ فَإِلَى آلَائِكَ انْتَسَبا

---

(١) لم تدع فى غيرها أربا (ل)

(٢) وكل (ل)

(٣) مقتضبا (ل)

(٤) وتبغيه (ل) وينعيه (ع) وينفيه (م) ولعل الصواب ما اثبتناه

(٥) محل هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .

لَمْ يَعْدُ مَنْ شامَ نَصْراً(١) عِنْدَ نائِبَةٍ خِيفَتْ بَوائِقُها إِدْراكَ ما طَلَبا
سَلَّتْهُ(٢) وَضَرَبْتُ النّائِباتِ بِهِ ما كُلُّ مَنْ سَلَّ سَيْفاً صارِماً ضَرَبا
فَمَرَّ كَالسَّهْمِ إِسْراعاً لِوِجْهَتِهِ إِنْ(٣) هِيجَ عَنَّ وَإِنْ سِيلَ الجَزِيلَ حَبا
بِهِمَّةٍ لا تُجارى في اكْتِسابِ عُلىً وَعَزْمَةٍ لا تَشَكّى الأَيْنَ وَالْوَصَبا(٤)
تَلْقى أَعادِيهِ مِنْهُ شَرَّ مَنْ لَقِيَتْ وَيَصْحَبُ المَجْدُ مِنْهُ خَيْرَ مَنْ صَحِبا
وَيُشْبِهُ(٥) التُّرْكَ إِقْداماً وَمَحْمِيَةً فَإِنْ دَعاهُ وَفاءٌ عاوَدَ العَرَبا
صاحَبْتُهُ وَلَداً بَرّاً يُعِينُ عَلى قَطْعِ الطَّرِيقِ فَكانَ الوالِدَ الحَدِبا(٦)
تِلْكَ فِيَّ فَأَكْرِمْها مُصاحَبَةً تُعْطِي المُنى وَتُزِيلُ الهَمَّ وَالتَّعَبا
يا بْنَ الَّذِينَ إِذا شَبَّتْ وَغىً مَلَؤُا دُرُوعَهُمْ نَجْدَةً وَاسْتَفْرَغُوا العِيَبا
وَخَوَّفُوا النّاسَ فَارْتاعَتْ مُلُوكُهُمُ تَرَوُّعَ السِّرْبِ لَمّا عارَضَ السُّرَبا(٧)

(١) هو الأمير أبو المرهف نصر بن علي بن مقلد تولى شيزر بعد وفاة ابيه سنة ٤٧٩ كان فارساً كريماً فصيحاً وله شعر جيد توفي سنة ٤٩١ .
« النجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٢٤ و ص ١٦٣ »
(٢) سلكته (ع) و (م)
(٣) لوهيج عزّ ولوسيل الجزيل أبا (ل)
(٤) محل هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .
(٥) يناسب الترك ... (ل) وعلى هامش (م) و (ع)
(٦) يشير بذلك إلى أن نصر بن سديد الملك صحبه من طرابلس إلى حلب وقدّمه إلى أميرها .
(٧) السّرب : القطيع من الظباء وغيرها . والسُّرَب : جمع سُرْبة وهي جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين .

مَنْ أَمَّ مَسْعاكَ أَنْضى (١) فِكْرَهُ سَفَهاً ... وَلَسْتَ تَلْقاهُ إِلاّ خائِفاً (٢) وَصِبا
وَقَدْ (٣) حَلَلْتَ بِثَغْرٍ عَزَّ ساكِنُهُ ... سَدَدْتَهُ بِسَدادٍ صَحَّحَ (٤) اللَّقَبا
ظافَرْتَ (٥) مالِكَهُ دامَتْ سَعادَتُهُ ... بِمَحْضِ وُدٍّ أَزالَ (٦) الشَّكَّ وَالرِّيَبا
فَأَنْتُما فيهِ سَيْفا عِصْمَةٍ وَرَدًى (٧) ... أَمْضى مِنَ الْمُرْهَفاتِ الْباتِراتِ شَبا
إِنْ طاوَلا عَلَوا أَوْ فاضَلا فَضَلا ... أَوْ حارَبا حَرَبا أَوْ خاطَبا خَطَبا
إِنِّي أَقُولُ وَلَيْسَ الْمَيْنُ مِنْ شِيَمي ... إِنِّي شَرِيكُكَ فِيما عَنَّ أَوْ حَزَبا
لَمّا اشْتَكى مُرْشِدٌ (٨) أَعْظَمْتُهُ نَبَأً ... ذادَ الْكَرى وَاسْتَثارَ الْهَمَّ وَالْوَصَبا
حَتّى إِذا جاءَتِ الْبُشْرى بِصِحَّتِهِ ... قَضَتْ بِتَسْكِينِ قَلْبٍ طالَما وَجَبا
فَلا بَرِحْتَ وَإِنْ ساءَ الْعِدى أَبَداً ... تَلْقى الْخُطُوبَ بِجَدٍّ يَخْرُقُ الْحُجُبا

---

(١) أمضى (م)
(٢) إلا خائباً نصبا (ل) و (خريدة القصر)
(٣) وكم حللت ... (خريدة القصر)
(٤) أنجح اللقبا (ل)
(٥) ضافرت (خريدة القصر)
(٦) أراك ؟ (ع)
(٧) وذرى (ع) و (م)
(٨) هو الأمير أبو سلامة مرشد بن علي بن مقلد ، كان فارساً جواداً فصيحاً حسن التدبير ، ولد سنة ٤٦٠ وتوفي بشيزر سنة ٥٣١ وهو والد أسامة بن مرشد المشهور. « إرشاد الأريب ٢/١٨٩ »

٤

وقال يمدح تاج الملوك (١)

بَقِيتَ (٢) وَلا عَزَّتْ عَلَيْكَ ٱلْمَطالِبُ فَإِنّا بِخَيْرٍ ما عَدَتْكَ ٱلنَّوائِبُ
لَقَدْ كَذَبَتْ مُذْ ذُدْتَ عَنّا (٣) ظُنُونُها فَلا صَدَقَتْ تِلْكَ ٱلظُّنُونُ ٱلْكَواذِبُ
وَلا بَرِحَتْ تُثْني عَلَى ٱلدَّهْرِ أُمَّةٌ نُفُوسُهُمُ مِنْ بَعْضِ ما أَنْتَ واهِبُ
وَهَبْتَ لَها ٱلْأَرْواحَ فيما وَهَبْتَهُ (٤) فَجاوَزْتَ مَنْ أَثْنَتْ عَلَيْهِ ٱلْحَقائِبُ (٥)
وَهَلْ ضَمِنَتْ تِلْكَ ٱلْحَقائِبُ آنِفاً أُلُوفاً بِها لا تَسْتَقِلُّ ٱلرَّكائِبُ (٦)

---

(١) تاج الملوك هو : « محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أحد الأمراء المرداسيين أصحاب حلب ، وليها سنة ٤٥٢ ووجه إليه المصريون عمه ثمال بن صالح فانتزعها منه سنة ٤٥٣ وتوفي ثمال بعد عام ، فوليها عطية بن صالح ، فأغار عليه محمود فامتلكها سنة ٤٥٤ وقوي أمره وصفا له جوها ، فاستمر إلى أن توفي سنة ٤٦٧ كان شجاعاً فيه حزم وعقل » « الأعلام »

(٢) مكان هذه القصيدة في (ل) متأخر عن موضعها هنا وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح محمود بن نصر ويهنئه بعيد »

(٣) عنها (ع) و (م)

(٤) فيما أنلته (ل)

(٥) يشير إلى قول نصيب في سليمان بن عبد الملك :

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائبُ

« الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٩٣ »

(٦) الحقائب ؟ (ل)

حَبَوْتَ بِها مَنْ أَمَّ مُلْكَكَ عائِلاً (١) وَعاوَدَ (٢) يُرْجى جُودُهُ وَهو آيِبُ
وَلَمْ تَزَلِ الْغُدْرانُ تُرْوي مِياهُها وَتَذْهَبُ بِالذِّكْرِ الْجَميلِ السَّحائِبُ
وَأَتْبَعْتَها كُومَ الْقِلاصِ جَميعُها عِرابُ الْمَتالي وَالْفُحُولُ الْمَصاعِبُ (٣)
أَعَدْتَ ابْنَ سَلْمانٍ كَأَنْ لَمْ تُنِخْ بِهِ خُطُوبٌ وَلَمْ يَغْصِبْهُ ماحازَ غاصِبُ
عَطايا كَريمٍ لا يُحيطُ بِوَصْفِها مَقالٌ وَلا يُحصي لَها الْعَدَّ حاسِبُ
وَأَرْوَعَ لِلْعافِينَ في حُجُراتِهِ مَواهِبُ تَتْلُوها وَتَتْرى (٤) مَواهِبُ
يَفيضُ (٥) وَأَفواهُ الشِّعابِ (٦) إِلى الْحَيا ظِماءٌ وَأَمْواهُ الْعُيُونِ نَواضِبُ (٧)
صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرامِ أَمّا انْتِقامُهُ فَغِبٌّ وَأَمّا عَفْوُهُ فَهُوَ دائِبُ
قَديرٌ عَلَى الْإِيجازِ وَهْوَ مُخاطِرٌ مُبينٌ عَنِ الْإِعْجازِ وَهْوَ مُخاطِبُ (٨)

---

(١) عال الرجل يعيل عيلة فهو عائل إذا افتقر . « مفردات الراغب »

(٢) وعاد يرجيّ جوده (ل)

(٣) الكُوم جمع كوماء : وهي الناقة المرتفعة السنام . والقِلاص جمع قَلوص : وهي الناقة الطويلة القوائم . وعِراب الإبل : كرائمها . والمتالي من الإبل : الأمهات إذا تلاها أولادها الواحدة مُتْلٍ ومُتْلية . والمصاعب : جمع مُصْعَب وهو الفحل من الإبل ترك ولم يُركب ولم يمسه حبل حتى صار صعباً .

(٤) فتترى (ل)

(٥) تفيض (ل)

(٦) الشِّعاب : جمع شِعْب وهو مسيل الماء في بطن أرض .

(٧) نواصب ؟ (م)

(٨) محل هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه .

مُعاديهِ في قَيْدٍ مِنَ ٱلْعجزِ راسِفٌ ... وَحاشيهِ في يَمٍّ مِنَ ٱلْهَمِّ راسِبُ
فَمَا تَرْتَقي ٱلْأَمْلاكُ في دَرَجاتِهِ ... وَلا تَلْتَقي أَفعالُهُ وَٱلْمَعايِبُ
ضَرائِبُ[1] فيها ٱلْعِلْمُ وَٱلْحِلْمُ وَٱلْحِجى ... أَحاديثُها في ٱلْخافِقَيْنِ ضَوارِبُ[2]
وما ذُكِرَتْ إِلاّ وَماتَ بِدائِهِ ... حَسُودٌ حَقُودٌ أَوْ كَنُودٌ مُوارِبُ[3]
تَفَرَّدْتَ في كَسْبِ ٱلْمَعالِي وَحَوْزِها ... وَغَيْرُ فَرِيدٍ مَنْ لَهُ ٱلْعَزْمُ صاحِبُ
وَما رَبُّها مَنْ رَبُّها نابِيَ ٱلشَّبا ... وَمَنْ خَطْوُهُ في طُرْقِها مُتَقارِبُ
ذَرِ ٱلْهَمَّ لِلْمُرْتادِ ما لا يَنالُهُ ... وَمَنْ لَمْ تُنَكِّبْهُ ٱلْخُطُوبُ ٱلنَّواكِبُ
وَذَلِّلْ عَصِيَّ ٱلنَّوْمِ بِٱلسَّطْوَةِ ٱلَّتي ... أَرَحْتَ[4] بِها نَوْمَ ٱلْوَرَى وَهْوَ عازِبُ
وَطِيبِ ثَناءٍ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ فَٱكْتَسَتْ ... مَشارِقُها مِنْ عَرْفِهِ وَٱلْمَغارِبُ
وَمَمْلَكَةٍ نَصْرِيَّةٍ صالِحِيَّةٍ ... حَمَتْها ٱلْعَوالي وَٱلرِّهافُ ٱلْقَواضِبُ
أَبَتْ حَوْزَها أَيْدي ٱلْأَباعِدِ هِمَّةٌ ... حَفِظْتَ بِها ما ضَيَّعَتْهُ ٱلْأَقارِبُ
وَكُنْتَ شَجًى لِلْآخِذِيها تَعَدِّيًا ... وَلَوْلا ٱلشَّجى ما غَصَّ بِٱلْماءِ شارِبُ
أَضَفْتَ إِلى ٱلتَّكْديرِ خَوْفًا وَقَدْصَفَتْ ... مَشارِبُ فيها وَٱطْمَأَنَّتْ مَسارِبُ

(١) الضرائب : جمع ضريبة وهي الطبيعة والسجية .

(٢) ضوارب أي سوائر . وفي (ع) و (م) ضرائب .

(٣) يوارب (ع) و (م)

(٤) أرحت : رددت . وفي (ع) و (م) (أزحت) وهو تصحيف .

وَوَاصَلْتَهَا وَصْلَ الْغَرِيمِ غَرِيمَهُ تُطاعِنُ حَتَّى حُزْتَها وَتُضارِبُ
وَأَلْهَمَكَ الْبَأْسُ الْهُجُومَ عَلَى الرَّدَى فَلَمْ تَهَبِ الْهَوْلَ الَّذي أَنْتَ راكِبُ
أَبَتْ لَكَ أَنْ تَرْضَى بِضَيْمٍ وَقائِعٌ تَمِلُّ[١] الْقَنا فيها فَتَعْلُو الْمَراتِبُ
مَواقِفُكُمْ كَذَّبْنَ ما ادَّعَتِ الْعِدَى وَمَنْ قالَ قِدْماً أَيْنَ[٢] بِالسَّيْفِ ضارِبُ
وَأَيَّ وَقَدْ سَطَّرْتَ في كُلِّ مَأْزِقٍ صَحائِفَ تُتْلَى وَالسُّطُورُ الْكَتائِبُ
صَحائِفُ مَفْرُوضٌ عَلَى الدَّهْرِ حِفْظُها لَهَا الْعَزْمُ مُمْلٍ وَالْمُهَنَّدُ كاتِبُ
وَظافَرَ ذاكَ الْعَزْمَ وَالْحَزْمَ فِكْرَةٌ تُحَدِّثُ عَمّا أَضْمَرَتْهُ الْعَواقِبُ
وَأَظْهَرْتَ لِلْأَيّامِ لِيناً وَقَسْوَةً[٣] تُسالِمُها طَوْراً وَطَوْراً تُحارِبُ
تَمُرُّ وَتَحْلَوْلي عَلَى أَنْ غَلَبْتَها بِرَأْيِكَ وَالْإِقْدامِ وَهْيَ غَوالِبُ
وَأَوْضَحْتَ في تِلْكَ الْمَساعي تَبايُناً بِهِ تَمَّ[٤] هٰذا السُّؤْدُدُ الْمُتَناسِبُ
وَطاعَ لَكَ الْمِقْدارُ حَتَّى كَأَنَّهُ بِأَمْرِكَ جارٍ أَوْ لِبَطْشِكَ هائِبُ
أَلَسْتَ مِنَ الْقَوْمِ الْأُلَى كَفَلَتْ لَهُمْ بِإِذْلالِ[٥] مَنْ عادَوْا عِتاقٌ سَلاهِبُ[٦]

---

(١) يُعَلُّ . (ع)
(٢) إن بالسيف ؟ (ل)
(٣) وقوة (ع) و (م)
(٤) به ثم .... ؟ (ع) و (م)
(٥) بأمرك جار أو عتاق سلاهب ؟ (ل) وهو من سهو الناسخ .
(٦) العِتاق من الخيل : النجائب مفرده عتيق . والسلاهب : جمع سَلْهب وهو من الخيل ما عظم وطالت عظامه .

إذا قَدَحَتْ في اللَّيْلِ لَمْ يَدْجُ غاسِقٌ وَإنْ ضَبَحَتْ (١) في الصُّبْحِ لَمْ يَنْجُ هارِبُ
وَهِنْدِيَّةٌ إنْ جُرِّدَتْ لِكَريهَةٍ فَأَغْمادُها فيها الطُّلَى وَالتَّرائِبُ (٢)
مَواضٍ إذا صَلَّتْ وَصَلَّتْ لَها العِدَى سُجُوداً فآثارُ المَذاكي مَحارِبُ (٣)
وَخَطِّيَّةٌ يُلْفَى الرَّدَى تَبَعاً لَها إذا مَرَقَتْ في الأُسْدِ مِنْها الثَّعالِبُ (٤)
أَسافِلُها في أَبْحُرٍ مِنْ أَكُفِّكُمْ (٥) طَمَتْ وَأَعالِيها نُجُومٌ ثَواقِبُ
تُضِيءُ مُثارَ النَّقْعِ وَهْيَ طَوالِعٌ وَتَبْني مَنارَ العِزِّ وَهْيَ غَوارِبُ
عَتادُ مُلُوكٍ لا يُبالُونَ (٦) في النَّدَى وَخَوْضِ (٧) الرَّدَى المَكْرُوهِ ما الدَّهْرُ جالِبُ

---

(١) ضَبَحت الخيل : عدت عدواً دون التقريب . وفي (م) وإن صبحت .. وهو تصحيف .

(٢) الطُّلى : الأعناق جمع طلاة . والترائب : عظام الصدر جمع تريبة .

(٣) صلّت الأولى من صلّ الشيء صليلاً أي صوّت يقال صلّ البيض : سمع له طنين عند مقارعة السيوف . وصلّت الثانية في قوله « وصلّت لها العدى » من صلّى الرجل صلاةً أي أقام الصلاة . والمذاكي : الخيل التي تم سنها وكملت قوتها . ومحارب جمع محراب . ويريد بآثار المذاكي التي شبهها بالمحاريب آثار حوافرها على الأرض .

(٤) الخطّيّة : الرماح المنسوبة إلى الخط وهو مرفأ بالبحرين . ومرقت : نفذت ، تقول مرق السهم من الرمية أي نفذ فيها وخرج من الجانب الآخر . والثعالب جمع ثعلب وهو : طرف الرمح الداخل في السنان . وفي (ل) ثعالب .

(٥) أكفهم ؟ (ل)

(٦) لا تبالي لدى الندى (ل)

(٧) وحوض الردى المكروه والدهر جالب (م)

تُحِبُّ مِنَ[1] ٱلْإِقْدامِ ما أَبْغَضَ ٱلْوَرى ... وَتَسْلُو عَنِ ٱلْأَرْواحِ وَهِيَ حَبائِبُ
نَصِيَّةُ شَدّادٍ وَفَخْرُ رَبِيعَةٍ ... وَسادَةُ كَعْبٍ حِينَ تُحْصَى ٱلْمَناقِبُ[2]
تَظَلُّ ٱلْمَعالِي في سِواكُمْ غَرائِباً ... ذَواتِ نِفارٍ وَهْيَ فِيكُمْ رَبائِبُ[3]
إِذا عُدِّدَتْ أَفعالُكُمْ عِنْدَ مَفْخَرٍ ... غَنِيتُمْ بِها عَنْ أَنْ تُعَدَّ ٱلْمَناسِبُ[4]
وَكُلُّ حَدِيثٍ سارَ لَمْ يَكُ فِيكُمُ ... هَباءٌ أَثارَتْهُ صَباً وَجَنائِبُ
لَقَدْ بَلَغَتْ أَبْناءُ صَعْصَعَةٍ[5] بِكُمْ ... ذُرَى شَرَفٍ[6] لا تَدَّعِيهِ ٱلْكَواكِبُ
وَلَوْلا رَسُولُ ٱللهِ لَمْ تَلْوِ بِالْعُلَى ... لُؤَيٌّ وَلَمْ تَغْلِبْ عَلَى ٱلْمَجْدِ غالِبُ[7]
وَإِنَّكَ أَوْفَى ٱلنّاسِ بَأْساً[8] وَنَجْدَةً ... إِذا أَقْبَلَتْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ مَواكِبُ
وَأَحْضَرُهُمْ في ٱلْخَطْبِ إِنْ عَزَّ خاطِرٌ[9] ... إِذا شاعِرٌ أَكْدَى[10] وَأُفْحِمَ خاطِبُ

---

(١) تحب من الإنعام ما كره الورى (ع) و (م)
(٢) النصية من القوم الخيار . وشدّاد وربيعة وكعب من أجداد الممدوح .
« انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٢٨٦ »
(٣) غرائب (ل)
(٤) المناقب (ل)
(٥) صعصعة بن معاوية من أجداد الممدوح
(٦) ذرى رفعة (ل)
(٧) ألوى بالشيء : ذهب به واستأثر به . ولؤي بن غالب من قريش وبنوه بطون كثيرة ، وأبوه غالب بن فهر .
(٨) عزاً ونجدةً (ل)
(٩) خاطراً (ع) و (م)
(١٠) أكدى : بلغ الكدية في الحفر وهي الصفاة العظيمة الشديدة ، كناية عن العجز والانقطاع .

أَرى إِبلي أَلِفَتْ مُناخاً فَأَصْبَحَتْ مُسالِمَةً أَقْتابُها وَالْغَوارِبُ
وَأَسْعَفَها خَفْضُ الْمُقامِ وَخِصْبُهُ بِأَضْعافِ ما بَزَّ السُّرى وَالسَّباسِبُ
وَلَوْ تَرَكَتْ تاجَ الْمُلوكِ وَراءَها تَعَذَّرَ مَطْلوبٌ وَأَخْفَقَ طالِبُ
وَجَدْتُ[1] الْغِنى وَالْعِزَّ وَالْأَمْنَ وَالْعُلى فَلا غَرْوَ أَنْ سُدَّتْ عَلَيَّ الْمَذاهِبُ
يُريدُ أُناسٌ بِذْلَتي وَضَراعَتي وَلَيْسَ لِمَنْ سَرْبَلْتَهُ الْعِزَّ[2] سالِبُ
أَيادِيكَ أَغْنَتْ عَنْ مَدائِحِ مَعْشَرٍ مَدائِحُهُمْ لِلنّاظِمِيها مَثالِبُ
إِذا شُبَّتِ النِّيرانُ لِلْقُرِّ وَالْقِرى فَلا نارَ إِلّا ما يُرِيهِ الْحُباحِبُ[3]
فَأَضْرَبْتُ عَمَّنْ لَوْ وَقَفْتُ بِبابِهِ تَنَمَّرَ بَوّابٌ وَأَعْرَضَ حاجِبُ
وَمَنْ تَبْلُغُ الْأَعْداءُ فيهِ مُرادَها وَإِنْ قَصَّرَتْ عَجْزاً وَراجِيهِ خائِبُ
فَيَحْيا[4] وَما حَقُّ الْمُوالِيهِ واجِبٌ عَلَيْهِ وَلا قَلْبُ الْمُعادِيهِ واجِبُ[5]
فَيا شائِبَ الْمَعْروفِ بِالْبِشْرِ مُنْعِماً أَعَدْتَ الشَّبابَ الْغَضَّ وَالرَّأْسُ شائِبُ

---

(١) وجدتُ العلى والعز والأمن والغنى (ل)

(٢) سربلته الصون (ل)

(٣) الحُباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع في ذنبه ، وقيل اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلا ناراً ضعيفة مخافة الضيفان ، فضربوا بها المثل حتى قالوا نار الحُباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها من حيث لا ينتفع به .

(٤) فحيّا ... (ل)

(٥) واجب الأولى من الوجوب ، والثانية من الوجيب وهو الخفوق .

وَلَوْلا زَمانٌ في ذَراكَ قَطَعْتُه ... لَما عادَ مِنْ شَرْخِ ٱلشَّبيبَةِ ذَاهِبُ
نَحَتْكَ ٱلْقَوافي وَهْيَ عُونٌ عَوانِسٌ ... وَها هِيَ أَبْكارٌ لَدَيْكَ كَواعِبُ
عَقائِلُ تَأْبىٰ أَنْ تُزَنَّ بِرِيبَةٍ ... وَعَهْدي بِها وَهْيَ ٱلْإِماءُ ٱلْحَواطِبُ(١)
وَذَنْبِيَ أَنْ زُفَّتْ إِلىٰ غَيْرِ أَهْلِها ... أَلاَ إِنَّني مِنْهُ إِلىٰ ٱلْمَجْدِ تائِبُ
قَبيحٌ ضَلالُ ٱلْمَرْءِ بَعْدَ ٱهْتِدائِهِ ... وَإِبْطالُهُ ما خَبَّرَتْهُ ٱلتَّجارِبُ
وَعِنْدَكَ لاقَتْ يا ٱبْنَ نَصْرِ بْنِ صالِحٍ ... رَغائِبَ في هٰذا ٱلزَّمانِ غَرائِبُ
وَمِنْ رَهْبَةِ ٱلتَّقْصيرِ عاوَدْتُ قائِلاً ... وَلَمْ تَحْوِ شَرْواها ٱلْعُصُورُ ٱلذَّواهِبُ
هَلِ ٱلْعيدُ إِلاَّ بَعْضُ أَيَّامِكَ ٱلَّتي ... تُماثِلُهُ في حُسْنِهِ وَتُناسِبُ
فَلا زِلْتَ تَكْسُوهُ ٱلْمَحاسِنَ حاضِراً ... وَتَخْلُفُهُ في أَهْلِهِ وَهْوَ غائِبُ
مَنيعَ ٱلْحِمىٰ تَضْفُو عَلَيْكَ مَلابِسٌ ... لِأَذْيالِها فَوْقَ ٱلسَّماءِ مَساحِبُ
وَلا سَلَبَتْنيكَ ٱللَّيالي فَإِنَّني ... عَنِ ٱلْعَيْشِ إِلاَّ في جَنابِكَ راغِبُ

---

(١) الإماء الحواطب تمشي معيبات ، قال الأخنس بن شهاب من شعراء الحماسة :

تُمشّي بها حُولُ النعام كأنها ... إماءٌ تُزجّى بالعشيِّ حواطبُ

« شرح الحماسة للتبريزي ص ٣٤٤ »

٥

وقال يمدح ناصر الدولة بن حمدان (١)

لَكُمْ (٢) أَنْ تَجُورُوا مُعْرِضِينَ وَتَغْضَبُوا ... وَعَادَتُكُمْ أَنْ تَزْهَدُوا حِينَ نَرْغَبُ
جَنَيْتُمْ عَلَيْنَا وَاعْتَذَرْنَا إِلَيْكُمُ ... وَلَوْلَا الْهَوَى لَمْ (٣) يُسْأَلِ الصَّفْحَ مُذْنِبُ
وَمَوَّهْتُمُ يَوْمَ الْفِرَاقِ بِأَدْمُعٍ ... تُخَبِّرُ (٤) عَنْ صِدْقِ الْوِدَادِ فَتَكْذِبُ
وَكَمْ غَرَّ ظَمْآنًا سَرَابٌ بِقَفْرَةٍ ... وَخَبَّرَ (٥) بَرْقٌ بِالْحَيَا وَهْوَ خُلَّبُ
وَمَا بَلَغَتْ مِنِّي نَوًى بِسِهَامِهَا ... رَمَانِي التَّجَنِّي قَبْلَهَا وَالتَّجَنُّبُ
وَلَمْ يَبْقَ مِمَّا كَانَ إِلَّا بَقِيَّةٌ ... تَجِيءُ كَمَا جَاءَ الْجَهَامُ وَتَذْهَبُ
يُكَلَّفُ طَرْفِي رَعْيَهَا وَهْوَ طَامِحٌ ... وَيُسْأَلُ قَلْبِي حِفْظَهَا وَهْوَ قُلَّبُ
صُبَابَةُ (٦) شَوْقٍ مِنْ بَقَايَا صَبَابَةٍ ... إِذَا ذَلَّ فِيهَا طَالِبٌ عَزَّ مَطْلَبُ
وَمَا زَادَ ذَاكَ الْوَصْلُ أَيَّامَ عَطْفِكُمْ ... عَلَى مَا أَنَالَ الطَّارِقُ الْمُتَأَوِّبُ

---

(١) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)
(٢) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عن مكانها هنا .
(٣) لم يَسأل ... (م) و (ع)
(٤) تحدّث (ل)
(٥) وحدّث (ل)
(٦) صبابة شوق غادرتها صبابة ... إذا ذلّ فيها مطلب عزّ مطلب (ل)

مُوَاصَلَةٌ كَانَتْ كَأَحْلَامِ نَائِمٍ ... وَإِنْ لَامَ فِيهَا عَاذِلٌ وَمُؤَنِّبُ (١)
دَنَا بُعْدُهَا مِنْ قُرْبِهَا فَكَأَنَّهَا (٢) ... مِنَ الصَّدِّ تُسْبَى أَوْ مِنَ الْهَجْرِ تُسْلَبُ
وَقَدْ رُمْتُ أَنْ أَلْقَى الصُّدُودَ بِمِثْلِهِ ... مُقَابَلَةً لَكِنَّنِي أَتَهَيَّبُ
سَأَصْبِرُ صَبْرَ الضَّبِّ وَالْمَاءُ ذُو قَذًى ... وَأَمْشِي عَلَى السَّعْدَانِ (٣) وَالذُّلُّ مَرْكَبُ
وَأَقْفُو بِعَزْمِي أُسْرَةً تَغْلَبِيَّةً (٤) ... إِلَى الْمَوْتِ مِمَّا يُكْسِبُ الْعَارَ تَهْرُبُ
وَكُلَّ فَتًى كَالْخَيْزُرَانَةِ دِقَّةً ... يُرَاعُ بِهِ لَيْثُ الشَّرَى وَهْوَ أَغْلَبُ
إِذَا رَكِبُوا أَلْوَوْا بِعِزِّ عَدُوِّهِمْ ... وَإِنْ وَهَبُوا جَادُوا بِمَا لَيْسَ يُوهَبُ
تَظَلُّ الْمَعَالِي مِنْ ثَوَابِ (٥) عُفَاتِهِمْ ... وَدَاعِيهِمُ يَوْمَ الْوَغَى لَا يُثَوِّبُ (٦)
وَلَسْتُ كَمَنْ أَنْحَى (٧) عَلَيْهِ زَمَانُهُ ... فَظَلَّ عَلَى أَحْدَاثِهِ يَتَعَتَّبُ
تَلَذُّ لَهُ الشَّكْوَى وَإِنْ لَمْ يُفِدْ بِهَا ... صَلَاحاً كَمَا يَلْتَذُّ بِالْحَكِّ أَجْرَبُ
وَلَكِنَّنِي أَحْمِي ذِمَارِي بِعَزْمَةٍ ... تَنُوبُ مَنَابَ السَّيْفِ وَالسَّيْفُ مِقْضَبُ

---

(١) أو مؤنب (ل)
(٢) فكأنما (ل)
(٣) السَّعْدان نبت له شوك ، وشوك النخل .
(٤) ينتسب ناصر الدولة إلى قبيلة تغلب .
(٥) من تُراث عفاتهم (ل)
(٦) ثوّب الداعي : لوّح بثوبه ليُرى ويشتهر طلباً للاغاثة .
(٧) أخنى عليه « شرح نهج البلاغة ١/٣١٥ »

لَقَدْ كَذَبَتْ بِالْأَمْسِ مَنْ ظَنَّ أَنني عَنِ الْحَزْمِ أُزْوَى أَوْعَلَى الرَّأْيِ (١) أُغْلَبُ
وَدَاوِيَةٍ بِكْرٍ جعلْتُ نِكَاحَهَا سُرَى ضُمَّرٍ فَارَقْتُهَا وَهيَ ثَيِّبُ
تُضِلُّ فَلَوْ بَعْضُ النُّجُومِ سَرَى بِهَا وَرَامَ نَجَاةً مَادَرَى كَيْفَ يَذْهَبُ
دَلِيلَايَ فِيهَا حُسْنُ ظَنِّي وَبَارِقٌ يُبَشِّرُ بِالتَّهْطَالِ وَالْعَامُ مُجْدِبُ
وَمُذْ أَرَيَانِي نَاصِرَ الدَّوْلَةِ انْجَلَى بِرُؤْيَاهُ مَا أَخْشَى وَمَا أَتَرَقَّبُ
رَغِبْتُ بِنَفْسِي أَنْ أَكُونَ مُصَاحِباً أُنَاساً (٢) إِذَا قِيدُوا إِلَى الضَّيْمِ أَصْحَبُوا
فَجَاوَرْتُ مَلْكاً تَسْتَهِلُّ يَمِينُهُ نَدىً حِينَ يَرْضَى أَوْ رَدىً حِينَ يَغْضَبُ
تَدُورُ كُؤُوسُ الْحَمْدِ حِيناً فَيَنْتَشِي وَطَوْراً تَصِلُّ الْمُرْهَفَاتُ فَيَطْرَبُ
إِذَا مَا ارْتَبَا (٣) غِبَّ الْوَغَى خِلْتَ أَجْدَلاً لَهُ أَبَداً فَوْقَ الْمَجَرَّةِ مَرْقَبُ
وَإِنْ أَعْمَلَ الْأَفْكَارَ عِنْدَ مُلِمَّةٍ تُلِمُّ أَرَتْهُ مَا يُسِرُّ الْمُغَيَّبُ
وَرُبَّ نُصُولٍ لَا تُنَصَّلُ إِنْ جَنَتْ وَتَنْصُلُ مِنْ قَانِي النَّجِيعِ فَتُخْضَبُ
إِذَا الْبِيضُ كَلَّتْ يَوْمَ حَرْبٍ فَإِنَّهَا مَوَاضٍ قَوَاضٍ أَنَّ تَغْلِبَ تَغْلِبُ (٤)

---

(١) أو عن الرأي أغلب (ع) و (م)

(٢) رجالاً (ل)

(٣) ارتبأ المربأة : علاها وارتبأ على جبل أشرف . وفي مسالك الأبصار للعمري ج ١٠ مخطوط : (اذا ما احتبى غب الوعى . . .)

(٤) تَغْلِبُ : قبيلة الممدوح .

فَإِحْكَامُهُ(١) ٱلْأَيَّامَ غَضٌّ جِمَاحَهَا ... وَأَحْكَامُهُ فِي ٱلدَّهْرِ لَا تُتَعَقَّبُ

وَلَوْ حِدْتُ عَنْهُ ضَلَّةً وَٱسْتَمَالَنِي ... كَرِيمٌ مُرَجًّى أَوْ هُمَامٌ مُحَجَّبُ

لَأَغْنَى كَمَا أَغْنَى عَنِ ٱلصُّبْحِ حِنْدِسٌ ... دُجًا لَا كَمَا أَغْنَى عَنِ ٱلْبَدْرِ كَوْكَبُ(٢)

فَدَاكَ مِنَ ٱلْأَسْوَاءِ كُلُّ مُمَلَّكٍ ... عَلَى ٱلْجُودِ يُحْدَى أَوْ إِلَى ٱلرَّوْعِ يُجْذَبُ

تَخِذْتَ ٱقْتِضَابَ(٣) ٱلْمَكْرُمَاتِ سَجِيَّةً ... فَخَالَفْتَ(٤) قَوْمًا بِٱلْمَوَاعِيدِ شَبَّبُوا(٥)

أَصَخْتَ إِلَى دَاعِي ٱلْوَغَى وَتَصَامَمُوا ... وَصَدَّقْتَ آمَالَ ٱلْعُفَاةِ وَكَذَّبُوا

تَبِيتُ ٱلنِّيَاقُ عِنْدَهُمْ مُطْمَئِنَّةً ... وَلَمَّا(٦) يَدُرَّ قَعْبٌ وَلَمْ يُدْنَ مِحْلَبُ

إِذَا حَارَدَتْ أَخْلَافُهَا(٧) عُطِّلَ ٱلْقِرَى ... وَعِنْدَكَ مِنْ أَوْدَاجِهَا ٱلدَّمُ يُحْلَبُ(٨)

مَسَاعٍ بِهَا وَصَّى رَبِيعَةُ وَائِلاً ... وَلَمَّا يَحُلْ عَنْهَا عَدِيٌّ وَتَغْلِبُ(٩)

---

(١) أحكمَ الفرسَ: جعل للجامه حكمة.

(٢) ورد في (ل) عند هذا البيت بهامش الصفحة ما نصه: الأولى أن يقال:

لأغنى كما أغنى عن البدر حندس ... وأجزى كما أجزى عن الصبح كوكب

(٣) اقتضاب المكرمات اصطناعها.

(٤) لعله نخالفت.

(٥) سيبوا (ع)و(م)

(٦) وإن لم يدر ... (ع) و (م)

(٧) حاردت أخلافها: أي قلَّ لبنها. وفي (ع) و (م) «أخلاقها» وهو تصحيف.

(٨) الدهر تحلب (ع) و (م)

(٩) ربيعة ووائل وتغلب وعدي أجداد الممدوح الأولون.

وَمِنْهُ إِلىٰ حَمْدَانَ كُلُّ مُمَلَّكٍ لَهُ ٱلْجُودُ وَكْدٌ وَٱلْمَحَامِدُ مَكْسَبُ(١)
مَصَاعِبُ نَالُوا بَعْضَ مَا نِلْتَ مِنْ عُلىً مُؤَمِّلُهَا مَا عَاشَ يُكْدِي وَيَتْعَبُ
سِوَاكَ بَغَاهَا وَٱلشَّبَابُ رِدَاؤُهُ فَعَزَّتْ وَزَادَتْ عِزَّةً وَهْوَ أَشْيَبُ
فَأَحْرَزْتَهَا(٢) طِفْلاً فَهَذَاكَ كَعْبَةٌ يَلُوذُ بِهَا ٱلرَّاجِي وَنَادِيكَ مَكْتَبُ
خَلَائِقُ كَالْمَاءِ ٱلزُّلَالِ وَتَحْتَهَا مِنَ ٱلْعَزْمِ وَٱلْإِقْدَامِ نَارٌ تَلَهَّبُ(٣)
وَضَحْنَ فَأَعْلَمْنَ ٱلْمُعَلِّمَ أَنَّهُ يُؤَدَّبُ فِي أَثْنَائِهَا لَا يُؤَدِّبُ
يُقِرُّ(٤) لَكَ ٱلْأَعْدَاءُ بِٱلْبَأْسِ عَنْوَةً وَكُلُّ عَدُوٍّ مَدْحُهُ لَا يُكَذَّبُ
وَحَسْبُهُمُ يَوْمٌ ثَبَتَّ لِشَرِّهِ وَقَدْ عَرَّدَ ٱلْحَامُونَ(٥) عَنْكَ وَنَكَّبُوا
مَضَوْا وَلِكُلٍّ فِي ٱلنَّجَاةِ(٦) مَذَاهِبٌ وَمَا لَكَ إِلَّا نُصْرَةَ ٱلْحَقِّ مَذْهَبُ
وَلَوْ شِئْتَهَا كَانَتْ لَدَيْكَ سَوَابِقٌ(٧) لِلَحْقِ(٨) ٱلْعِدَىٰ لَا لِلْفِرَارِ تُقَرَّبُ

---

(١) حمدان جد بني حمدان ، والوكد بفتح الواو المراد والهم والقصد وبضمها السعي والجهد . وفي (ل) له الجود رَبّ . . .
(٢) وأحرزتها (ل)
(٣) هذا البيت ساقط من (ل)
(٤) تقر لك ... (ل)
(٥) الحادون (ل)
(٦) في الجهاد (ل)
(٧) سوابقاً (ع) سوائقاً (م)
(٨) لطرد العدى (ع) و (م)

تَطِيحُ إِلىٰ أَنْ تَدَّعِي غَيْرَ أَصْلِهَا وَتَعْزِبُ عَنْ أَحْسَابِهَا حِينَ تُجْنَبُ (١)
إِلىٰ الرِّيحِ تُعْزَىٰ حِينَ تَجْرِي فَإِنْ مَشَتْ رُوَيْداً فَجَدَّاهَا الْوَجِيهُ وَمُذْهَبُ (٢)
وَبَعْدَ سُلَيْمَانٍ (٣) إِلىٰ أَنْ رَكِبْتَهَا (٤) وَذَلَّلْتَهَا مَا كَانَتِ الرِّيحُ تُرْكَبُ
تَخَالَفْنَ أَلْوَانـاً وَخُضْنَ عَجَاجَةً فَلَمْ يَخْتَلِفْ فِي اللَّوْنِ جَوْنٌ وَأَشْهَبُ
ثَبَتَّ ثَبَاتاً لَمْ يَكُنْ لِابْنِ مُسْلِمٍ وَأُوتِيتَ صَبْراً لَمْ يَنَلْهُ الْمُهَلَّبُ (٥)
هُوَ الْيَوْمُ لَوْ آلُ الزُّبَيْرِ مُنُوا بِهِ لَقَهْقَرَ (٦) عَبْدُ اللهِ عَنْهُ وَمُصْعَبُ (٧)
يُخَبَّرُ عَنْهُ مَا تَلَا الْغَسَقَ الضُّحَىٰ (٨) وَيُرْوَىٰ إِلىٰ يَوْمِ الْمَعَادِ وَيُكْتَبُ

---

(١) تطيح : تمضي كذهاب السهم بسرعة . وحين تُجنب أي حين تقاد .

(٢) الوجيه ومُذْهَب : فرسان نجيبان من خيول العرب كانا لغني بن أعْصُر .
وفي (ل) الوجيه ومقرب .

(٣) سليمان بن داود عليهما السلام .

(٤) إلى أن ربطتها (ل)

(٥) ابن مسلم : هو قتيبة بن مسلم الباهلي ، ولاّه الوليد بن عبد الملك خراسان وغزا ما وراء النهر وفتح خوارزم وسجستان وسمرقند وغيرها وغزا أطراف الصين وضرب عليها الجزية ، قتل بفرغانة سنة ٩٦ . والمهلب : هو ابن أبي صفرة ،ولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير . قاتل الأزارقة تسعة عشر عاماً لقي فيها منهم الأهوال وأخيراً تم له الظفر بهم ، ثم ولاّه عبد الملك بن مروان خراسان سنة ٧٩ ومات بها سنة ٨٣ « الأعلام »

(٦) تقهقر (ل)

(٧) عبد الله بن الزبير : فارس قريش في زمنه بويع له بالخلافة سنة ٦٤ وقتل بمكة سنة ٧٣ . وأخوه مصعب أحد أبطال العرب قتل في العراق سنة ٧١ « الأعلام »

(٨) الدجى (ع)

أَبَى لَكَ طِيبُ النَّجْرِ إِلاَّ عَزِيمَةً ... عَلَى الْحَزْمِ فِي يَوْمِ النِّزَالِ تُغَلَّبُ
وَجُدْتَ بِنَفْسٍ لاَ يَجُودُ(١) بِمِثْلِهَا ... مَعَ الْعِلْمِ بِالْعُقْبَى نَبِيٌّ مُقَرَّبُ
وَلَيْسَ الْفَتَى مَنْ لَمْ تَسِمْ(٢) جِلْدَهُ الظُّبَا ... وَتُحْطَمُ(٣) فِيهِ مِنْ قَنَا الْخَطِّ أَكْعُبُ
وَكَمْ زُرْتَ أَحْيَاءً فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُمُ ... طِعَانٌ وَلاَ نَجَّاهُمُ مِنْكَ مَهْرَبُ
يَوَدُّونَ مُذْ صَارَ الصَّبَاحُ طَلِيعَةً ... لِجَيْشِكَ أَنَّ الدَّهْرَ أَجْمَعَ غَيْهَبُ
عُرِفْتَ فَصَارَ الإِنْتِسَابُ زِيَادَةً ... وَغَيْرُكَ يُخْفِيهِ الْخُمُولُ فَيُنْسَبُ
وَفِي بَعْضِ ذَا الْمَجْدِ الَّذِي ظَفِرَتْ بِهِ ... يَدَاكَ غِنًى عَمَّا بَنَى الْجَدُّ وَالْأَبُ
قَضَى لَكَ أَنْ يَزْدَادَ بَيْتُكَ رِفْعَةً ... عَلَى أَنَّهُ فَوْقَ السِّمَاكِ مُطَنَّبُ
أَلَمْ تَرَ قِرْوَاشاً(٤) بَنَتْ مَكْرُمَاتُهُ ... لِأُسْرَتِهِ الْبَيْتَ الَّذِي لَيْسَ يَخْرَبُ
مَكَارِمُ لَمْ يَطْمَحْ إِلَيْهَا(٥) مُقَلَّدٌ ... لَعَمْرِي وَلاَ أَفْضَى إِلَيْهَا مُسَيَّبُ(٦)
وَبَيْنَ اللُّهَى وَالْوَاهِبِيهَا تَنَاسُبٌ ... فَمِنْ أَجْلِ ذَا فِيهَا خَبِيثٌ وَطَيِّبُ

---

(١) لا تجود (ع) و (م)
(٢) من لم يسم (ل)
(٣) وتحكم فيه (ل)
(٤) هو قرواش بن المقلد بن المسيب العُقَيلي من هوازن ، صاحب الموصل والكوفة والمدائن وسقي الفرات وليها بعد مقتل أبيه سنة (٣٩١) ودامت إمارته خمسين سنة وتوفي سنة (٤٤٤) « الأعلام »
(٥) لم يبلغ إليها (ل)
(٦) المقلد والد قرواش والمسيب جده .

كَذَا ٱلْبَأْسُ فِي أَهْلِ ٱلْغَنَاءِ مُقَسَّمٌ ... وَمَا يَسْتَوِي فِيهَا عَلِيٌّ وَمِرْحَبُ (١)
وَقَبْلَكَ مَا خِلْتُ ٱلْبُدُورَ لِنَائِلٍ ... تُرَجَّى وَلَا زُهْرَ ٱلْكَوَاكِبِ تُصْحَبُ
فَإِنْ طَابَتِ ٱلْأَوْطَانُ لِي وَذَكَرْتُهَا ... فَإِنَّ مُقَامِي فِي جَنَابِكَ أَطْيَبُ
عَدَلْتُ إِلَيْكَ وَٱلْبِلَادُ رَحِيبَةٌ ... لِمُرْتَادِهَا (٢) لٰكِنَّ صَدْرَكَ أَرْحَبُ
فَهَلْ لَكَ فِي مَنْ لَا يَشِينُكَ قُرْبُهُ ... وَيَعْرِبُ (٣) إِنْ أَثْنَى عَلَيْكَ وَيُغْرِبُ
إِذَا صَاغَ مَدْحًا خِلْتَهُ مِنْ مُزَيْنَةٍ ... وَتَحْسَبُهُ مِنْ عُذْرَةٍ حِينَ يَنْسُبُ (٤)
قَوَافٍ هِيَ ٱلْخَمْرُ ٱلْحَلَالُ وَكَأْسُهَا ... لِسَانِي وَلٰكِنْ بِٱلْمَسَامِعِ تُشْرَبُ (٥)
يُحَلِّي بِهَا أَلْحَانَهُ كُلُّ مَنْ شَدَا ... وَتَحْلُو بِأَفْوَاهِ ٱلرُّوَاةِ وَتَعْذُبُ
إِذَا أُنْشِدَتْ ظَلَّ ٱلْحَسُودُ كَأَنَّهُ ... بِمَا ضُمِّنَتْ مِنْ بَارِعِ (٦) ٱلْحَمْدِ يُثْلَبُ
عَلَى ظَهْرِهِ وِقْرٌ وَفِي عَيْنِهِ قَذًى ... وَفِي سَمْعِهِ وَقْرٌ وَفِي فِيهِ إِثْلِبُ (٧)

---

(١) علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومرحب كنير يهودي قتله علي يوم خيبر .
(٢) لمن رامها (ل)
(٣) ويُغرب إن أثنى عليك ويُعرب (ل)
(٤) أي كان كزهير بن أبي سُلمى المزني المشهور بحسن مدحه ، وكجميل بن معمر العذري المشهور بحسن نسيبه .
(٥) يشرب (ع) و (م)
(٦) من بارع المدح (ل)
(٧) الأثلَبُ والإثلِبُ : فتات الحجار والتراب يقال : بفيه الأثلب ، وفي (ل) وفي فيه أتيب . وهو تصحيف .

أَخَفْتَ الزَّمَانَ وَهْوَ رَاضٍ مُسَلِّمٌ وَأَمَّنَهُ قَوْمٌ مَضَوْا وَهْوَ مُغْضَبُ
وَإِنَّكَ أَهْدَى النَّاسِ فِي طُرُقِ الْعُلَى سَمَا بِكَ دَسْتٌ أَوْ عَلَا بِكَ مَوْكِبُ
وَأَقْرَبُ مِنْ إِدْرَاكِ مَا تَعِدُ الْمُنَى عِدَاكَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ حَيْثُ تَغْرُبُ

٦

وقال يمدح (١) الأمير المؤيد معز الدولة ويهنيه بالتشريف الواصل إليه وتلقيبه مصطفى الملك (٢)

لَا زِلْتَ تَعْلُو وَإِنْ حُسَّادُكَ اكْتَأَبُوا أَوْ(٣) يَبْلُغَ الْحَظُّ مَا يَقْضِي بِهِ الْحَسَبُ
وَإِنْ يَكُنْ مَا بَلَغْتَ الْيَوْمَ مُذْهِلَهُمْ فَإِنَّهُ دُونَ مَا تَرْجُو وَتَرْتَقِبُ
تُعْلِي الْمَنَازِلُ قَوْمًا قَبْلَهَا خَمَلُوا وَأَنْتَ مَنْ لَمْ تَزَلْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ

---

(١) ورد عنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : « وقال أيضاً يمدح الأمير المؤيد لما وصله التشريف من الحضرة الطاهرة وأضيف إلى ألقابه «مصطفى الملك عدة الإمام وذلك في شهور سنة أربع وأربعين وأربع مئة» .

(٢) هو الأمير المؤيد معز الدولة عدة الإمام ذو الرئاستين مصطفى الملك أبو المكرم حيدرة بن الأمير عضب الدولة الحسين بن مفلح أمير دمشق من قبل المستنصر الفاطمي ، قدمها والياً عليها سنة (٤٤١) فمكث إلى سنة (٤٥٠) فعزل عنها ثم وليها دفعة ثانية سنة (٤٥٣) وصرف عنها سنة (٤٥٥) وكان حسن السيرة .
« ابن عساكر ٥/٢١ ابن القلانسي ٨٥ و ٩١ »

(٣) ويبلغ (ل)

إنْ لَمْ تَكُنْ لِلنُّجومِ النَّيِّراتِ أَخًا ... فَأَنْتَ غَيْرَ مُناوىً جارُها الجُنُبُ (١)
إنَّ الجلالَةَ مِنْ أفعالِكَ انتقلَتْ (٢) ... فإنْ خُصِصْتَ بأوْفاها فلا عَجَبُ
فَلْيَدْرِ مَنْ ظَلَّ مشْغوفًا بها عَلِقًا ... أنَّ النَّباهَةَ عِلْقٌ لَيْسَ يُغْتَصَبُ
فإنَّ دُونَ المعالي شُقَّةً بَعُدَتْ ... بها المَشَقَّةُ دُونَ الفَوْزِ (٣) والشُّجَبُ
لمّا اصْطَفاكَ لهُ (٤) المَلْكُ الأعزُّ حِمًى ... حَباكَ ما يَصْطَفي مِنها وَيَنْتَخِبُ
حِباءَ مَنْ يَهَبُ الدُّنْيا بأجْمَعِها (٥) ... ولا يُصادِفُ مُعْتَدًّا بِما يَهَبُ
وَمُذْ دَعاكَ إمـامُ العَصْرِ عُدَّتَهُ ... عادَتْ سِراعًا على أعْقابِها النُّوَبُ
وَقَوْلُهُ عُدَّتي دُونَ الوَرى صِفَةٌ ... وإنْ تَظَنَّى جَهولٌ أنَّهـا لَقَبُ
وَهَلْ تَحَلَّتْ رِياضٌ غِبَّ ماطِرَةٍ ... بِمِثْلِ ما حُلِّيتَ مِنْ وَصْفِكَ الكُتُبُ
أَعْظِمْ بِهـا كُتُبًا جاءَتْكَ حائِزَةً ... مَناقِبًا كَثُرَتْ ما حازَتِ الكُتَبُ (٦)
وَسَرْبَلَتْكَ ثَنـاءً جَلَّ مَوْقِعُهُ ... عَمًّا كَسَتْكَ ثِيابًا عَمَّها الذَّهَبُ
هٰذي تُعاوِدُ أَسْمالًا إذا ابْتُذِلَتْ ... حِينًا وَتِلْكَ على طُولِ المَدى قُشُبُ

---

(١) غير مناوىءٍ: أي غير معارَض . والجارُ الجُنُبُ : جارك من غير قومك .
(٢) ايتلفت (ل)
(٣) الفور ؟ (م)
(٤) لذا (ع) و (م)
(٥) بما جمعت (ل)
(٦) الكُتَبُ : جمع كُتْبَة ويريد بها السيور التي تضم ثقوب أوعية المتاع.

لَمَّا تَضايَقَ بِالْجَيْشِ الْفَضاءُ ضُحًى ... بَثَثْتَ في الْجَوِّ جَيْشاً مالَهُ لَجَبُ (١)

وَما رَأَيْنا سَماءً قَبْلَ يَوْمِكَ ذا ... في أُفْقِها الطَّيْرُ وَالْآسادُ تَصْطَحِبُ (٢)

غابٌ تَلُوحُ بِأَعْلاهُ ضَراغِمُهُ ... فَواغِراً أَبَداً لَمْ تَدْرِ ما السَّغَبُ (٣)

مُسْتَعْلِياتٌ لَها مِنْ فِضَّةٍ قَصَبٌ ... يُقِلُّها وَلَها مِنْ عَسْجَدٍ أُهُبُ (٤)

وَقَدْ أَظَلَّتْكَ لَمَّا سِرْتَ أَرْبَعَةٌ ... قَلْبُ الْغَزالَةِ إِعْظاماً لَها يَجِبُ

تَعْلُو بِأَقْرَبِها عَهْداً بِمَنْ شَرُفَتْ ... بِذِكْرِهِ سُوَرُ الْقُرْآنِ وَالْخُطَبُ (٥)

سَمَتْ إِلى حَيْثُ قَوْسُ الْمُزْنِ فَانْتَصَبَتْ (٦) ... بِبَعْضِهِ وَلَها مِنْ بَعْضِهِ عَذَبُ

وَتَسْتَقِلُّ (٧) بِماءٍ مالَهُ حَبَبٌ ... وَتَسْتَظِلُّ بِنارٍ ما لَها لَهَبُ

فَإِنْ بَدَتْ في سَوادِ النَّقْعِ طالِعَةً ... وَأَنْتَ وَابْناكَ قِيلَ السَّبْعَةُ الشُّهُبُ

كَأَنَّما التِّبْرُ بَحْرٌ فاضَ فَاغْتَرَفَتْ ... مِنْهُ الْكُسى وَالْعِتاقُ الْقُبُّ وَالْقُبَبُ

---

(١) اللجَبُ : كثرة أصوات الأبطال وصهيل الخيل .

(٢) تصطخب (ع) و (م)

(٣) ما الشغب (ع) و (م)

(٤) القَصَب : كل نبات يكون ساقه أنابيب وكعوباً وكل عظم مستد يرأجوف وكل ما اتخذ من فضة وغيرها . والعسجد : الذهب . والأُهب : جمع إهاب وهو الجلد . وفي (ل) ولها من عسجد ذهب ؟

(٥) لعله يريد بذلك تلقيبه بمصطفى الملك .

(٦) فاعتصمت (ع) و (م)

(٧) فتستقل (ع) و (م)

وَكُلُّ ماضٍ تَدينُ ٱلْمُرْهَفاتُ لَهُ ... تُجْنَى ٱلسَّلامَةُ مِنْ حَدَّيْهِ وَٱلْعَطَبُ

إِذا عَلاهُ نَجيعٌ فَوْقَ جَوْهَرِهِ ... في مَأْزِقٍ خِيلَ خَمْراً فَوْقَها (١) حَبَبُ

قَلَّدْتُمُوهـا عَلى عِلْمٍ بِأَنَّكُمُ ... ذَوُو ٱلْقُلُوبِ ٱلَّتي ما حَلَّها رُعُبُ

وَأَنَّكُمْ مُورِدُوها كُلَّ يَوْمِ وَغىً ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرِدَ ٱلْخَطِّيَّةُ ٱلسُّلُبُ

وَإِنْ تَقَلَّدْتُمُوهـا وَهْيَ ناصِلَةٌ ... فَإِنَّها مِنْ دَمِ ٱلْأَعْداءِ تَخْتَضِبُ

وَقَدْ فَرَغْتَ (٢) بِهٰذا ٱلدَّسْتِ مَنْزِلَةً ... نَصيبُ شانيكَ مِنْها ٱلْهَمُّ وَٱلتَّعَبُ

إِذا ٱلْمُلُوكُ إِلى لَذّاتِهـا جَنَحَتْ ... وَشارَكَ ٱلْجِدَّ في أَفْعالِها ٱللَّعِبُ

فَلَنْ تَزالَ (٣) بِجَسْمِ (٤) ٱلظُّلْمِ في شُغُلٍ ... عَمّا دَعاكَ إِلَيْهِ ٱلظَّلْمُ وَٱلشَّنَبُ (٥)

لَئِنْ غَضِبْتَ لِسَوْمِ ٱلْخَسْفِ حينَ رَضُوا ... لَقَدْ رَضيتَ بِحُكْمِ (٦) ٱلْجُرْدِ إِذْ غَضِبُوا

في دَوْلَةٍ بِكَ نالَتْ فَوْقَ بُغْيَتِهـا ... في مَنْ عَصى فَعَصا أَعْدائِها شُعَبُ

فَأَنْتَ مُعْتَزُّها وَأَبْناكَ مُنْجِبُهـا ... وَنَصْرُها وَلَكَ ٱلْعَضْبُ ٱلْهُمامُ أَبُ

---

(١) تحتها الحبب (ل)

(٢) فرعت ؟ (ع) و (م)

(٣) فلن تراك ؟ (م)

(٤) لحسم (ل)

(٥) الظَّلْمُ : ماء الأسنان وبريقها . والشَّنَبُ : ماء ورقة وبرد وعذوبة في الأسنان .

(٦) بحلم الجود (ع) و (م)

لَئِنْ أَفادَا عُلُوّاً فِي بِعـــادِهِمَا فَالْمِسْكُ (١) يَزْدادُ قَدْراً حِينَ يَغْتَرِبُ
لاَ يَطْمَعَنَّ نَبِيهٌ فِي مَكانِهِمَـــا فَمَا الْمَجَرَّةُ مِمَّنْ رَامَهَـا كَثَبُ
الْجَائِدَانِ إِذَا ما ضَنَّتِ السُّحُبُ وَالذَّائِدَانِ إِذَا ما كَلَّتِ الْقُضُبُ (٢)
بَنِي أَبِي صالِحٍ مازَالَ عِنْدَكُمُ مُذْ كُنْتُمُ الرَّغَبُ الْمَعْرُوفُ وَالرَّهَبُ (٣)
أَلَسْتُمُ مَعْشَراً يَنْأَىٰ إِذَا بَعُدُوا حُسْنُ الْفِعَالِ وَيَدْنُو كُلَّمَا قَرُبُوا
إِذَا وُجُوهُهُمُ بِالْعِثْيَرِ (٤) انْتَقَبَتْ بَدَا (٥) الْمَضَاءُ الَّذِي ما دُونَهُ نُقُبُ
طِبْتُمْ فَطابَ حَدِيثٌ تُوصَفُونَ بِهِ مُكَرَّراً ذِكْرُهُ ما كَرَّتِ الْحُقُبُ
وَالْمادِحُونَ عَلَى أَبْوابِكُمْ حِزَقاً (٦) لِقَوْلِ حُسَّادِكُمْ (٧) لِلْمادِحِ السَّلَبُ
تَسْمُو الْإِمَارَةُ إِذْ تُعْزَىٰ إِلَيْكَ كَمَا تَسْمُو تَمِيمُ بْنُ مُرٍّ حِينَ تَنْتَسِبُ (٨)
وَبَعْدَ بَيْتِ رَسُولِ اللّٰهِ ما فَخَرَتْ (٩) بِمِثْلِ بَيْتِكَ لا عُجْمٌ وَلا عَرَبُ

---

(١) فالمسك يعلو محلاً حين يغترب (ل)
(٢) هذا البيت ساقط من (ل) وعلى هامش (ع)
(٣) مذ كنتم الرعب والمعروف والرهب (ل)
(٤) العثير : التراب والعجاج .
(٥) بذ المضاء (ل)
(٦) الحِزَقُ : الجماعات .
(٧) لقول حاكم (ل)
(٧) بنو تميم بن مر : قبيلة عظيمة من العرب العدنانية .
(٩) ما افتخرت (ل)

بَيْتٌ لَهُ ٱلْعِزُّ أَرْضٌ وَٱلْإِباءُ سَماً وَٱلْبَاتِراتُ عِمادٌ وَٱلنَّدىٰ طُنُبُ
حَماهُ مِنْ دارِمٍ[١] في كُلِّ مُعْتَرَكٍ غُلْبٌ عَلَى ٱلْمَجْدِ وَٱلْعَلْياءِ قَدْ غَلَبوا
لَمَّا أَبَوْا دَرَّ أَخْلافِ ٱللِّقاحِ قِرىً باتَتْ لَدَيْهِمْ مِنَ ٱلْأَوْداجِ تُحْتَلَبُ
وَإِنْ غَنيتَ بِما أَثَّلْتَ[٢] مِنْ شَرَفٍ عَنْ ذِكْرِ ما أَثَّلَتْ آباؤُكَ ٱلنُّجُبُ
فَٱلْمَرْءُ[٣] إِنْ لَمْ تُقَدِّمْهُ مَآثِرُهُ لَمْ يُغْلِهِ نَسَبٌ زاكٍ وَلا نَشَبُ
أَمَا دِمَشْقُ فَقَدْ أَسْلَفْتَ نُصْرَتَها في سالِفِ ٱلدَّهْرِ إِذْ أَنْصارُها غُيُبُ
غابُوا[٤] بِأَسْرٍ وَقَتْلٍ وَٱنْتِجاعِ عِدىً وَأَنْتَ وَحْدَكَ فيها جَحْفَلٌ لَجِبُ
حامَيْتَ عَنْها مُحاماةَ ٱلْمَليكِ لَها فَهَلْ زَمانَكَ هٰذا كُنْتَ تَرْتَقِبُ
فَكُنْتَ[٥] أَبْعَدَ خَلْقِ ٱللّٰهِ مِنْ فَرَقٍ إِذا تَفارَقَتِ ٱلْأَسْيافُ وَٱلْقُرُبُ
كَمْ خُضْتَ مِنْ دُونِها ناراً مُضَرَّمَةً ماخاضَها مَنْ لَهُ في نَفْسِهِ أَرَبُ
وَكَمْ نَطَقْتَ بِفَصْلِ ٱلْقَوْلِ مُرْتَجِلاً وَٱلْبيضُ في قِمَمِ ٱلْأَبْطالِ تَصْطَحِبُ[٦]
فَمِنْ بَيانِكَ ماءُ ٱلْفَضْلِ مُنْهَمِرٌ وَمِنْ بَنانِكَ ماءُ ٱلْجُودِ مُنْسَكِبُ

---

(١) بنو دارم : بطن من تميم بن مر .
(٢) أَثْبَتَّ (ل)
(٣) والمرء (ل)
(٤) غابوا بقتل وأسر ... (ل)
(٥) وكنت (ل)
(٦) تصطحب (م)

وَالْمَجْدُ إِنْ كانَ في الأَقْوامِ مُكْتَسباً فَإِنَّهُ فيكَ مَوْلُودٌ وَمُكْتَسَبُ
سَطَوْتَ فَاسْتَصْغَرَ الأَنْجادُ(١) مَاقَهَرُوا وَجُدْتَ فَاسْتَنْزَرَ الأَجْوادُ مَا وَهَبُوا
مَكارِمٌ بَزَّتِ الرُّكْبانَ رَأْفَتَها بِالْيَعْمَلاتِ فَمَا تُثْنَى لَها رُكَبُ
وَصَيَّرَتْ قَصْرَكَ العافُونَ مَوْطِنَهُمْ إِذا(٢) مَضَتْ عُصَبٌ مِنْها أَتَتْ عُصَبُ
إِذا الْوَسائِلُ عِيفَتْ عِنْدَ مَنْ قَصَدُوا شَرِبْتَ مَا صَرَّفُوا مِنْها وَمَا قَطَبُوا(٣)
وَإِنْ أَتَتْكَ كُؤُوسُ الحَمْدِ مُتْرَعَةً لَمْ تَأْتِهِمْ نُخَبٌ مِنْهَا وَلاَ نُغَبُ(٤)
شَرُفْتَ نَفْساً فَأَحْسَنْتَ الخِيارَ لَهَا فَالْمالُ مُحْتَقَرٌ وَالْحَمْدُ مُحْتَقَبُ
وَلَسْتَ تَذْخَرُ مِمَّا أَنْتَ كَاسِبُهُ إِلاَّ كَمَا ذَخَرَتْ مِنْ مائِهَا السُّحُبُ
لَقَدْ أَتاحَ غِياثُ الْمُسْلِمِينَ(٥) لَهُمْ مِنْكَ الشِّفاءَ(٦) الَّذي ما بَعْدَهُ وَصَبُ
فَدامَ سُلْطانُ تاجِ الأَصْفِياءِ(٧) وَلاَ زالَتْ عَنِ الخَلْقِ ماخافُوا وَما رَغِبُوا

---

(١) الأمجاد (ع) و (م)

(٢) وإن مضت ... (ل)

(٣) صَرَفَ الشرابَ وصرَّفه : لم يمزجه . وقَطَبَهُ : مزجه .

(٤) النُّخَبُ جمعُ نُخْبة : وهي الشربة العظيمة . والنُّغَب جمع نُغْبة : وهي الجرعة .

(٥) غياث المسلمين : من ألقاب الوزير اليازوري (الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٤١)

(٦) في (م) الشتاء وهو تصحيف .

(٧) تاج الأصفيـــاء : من ألقاب الوزير اليازوري (الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٠)

يَدٌ لِمُعْتَرِّهَا مِنْ مَنْعِهَا حَرَمٌ(١) ... كَمَا لِمُعْتَرِّهَا مِنْ بَذْلِهَا نَشَبُ
نَوَالُهَا كَهَتُونِ الْغَيْثِ مُنْتَجَعٌ ... وَمَا حَمَتْ كَعَرِينِ اللَّيْثِ مُجْتَنَبُ
فَلاَ(٢) غَدَتْ نَائِبَاتُ الدَّهْرِ رَائِعَةً ... رَعِيَّةً كُشِفَتْ عَنْهَا بِكَ الْكُرَبُ
وَلاَ أَلَمَّ بِكَ الْمَكْرُوهُ فِي قَمَرٍ ... زَالَتْ بِمَطْلَعِهِ عَنْ قَلْبِكَ الرِّيَبُ
أَنَّى وَأَوْبَتُهُ لِلصَّوْمِ مُوجِبَةٌ ... وَوَجْهُهُ كَهِلاَلِ الْفِطْرِ مُرْتَقَبُ
وَمَا تَحَايَدْتُ عَنْ ظِلٍّ نَشَأْتُ بِهِ ... وَلاَ انْقَطَعْتُ لِأَنِّي عَنْكَ مُنْجَذِبُ
بَلْ شِئْتُ(٣) إِعْلاَمَ مَنْ تَنْدَى بِمَسْأَلَةٍ ... يَدَاهُ أَنَّ نَدَاكَ الْغَمْرَ يَقْتَضِبُ(٣)
جُودٌ هَرَبْتُ بِآمَالِي فَأَدْرَكَهَا ... فَالْحَمْدُ لِلّهِ(٤) إِذْ لَمْ يُنْجِنِي الْهَرَبُ
وَلَوْ أَفَضْتُ حَيَاتِي لِلثَّنَاءِ(٥) بِهِ ... لَمَا نَهَضْتُ بِمِعْشَارِ الَّذِي يَجِبُ
فَكُلُّ رَبِّ جَمِيلٍ جَرَّهُ سَبَبٌ ... فِدَاءُ بَادٍ بِنُعْمَى مَا لَهَا سَبَبُ
لَئِنْ عَنَّي صُرُوفَ الدَّهْرِ رَاغِمَةً ... أَنِّي عَلِقْتُ بِحَبْلٍ لَيْسَ يَنْقَضِبُ
وَقَدْ تَحَقَّقْتُ قِدْماً(٦) أَنَّ مَأْرُبَتِي ... تُقْضَى وَمَا عَضَّ فِيهَا غَارِباً قَتَبُ

(١) يد لمعترها من منعها حرس كما لمعترهم من بذلها شنب ؟ (ل) كالمعترها (م)
(٢) فلا عدت نائبات الدهر أربعه ؟ (ل)
(٣) بل شمت . . . مقتضب (ل)
(٤) فأحمد الله . . . (ل)
(٥) في الثناء به (ل)
(٦) علماً (ل)

فَٱنْظُرْ لِمَنْ مَالَهُ فِي ٱلْحِرْصِ مُضْطَرَبٌ   نَزَاهَةً وَلَهُ فِي ٱلْأَرْضِ مُضْطَرَبُ
لِمُصْعَبٍ يَطَّبِيهِ ٱلْعِزُّ يُحْرِزُهُ   وَٱلْخِصْمُ يُعْجِزُهُ لَا ٱلْمَاءُ وَٱلْعُشُبُ
إِنِّي إِذَا شِئْتُ أَنْ يَرْتَاحَ ذُو كَرَمٍ   أَدَرْتُ رَاحاً أَبُوهَا ٱلْفِكْرُ لَا ٱلْعِنَبُ
وَلَا ٱعْتِدَادَ بِمَا أَهْدَيْتُ (١) مِنْ مِدَحٍ   وَإِنْ تَخَيَّرَهَا حُبُّكَ وَٱلْأَدَبُ
إِنَّ ٱلْفَعَالَ (٢) ٱلَّذِي مَا شَابَهُ كَدَرٌ   شَادَ ٱلْمَقَالَ ٱلَّذِي مَا شَابَهُ كَذِبُ

٧

وقال (٣) يمدح عز الملوك سابق بن محمود بن صالح (٤)

بِكَ ٱقْتَضَى ٱلدِّينُ (٥) دَيْناً كَانَ قَدْ وَجَبَا   وَأَنْجَزَ ٱللهُ وَعْداً كَانَ مُرْتَقَبَا

---

(١) بما أوليت (ل)
(٢) الفَعال بالفتح : اسم للفعل الحسن والكرم .
(٣) محل هذه القصيدة في (ل) مختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي : (وقال أيضاً يمدح الأمير عز الملوك سابق بن محمود ويهنيه بقتل تركان الغُزّي ورجوع ابن العادل عن حلب) والمراد بابن العادل تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان الملقب بالملك العادل الذي نازل حلب في ٣ ذي القعدة سنة ٤٧١ . وتركان الغُزّي من أمراء خراسان كان مع عسكره حليفاً لتاج الدولة تتش كما في زبدة الحلب لابن العديم .
(٤) هو سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي آخر الأمراء المرداسيين في حلب . تولاها سنة (٤٦٨) بعد ان قتل التركمان اخاه نصراً . وفي سنة (٤٧٢) استولى مسلم بن قريش العُقيلي على حلب وحُصر سابق في قلعتها ثم استسلم وانقرضت باستسلامه دولة آبائه . توفي في حدود سنة (٤٨٠) .
(٥) الدين دين (م)

فَعاوَدَ الجَدْبُ خِصْباً وَالمُباحُ حِمًى   وَالأَمْنُ مُسْتَوْطِناً وَالخَوْفُ مُغْتَرِبا
أَنارَ رَأْيُكَ وَالأَيّامُ داجِيَةٌ   فَأَشْرَقَتْ وَجَلا تَأْثِيرُكَ الكُرَبا
قَرَنْتَ نُوراً وَتَأْثِيراً (١) بِمَنْزِلَةٍ   لا تُرْتَقى فَتَمَنَّتْ (٢) السَّبْعَةُ الشُّهُبا
ذُدْتَ الأُلى قَهَرُوا الأَمْلاكَ وَانْتَزَعُوا   ما اسْتَحْقَبَتْهُ بِأَطْرافِ القَنا حُقُبا
ضَراغِمٌ تَفْرِسُ (٣) الأَبْطالَ شَرَّدَها   عَمّا أَرادَتْ هِزَبْرٌ يَفْرِسُ النُّوَبا
لَقَدْ حَمَى مُلْبِداً أَكْنافَ غابَتِهِ   فَما تَظُنُّ بِهِ الأَعْداءُ لَوْ وَثَبا
جَذَّ الرِّقابَ وَما إِنْ سَلَّ صارِمَهُ   وَاسْتَنْزَلَ الخَطْبَ مَقْهُوراً (٤) وَما رَكِبا
وَأَمَّنَ النّاسَ ما خافُوهُ مِنْ فِتَنٍ   ضاقَ الزَّمانُ بِأَدْناها وَإِنْ (٥) رَحُبا
لَمْ تُغْنِ فِيها (٦) عَنِ المُثْرِينَ ثَرْوَتُهُمْ   بَلْ ذُو الحُلَيْلَةِ مِنْهُمْ يَحْسُدُ العَزَبا
فَكَيْفَ كَشَّفْتَ مَحْجُوباً حَنادِسَها   وَالبَدْرُ لا يَكْشِفُ الظَّلْماءَ مُحْتَجِبا
وَلَوْ يَكُونُونَ أَكْفاءً بَرَزْتَ لَهُمْ   بُرُوزَ جَدِّكَ لَمّا نَكَّسَ الصُّلُبا
لٰكِنْ قَعَدْتَ وَأَغْرَيْتَ الخُطُوبَ بِهِمْ   مُذَلَّلاً مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ ما صَعُبا
فِي أَيِّ يَوْمِ نِزالٍ حارَبُوكَ فَما   دارَتْ كُؤُوسُ المَنايا فِيهِمُ نُخَبا

---

(١) بتأثير (ل)
(٢) فسمقت (ل)
(٣) يفرس (ع) و (م)
(٤) مقصوراً (ع) و (م)
(٥) وما رحبا (ل)
(٦) فيهم (ل)

حَتّى مَضى مُلكُهُم يَشكو وَغىً بَلَغَت ... فيهِ رِضاكَ وَلَم (١) يَبلُغ بِها أَرَبا
شَكوى الجَريحِ الَّذي أَعيَت سَلامَتُهُ ... لا مِثلَ ما يَتَشَكّى الغارِبُ القَتَبا
وَما نَجا تُركُمانُ إِذ نَدَبتَ لَهُ ... مِن عامِرٍ عُصَباً أَعزِز بِها عُصَبا (٢)
وَلَو تَمَهَّلَ مُرديهِ أَتوكَ بِهِ ... إِتيانَ جِنِّ سُلَيمانٍ بِعَرشِ سَبا (٣)
وَافى بِلادَكَ مُغتَرّاً بِمالِكِها ... جَهلاً وَحَيناً فَلاقى دونَها العَطَبا
وَكانَتِ التُركُ بِالأَعرابِ جاهِلَةً ... حَتّى أُتيحَت لَها أَن تَعرِفَ العَرَبا
لاقَوهُمُ بِرِماحٍ طالَما انحَطَمَت ... وَاستَخلَفَت (٤) في العِدى الهِندِيَّةَ القُضُبا
وَما ثَناها وَإِن أَغمادُها (٥) خَلِقَت ... صَوارِمٌ حُلِّيَت أَغمادُها ذَهَبا
جَحافِلٌ قَيَّضَ اللَهُ البَوارَ لَها ... مَن نَكَّبَ الحَقَّ في أَحكامِهِ (٦) نُكِبا
وَلَم يَفُت مِنهُمُ إِلّا أُغَيلِمَةٌ ... نَجَت بِهِم مُقرَباتٌ تَحمِلُ الأُرَبا (٧)

---

(١) ولم تبلغ به أربا (ع) و (م)

(٢) تركمان : انظر الحاشية(٣) ص(٥٠) وعامر بن صعصعة جد بني كلاب قبيلة الممدوح .

(٣) عرش بلقيس ملكة سبأ وقصتها مع سليمان عليه السلام مشهورة .

(٤) واستلحقت (ع) و (م)

(٥) أعمادها (م)

(٦) أحكامها ؟ (م)

(٧) الأُرَب : جمع أُربة وهي قلادة الدابة في لغة طيء ،وأخية الدابة وذلك كقول حسان بن ثابت : « ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرّة ولجام » وإذا قرئت (الأربا) بفتح الهمزة فمعناه الإياس كما في لسان العرب ، قال : أرب الرجل أرباً : أيس . ولكنها وردت في تاج العروس : أنس لا أيس . وتصحفت الكلمة في (ل) الى (الأدبا)

تَنْعَى إلى ٱلقَوْمِ مَنْ ظَنُّوا بِعَقْدَمِهِ ... وَٱلْبَغْيُ مَصْرَعُهُ أَنْ يَمْلِكُوا حَلَبا
غُرابُ بَيْنٍ صَمُوتٌ قَبْلَ مَقْتَلِهِ ... حَتَّىٰ إذا ما أَتاهُ حَيْنُهُ[١] نَعَبا
رَجَوْا بِهِ ٱلْغَايَةَ ٱلْقُصْوَىٰ فَلاعَجَبٌ ... أَنِ ٱسْتَطارَتْ عَصاهُمْ بَعْدَهُ[٢] شُعَبا
كَأَنَّ أَنْفُسَهُمْ أَتْباعُ مُهْجَتِهِ ... وَصِدْقَ إقْدامِهِمْ مِنْ بَعْضِ ما سُلِبا
وَٱلنَّارُ تَخْبُو إذَا ما غابَ مُوقِدُها ... وَٱلزَّنْدُ إنْ لَمْ يُعِنْهُ ٱلقادِحُونَ كَبا
فَلْيَتْرُكِ[٣] ٱلبَأْسَ لِلْأَوْلَى بِنِسْبَتِهِ ... فَٱلْبَأْسُ لاشَكَّ كَعْبِيٌّ إذا ٱنْتَسَبا[٤]
إنْ ضَيَّعوا ٱلْحَزْمَ لَمَّا نازَلُوا حَلَبا ... فَقَدْ أَصابُوهُ لَمَّا أَزْمَعُوا هَرَبا
غَداةَ وَلَّوْا عَلَى جُرْدٍ تَشُدُّ بِهِمْ ... وَهُمْ يَظُنُّونَ خَوْفًا شَدَّها خَبَبا
عَنْ هَيْبَةٍ لَكَ لَمْ تُؤْمَنْ بَوائِقُها ... لَوْ أَنَّها في ٱلزُّلالِ ٱلْعَذْبِ ما شُرِبا
دُونَ ٱلْغَنِيمَةِ أَهْوالٌ تُكَدِّرُها ... وَفي ٱلْهَزِيمَةِ مَنْجاةٌ لِمَنْ هَرَبا[٥]
طَوْدٌ مِنَ ٱلعِزِّ مازالَتْ تَهُبُّ بِهِ ... رِياحُ عَزْمِكَ حَتَّىٰ صَيَّرَتْهُ هَبا
سَمَوْا إلىٰ مُرْتَقًى صَعْبٍ فَعاقَهُمُ ... جِدٌّ رَأَوْا جِدَّهُمْ في جَنْبِهِ لَعِبا

(١) حتفه (ل)
(٢) بعدها (ع) و (م)
(٣) فليتركوا البأس ... (ل)
(٤) كعبي : منسوب الى كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب من أجداد الممدوح.
(٥) مكان هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .

وَالنَّجْمُ (١) لَيْسَ بِمُغْنٍ نَجْمَ صَاحِبِهِ ما لَمْ (٢) يُؤَيِّدْهُ جِدٌّ يَخْرِقُ الْحُجُبا
جَمَاعَةٌ (٣) عَدِمَتْ دُنْيا وَآخِرَةً ما كُلُّ مَنْ ساءَ مَحْيًا ساءَ مُنْقَلَبا
وَحَيْثُ (٤) حَلَّتْ فَما تَنْفَكُّ تَطْرُقُها جَيْشًا مِنَ الرُّعْبِ لَمْ تَسْمَعْ لَهُ لَجَبا
كَفَفْتَ عَنْهُمْ وَلَوْ شِئْتَ اجْتِياحَهُمُ لَمْ تَتْرُكْ مِنْهُمُ رَأْسًا وَلا ذَنَبا
فَهَلْ تَعَمَّدْتَ بُقْيا أُمَّةٍ شَهِدَتْ ثَباتَ جَأْشِكَ حَتَّى تُنْذِرَ (٥) الْغِيَبا
إِنْ أَقْلَعَتْ غِيَرُ الْأَيَّامِ راغِمَةً فَبَعْدَ أَنْ أَكْثَرَتْ (٦) مِنْ صَبْرِكَ الْعَجَبا
لَمْ يَطْرُقُوا الشَّامَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَمَعُوا مِنَ الْعَشِيرَةِ مُخْتاراً وَمُقْتَضَبا
مَكايِدٌ أَوْهَمَتْهُمْ أَنْ تُكادَ بِها كانَتْ لِأَسادِهِمْ عِنْدَ النِّزالِ زُبا
وَنارُ حَرْبٍ شَوَوْا فِيها الْوَرَى زَمَنًا فَحِينَ قارَعْتَهُمْ صارُوا لَها حَطَبا
بِأَيِّمَا سَبَبٍ تَخْشَى سَعادَتُهُمْ أَنَّى وَقَدْ (٧) ذَهَبَتْ فِي ضِمْنِ ماذَهَبا
أَبِالسُّيُوفِ الَّتِي فَلَّلْتَ قاطِعَها أَمْ بِالْقُلُوبِ الَّتِي أَسْكَنْتَها الرُّعُبا

---

(١) والجد . . . (كما في هامش ع و م)
(٢) إن لم (ل)
(٣) جمائع (ع) و (ل)
(٤) وحيث حلت فما ينفك يطردهم جيش . . . (ل)
(٥) حتى ينذر ؟ (ع) و (م) . والغَيَبُ : جمع غائب .
(٦) كثّرت (ل)
(٧) ولو ذهبت (ع) و (م)

لَوْلَا كِلَابٌ (١) لَمَا جَاسَتْ (٢) جُيُوشُهُمُ — هٰذِي الْبِلَادَ وَلَا (٣) مَدُّوا بِهَا طُنُبَا
رَامُوا الْمَوَدَّاتِ مِنْ أَعْدَى عُدَاتِهِمُ (٤) — وَذَاكَ رَأْيٌ إِلَىٰ غَيْرِ الصَّوَابِ صَبَا
فَقَارَعُوا (٥) عَارِضًا عَمَّتْ مَوَاطِرُهُ — وَيَمَّمُوا لَمْعَ بَرْقٍ طَالَمَا كَذَبَا
كَطَارِدٍ إِبْلَهُ وَالْأَرْضُ مُخْصِبَةٌ — يَبْغِي سِبَاخًا يُرَجِّي عِنْدَهَا الْعُشُبَا
حَتَّىٰ إِذَا كَذَبَتْ فِيهِمْ ظُنُونُهُمُ — فَاؤُوا إِلَيْكَ بِظَنٍّ جَانَبَ الْكَذِبَا
فَرَدَّ قُرْبُكَ عِزًّا كَانَ مُنْتَزَحًا — عَنْهُمْ وَأَطْلَعَ نَجْمًا كَانَ قَدْ غَرَبَا
حَلُّوا بِهِ الذِّرْوَةَ الْعُلْيَا وَعَاضَهُمُ — مِنَ النُّبُوِّ مَضَاءً وَالْوِهَادِ رُبَا
وَصَادَفُوا وَلَدًا بَرًّا بِكَهْلِهِمُ — وَلِلْمُرَاهِقِ مِنْهُمْ وَالِدًا حَدِبَا (٦)
مَنْ يُجْزِلُ الْعُرْفَ إِذْ يَرْجُونَهُ رَغَبًا — وَيَبْذُلُ الْعَفْوَ إِذْ يَخْشَوْنَهُ رَهَبَا
إِذَا وَحَى (٧) الْحِقْدُ وَالشَّحْنَاءُ مَا اجْتَرَمُوا — مَحَا تَجَاوُزُهُ وَالصَّفْحُ مَا كَتَبَا
وَإِنْ سَطَا فَالْمَنَايَا بَعْضُ أَسْهُمِهِ — وَإِنْ عَفَا خِلْتَهُ لَا يَعْرِفُ الْغَضَبَا
مَنْ رَدَّ مَيْتَ الْمُنَىٰ حَيًّا وَذَاوِيَهَا — غَضًّا وَلَاءَمَ شَعْبَ الْمُلْكِ فَانْشَعَبَا

---

(١) كلاب : انظر الحاشية رقم (٦) ص(٥)
(٢) في جميع النسخ : لما جاشت . وهو تصحيف .
(٣) فلا مدوا لها طنبا (ع) و (م)
(٤) من أعدى عدوهم (ع) و (م)
(٥) وقارعوا (ل)
(٦) هذا البيت ساقط من (ع) و (م)
(٧) وحى : كتب .

رَبُّ ٱلْعَزَائِمِ لَوْ كَانَتْ مُجَسَّمَةً لَظَنَّهَا كُلُّ طَرْفٍ نَاظِرٍ شُهُبَا
تَزْدَادُ إِنْ قَصَّرَ ٱلْخَطِّيُّ عَنْ غَرَضٍ طُولاً وَتَمْضِي إِذَا حَدُّ ٱلْحُسَامِ نَبَا
حَلَّ ٱلسِّمَاكَ وَمَا حُلَّتْ تَمَائِمُهُ عَنْ جِيدِهِ وَحَبَا ٱلْعَافِينَ مُنْذُ حَبَا
إِنْ صَالَ كَفَّ ٱللَّيَالِي عَنْ إِرَادَتِهَا قَهْراً وَإِنْ قَالَ طَالَ ٱلْأَلْسُنَ ٱلذُّرُبَا
حَوَىٰ مِنَ ٱلْفَضْلِ مَوْلُوداً بِلَا تَعَبٍ أَضْعَافَ مَا أَعْجَزَ ٱلطُّلَّابَ مُكْتَسَبَا
صَغَا إِلَيْهِ إِلَىٰ أَنْ صَارَ(١) مَوْطِنَهُ فَلَوْ عَدَاهُ وَلَنْ يَعْدُوهُ مَا ٱغْتَرَبَا
وَأَظْهَرَتْ(٢) غَامِضَ ٱلْمَعْنَىٰ بَدِيهَتُهُ فَفَاتَ مَنْ أَتْعَبَ ٱلْأَفْكَارَ مُقْتَضِبَا
وَرَاءَكَ ٱلْخَلْقُ فِي فَضْلٍ وَفِي كَرَمٍ فَقُلْ لِسَعْيِكَ مَهْلاً تَرْبَحِ ٱلتَّعَبَا(٣)
وَقِفْ لِذَا ٱلْأَمَدِ ٱلْأَقْصَىٰ فَإِنَّكَ مَنْ حَوَىٰ مِنَ ٱلْمَجْدِ أَضْعَافَ ٱلَّذِي طَلَبَا
مَجْدٌ تَفَرَّدْتَ يَا عِزَّ ٱلْمُلُوكِ بِهِ لِلْحَمْدِ مُجْتَنِياً لِلذَّمِّ مُجْتَنِبَا
إِنَّ ٱلْإِلٰهَ حَبَاكَ ٱلْمُلْكَ مَوْهِبَةً مِنْهُ وَلَنْ يَسْتَرِدَّ ٱللّٰهُ مَا وَهَبَا(٤)
إِنْ عَنَّ ذِكْرُكَ فِي بَدْوٍ وَفِي حَضَرٍ فَدَأْبُهُمْ غَضُّ أَبْصَارٍ وَفَضُّ حُبَا
فَأَذْعَنَ ٱلدَّهْرُ حَتَّىٰ مَا أَتَيْتَ أَتَىٰ وَمَا أَبَيْتَ وَإِنْ سِيئَتْ عِدَاكَ أَبَا
إِنِّي أَنَخْتُ رِكَابِي فِي ذَرَىٰ مَلِكٍ لَمْ يُبْقِ لِي فِي بِلَادِ ٱللّٰهِ مُضْطَرَبَا

(١) طال ؟ (ل)
(٢) فأظهرت (ل)
(٣) النصبا (ل)
(٤) ورد هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .

مَا شَابَ إنْعامَهُ مَنٌّ وَلا عِدَةٌ(١) تَجُرُّ مَطْلاً فَلَوْلا ٱلْبِشْرُ ما قَطَبا
طَلْقُ ٱلْمُحَيَّا إذا ما زُرْتَ مَجْلِسَهُ حُزْتَ ٱلْعُلى وَٱلْغِنى وَٱلْجاهَ وَٱلْأَدَبا
ما زالَ يَسْمَعُ أَشْعاري وَيَمْدَحُها حَتّى عَدَدْتُ عَطاياهُ ٱلْجِسامَ رِبا
لا أَسْتَزيدُكَ نُعْمى بَعْدَ وَصْفِكَ لي حَسْبي ٱنْتِهائي إلى هٰذا ٱلْمَدى حَسَبا
بَرَحْتَ(٢) فَضْلاً وَإفْضالاً فَلا بَرِحَتْ تَزِينُ أَوْصافُكَ ٱلْأَشْعارَ وَٱلْخُطَبا
فَخْرُ ٱلْمَدائِحِ أَنْ تُهْدى إلَيْكَ كَما فَخْرُ ٱلْفَضائِلِ أَنْ تُدْعى لَهُنَّ أَبا

٨

وقال(٣) يمدح أمير الجيوش الدِّزْبِري(٤)

هَلْ لِلْخَليطِ ٱلْمُسْتَقِلِّ إيابُ أَمْ هَلْ لِأَيّامٍ مَضَتْ أَعْقابُ(٥)

---

(١) ولا كدر يجر مطلا ... (ل)

(٢) كذا في جميع النسخ ولعله أبرحت يقال أبرحت كرماً إذا جئت بأمر مفرط . وفي مختارات البارودي (برعت) ٢/٤٠٥ .

(٣) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يأتي : (وقال أيضاً يمدح أمير الجيوش مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدزبري رحمه الله ويذكر فتحه للأقحوانة)

(٤) انظر ترجمته في الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٥) ورد في النجوم الزاهرة ٤/٢٥٢ ما خلاصته : « في سنة ٤٢٠ خرج على الظاهر بالبلاد الشامية صالح بن مرداس الكلابي وحسّان بن المفرّج الطائي وجمعا الجموع واستوليا على الأعمال وانتهيا إلى غزة ، فجهز الظاهر لحربهما أنوشتكين الدزبري ، فقتل صالح وانهزم حسان . ومدح ابن حيوس بسبب هذه الواقعة الدزبري بأبيات أولها : هل للخليط المستقل إيابُ ... »

سَرَتِ ٱلنَّوائِبُ عَنْكَ رَوْنَقَ مَنْ سَرَى ... وَٱسْتَحْقَبَتْ لَذَّاتِكَ ٱلْأَحْقَابُ
مَا بَالُ طَيْفِ ٱلْمَالِكِيَّةِ مُعْرِضاً ... وَلَقَدْ عَهِدْنَا طَيْفَهَا يَنْتَابُ
أَلِرِقْبَةِ ٱلْوَاشِينَ أَوْجَسَ رِيبَةً ... فَٱرْتَاعَ أَمْ بِوِدَادِنَا يَرْتَابُ
يَا مَيُّ هَلْ لِدُنُوِّ دَارِكِ رَجْعَةٌ ... أَمْ لِلْعِتَابِ لَدَيْكُمُ إِعْتَابُ
لَا أَرْتَجِي يَوْماً سُلُوّاً عَنْكُمُ ... هَيْهَاتَ سُدَّتْ دُونَهُ ٱلْأَبْوَابُ
أَوْصَابُ جِسْمِي مِنْ جِنَايَةِ بُعْدِكُمْ ... وَٱلصَّبْرُ صَبْرٌ بَعْدَكُمْ أَوْ صَابُ
دَامَتْ سَحَابَةُ تَحْتَ ظِلٍّ سَحَابَةٍ ... وَجَرَى عَلَى دَارِ ٱلرَّبَابِ رَبَابُ (١)
وَسَقَى بِقَاعَ ٱلْجُونِ جَوْنٌ مُرْزِمٌ ... مَا لِلذِّهَابِ ٱلْغُمْرِ عَنْهُ ذَهَابُ (٢)
فَلَقَدْ عَهِدْتُ بِهَا مَعَاهِدَ لِلصِّبَا ... مَأْهُولَةً تَحْتَلُّهَا ٱلْأَحْبَابُ
وَأَمَا وَمَا عَهِدُوا إِلَيْنَا إِنَّهُ ... عَهْدٌ يُحَقُّ لِحَقِّهِ ٱلْإِيجَابُ (٣)
لَا خَامَرَ ٱلسُّلْوَانُ قَلْبَ مُتَيَّمٍ ... هَاجَتْ لَهُ فِي إِثْرِهِمْ أَطْرَابُ
كَأْسٌ مِنَ ٱلْأَسْقَامِ جُرِّعَ لِلنَّوَى ... كَأْسًا لَهَا رِيقُ ٱلْحُبَابِ حَبَابُ (٤)

---

(١) لعل سحابة الأولى علم لامرأة أو مكان . الرّباب الأولى : من أسمائهن . والثانية السحاب الأبيض .

(٢) المراد بالجـون السحاب الأسود . والمرزم : الشديد الصوت : والذهاب : الأمطار الغزار .

(٣) هذا البيت ساقط من (ل)

(٤) الحُباب : الحية . والحَباب نُفّاخات تعلو الماء .

وَتعاوَرَتْهُ نَوائِبٌ بِنُيوبِها ... إنْ كلَّ نابٌ نابَ عَنْهُ نابُ
جَابَ الْفيَافِي الْمُؤْيِدَاتِ وَآلُهُ ... آلٌ تَمَكَّنَ (١) فِيهِ قَلْبٌ جابُ
قَصَرَ الزَّمَانُ يَدِي وَطَالَتْ هِمَّتِي ... فَالْعَزْمُ لِي دُونَ الرِّكَابِ رِكَابُ
لَمْ أُكْثِرِ الْإِضْرابَ عَنْ تَرْكِ الْعُلَى ... إلاَّ لِيَقْعُدَ دُونِيَ الْأَضْرَابُ
لا أَيْأَسُ الْإِتْرَابَ مُذْ (٢) نَطَقَتْ بِهِ ... عِنْدَ الْمُظَفَّرِ أَنْعُمٌ أَتْرَابُ
مَلِكٌ إذَا مَا الْجَوْدُ غَبَّ هُمُولُهُ ... فَلَدَيْهِ جُودٌ مَالَهُ إِغْبَابُ
سَهُلَتْ خَلائِقُهُ لِبَاغِي نَيْلِهِ ... لٰكِنَّهُنَّ عَلَى الْعَدُوِّ صِعَابُ
تُمْضَى الْوَسَائِلُ فِي ذَرَاهُ لِطَالِبِ الْ ... جَدْوَى وَتُقْضَى عِنْدَهُ الْآرَابُ
بِشْرٌ يُبَشِّرُ مَنْ يَرُومُ نَوَالَهُ ... وَالْبِشْرُ مِنْ قَبْلِ الثَّوَابِ ثَوَابُ
تُرْجَى مَوَاهِبُهُ وَيُضْحِي (٣) خَوْفُهُ ... وَلَهُ بِأَلْبَابِ الْوَرَى (٤) إِلْبَابُ (٥)
مُتَبَايِنُ الْأَوْصَافِ أَمَّا عِرْضُهُ ... فَحِمًى وَأَمَّا مَالُهُ فَنِهَابُ
غَدَتِ الْأَمَانِي وَالْمَنُونُ بِكَفِّهِ ... فَالْأَرْيُ (٦) فِيهَا بِالسِّمَامِ يُشَابُ

---

(١) تكمن (ل) . الفيافي المؤيدات أي ذوات الدواهي . وآلُهُ : أي شخصه . آلٌ : أي ضامر . وقلب جاب : أي جاف غليظ .

(٢) قد نطقت به (ل)

(٣) ويخشى . هامش (ع) و (م)

(٤) العدى (ل)

(٥) ألَبَّ بالمكان إلباباً : أقام به .

(٦) والأري (ل)

يُقْنِي وَيُفْنِي وَعْدُهُ وَوَعِيدُهُ ... هٰـذا جَنىً عَذْبٌ وَذاكَ عَذابُ

وَإِذا يُهابُ الْخَطْبُ عِنْدَ حُلُولِهِ ... فَبِهِ لِدَفْعِ النّائِباتِ يُهابُ(١)

سالٍ عَنِ الْبِيضِ الْحِسانِ فَما لَهُ ... إِلاَّ هَوى الْبِيضِ الْقَواضِبِ(٢) دابُ

لَيْثٌ(٣) أَظافِرُهُ الأَسِنَّةُ وَالْقَنا ... عِرِّيسُهُ وَلَهُ الظُّبى أَنْيابُ

إِنْ بانَ بانَ الْمَوْتُ في نَظَراتِهِ(٤) ... أَوْ غابَ فَالسُّمْرُ الشَّواجِرُ غابُ

خِرْقٌ إِذا كَتَبَتْ إِلَيْهِ كَتِيبَةٌ ... مَرَقَتْ فَلَيْسَ سِوى السُّيُوفِ جَوابُ

وَإِذا حَمى الأَصْحابُ نَفْسَ مُمَلَّكٍ ... فَبِسَيْفِهِ(٥) يَسْتَعْصِمُ الأَصْحابُ

بِفَتى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسَيْفِهِ ... عَمِرَتْ بِلادُ اللّهِ وَهْيَ خَرابُ

نَزَلَتْ كِلابٌ بِالْجِنابِ وَأَتْهَمَتْ ... طَيٌّ وَعَزَّتْ في ذَراهُ جَنابُ(٦)

وَلِمُصْطَفى الْمُلْكِ اعْتِزامُ(٧) الْمُصْطَفى ... لَمّا أَحاطَ بِيَثْرِبَ(٨) الأَحْزابُ

---

(١) يُهاب الأولى : من الهيبة أي الخشية . ويُهاب الثانيـة : من أهاب به إهابة أي دعاه .

(٢) في هامش (ع) و (م) القواطر . وفي (ل) الـكواطع محرفة عن القواطع .

(٣) ليث ولـكنّ القنا يوم الوغى ... (ل)

(٤) نظراته (ل)

(٥) فبيأسه ... (ل)

(٦) كلاب وطيء وجناب : قبائل عربية .

(٧) اغترام (م)

(٨) يثرب : المدينة المنورة . ويوم الأحزاب : هو غزوة الخندق .

فَتْحانِ يَوْمَ ٱلْأَرْبعاء كِلاهُما لِلْكُفْرِ عَنْ حَرَمِ ٱلْهُدٰى إِذْهابُ
يَوْمانِ لِلْإِسْلامِ عَزَّ لَدَيْهِما دِينُ ٱلْإِلٰـهِ وَذَلَّتِ ٱلْأَعْرابُ
ذا لِلنَّبِيِّ وَذا لِمُنْتَجَبِ ٱبْنِهِ رَدّا مَشيبَ ٱلْحَقِّ وَهْوَ شَبابُ
وَصَلَتْ عِداتُكَ لِلْإِمامِ بِصِدْقِها فَتَقَطَّعَتْ بِعُداتِكَ ٱلْأَسْبابُ
وَدَعاكَ عُدَّتَهُ فَكُنْتَ ذَخيرَةً يُنْفى بِها ضَيْمٌ وَيُدْفَعُ[1] عابُ
أَلْهَيْتَ عَنْ يَوْمِ ٱلْكُلابِ[2] بِوَقْعَةٍ شَقِيَتْ بِها عِنْدَ ٱللِّقاءِ كِلابُ
وَرُمُوا بِداهِيَةٍ لِبَكْرٍ عِنْدَها بِكْرُ ٱلْخُطُوبِ وَلِلضِّبابِ ضِبابُ[3]
طَلَبُوا ٱلْعِقابَ لِيَسْلَمُوا بِنُفُوسِهِمْ فَٱبْتَزَّهُمْ دُونَ ٱلْعِقابِ عُقابُ
وَٱسْتَشْعَرُوا نَصْراً فَكانَ عَلَيْهِمُ وَتَقَطَّعَتْ دُونَ ٱلْمُرادِ رِقابُ
كانُوا حَديداً في ٱلْوَغٰى لٰكِنَّهُمْ لَمّا ٱصْطَلَوْا[4] نارَ ٱلْمُظَفَّرِ ذابُوا
نارٌ تُنيرُ لِطارِقيهِ عَلَى ٱلنَّدٰى[5] وَشَرارُها عِنْدَ ٱلْحُرُوبِ حِرابُ
لَمْ يَبْلُغِ ٱلْآرابَ فيكَ مَعاشِرٌ أَجْسامُهُمْ غِبَّ ٱلْوَغٰى آرابُ[6]

---

(١) في (ل) ويُقْدَع . محرفة عن ويُقْدَع أي ويُدْفَع .
(٢) يوم الكُلاب من أيام العرب المشهورة كان بين ملوك كندة وبني تميم.
(٣) بَكر والضِّباب : قبيلتان عربيتان . وضِباب الثانية : الأحقاد .
(٤) لما رأوا ... (ل)
(٥) على السرى (ل)
(٦) آراب الأولى : جمع أرَب أي الحاجة . والثانية : أعضاء أي صارت أجسامهم أشلاء .

فَلُحُومُهُمْ لِلْحَائِمَاتِ مَطَاعِمٌ وَدِماؤُهُمْ لِلْمُرْهَفَاتِ شَرَابُ
وَحُمَاتُهُمْ قَتْلَىٰ وَجُلُّ مَتَاعِهِمْ نَهْبٌ وَكُلُّ سِلاحِهِمْ أَسْلابُ
فِي مَأْزِقٍ تُجْرِي الْقَنَا فِيهِ قَنًى حُمْراً (١) لَهَا مُهَجُ الْكُمَاةِ عِذَابُ (٢)
كَاللَّيْلِ لَا بَرْقُ الْأَسِنَّةِ خُلَّبٌ فِيهِ وَلَا لَمْعُ النُّصُولِ سَرَابُ
وَتَمَاطَرَتْ خَيْلُ اللِّقَاءِ كَأَنَّهَا غَيْثٌ تَصَوَّبَ وَالْقَتَامُ سَحَابُ
لَمْ يَبْدُ لِلْأَعْدَاءِ إِلَّا عَسْكَرٌ أَوْ عِثْيَرٌ عَنْ (٣) عَسْكَرٍ مُنْجَابُ
أَرْدَتْ سُيُوفُكَ صَالِحاً (٤) فَأَقَامَ فِي دَارِ الْبِلَىٰ وَحَدِيثُهُ جَوَّابُ (٥)
لَمْ تَحْمِهِ الْأَصْحَابُ حِينَ اقْتَدَتْهُ (٦) وَلَهُ إِلَىٰ حَوْضِ (٧) الرَّدَىٰ إِصْحَابُ
غَادَرْتَ بِالزُّرْقِ الرِّهَافِ إِهَابَهُ وَعَلَيْهِ مِنْ قَانِي النَّجِيعِ إِهَابُ

---

(١) حمر (ع) و (م)

(٢) العِذاب : جمع عذْبة أي الطحلب . وفى (ل) عُباب . وفي مختارات البارودي (حباب) .

(٣) في عسكر (ل)

(٤) هو أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي أول ملوك بني مرداس بحلب ، تملكها سنة ٤١٤ فجهز اليه الظاهر الفاطمي سنة ٤١٩ أنوشتكين الدزبري في عسكر كثيف ، فلما سمع الخبر خرج اليه وتقدم حتى تلاقيا على الأقحوانة بالقرب من طبرية وانجلت الوقعة عن قتل صالح المذكور سنة عشرين وقيل تسع عشرة واربعماية (ابن خلكان ج ١ ص ٢٨٦) ،

(٥) خوّاب ؟ (ل)

(٦) أفدته (ع) و (م)

(٧) خوض (ل)

فَبَلَغْتَ أَمْراً لَوْ سِوَاكَ يَرُومُهُ ... لَثَنَاهُ طَعْنٌ دُونَهُ وَضِرَابُ
وَأَبَى الْمُهَنَّدُ أَنْ يُفَلَّلَ حَدُّهُ ... وَاللَّيْثُ أَنْ تَعْدُو عَلَيْهِ ذِئَابُ
صَفَحَتْ صِفَاحُكَ عَنْ أُنَاسٍ أَيْقَنُوا ... أَنَّ الْهَزِيمَةَ مِنْ سُطَاكَ صَوَابُ
فَمَضَتْ لِطِيَّتِهَا قَبَائِلُ طَيِّءٍ (١) ... فِرَقاً وَحَشْوُ صُدُورِهِمْ إِرْهَابُ
وَاسْتَنْفَقَ الرَّكْضُ الْجِيَادَ فَخَيْلُهُمْ ... مَهْرِيَّةٌ وَسُرُوجُهُمْ أَقْتَابُ
وَانْقَادَ بَعْضُ الْمَارِقِينَ إِلَى الْهُدَى ... بَعْدَ الضَّلَالِ (٢) فَطِبْتَ لَمَّا طَابُوا
حَقَّقْتَ ظَنَّهُمُ الْجَمِيلَ وَزِدْتَهُمْ ... أَضْعَافَ مَا أَمَّلُوهُ حِينَ أَنَابُوا
هٰذِي الْمَفَاخِرُ لَا مَفَاخِرُ تُدَّعَى ... مَيْناً (٣) وَيَحْجُزُ دُونَهَا أَسْبَابُ
مَنْ مُبْلِغُ الْأَتْرَاكِ أَنَّ أَمِيرَهُمْ ... بِفَعَالِهِ تَتَجَمَّلُ الْأَنْسَابُ
وَالْمَرْءُ مَنْ كَسَبَ الْعُلَى لَمْ تَرْفَعِ الْـ ... أَنْسَابُ مَنْ لَمْ تَرْفَعِ الْأَحْسَابُ
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي هَانَتْ بِهِ ... نُوَبُ الزَّمَانِ وَعَزَّتِ الْآدَابُ
أَدْعُوكَ لِلْخَطْبِ الْمُبَرِّحِ عَالِماً ... أَنَّ النِّدَاءَ إِلَى نَدَاكَ (٤) يُجَابُ

(١) كان حسّان بن المفرّج بن الجرّاح الطائي أمير طيء محالفاً لصالح بن مرداس وكان هو وقبيلته مع صالح في وقعة الأقحوانة (ابن القلانسي ص ٧٣)

(٢) الظلال (ل)

(٣) في (ع) و (م) مبنا وهو تصحيف . وفي (ل) قولاً وتحجز . . .

(٤) لدى نداك مجاب (ل)

فِي حَيْثُ تَحْجُبُنِي عُلاكَ مِنَ ٱلرَّدَى (١) كَرَمًا وَمَا دُونَ ٱلثَّرَاءِ حِجَابُ
اِمْنَحْ مَقَالِي سَمْعَ مِثْلِكَ إِنَّهُ شَرَفِي فَأَنْتَ ٱلْمَانِحُ ٱلْوَهَّابُ
وَأَسْعَدْ بِتَشْرِيفِ ٱلْإِمَامِ فَإِنَّ أَدْ نَاهُ إِلَى أَعْلَى ٱلْمَرَاتِبِ بَابُ
خِلَعٌ لَبِسْتَ بِهَا ٱلْمَفَاخِرَ وَٱكْتَسَتْ بِكَ فَوْقَ مَا أَلْبَسْنَكَ ٱلْأَثْوَابُ
وَسَوَابِقٌ حُمِّلْنَ مِنْكَ يَلَمْلَمًا (٢) عَجَبًا لِطِرْفٍ تَمْتَطِيهِ هِضَابُ
وَجَوَاهِرٌ غَمَرَ ٱلنُّضَارَ شُعَاعُهَا فَعَلَيْهِ مِنْ أَنْوَارِهَا جِلْبَابُ
عَفَا عَلَى ٱلْإِطْنَابِ وَصْفُ مَنَاقِبٍ لِخِيَامِهَا فَوْقَ ٱلسُّهَى أَطْنَابُ
حَسُنَتْ أَحَادِيثُ ٱلْأَمِيرِ فَحَسَّنَتْ مَا أَلَّفَ ٱلشُّعَرَاءُ وَٱلْكُتَّابُ (٣)
فَوْقَ ٱلْمَنَابِرِ نَثْرُهَا وَبِنَظْمِهَا يَتَعَلَّلُ ٱلسَّارُونَ وَٱلشُّرَّابُ
وَمِنَ ٱلثَّنَا عَرَضٌ وَمِنْهُ جَوَاهِرٌ وَمِنَ ٱلْجَوَاهِرِ جَامِدٌ وَمُذَابُ
رَوَّيْتَ تُرْبَ ٱلْمَجْدِ تُرْبَ مَدَائِحٍ (٤) لِسُهُولِهَا وَوُعُورِهَا إِعْشَابُ
وَٱلْأَرْضُ تُجْدِبُ حِينَ يَهْجُرُهَا ٱلْحَيَا وَيُصَابُ فِيهَا ٱلْخِصْبُ حِينَ تُصَابُ (٥)

---

(١) عن الردى (ل)
(٢) يَلَمْلَم : جبل على مرحلتين من مكة .
(٣) والخطّاب (ل)
(٤) مدائحي فسهولها ووعورها أتراب (ل)
(٥) تُصَابُ : تُمْطَر . وفي (ل) حين يُصاب .

٩

وقال (١) يمدحه (٢)

حَمى النَّوْمَ أَجْفَانَ صَبٍّ وَصِبْ غُرابٌ عَلَى غُصُنٍ مِنْ غَرَبْ
وَأَغْرى الْفُؤادَ بِأَشْواقِهِ وَقَدْ كانَ أَعْتَبَ لَمَّا عَتَبْ
فَلَوْ(٣) كانَ يَدْرِي غُرابُ النَّوى بِما جَرَّ تَنْعابُهُ ما نَعَبْ
لَذَكَّرَنا يَوْمَ زَمُّوا الْجِمالَ وَأَبْدى لَنا الْبَيْنُ سِرَّ الْحُجُبْ
فَخِلْنا شُمُوسَ(٤) وَجاراتِها شُمُوساً سَحائِبُهُنَّ النُّقُبْ
عَقَدْنَ لِواءً غَداةَ اللِّوى عَلَى سِرْبِ عِينٍ يَصِدْنَ السُّرَبْ(٥)
نَوافِرُ تَأْلَفُهُنَّ الْقُلُوبُ فَيَتْرُكْنَها نُصْبَ عَيْنِ النَّصَبْ
خَلِيلَيَّ(٦) عُوجا نُحَيِّ الدِّيارَ وَنَنْدُبُ أَوْقاتَنا بِاللَّبَبْ(٧)

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي : « وقال ايضاً يمدحه رحمه الله تعالى وأنشده إياها بطبرية في عيد النحر سنة عشرين واربعماية »

(٢) في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧٤ ما خلاصته : « أن ابن حيوس مدح أنوشتكين الدِّزْبري بهذه القصيدة بعد أن هزم جموع العرب بالأقحوانة قرب طبرية وقتل صالح بن مرداس الكلابي وانهزم حسان بن المفرّج الطائي سنة ٤٢٠ » .

(٣) ولو كان (ل)

(٤) فخلنا شموساً (ل)

(٥) السِّرْب : القطيع من الظباء والنساء . والسُّرَب : جمع سُرْبة قياساً وهي هنا جماعة الخيل ما بين العشرين إلى الثلاثين .

(٦) هذا البيت والذي يليه ساقطان من (ل)

(٧) اللَّبَبُ : ما استرقّ من الرمل .

وَنَسْأَلُ عَمَّنْ طَوَاهُ ٱلرَّسِيمُ (١) رُسُومَ ٱلدِّيَارِ وَإِنْ لَمْ تُجِبْ
وَلَمْ أَنْسَ قَوْلَ ٱبْنَةِ ٱلْمَالِكِيِّ لِسَلْمَى وَأَدْمُعُهَا تَنْسَكِبْ
أَيَا أُخْتِ مَا بَالُ ذَا ٱلْأَعْصُرِيِّ (٢) سَلَا حِينَ بَلَّغْتِهِ (٣) مَا طَلَبْ
عَهِدْنَاهُ يَرْغَبُ فِي ٱلزَّاهِدِينَ مَتَى صَارَ يَزْهَدُ فِيمَنْ رَغِبْ
تَجَنَّبَنِي وَهْوَ يَشْكُو ٱلْهَوَى عَذِيرِي مِنَ ٱلْعَاشِقِ ٱلْمُجْتَنِبْ
وَكَمْ لَيْلَةٍ نَامَ عَنِّي ٱلرَّقِيبُ وَنَبَّهَنِي ٱلْقَمَرُ ٱلْمُرْتَقَبْ
جَمَعْتُ (٤) بِهَا بَيْنَ مَاءِ ٱلسَّحَابِ وَمَاءِ ٱلرُّضَابِ وَمَاءِ ٱلْعِنَبْ
وَقَدْ (٥) جَلَّلَ ٱلْأَرْضَ غَيْمُ ٱلْقِطَارِ وَجَادَ ٱلثَّرَى عَارِضٌ مُنْسَكِبْ
كَجُودِ ٱلْمُظَفَّرِ سَيْفِ ٱلْإِمَامِ وَعُدَّتِهِ ٱلْمُصْطَفَى ٱلْمُنْتَجَبْ
مَقَرُّ ٱلْمَعَالِي وَعِزُّ ٱلْهُدَى وَكَنْزُ ٱلْأَمَانِي وَتَاجُ ٱلْحَسَبْ
هُمَامٌ غَدَا عِرْضُهُ فِي حِمًى وَلٰكِنَّ أَعْرَاضَهُ تُنْتَهَبْ (٦)

(١) الرسيم : سير فوق الذميل .
(٢) يريد بالأعصُري نفسه لأن ابن حيوس غنوي ، وغني أبو القبيلة هو ابن أعصُر بن سعد . (الاشتقاق لابن دريد ص ١٦٤) .
(٣) بلّغنه (م)
(٤) جمعت بها بين ماء الرضاب وماء السحاب وماء العنب (ل)
(٥) وقد ظلل . . . (ل)
(٦) ينتهب (ل)

فَمِنْ جَامِلٍ (١) مَرَّ صَوْبَ ٱلْجَمِيلِ وَمِنْ ذَهَبٍ فِي ٱلْمَطَايَا ذَهَبْ
يُبِيحُ ٱلتِّلَادَ فَعَالَ ٱمْرِيءٍ يَرَى ٱلْحَمْدَ أَنْفَسَ مَا يُكْتَسَبْ
وَيَأْبَى ٱلْغِنَاءَ وَلٰكِنَّهُ لِوَقْعِ ٱلسُّيُوفِ كَثِيرُ ٱلطَّرَبْ
إِذَا مَا بَغَى حَرْبَ أَعْدَائِهِ فَأَيْقِنْ لَهُمْ عَاجِلاً بِٱلْحَرَبْ
وَقُلْ لِمُيَمِّمِ (٢) مَعْرُوفِهِ تَنَاوَلْتَ مَا تَبْتَغِي مِنْ كَثَبْ
بِشِيمِكَ رَبَّ نَدًى لَمْ يَشُبْ (٣) بِمَنٍّ وَتِرْبَ عُلًى لَمْ تَشِبْ (٤)
سَيَكْفِيكَ بِٱلْبِشْرِ ذُلَّ ٱلسُّؤَالِ وَيَسْأَلُكَ ٱلْجَلْبَ فِيمَا جَلَبْ (٥)
مَعَالٍ يُحَسِّنُ (٦) نَظْمَ ٱلْقَرِيضِ ثَنَاهَا وَيَرْفَعُ نَثْرَ ٱلْخُطَبْ
وَبَأْسٌ كَبَا عَامِرٌ دُونَهُ وَقَصَّرَ عَنْهُ ٱبْنُ مَعْدِي كَرِبْ (٧)
أَرَى دَوْلَةَ ٱلْحَقِّ أَضْحَتْ رَحًى تَدُورُ بِسَعْدٍ وَأَنْتَ ٱلْقُطُبْ

---

(١) الجامل : القطيع من الإبل مع رعاته وأربابه . وفي (ع) و (م)فمن حامل…
(٢) وقل للميمم معروفه (ل)
(٣) لم تُشَبْ (ع) و (م)
(٤) لم يَشِبْ (ل)
(٥) وهل يسأل الحلب فيما جلب (ل)
(٦) تحسن (ل)
(٧) عامر : هو عامر بن الطُفيل العامري فارس قومه وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية . وابن معدي كرب : هو عمرو بن معدي كرب الزُبَيدي فارس اليمن وصاحب الغارات المذكورة وأخبار شجاعته كثيرة . « الأعلام »

وَمَا قَارَنَ ٱلْعِزَّ مَلْكٌ ثَنَى قَرُونَتَهُ (١) عَنْ طَرِيقِ ٱلْعَطَبْ
لَقَدْ سَلَّ مِنْكَ إِمَامُ ٱلْهُدَى حُسَامًا يَقُدُّ إِذَا مَا ضَرَبْ
قَصَمْتَ (٢) ٱلْعِدَى بَعْدَمَا ٱسْتَحْوَذُوا عَلَى ٱلشَّامِ (٣) وَٱسْتَمْلَكُوهُ (٤) حِقَبْ
أَزَرْتَ شَعُوبَ شُعُوبًا طَغَتْ وَفَرَّقْتَ (٥) شَمْلَهُمُ ٱلْمُنْشَعِبْ
وَلَمَّا بَغَوْا غَالَهُمْ بَغْيُهُمْ وَمَنْ غَالَبَ ٱلْحَقَّ جَهْلًا غُلِبْ
فَظَنُّوا قَلِيبَ ٱلرَّدَى مَنْهَلًا قَرَاحًا وَجِدَّ ٱلْمَنَايَا لَعِبْ
فَحِينَ أَتَوْكَ يَجُرُّونَهَا كَتَائِبَ مِثْلَ سُطُورِ ٱلْكُتُبْ
بَرَزْتَ لَهَا فَمَضَتْ كَٱلنَّعَامِ ثَنَاهَا ٱلْغَضَنْفَرُ لَمَّا وَثَبْ

---

(١) القَرُونة : النفس . والبيت ساقط من (ل)
(٢) قسمت (ع) و (م)
(٣) لما قُتل الحاكم بأمر الله سنة (٤١١) وولي ابنه الظاهر انتقض الشام على الفاطميين ، فاجتمع حسان بن المفرّج أمير بني طيء وصالح بن مرداس أمير بنى كلاب وسنان بن عليان أمير بني كلب وتحالفوا واتفقوا على أن يكون من حلب إلى عانة لصالح ، ومن الرملة إلى مصر لحسان ، وتكون دمشق لسنان ، فاستولى صالح على حلب سنة (٤١٤) ، واستولى حسان على الرملة سنة (٤١٥) ، وحاصر سنان مدينة دمشق سنة (٤١٦) ومات سنان سنة (٤١٩) . وفي سنة (٤٢٠) جرت وقعة الأُقحوانة بين أنوشتكين الدزبري وبين حسان وصالح وانجلت عن مقتل صالح وانهزام حسان .
« ابن الأثير ٧٩/٩ »
(٤) واستحقبوه (ل)
(٥) ففرقت (ل)

وَقَدْ كَانَ (١) نَجْمُهُمُ طَالِعـاً فَلَمَّا طَلَعْتَ عَلَيْهِمْ غَرَبْ
قَتَلْتَ حُمَاةَ ٱلْوَغَى مِنْهُمُ وَعَفَّتْ سُيُوفُكَ عَمَّنْ هَرَبْ
تَرَكْتَهُمُ يَحْمَدُونَ ٱلْفِرَارَ وَلَوْ طَلَبُوا لَمْ يَفُتْكَ ٱلطَّلَبْ
وَلا مَهْرَبٌ مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ وَأَنَّى مِنَ ٱلْمَوْتِ يُنْجِي ٱلْهَرَبْ
وَلَوْ شِئْتَ مَا مُدَّ لِلْمَـارِقِينَ وَأَشْيَاعِهِمْ دُونَ قَافٍ (٢) طُنُبْ
وَلَوْ رُمْتَهُمْ لَمْ يَعِزُّوا عَلَيْكَ وَلَوْ أَنَّهُمْ فِي مُتُونِ ٱلسُّحُبْ
وَقَدْ سَكَنَتْ رِيحُهُمْ مِنْ سُطَاكَ وَإِنْ لَمْ تَهَبْ جُرْمَهُمْ لَمْ تَهُبْ (٣)
فَصَمْتَ عُرَى ٱلْإِفْكِ (٤) فِي وَقْعَةٍ أَزَالَتْ عَنِ ٱلْمُسْتَرِيبِ ٱلرِّيَبْ
وَرَوَّتْ ظُبَى ٱلْهِنْدِ بَعْدَ ٱلظَّمَا وَأَشْبَعَتِ ٱلْوَحْشَ بَعْدَ ٱلسَّغَبْ
وَقَدْ بَيَّضَ ٱلنَّقْعُ حُمْرَ ٱلْجِيَـادِ وَقَدْ حَمَّرَ ٱلطَّعْنُ بِيضَ ٱلْعَذَبْ
جَعَلْتَ هُنَاكَ لِبِيضِ ٱلسُّيُوفِ إِلَى بَذْلِ كُلِّ مَنِيعٍ سَبَبْ
فَكَمْ هَامَةٍ لَمْ يَصُنْهَا ٱلتَّرِيكُ وَكَمْ جَسَدٍ مَا حَمَاهُ ٱلْيَلَبْ (٥)

(١) وقد كان يجمعهم صالحٌ ... (ل)
(٢) جبل قاف : جبل يزعمون أنه محيط بالأرض وأن الشمس تغرب فيه وتطلع منه وأن ما وراءه معدود من الآخرة . « معجم البلدان »
(٣) ... من يَهَبْ (ل)
(٤) الشرك (ع) و (م)
(٥) التريكة : بيضة الحديد . واليَلَب : الدروع .

عَزائِمُ تُظْلِمُ صُبْحَ ٱلْعِدى ... عَلَى أَنَّها في ٱلدَّياجي شُهُبْ
تَظَلُّ قَذىً في عُيُونِ ٱلْخُطُوبِ ... وَتُمْسي شَجاً في حُلُوقِ ٱلنُّوَبْ (١)
قَواطِعُ تُورِدُ أُسْدَ ٱلْعَرِينِ ... رَداها وَتَثْني (٢) ٱلْخَمِيسَ ٱللَّجِبْ
لَها مَنْفَذٌ حَيْثُ تُثْنى ٱلرِّماحُ ... وَمُنْخَرَقٌ حَيْثُ تَنْبُو ٱلْقُضُبْ
لَقَدْ قُمْتَ في صَرْفِ صَرْفِ ٱلْخُطُوبِ (٣) ... قِيامَ ٱلْمَلِيِّ بِكَشْفِ ٱلْكُرَبْ
فَلَوْلاكَ ما صارَتِ ٱلْحادِثاتُ ... حَدِيثاً وَفُلَّتْ نُيُوبُ ٱلنُّوَبْ
فَلِلّٰهِ ذَبُّكَ عَنْ دِينِهِ ... مُشِيحاً وَسَعْيُكَ فِيما أَحَبْ
ذَراكَ أَمِيرَ ٱلْجُيُوشِ ٱنْتَحَتْ ... مُنىً إِنْ تَرِمْ عَنْهُ يَوْماً تَخِبْ (٤)
وَغُرٌّ قَوافٍ قَوافٍ لَها (٥) ... إِلَيْكَ وَقائِلُها تَنْتَسِبْ
أَجَبْتَ نِدائِي بِبَذْلِ ٱلنَّدى ... فَأَصْبَحَ لِي نَسَبٌ (٦) في ٱلنَّشَبْ
وَقَرَّبْتَ مِنْ مَطْلَبِي ما نَأى ... وَأَنْأَيْتَ مِنْ عَدَمِي ما قَرُبْ
وَجادَ (٧) نَوالُكَ تُرْبَ ٱلثَّنا ... وَحَيْثُ ٱلْغَمامُ يَكُونُ ٱلْعُشُبْ

---

(١) العرب (ل)
(٢) وتُرْدي (ل)
(٣) الردى (ل)
(٤) مُنىً إنْ تَرِمْ عنك زيغاً تخب (ل)
(٥) .. قوافٍ لها ... (ل) .. قوافٍ إليك ... (م)
(٦) فأصبح بي (ل)
(٧) وحاك نوالك ثوب الثنا (ع) وحاز نوالك ثوب الثنا (ل)

أَلاَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلْمُبْتَنِي ... مَحَلاًّ مِنَ ٱلْمَجْدِ فَوْقَ ٱلسُّحُبْ(١)
لِيَهْنِكَ عِيدٌ إِذَا مَا حَضَرْتَ ... زَمَانًا سِوَى وَقْتِهِ لَمْ يَغِبْ
جَمَلْتَ لَهُ رُتْبَـةً فِي ٱلْفَخَارِ ... تَطُولُ ٱلْفَخَارَ وَتَعْلُو ٱلرُّتَبْ
وَأَلْبَسْتَهُ حُلَلاً أَصْبَحَتْ ... عَلَى ٱلسُّحْبِ أَذْيَالُهَا تَنْسَحِبْ
أَقَرَّ جَدَاكَ عُيُونَ ٱلْمُنَى ... وَأَحْيَا ٱرْتِيَاحُكَ مَيْتَ ٱلْأَدَبْ
فَلاَ أَيْتَمَ ٱللهُ مِنْكَ ٱلْعُلَى ... فَأَنْتَ لَهَا ٱلْيَوْمَ أُمٌّ وَأَبْ

١٠

وقال (٢) يمدحه ويهنيه بعيد الفطر وفتح حلب (٣)

سَلِ ٱلْمَقَادِيرَ مَا أَحْبَبْتَهُ تُجَبِ ... فَمَا لَهَا غَيْرُ مَا تَهْوَاهُ مِنْ أَرَبِ

---

(١) فوق الشهب (ل)

(٢) وردت هذه القصيدة في (ل) فاتحة قصائد حرف الباء وعنوانها هناك هكذا : « قال يمدح أمير الجيوش المظفر مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدزبري ويهنيه بعيد الفطر سنة إحدى وثلاثين واربعماية » .

(٣) ملك حلب شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس بعد أن قتل والده صالح سنة (٤٢٠) وبقي مالكاً لها الى سنة (٤٢٩) فأرسل إليه أنوشتكين الدِّزْبِري العساكر المصرية ، وصاحب مصر حينئذ المستنصر بالله ، فلقيهم عندحماة فقتل في شعبان وملك الدزبري حلب في رمضان سنة (٤٢٩) وملك الشام جميعه وعظم أمره وكثر ماله وأرسل يستدعي الجند الأتراك من البلاد . (ابن الاثير ٩/٧٩)

وأتى برأس شبل الدولة الى دمشق في شعبان سنة ٤٢٩

وَاُطْلُبْ بِهٰذِي الظُّبَى مَا عَزَّ مَطْلَبُهُ ... فَمَا عَلَى الْأَرْضِ مَنْ يَثْنِيكَ عَنْ طَلَبِ
وَكَيْفَ تَعْصِي مُلُوكُ الْأَرْضِ ذَا هِمَمٍ ... تَجُوزُ أَحْكَامُهُ(١) فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ
رِيعُوا فَمَا دَفَعُوا ضَيْماً وَلَا كَرَبُوا ... أَنْ يَكْشِفُوا بَعْضَ مَا كَشَفْتَ مِنْ كُرَبِ
طَالُوا مَقَالاً وَفِي أَفْعَالِهِمْ قِصَرٌ ... وَلَنْ تُرَاعَ الْخُطُوبُ السُّودُ بِالْخُطَبِ
وَحَاوَلُوا الْمَجْدَ مِنْ طُرُقٍ مُشَعَّبَةٍ ... وَجِئْتَهُ(٢) مِنْ طَرِيقٍ غَيْرِ مُنْشَعِبِ
لَا يُذْهِلِ النَّاسَ مَا خُوِّلْتَ مِنْ شَرَفٍ ... فَمَنْ سَعَى سَعْيَكَ اسْتَوْلَى عَلَى الْقَصَبِ
بَأْسٌ تَحُوطُ الْقَرِيبَ الْأَجْنَبِيَّ بِهِ ... كَمَا تَذُودُ الْأَذَى عَنْ جَارِكَ الْجُنُبِ
وَنَائِلٌ ظَلَّ ذُو وَفْرٍ كَمُفْتَقِرٍ ... فِيهِ الْغَدَاةَ وَنَاءٍ مِثْلَ مُقْتَرِبِ
كَذٰلِكَ النَّارُ فِي نَفْعٍ وَفِي ضَرَرٍ ... مُيَمَّمٌ نُورُهَا مَرْهُوبَةُ اللَّهَبِ
وَنَخْوَةٌ مَا يَزَالُ الدَّهْرُ يَمْنَعُهَا ... مُسْتَحْسَنُ الْجِدِّ عَنْ مُسْتَقْبَحِ اللَّعِبِ
يُرَى(٣) سِوَاكَ إِذَا مَا جَاءَ مُفْتَخِراً ... يَوْماً أَحَالَ عَلَى آبَائِهِ النُّجُبِ
فَاعْلُ الْوَرَى غَيْرُكَ الْمَسْؤُولُ عَنْ نَسَبٍ ... قَاصٍ وَحَسْبُكَ مَا أُوتِيتَ مِنْ حَسَبِ
وَأَنْتَ مَنْ تَرْفَعُ الْأَشْرَافَ خِدْمَتُهُ ... وَالْانْتِمَاءُ(٤) إِلَيْهِ أَشْرَفُ النَّسَبِ

---

(١) أحكامها (ل)
(٢) فجئته (ل)
(٣) ترى سواك إذا ما ظل مفتخراً (ل)
(٤) والاعتزاء اليها أشرف النسب (ل)

وَمَا خَفِيتَ عَلَى ذِي فِطْنَةٍ نَسَباً   إِذَا النَّدَى وَالْوَغَى قالاَ لَكَ انْتَسِبِ
بَنَيْتَ لِلْعجمِ الْمَجْدَ الْمُبَلِّغَهُمْ   مَجْداً بَناهُ رَسُولُ اللهِ لِلْعَرَبِ
لَقَدْ حَمَى الْحَاكِمُ الْمَنْصُورُ(١) دَوْلَتَهُ   بِقَوْلِهِ انْتَجِبِ(٢) الْفُرْسانَ وَانْتَخِبِ
ثُمَّ انْتَضاكَ ابْنُهُ(٣) سَيْفاً زَمانَ طَغَتْ   أَعْداؤُهُ فَرَماها مِنْكَ بِالْعَطَبِ
فَحِينَ أَرْبَيْتَ قَالَ ابْنُ(٤) ابْنِهِ اعْتَضِدِي   يَا دَوْلَتِي بِفَتَى جَدِّي وَسَيْفِ أَبِي
أَرَى نَصِيبَكَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ شَرَفٍ   نَصِيبَ شَانِيكَ مِنْ هَمٍّ وَمِنْ نَصَبِ
لاَذَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعَرْباءُ وَاعْتَلَقَتْ   مِنْ جُودِ كَفِّكَ حَبْلاً غَيْرَ مُنْقَضِبِ(٥)
أَصْفَيْتَها الْمَالَ شِرْباً وَالْعُلَى كَلأً   مِنْ بَعْدِ أَنْ رَضِيَتْ بِالْماءِ وَالْعُشُبِ
نَاقَضْتَ حُكْمَهُمُ لَمَّا أَبَحْتَهُمُ   ما قَدْ سَلَبْتَ بِأَطْرافِ الْقَنا السُّلُبِ
فَقَدْ صَفَا لَكَ إِعْلاناً وَمُعْتَقَداً   مَنْ لَمْ يَزَلْ فِي طَرِيقِ الْحُبِّ ذا خَبَبِ
أَعْدَمْتَها الْجَهْلَ وَالإِعْدامَ مُذْ وَجَدَتْ   فِي ظِلِّكَ الرَّغَبَ الْمَخْلُوطَ بِالرَّهَبِ

(١) الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد من خلفاء الدولة الفاطمية بمصر (٣٧٥ – ٤١١)

(٢) بقوله انتخب الفرسان وانتجب (ل)

(٣) هو الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم بأمر الله من خلفاء الفاطميين (٣٩٥ – ٤٢٧)

(٤) هو المستنصر بالله معد بن الظاهر لإعزاز دين الله من خلفاء الفاطميين (٤٢٠ – ٤٨٧)

(٥) غير مقتضب (ل)

فِي ظِلِّ أَرْوَعَ إِنْ تَسْأَلْهُ مُنْفِسَهُ يَهَبْ وَإِنْ بَاشَرَ الْهَيْجَاءَ لَمْ يَهَبِ (١)
نَدًى مَتَى يَنْزِلِ الْعَافُونَ عَقْوَتَهُ يَصُبْ وَعَزْمٌ مَتَى يَرْمِ الْعِدَى يُصِبِ
يَبُثُّ (٢) فِي كُلِّ أَرْضٍ لِلْعَدُوِّ نَأَتْ ذِكْراً يَقُومُ مَقَامَ الْجَحْفَلِ اللَّجِبِ
إِنَّ الْجَزِيرَةَ بَابٌ ظَلْتَ (٣) تُوسِعُهُ هَزًّا وَلَمْ يَبْقَ غَيْرُ الْفَتْحِ فَارْتَقِبِ
بَابُ الْعِرَاقِ فَإِنْ جَاءَ الْبَشِيرُ بِهِ وَافَى الْمُبَشِّرُ مِنْ بَغْدَادَ بِالْعُقُبِ
وَكَمْ سَعَيْتَ لِحَظٍّ (٤) كُنْتَ تَلْحَظُهُ فَزَادَكَ الْجِدُّ حَظّاً غَيْرَ مُرْتَقَبِ (٥)
وَكَمْ فَتَحْتَ بِلَاداً غَيْرَ مُكْتَرِثٍ وَالسُّمْرُ مَرْكُوزَةٌ وَالْبِيضُ فِي الْقُرُبِ
فَلَا يَغُرَّ نُمَيْراً (٦) أَنَّهَا سَلِمَتْ لَيْسَ السَّلَامَةُ مِنْ ذَا الْعَزْمِ بِالْهَرَبِ
نَحْواً (٧) فَحِينَ أَحَسُّوا بِاللِّقَاءِ نَجَوْا يَا قُرْبَ هَذَا الرِّضَى مِنْ ذَلِكَ الْغَضَبِ (٨)

---

(١) المُنْفِسُ بصيغة الفاعل : كل شيء له قدر وخطر .
(٢) بثّت (ل)
(٣) طلت (ع) و (م)
(٤) بحظ (ل)
(٥) غير محتسب (ل)
(٦) بنو نُمَيْر : بطن من عامر بن صعصعة من العرب العدنانية وكانت منازلهم في الجزيرة الفراتية والشام (نهاية الأرب للقلقشندي ص ٣٤٨)
(٧) نجوا (ع) و (م)
(٨) وبعده في (ل)

« لَمَّا نَدَبْتَ لَهُمْ مِنْ عَامِرٍ عُصَباً تُوفِي وَفَاءً وَإِقْدَاماً عَلَى الْعَصَبِ »

والعَصَب : خيار القوم .

هَمُّوا فَمُذْ نَزَلُوا بِالشَّطِّ شَطَّ بِهِمْ عَنْ سَوْرَةِ الْحَرْبِ مَا خَافُوا مِنَ الْحَرْبِ
حَتَّى إِذَا نَزَلَتْ صِرِّينَ (١) مُقْبِلَةً جَاشَتْ بِحَارُ رَدًى طَمَّتْ عَلَى الْقَلْبِ
أَلاَّ ثَنَوْهَا وَقَدْ ظَلَّتْ (٢) عَجَاجَتُهَا أَوْلَى بِسَتْرِ عَذَارَاهُمْ مِنَ النُّقُبِ
خَيْلٌ أَثَارَتْ غَدَاةَ الْعَبْرِ أَرْجُلُهَا مَاءً حَكَى نَقْعَهَا فِي الْمَرْكَضِ (٣) التُّرَبِ
طَالَ الْقَنَا طَامِحاً (٤) حَتَّى لَقَدْ رُكِزَتْ مِنْ قَبْلِ طَعْنِ الْعِدَى مُبْتَلَّةَ الْعَذَبِ
وَعَادَ بَعْدَ بُلُوغِ الْجَوِّ مُنْعَكِساً كَأَنَّمَا جَادَ تِلْكَ الْأَرْضَ مِنْ سُحُبِ
تَفَرَّقَ الْجَمْعُ لَمَّا أَقْبَلَتْ زُمَراً تَفَرُّقَ السِّرْبِ لَمَّا رِيعَ بِالسُّرَبِ
كَالطَّيْرِ تَحْمِلُ آسَاداً تُظَلِّلُهَا طَيْرٌ مَوَارِدُهَا قَانِي الدَّمِ السَّرِبِ (٥)
هٰذِي تَفُورُ إِذَا نَارُ اللِّقَاءِ خَبَتْ وَتِلْكَ إِنْ تَخْبُ مِنْ قَبْلِ الرَّدَى تَخِبِ
وَأَحْدَقُوا بِأَبِي كَعْبٍ (٦) لِيَنْصُرَهُمْ وَهَلْ تُرَاعُ لُيُوثُ الْغَابِ بِالشَّبَبِ (٧)

---

(١) صيرين (ع) و (م) : وتلفظ اليوم صِرِّين ، يعرف بهذا الاسم قريتان تابعتان لجرابلس تبعدان عنها ٣٥ كيلومتراً اسم الأولى صرين الشمالية والثانية صرين القبلية (مجموع بلاغات المالية لعام ١٩٣٣ م)
(٢) طلت (ع) و (م)
(٣) في المربض (ع) و (م)
(٤) طامحا (ل)
(٥) دم سرب (ل)
(٦) كأنه يريد بأبي كعب شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس .
(٧) الشَّبَب : من الثيران والغنم المُسِنّ الذي انتهى إسنانه . وفي (ع) و (م) (بالشذب) وهو تصحيف .

أَوْ يَحْتَمِي مُسْتَجِيرُ ٱلرُّومِ مِنْ مَلِكٍ يُزْجِي ٱلْكَتَائِبَ مِلْءَ ٱلْأَرْضِ بِٱلْكُتُبِ
لَا يَصْطَلِ[1] ٱلرُّومُ جَهْلًا مَا يَشُبُّ لَهُمْ رَبُّ ٱلْعُلَى لَمْ تُشَبْ وَٱلْجُودِ لَمْ يُشَبِ
وَلْتَجْتَنِبْ بَطْشَ[2] أَلْوَى حَدُّ سَطْوَتِهِ أَلْوَى بِمَنْ رَدَّهَا مَنْكُوسَةَ ٱلصُّلُبِ
نَجْمٌ بِسَيْفِكَ مِنْ بَعْدِ ٱلْوُقُودِ خَبَا فَحُزْتَ مَالَكَ دُونَ ٱلْعَالَمِينَ خَبِي
وَأَيْنَ مِنْكَ ٱبْنُ حَمْدَانَ[3] ٱلْمُرَوِّعُهُمْ وَمِنْ مَمَالِيكِكَ ٱلْوَالِي عَلَى حَلَبِ
مِنَ ٱلْأُلَى هَذَّبْتَهُمْ ذِي ٱلْعُلَى فَحَوَوْا حَظًّا مِنَ ٱلْجُودِ وَٱلْإِقْدَامِ وَٱلْأَدَبِ
هُمُ ٱلْمَوَالِي وَإِنْ خَوَّلْتَهُمْ خَوَلًا مَا ضَرَّ مِنْ يُوسُفٍ أَنْ بِيعَ فِي ٱلْجَلَبِ[4]
وَلَّيْتَهُمْ مَا تَوَلَّتْهُ ٱلْمُلُوكُ لَقَدْ أَبَى ٱعْتِزَامُكَ مَا نَالَتْ مِنَ ٱلرُّتَبِ
كَأَنَّ مَجْدَكَ وَهْوَ ٱلدَّهْرَ فِي صُعُدٍ مِنْ فَرْطِ إِسْرَاعِهِ يَنْحَطُّ فِي صَبَبِ
مَلَكْتَنَا مُلْكَ مَوْلًى عَزَّ مَقْدُرَةً وَحُطْتَنَا حَانِيًا كَٱلْوَالِدِ ٱلْحَدِبِ
لَا يَرْضَ عَزْمُكَ شَطْرَ ٱلْأَرْضِ مَمْلَكَةً فَشَطْرُهَا فِي ضَمَانِ ٱلسُّمْرِ وَٱلْقُضُبِ
وَلَا تُسَالِمْ عَدُوًّا أَنْتَ قَاهِرُهُ قَدْ أَمْكَنَتْكَ كُؤُوسُ ٱلْحَمْدِ فَٱنْتَخِبِ[5]

---

(١) لا تصطلي (ل)
(٢) جد (ع) و (م)
(٣) حمدان (م) وهو من سهو الناسخ . وبريد بابن حمدان سيف الدولة . لما فتح الدزبري حلب ولى عليها غلامه رضي الدولة بنجوتكين (زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ١/٢٥٧)
(٤) هذا البيت ساقط من (ل)
(٥) من هذا البيت الى آخر القصيدة ساقط من (ل)

فَكُلُّ مُلْكٍ دَعَاكَ الْيَوْمَ مِنْ بُعُدٍ ... فَإِنَّهُ فِي غَدٍ يَدْعُوكَ مِنْ كَثَبِ
هَوَاكَ أَذْهَلَنِي عَنْ ذِكْرِ كُلِّ هَوًى ... فَمَا أَجِيءُ بِشِعْرٍ غَيْرِ مُقْتَضَبِ
أَمَّنْتَنِي بِالْعَطَاءِ الْغَمْرِ مِنْ عَدَمٍ ... وَبِالْمَسَاعِي إِذَا أَثْنَيْتُ مِنْ كَذِبِ
وَقَدْ شَفَعْتَ الْغِنَى لِي بِالْعُلَى كَرَماً ... فَصِرْتُ ذَا نَسَبٍ فِي الْمَجْدِ وَالنَّشَبِ(١)
فَدَلَّنِي أَيُّمَا الثِّقْلَيْنِ أَحْمِلُهُ ... ثِقْلُ اصْطِنَاعِكَ لِي أَمْ ثِقْلُ صُنْعِكَ بِي
قَدْ شَدَّ أَزْرِي أَنَّ الشِّعْرَ لِي سَبَبٌ ... وَأَنَّ هَذَا الَّذِي يُغْنِي بِلَا سَبَبِ
إِنْ لَمْ تَغُصْ لِي أَفْكَارِي عَلَى مِدَحٍ ... تُغْرِي(٢) الْبَعِيدَ مِنَ الْأَطْرَابِ بِالطَّرَبِ
فَلَا بَلَغْتُ مَدَى مَحْيَايَ أَيْسَرَ مَا ... أَرْجُو وَلَا نِلْتُ عَفْواً يَوْمَ مُنْقَلَبِي
مَضَى الصِّيَامُ وَمَا أَجْرٌ بِمُطَّرَحٍ ... فِيمَا فَعَلْتَ وَلَا وِزْرٌ بِمُحْتَقَبِ
وَعَاوَدَ الْعِيدُ فَاسْلَمْ مَا أَتَى وَمَضَى ... مُعَظَّمَ الْقَدْرِ مَحْرُوساً مِنَ النُّوَبِ
أَمَّا الْحَجِيجُ فَقَدْ أَوْضَحْتَ نَهْجَهُمُ ... مَا بَيْنَ ذِي وَطَنٍ دَانٍ وَمُغْتَرِبِ
وَلَا يُخَيِّبُ إِلَهُ الْخَلْقِ سَعْيَهُمُ ... وَقَدْ سَمِعْتَ دُعَاءَ الْقَوْمِ مِنْ كَثَبِ
سَيْفَ الْخِلَافَةِ دُمْ حِلْفَ الْمَضَاءِ كَذَا ... إِنَّ الْخُطُوبَ إِذَا لَمْ تَنْبُ لَمْ تَنُبِ
وَعِشْ لِدَوْلَةِ حَقٍّ ظَلْتَ تَعْضُدُهَا ... فَإِنَّهَا مِنْكَ قَدْ دَارَتْ عَلَى قُطُبِ

---

(١) والنسب (م) وهو تصحيف .
(٢) في الأصل يغري ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

١١

وقال في النسيب (١)

إنَّ ٱلْفَرِيقَ مُذِ ٱسْتَقَلَّ مُغَرِّبَا لَمْ يُبْقِ لِي فِي طِيبِ عَيْشٍ مَرْغَبا
لَمَّا تَحَمَّلَ لِلرَّحِيلِ حَسِبْتُهُ مِنْ كَثْرَةِ ٱلظَّبَيَاتِ فِيهِ رَبْرَبا
وَبِمُهْجَتِي تِلْكَ ٱلْبُدُورُ عَشِيَّةً إِذْ نَكَّبَتْ أَكْنَافَ غُرَّبَ (٢) غُرَّبا
وَعَلَى ٱلْمَطَايَا مِنْ ذُؤَابَةِ عَامِرٍ وَجْهٌ يَرُوقُكَ سَافِراً وَمُنَقَّبا
ذُو صَفْحَةٍ لَوْ لَمْ يُصَافِحْ نَارَهَا مَاءُ ٱلشَّبَابِ لَخِفْتُ أَنْ تَتَلَهَّبَا (٣)
يَا غُرَّةَ ٱلْحَيِّ ٱللَّقَاحِ (٤) أَوَاجِبٌ أَنْ تَزْهَدِي زُهْدَ ٱلْمَلُولِ (٥) وَأَرْغَبا
أَفْدِي بِأَنْفَسِ مَا أُدَافِعُ عَنْهُ مَنْ قَطَعَ ٱلْحَيَاةَ تَعَنُّتاً وَتَعَتُّبا
مَا كُنْتُ قِدْماً ذَا نَصِيبٍ فِي ٱلْهَوَى فَجَعَلْتِ لِي مِنْهُ ٱلنَّصِيبَ (٦) ٱلْمُنْصِبا
أَصْلَيْتِنِي بِٱلْهَجْرِ نَاراً مَا خَبَتْ فَعَلِمْتُ أَنَّ هَوَاكِ زَنْدٌ مَا كَبَا

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا .
(٢) غُرَّب : جبل دون الشام في ديار بني كلب (معجم البلدان)
(٣) يتلهبا (ع) و (م)
(٤) اللَّقَاح : الحي الذين لا يدينون للملوك .
(٥) الملوك (م) وهو تصحيف .
(٦) النصيب الاولى : الحظ ، والثانيه : الحصة من الشيء . والمنصب : المتعب المعيي .

وَأَمَرْتَنِي أَلاَّ أَمُرَّ بِدَارِكُمْ فَمَتَى مَرَرْتُ بِهَا مَرَرْتُ مُجَنَّبَا
خِفْتِ الرَّقِيبَ وَلَوْ وَصَلْتِ أَمِنْتِهِ وَنَهَيْتِ دَمْعَ الْعَيْنِ أَنْ يَتَصَوَّبَا
وَسَنَنْتِ لِي أَنْ لا يَبُوحَ (١) مُحَدِّثًا أَأَمِنْتِ أَنْ يُمْلِي الصُّدُودُ فَيَكْتُبَا
لاَ تَمْزُجِي صَفْوَ الْوِدَادِ بِجَفْوَةٍ مَا الْمَاءُ مُحْتَاجٌ إِلَى أَنْ يُقْطَبَا (٢)
مَا لِلْخَيَالِ الطَّارِقِي مُسْتَرْسِلاً قَدْ صَارَ يَطْرُقُ خَائِفًا مُتَرَقِّبَا
هَلْ خَافَ مِنْ عَدْوَاكِ حِينَ أَمَرْتِهِ أَنْ لاَ يُلِمَّ تَجَنِّيًا (٣) وَتَجَنُّبَا
لاَ تَرْدَعِيهِ عَنِ الْمَزَارِ فَإِنَّهُ لَوْ لَمْ يَزُرْ شَوْقًا لَزَارَ تَطَرُّبَا
كَمْ أَشْتَكِي الْإِعْرَاضَ ظَنًّا أَنَّنِي أُشْكَى وَأَعْتِبُ آمِلاً أَنْ أُعْتَبَا (٤)

١٢

وقال(٥) يمدح الرئيس أبا العلاء(٦)

كُنْ بَعِيداً إِنْ شِئْتَ أَوْ كُنْ قَرِيبا فَأَيَادِيكَ عِنْدَنَا لَنْ تَغِيبا

---

(١) أن لا أبوح (ل)

(٢) يُقْطَب: يُمزَج.

(٣) تجنباً (ل)

(٤) أشكاه: أعتبه من شكواه أي أرضاه ونزع عنه شكايته. وأعْتَبَهُ: أزال عتبه.

(٥) عنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا: «وقال أيضاً يودع الرئيس أبا العلاء عند مسيره من حلب».

(٦) لعله أبو العلاء صاعد بن عيسى بن سمان الكاتب، كاتب محمود بن نصر بن صالح، ذكره ابن العديم في زبدة الحلب في تاريخ حلب ٢٨٣/١ وروى له قصيدة قالها على لسان محمود أولها:

ألا أيها الساري تخب برحله قصيرة فضل النسعتين إذا تسري

خَلَفَتْكَ ٱلْآلَاءُ مُذْ سِرْتَ[١] فِينا فَتَساوَيْتَ مَشْهَداً وَمَغِيبا
كَٱلْغَمامِ ٱلرُّكامِ يَمْضِي وَيُبْقِي مَوْرِداً فائِضاً وَمَرْعًى خَصِيبا
فُرْقَةٌ يا أَبا ٱلْعَلاءِ أَصارَتْ حَسَناتِ ٱلزَّمانِ عِنْدِي ذُنُوبا
كَمْ سَبَقْتَ ٱلْجارِينَ فِي حَلْبَةِ ٱلْمَجْـدِ وَكَلُّوا[٢] وَما شَكَوْتَ لُغُوبا
لا كَما يَسْبِقُ ٱلْمُجارِي ٱلْمُجارَى بَلْ كَما يَسْبِقُ ٱلشَّبابُ ٱلْمَشِيبا
لَمْ يَزَلْ جانِبِي مَنِيعاً مَهِيباً مُذْ رَأَتْنِي بِكَ ٱلْخُطُوبُ مَهِيبا
وَلِهٰذا أَصْبَحْتُ مِنْ أَلَمِ ٱلْفُرْقَةِ أَوْفَى مُفارِقِيكَ نَصِيبا
وَلَوْ أَنِّي مَلَكْتُ نَفْسِي وَرَأْيِي لَوَصَلْتُ ٱلْإِسْآدَ وَٱلتَّأْوِيبا
فَكَفانِي مَؤُونَةَ ٱلشَّوْقِ عَزْمٌ لا يَمَلُّ ٱلتَّقْوِيضَ وَٱلتَّطْنِيبا[٣]
غَيْرَ أَنِّي أُوَدِّعُ ٱلْقَلْبَ عِلْماً أَنَّهُ لا يَؤُوبُ حَتَّى تَؤُوبا[٤]

* * *

(١) مذغبت (ل)
(٢) فكلوا (ل)
(٣) وكفاني ... لا يمل الإسآد والتأويبا (ع) و (م) ومكانه فيهما آخر بيت من القصيدة .
(٤) حتى يؤوبا ؟ (ل)

١٣

وقال (١) يمدح أمير الجيوش الدِّزْبري (٢)

مَالِي مَقَالٌ عَنْ فَعَالِكَ يُعْرِبُ   قَدْ ضَلَّتِ الْأَفْكَارُ مِمَّا تُغْرِبُ
بَذْلاً (٣) وَمَنّاً فَالرَّجَاءُ مُخَيِّمٌ   بِذَرَاكَ وَالنَّكَبَاتُ عَنْكَ تَنَكَّبُ
وَسُطاً وَصَفْحاً فَالْمَمَالِكُ قَدْ عَنَتْ   مِنْ خَوْفِ بَأْسِكَ وَالْجَرَائِمُ تُوهَبُ
وَتَوَاضُعاً سَنَّ التَّوَاضُعَ لِلْوَرَى   مَعَ رُتْبَةٍ يَنْحَطُّ عَنْهَا الْكَوْكَبُ
يَا جَامِعَ الْأَضْدَادِ فِي كَسْبِ الْعُلا   مِنْ أَيْنَ لِي قَلْبٌ كَقَلْبِكَ قُلَّبُ
لَوْ مَيَّزَتْكَ سَجِيَّةٌ عَنْ ضِدِّهَا   لَعَلِمْتُ مَا آتِي وَمَا أَتَجَنَّبُ
مَا سَارَ فِي الْآفَاقِ ذِكْرٌ طَيِّبٌ   عَمَّنْ مَضَى إِلَّا وَذِكْرُكَ أَطْيَبُ
قَعَدُوا (٤) عَنِ الْغِيَرِ الَّتِي نَاهَضْتَهَا   وَاسْتَبْعَدُوا الْأَمَدَ (٥) الَّذِي تَسْتَقْرِبُ
فَضَفَتْ عَلَيْكَ مِنَ الثَّنَاءِ مَلَابِسٌ   لَمْ يَقْدِرُوا مِنْهَا عَلَى مَا تَسْحَبُ (٦)

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدحه ويهنيه بعيد الأضحى » .

(٢) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) بدلا (ع) و (م)

(٤) تعدو على ؟ (م)

(٥) الأمل (م)

(٦) على ما يُسحب (ل)

نَسَخَتْ فضائلُكَ الفضائلَ كُلَّها ... إنَّ الكثيرَ على القليلِ يُغلَّبُ[١]

فَلْيَعْتَرِفْ لكَ بالسِّيادةِ أهلُها ... لَزِمَتْ مَلازِمَها وَصَرَّ الجُنْدُبُ[٢]

لا يَدَّعِ المجدَ المُؤثَّلَ مُدَّعٍ ... فالمجدُ مِن هذي الخِلالِ مُرَكَّبُ

فَظُباكَ مُذْ خَطَبَتْ[٣] على قِمَمِ العِدى ... خَطَبَتْ لكَ الرُّتَبَ التي لا تُخْطَبُ

فَفَرَعْتَ منها كُلَّ ما لا يُرْتَقى[٤] ... إنَّ النُّجومَ قلائصٌ ما تُرْكَبُ[٥]

فَلِذا إذا نُسِبَتْ عُلىً في مَشْهَدٍ ... فإليكَ يا شرفَ المعالي تُنْسَبُ

بَعُدَ المَدى إلاَّ عليكَ فما لِمَنْ ... يأتَمُّهُ إلاَّ النَّصيبُ المُنْصِبُ

ما انْقادَتِ الأملاكُ طَوْعَكَ[٦] كُلُّها ... حتّى استقادَ لكَ الزَّمانُ الأصعبُ

لَوْ غيرُكَ المُبْتَزُّ يا سيفَ الهُدى ... ما كانتِ النَّخَواتُ مِمّا تَسْلُبُ[٧]

تتجنَّبُ الأحداثُ ما لا تشتهي ... وتُسارِعُ الأقدارُ فيما تَطْلُبُ

---

(١) مغلَّب (ل)

(٢) أصل المثل (علقت معالقَها وصرَّ الجندب) أي قد وجب الأمر . وللمثل خبر تجده في مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٣١١ الطبعة الخيرية .

(٣) حظيت (م)

(٤) مالا يُمتطى (ل)

(٥) لا تركب (ل)

(٦) طوعاً (ل)

(٧) مما يُسلب (ل)

لَوْ كانَ ذَنْبُكَ في الزَّمانِ اللَّذْ مَضى لَمْ تَفْتَخِرْ بِحِمى كُلَيْبٍ تَغْلِبُ (١)
أَوْ كانَ جُودُ يَدَيْكَ عاصَرَ حاتِماً (٢) لَرَأَيْتَهُ مِنْ فِعْلِهِ يَتَعَجَّبُ
فَطُلِ الوَرى يا مَنْ لِباذِخِ فَخْرِهِ أَلْقَتْ مَفاخِرَها نِزارُ وَيَعْرُبُ (٣)
فَلَئِنْ عَلَوْتَ فَكُلُّ ما أَدْرَكْتَهُ وَهُوَ التَّناهي بَعْضُ ما تَسْتَوْجِبُ
أَضْحَتْ بِعُدَّتِها الإِمامَةُ هَضْبَةً (٤) لَيْسَتْ تُرامُ وَرَوْضَةً لا تُجْدِبُ
بِأَغَرَّ يَثْني الحادِثاتِ فَتَنْثَني رَهَباً وَيَقْتادُ (٥) الجِبالَ فَتُصْحِبُ
يا بالِغَ الغَرَضِ البَعِيدِ وَدُونَهُ جَيْشٌ يَضِيقُ بِهِ الفَضاءُ السَّبْسَبُ

(١) اللّذْ : لغة في الذي ، قال أبو الطيب المتنبي :

لو لم تكن من ذا الورى اللذ منك هو عقمت بمولد نسلها حوّاءُ

وكليب بن ربيعة التغلبي الوائلي من أبطال العرب في الجاهلية ، بلغ من هيبته أنه كان يحمي مواقع السحاب فيقول : ما أظلته هذه السحابة في حماي ، فلا يرعى أحد ما تظله . وكان يقول : وحش أرض كذا في جواري ، فلا يصاد . وكان لا يورد أحد مع إبله ، ولا توقد نار مع ناره ، ولا يمر أحد بين بيوته ، ولا يحتبي أحد في مجلسه. ومن أمثالهم : « هو في حمى كليب » لمن كان آمناً .

وتَغْلِبُ قبيلة عظيمة من ربيعة من العرب العدنانية ، كانت منازلها في الجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين ، وتعرف ديارهم هذه بديار ربيعة .

(٢) حاتم الطائي : يضرب المثل بجوده .

(٣) أي قبائل نزار بن معد بن عدنان وهم العرب العدنانية ، وقبائل يعرب بن قحطان وهم العرب القحطانية .

(٤) نصبة (ع) و (م) والنصبة : السارية المنصوبة لمعرفة علامة الطريق .

(٥) وتقتاد (ل) و (م)

تُغْنِي ٱلْخِلافَةُ(١) ما عُدِدْتَ ظَهِيرَهَا ... وَٱلْجَيْشُ مالاَ قاكَ حَرْباً(٢) رَبْرَبُ
قَدْ صارَتِ ٱلدُّنْيا بِعَدْلِكَ مَعْقِلاً ... هَلْ فِي ٱلْوَرٰى عادٍ(٣) وَأَنْتَ ٱلْمُرْهِبُ
أَنّىٰ وَفِي هٰذِي ٱلْجُفُونِ بَوارِقٌ ... ما أَوْمَضَتْ إِلَّا تَجَلّىٰ غَيْهَبُ
وَعَلَى عَوامِلِ ما رَكَزْتَ كَواكِبٌ ... مِمَّا ٱنْتَصَيْتَ لَهاوَخَلَّفَ قَعْضَبُ(٤)
تَجْلُو ظَلامَ ٱلنَّقْعِ عِنْدَ طُلُوعِها ... وَظَلامَ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ ساعَةَ تَغْرُبُ
تَرَكَ ٱلزَّئِيرَ(٥) ٱللَّيْثُ مُذْ أَشْرَعْتَها ... فَرَقاً كَما تَرَكَ ٱلْهَدِيرَ ٱلْمُصْعَبُ
بِكَ عاذَ هٰذا ٱلدِّينُ دُمْتَ نَصِيرَهُ ... مِمَّا يَخافُ وَنالَ ما يَتَرَقَّبُ
أَنْتَ ٱلْمُظَفَّرُ بِٱلْأَعادِي وَٱلْمُنىٰ ... إِنْ خِيفَ حَيْفٌ(٦) أَوْ تَعَذَّرَ مَطْلَبُ
فَرَّقْتَ شَمْلَ ٱلْخَوْفِ وَهُوَ مُجَمَّعٌ ... وَجَمَعْتَ شَمْلَ ٱلْأَمْنِ وَهْوَ مُشَعَّبُ
مازِلْتَ تَبْعَثُ كُلَّ يَوْمٍ نَكْبَةً ... حَتّىٰ ٱسْتَقامَ لَكَ ٱلْعَنُودُ ٱلْأَنْكَبُ
فَلْيَنْتَحِ ٱلْقَمْقامُ(٧) عِنْدَ سُكُونِهِ ... مَنْ(٨) نَدَّ عَنْهُ وَمَوْجُهُ مُغْلَوْلِبُ

---

(١) الزرافة (ل)
(٢) حرب (م)
(٣) هادٍ (ل)
(٤) عوامل الرماح : صدورها ، وانتصى : اختار ، وقعضب : كجعفر رجل كان يعمل الأسنة .
(٥) تركت زئير الليث (ع) و (م)
(٦) حتف (ل)
(٧) القمقام : البحر .
(٨) من يدعيه ؟ (ع) و (م)

فَالْعِزُّ أَقْعَسُ وَالْمَجَازُ[1] مُسَاهِمٌ ... وَالرَّوْضُ أَحْوَى وَالْحَيَا مُتَصَوِّبُ

غَيْرُ الَّذِي عَادَاكَ يَظْفَرُ بِالْمُنَى ... وَبِغَيْرِ آمِلِكَ الظُّنُونُ تُخَيَّبُ

تُسْدِي الْكِرَامُ مَكَارِماً مَبْتُولَةً ... وَلِكُلِّ نَيْلٍ مِنْ يَدَيْكَ مُعَقِّبُ

فَمِنَ الْعُفَاةِ مُقَوِّضٌ وَمُطَنِّبٌ ... وَمِنَ الثَّنَاءِ مُشَرِّقٌ وَمُغَرِّبُ

وَلَقَدْ أَجَرْتَ الْخَائِفِينَ وَمَا لَهُمْ ... فِي الْأَرْضِ عَنْ حُجُرَاتِ مُلْكِكَ مَذْهَبُ

وَغَمَرْتَهُمْ صَفْحاً يُقَرِّبُ مِنْهُمُ[2] ... مَنْ مَالَهُ عَمَلٌ إِلَيْكَ[3] يُقَرِّبُ[4]

حَتَّى لَقَالَ النَّاسُ مِمَّا عَمَّهُمْ ... مَا ثَمَّ ذَنْبٌ لِلْعُقُوبَةِ مُوجِبُ

فَالْعَفْوُ فِيكَ[5] فَضِيلَةٌ مَكْنُونَةٌ ... حَتَّى يُبَيِّنَ فَضْلَهُ[6] مَنْ يُذْنِبُ

وَأَرَاكَ تَكْرَهُ طَيَّهَا فَلِأَجْلِ ذَا ... كُلٌّ إِلَيْكَ بِنَشْرِهَا يَتَقَرَّبُ

لَتَخِذْتَ إِعْجَازَ الْأَنَامِ خَلِيقَةً ... فَغَرِيبُ مَا تَأْتِيهِ لَا يُسْتَغْرَبُ

وَعَمَمْتَ كُلَّ الْعَالَمِينَ بِنَائِلٍ ... مَا امْتَازَ فِيهِ عَنِ الْبَعِيدِ الْأَقْرَبُ

أَنْشَأْتَ مِنْهُ بِكُلِّ أُفْقٍ دِيمَةً ... لِسَحَابِهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ هَيْدَبُ

---

(١) والمجاز (ع) و (م)
(٢) فيهم (ل)
(٣) إليه (ع) و (م)
(٤) مقرّب (ل)
(٥) منك (ع) و (م)
(٦) حتى يبين خبثها من يذنب (ل)

فَالْغَيْمُ إلاَّ مِنْ سَمائِكَ زِبْرِجٌ وَالْبَرْقُ إلاَّ مِنْ سَحَابِكَ خُلَّبُ (١)
فَلْتَعْلُ أَرْضُ التُّرْكِ أَنَّ تُرابَها مَاحازَ أَصْلاً فَرْعُهُ لاَ يُنْجِبُ
وَلَقَدْ أَبَنْتَ لَنَا بِضَرْبِكَ في الطُّلَى يَوْمَ الْوَغَى في أَيِّ عِرْقٍ تَضْرِبُ
لِلْمَشْرِقِ الْأَقْصَى بِبَيْتِكَ مَفْخَرٌ قَدْ ظَلَّ يَحْسُدُهُ عَلَيْهِ الْمَغْرِبُ
وَدِمَشْقُ فَهْيَ لَهُ (٢) الْغَداةَ قَسِيمَةٌ إِنَّ الْمَعَالِيَ مِنْ جِوارِكَ تُكْسَبُ
لَوْلاَ انْتِقالُ مُحَمَّدٍ عَنْ قَوْمِهِ مَا شارَكَتْ في الْفَخْرِ مَكَّةَ يَثْرِبُ
وَبِفَضْلِ قَوْمِكَ مِنْ إبائِكَ شاهِدٌ إِنَّ الْإِباءَ عَنِ الْأُبُوَّةِ يُعْرِبُ
وَلَوَ أَنَّهُمْ لَمْ يُشْهَرُوا بِفَضِيلَةٍ لاَزْدانَ (٣) بِالْفَرْعِ الزَّكِيِّ الْمَنْصِبُ
فَلْيَهْنِ بَيْتاً أَنْتَ مِنْهُ أَنَّهُ أَبَداً عَلَى ظَهْرِ السِّماكِ مُطَنَّبُ
فَنَواظِرُ الْأَفْلاكِ شاهِدَةٌ لَهُ بِالْمَجْدِ وَهْوَ عَنِ الْعُيُونِ مُحَجَّبُ
وَإِذَا السَّحابُ رَأَيْتَهُ مُتَراكِماً فَاحْكُمْ بِأَنَّ الْغَيْثَ فيهِ صَيِّبُ
شَغَفَ (٤) الْوَرَى حُبّاً فَعالُكَ كُلُّهُ إِنَّ الْجَمِيلَ إِلى النُّفُوسِ مُحَبَّبُ
تَتَطَلَّبُ الْأَهْواءَ أَفْئِدَةُ الْوَرَى وَعَنِ الْمَناقِبِ مَاتَزالُ تُنَقِّبُ
فَلْيَطْلُبِ الصَّبَواتِ غَيْرُكَ صاحِباً مَاذَا الْعَزُوفُ لِصَبْوَةٍ مُسْتَصْحِبُ

---

(١) الزِّبْرِجُ : السحاب الرقيق . والبرق الخُلَّب : المُطْمِع المُخْلِف .
(٢) لنا (ع) و (م)
(٣) لازداد (ع) و (م)
(٤) شغف (ل)

وَلَقَدْ شُغِلْتَ بِمَنْعِ ثَغْرٍ طَارِفٍ (١) عَمَّا دَعَاكَ إِلَيْهِ ثَغْـرٌ أَشْنَبُ
قُلْ لِلْمَسَاعِي بَعْضَ مَا تُمْلِينَهُ قَدْ مَلَّتِ الْأَقْلَامُ مِمَّا تَـكْتُبُ
يَرْجُوكَ مِنَّا خَائِفٌ وَمُؤَمِّلٌ وَمِنَ الْمُلُوكِ مُتَوَّجٌ وَمُعَصَّبُ
لَا أَدَّعِي بِالْقَوْلِ فِيكَ فَضِيلَةً بَاغِي مَدِيحِكَ رَائِدٌ لَا يَتْعَبُ
بِكَ عَادَ دَهْرِي ضَاحِكاً مِنْ بَعْدِمَا أَلْوَى بِصَدْرِ الْعُمْرِ وَهْوَ مُقَطِّبُ
هَلْ غَالَنِي زَمَنٌ وَظِلُّكَ عَاصِمِي أَوْ فَاتَنِي طَلَبٌ وَأَنْتَ الْمَطْلَبُ
فَلَأَشْكُرَنَّ نَدَاكَ مَبْلَغَ طَاقَتِي أَنَا إِنْ رَجَوْتُ لَهُ جَزَاءً أَشْعَبُ (٢)
أُثْنِي عَلَيْكَ وَلَسْتُ أَبْلُغُ شَأْوَهُ مَعَ أَنَّنِي فِي وَصْفِ مَجْدِكَ مُطْنِبُ
زِيْنَتْ بِهٰذَا الْمُلْكِ أَعْيَادُ الْوَرَى فَبَقِيتَ مَادَامَتْ تَجِيُّ وَتَذْهَبُ
لِلْخَطْبِ تَنْفِيهِ فَلَيْسَ بِعَائِدٍ وَالْأَمْرِ تُمْضِيهِ فَلَا يُتَعَقَّبُ

١٤

وقال (٣) يعزيه بزوجه ابنة صمصام الدولة (٤)

تُسَدُّ إِذَا حُمَّ الْحِمَامُ الْمَذَاهِبُ وَيُعْيِي الْبَرَايَا فَوْتُ مَا اللّٰهُ طَالِبُ

---

(١) المراد بالطارف هنا البعيد . وفي (ع) و (م) طارق وهو تصحيف .

(٢) أشعب بن جبير : ظريف من أهل المدينة يضرب المثل بطمعه .

(٣) وقال أيضاً يعزيه بزوجته شوّاقة ابنة صمصام الدولة (ل)

(٤) في الأصل : (بزوجة ابنه صمصام الدولة) وهو تصحيف دقيق . إذ أن الدزبري لما مات كان ابنه طفلاً . وورد في اتعاظ الحنفاء بأخبار الخلفاء ص ١٤٤ أن (أنوشتكين الدزبري تزوج شوّاقة ابنة صمصام الدولة)

وَأَنْتَ وَمَا فِي الْخَلْقِ مِنْكَ مُعَوَّضٌ ... لَهُمْ عِوَضٌ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ ذَاهِبُ

أَرَى غِيَرَ الْأَيَّامِ تَلْعَبُ بِالْوَرَى ... فَلَا زِلْتَ مَحْرُوساً وَلَا جَدَّ لَاعِبُ

هَوَى(١) كَوْكَبٌ زُهْرُ الْكَوَاكِبِ مُذْ هَوَى ... فَفَارَقَ(٢) مَثْوَاهَا عَلَيْهِ نَوَادِبُ

وَلَوْ لَمْ يُرَاعِ الْأُفْقُ حَقَّ جِوَارِهِ ... لَمَا شَيَّعَتْهُ بِالْبُكَاءِ السَّحَائِبُ

أُعَبِّرُ بِالتَّذْكِيرِ عَمْداً(٣) وَإِنَّنِي ... وَمَا إِنْ تَعَدَّيْتُ الْكِنَايَةَ هَائِبُ

وَلَيْسَ لِمَا أَخْفَى إِبَاؤُكَ مُظْهِرٌ ... وَلَيْسَ لِمَنْ سَرْبَلْتَهُ الصَّوْنَ سَالِبُ

وَكَمْ(٤) مُظْهَرٍ مِنْ فَضْلِهِ وَهْوَ مُضْمَرٌ ... وَكَمْ شَاهِدٍ مِنْ مَجْدِهِ وَهْوَ غَائِبُ

إِذَا مَا سَمَاءُ الْمَجْدِ لَمْ يَهْوِ بَدْرُهَا ... فَأَهْوِنْ بِأَنْ تَنْقَضَّ مِنْهَا(٥) الْكَوَاكِبُ

فَدَتْ سَائِرُ الْأَرْوَاحِ مَلْكاً فِدَاؤُهُ ... وَطَاعَتُهُ(٦) فَرْضٌ عَلَى النَّاسِ وَاجِبُ

لَئِنْ ظَفِرَتْ أَيْدِي الْخُطُوبِ بِبُغْيَةٍ ... فَمَا زِلْتَ تَفْرِي وَالْخُطُوبُ الضَّرَائِبُ

وَلَوْ أَنَّ صَرْفَ الدَّهْرِ يُثْنَى بِقُوَّةٍ ... لَعَاوَدَ عَنْ هَذَا الْحِمَى وَهْوَ خَائِبُ

---

(١) ثوى (ع) و (م) وفي هامشها : هوى .

(٢) تفارق (ل)

(٣) عنه (ل)

(٤) فكم (ل)

(٥) منه ؟ (م)

(٦) وَكَمَّا أَجْرُهُ فرضاً على الخلق واجب (ل)

وَلَوْ كانَ شَخْصاً صَدَّهُ عَنْ مُرادِهِ مُؤَلَّلَةٌ (١) زُرْقٌ وَبِيضٌ قَواضِبُ (٢)
وَلَوْ أَنَّهُ جَيْشٌ كَثِيرٌ عَدِيدُهُ لَقارَعَهُ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ كَتائِبُ
تُرى نُزْهَةَ ٱلْأَبْصارِ وَهْيَ مَواكِبٌ وَهادِمَةَ ٱلْأَعْمارِ وَهْيَ مَقانِبُ
وَما هِيَ إِلاَّ عَزْمَةٌ مِنْكَ صَدْقَةٌ وَلا (٣) ٱلصَّبْرُ مَغْلُوبٌ وَلاَ ٱلْهَمُّ غالِبُ
وَعَزْمُكَ قَدْ أَفْنى حُماةَ مَمالِكٍ تُطاعِنُ شَزْراً دُونَها وَتُضارِبُ
مَمالِكُ قَدْ دَوَّخْتَها بَعْدَ ما صَفَتْ مَشارِبُ فِيها وَٱطْمَأَنَّتْ مَسارِبُ
فَحُزْتَ مَدًى قَدْ عاوَدَتْ دُونَ نَيْلِهِ أَمانِيُّ أَهْلِ ٱلْأَرْضِ وَهْيَ لَواغِبُ (٤)
لَئِنْ ناسَبَتْكَ ٱلتُّرْكُ فَرْعاً وَعُنْصُراً فَما لَكَ فِي حَوْزِ ٱلْعَلاءِ مُناسِبُ
تَحَلَّى زَمانٌ أَنْتَ فِيهِ مَحاسِناً عَواطِلُ مِنْهُنَّ ٱلسُّنُونَ ٱلذَّواهِبُ (٥)
وَأَنْتَ ٱلَّذِي ما إِنْ يَزالُ مُظَفَّراً إِذا ما ٱلْتَقَتْ آراؤُهُ وَٱلنَّوائِبُ
لَقَدْ كَذَبَتْ مُذْ ذُدْتَ عَنّا ظُنُونُها فَلا صَدَقَتْ تِلْكَ ٱلظُّنُونُ ٱلْكَواذِبُ
إِذا ٱلْفَتَكاتِ ٱللاَّئِي لَوْ لَمْ تَبُحْ بِها نُفُوسُ ٱلْعِدى ما ٱلْتَذَّ بِٱلْماءِ شارِبُ

(١) مُؤَلَّلَة : محدَّدة الأطراف .
(٢) قواصب (ع) و (م)
(٣) وما الصبر مغلوب ولا الحزن غالب (ل)
(٤) كواذب (ل) لواعب (م)
(٥) هذا البيت ساقط من (ل)

تَعَزَّ بِذَا ٱلْعِزِّ ٱلْأَشَمِّ فَإِنَّهُ طَرِيقٌ إِلَى حَسْمِ ٱلْمَسَاءَةِ لَاحِبُ
وَطِيبِ ثَنَاءٍ طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ فَاكْتَسَتْ مَشَارِقُهَا مِنْ عَرْفِهِ وَٱلْمَغَارِبُ
بِعَزْمِكَ (١) يَا سَيْفَ ٱلْخِلَافَةِ يُقْتَدَى فَلَا تُرِ خَطْبًا أَنَّهُ لَكَ غَاصِبُ
أَنِلْنَا بِتَرْكِ ٱلْهَمِّ يَمْضِي لِشَأْنِهِ مُنَانَا فَكَمْ نِيلَتْ لَدَيْكَ ٱلرَّغَائِبُ
وَذَلِّلْ عَصِيَّ ٱلنَّوْمِ بِٱلسَّطْوَةِ ٱلَّتِي أَرَحْتَ بِهَا نَوْمَ ٱلْوَرَى (٢) وَهْوَ عَازِبُ
وَهَبْنَا ٱلْأَسَى فِيمَا وَهَبْتَ فَإِنَّنَا (٣) تَهُونُ عَلَيْنَا مَا بَقِيتَ ٱلْمَصَائِبُ

* * *

(١) بحزمك (ل)
(٢) نوم الوغى (ل)
(٣) فإنه (ل)

١٥

وقال (١) يمدح نصر بن محمود (٢)

لَافاتَ مُلْكَكَ ما أعْيا بِهِ الطَّلَبُ ... وَلا تَزَلْ أبداً تعلُو بِكَ الرُّتَبُ
فَقَدْ حَلَلْتَ بِما تأْتِي ذُرَى شَرَفٍ ... لَوْ يُدَّعَى لَادَّعَتْهُ السَّبْعَةُ الشُّهُبُ
وَعَمَّ بَيْتَكَ مِنْ مَجْدٍ خُصِصْتَ بِهِ ... فَخْرٌ تَشارَكَ فِيهِ العُجْمُ وَالعَرَبُ
يُشَبِّبُ النَّاسُ إنْ هَمُّوا بِمَكْرُمَةٍ ... عِيًّا وَأَنْتَ عَلَى الحالاتِ تَقْتَضِبُ
نافَيْتَهُمْ بِمَساعٍ مَنْ أُعِينَ بِها ... فَكُلُّ مَرْمًى بَعِيدٍ رامَهُ كَثَبُ
كَما تَنافَى الثُّرَيَّا وَالثَّرَى رُتَباً ... لا مِثْلَما يَتَنافَى الصُّفْرُ وَالذَّهَبُ

(١) يختلف مكان هذه القصيدة في (ل) عنه هنا. وعنوانها هناك كما يلي:
« وقال أيضاً يمدح نصر بن محمود بن صالح »

(٢) هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أمير حلب، وليها بعد وفاة أبيه سنة ٤٦٧ وقتله التركمان سنة ٤٦٨. قال أبو الفدا في المختصر في أخبار البشر ج ٢ ص ١٩٣ « لم يذكر ابن الأثير تاريخ قتل نصر متى كان، ثم إني وجدت في تاريخ حلب تأليف كمال الدين المعروف بابن العديم تاريخ قتل نصر المذكور قال: وفي يوم عيد الفطر سنة ٤٦٨ عيّد نصر بن محمود وهو في أحسن زي، وكان الزمان ربيعاً واحتفل الناس في عيدهم وتجملوا بأفخر ملابسهم، ودخل عليه ابن حيوس فأنشده قصيدة منها:

ضفت نعمتان خصتاك وعمتا ... حديثهما حتى القيامة يؤثر

فجلس نصر فشرب إلى العصر، وحمله السكر على الخروج على الأتراك، وسكناهم في الحاضر، وأراد أن ينهبهم وحمل عليهم، فرماه تركي بسهم في حلقه فقتله. وكان قتله يوم الأحد مستهل شوال سنة ٤٦٨ ولما قتل نصر ملك حلب بعده أخوه سابق بن محمود ».

فَصحَّ حقُّكَ لَمَّا اْعتلَّ باطِلهُمْ ... لَن يَنفُقَ الصِّدقُ حتّى يَكسُدَ الكَذِبُ
يَا بْنَ الأُلى دانتِ الدُّنيا لَهُمْ رَهَباً ... وَأَدْرَكوا عَنْوَةً أَضعافَ ما طَلَبُوا
بِالعَزْمِ حِينَ يَخونُ العَزْمُ طالِبَهُ ... وَالغَزْوِ حِينَ يَمَلُّ السَّرْجُ وَالقَتَبُ(١)
ذَوُو(٢) الوَقائِعِ حَلّى مُرُّها لَهُمُ ... ضَرْبُ الطُّلى رُبَّ ضَرْبٍ دُونَهُ ضَرَبُ
الوارِدُونَ(٣) حِياضَ المَوْتِ مُحْمِيَةً ... وَالجائِدونَ(٣) إِذا ما ضَنَّتِ السُّحُبُ
لَهُمْ ظُبىً تَسْلُبُ الأَعداءَ أَنْفُسَها ... يَوْمَ الوَغى وَرِماحٌ كُلُّها سُلُبُ
وَطالَما أَضْرَمُوا في كُلِّ مُعْتَرَكٍ ... ناراً حُماةُ أَعادِيهِمْ لَها حَصَبُ(٤)
ما عاشَ مَنْ لَمْ تَكُنْ هٰذِي الصِّفاتُ لَهُ ... حَيّاً وَلا ماتَ مَنْ نَصْرٌ لَهُ عَقِبُ
طَلْقُ المُحَيّا بِحَيْثُ الحَرْبُ عابِسَةٌ ... كَأَنَّ جِدَّ الوَغى(٥) قُدّامَهُ لَعِبُ
في مَوْقِفٍ شَهِدَتْ شُوسُ الكُماةِ لَهُ ... بِالجُودِ بِالنَّفْسِ وَالأَرْواحُ تُسْتَلَبُ
إِذْ عَمَّ كُلَّ فَصيحٍ مِذْرَهٍ خَرَسٌ ... وَلِلظُّبى وَالعَوالي أَلْسُنٌ ذُرُبُ(٦)

---

(١) بالغزو حتى يجوزَ العزمَ طالبُهُ والغزو حتى يميل السرج واللَّبَبُ (ل)
(٢) ذروا الوقائع (ل)
(٣) الواردين .. والجائدين ... (ع) و(م)
(٤) حطب (ل)
(٥) الردى (ل)
(٦) ذُرُبُ (ل)

وَرَأيُهُ(١) ٱلْبِكرُ في أَعْقاب أسْرتِهِ ... إذْ رأيُ كُلِّ عزيزٍ جارُهُ ٱلْهربُ
حَتّى ٱنْجلتْ ولهُ ٱلذِّكرُ ٱلمُبلِّغُهُ ... هٰذا ٱلْمدى(٢) رضِيَ ٱلْحُسّادُ أوْ غضِبُوا
منْ ليْسَ يُجْزِلُ نُعْمى جرَّها سببٌ ... إلاّ تلاها بأُخْرى مالها سببُ
ومُظْهِرُ ٱلعدْلِ في نأيٍ ومُقْتربٍ ... حَتّى لقدْ عدلتْ عنْ ظُلْمِها ٱلنُّوبُ
فَٱلْجُودُ(٣) وَٱلعدْلُ مفْروضٌ ومُتّبعٌ ... وَٱلْجوْرُ(٣) وَٱلْبُخْلُ مرْفوضٌ ومُجْتنبُ
تَخْفَى ٱلْكِرامُ متى عُدّتْ مكارِمُهُ ... إذا ٱلأتِيُّ(٤) طغى لمْ تظْهرِ ٱلْقُلُبُ
فلا يُحاوِلُ مداهُ كُلُّ ذي نسبٍ ... فما لهُ(٥) في حديثٍ طيِّبٍ نشبُ
لنْ يعْدمَ ٱلْخيْرُ في بيْتٍ قواعِدُهُ ... غُلْبٌ على ٱلْفضْلِ وَٱلإفْضالِ قدْ غلبُوا
معاشِرٌ لا يروْنَ ٱلْجُودَ عارِفةً ... حَتّى تكونَ ٱلْعُلى مِنْ بعْضِ ما وهبُوا
إنَّ(٦) ٱلْخليفةَ لمّا رُقْتهُ شِيماً ... علِقْتَ منْهُ بِحبْلٍ ليْسَ ينْقضِبُ
حنا عليْكَ فما بارى مبرّتهُ ... أخٌ شقيقٌ شفِيقٌ أوْ أبٌ حدِبُ

---

(١) ورأية البكر في أعقاب عصبته ... (ل)
(٢) هذا الذي رضي الحساد أم غضبوا (ل)
(٣) والجود ... والبخل والجور ... (ل)
(٤) الأتِيُّ : السيل . والقُلُب : جمع قليب وهو البئر . وورد عجز البيت في (ل) هكذا : وما له في حديث طيب نشب . وهو من سهو الناسخ .
(٥) وما له . (كما أشير إليه في الحاشية رقم (٤) والبيت ساقط من (ل)
(٦) يأتي هذا البيت في (ل) قبل ثلاثة أبيات .

وَزَادَ مُلْكَكَ مِنْ أَسْنَى مَوَاهِبِهِ   أَشَفَّ(١) مَا يَصْطَفِي مِنْهُ وَيَنْتَخِبُ
وَحُزْتَ كُلَّ نَفِيسٍ مِنْ مَلَابِسِهِ(٢)   أَشْبَهْتَ لَأْلَاءَهُ وَالشِّبْهُ مُنْجَذِبُ(٢)
مُمَنَّعٌ وَهْوَ بِالْأَبْصَارِ مُنْتَهَبٌ   وَظَاهِرٌ وَهْوَ بِالْأَنْوَارِ مُحْتَجِبُ
وَمُقْرَبٌ بَرَّحَ السَّيْرُ الْحَثِيثُ(٣) بِهِ   حَتَّى تَحَكَّمَ فِيهِ الْأَيْنُ وَالدَّأَبُ
نَحَا جَنَابَكَ وَالْأَشْوَاقُ تَجْذِبُهُ   فَدَأْبُهُ الشَّدُّ وَالتَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ
حَتَّى رَآكَ فَمَالَ الْإِخْتِيَالُ بِهِ   إِلَى الْجِمَاحِ إِلَى أَنْ كَفَّهُ الْأَدَبُ
وَقَلَّدَ الْعَضْبَ عَضْبًا طَالَمَا انْكَشَفَتْ   بِهِ صُنُوفُ الْأَذَى وَانْجَابَتِ الْكُرَبُ
وَكُلُّ مَا أَنْتَ مُمْطَاهُ وَلَابِسُهُ   دُونَ الَّذِي ضُمِّنَتْ مِنْ مَدْحِكَ الْكُتُبُ
كَمْ أُودِعَتْ مِنْ صِفَاتٍ عَنْكَ مُخْبِرَةٍ   وَإِنْ تَظَنَّى جَهُولٌ أَنَّهَا لَقَبُ
كُلُّ الْمَلَابِسِ يَبْلَى عِنْدَ بِذْلَتِهِ   وَتِلْكَ بَاقِيَةٌ أَثْوَابُهَا قُشُبُ
إِنَّ النَّبَاهَةَ أَدْنَى مَا سَعَيْتَ لَهُ(٤)   فَإِنْ خُصِصْتَ بِأَقْصَاهَا فَلَا عَجَبُ
لَكَ الْهَنَاءُ الَّذِي لِلشَّانِئِيكَ بِهِ   لَذْعُ الْهِنَاءِ(٥) وَإِنْ لَمْ يَذْهَبِ الْجَرَبُ
مِنْ كُلِّ مُظْهِرِ وُدٍّ لَيْسَ يُضْمِرُهُ   وَضَاحِكٍ لَكَ خَوْفًا وَهْوَ مُكْتَئِبُ

---

(١) شَفَّ الشيء شَفًّا : زاد ودام وثبت .
(٢) من مواهبه ... يجتذب (ل)
(٣) الحبيث ؟ (ع) و (م)
(٤) لها (ل)
(٥) الهباء ؟ (ل)

وَمَنْ أَحَقُّ بِذَا ٱلتَّنْوِيهِ مِنْ مَلِكٍ ... مَاضِي ٱلْغِرَارِ إِذَا مَا كَلَّتِ ٱلْقُضُبُ
تَرْضَى ٱلْمُلُوكُ بِأَنْ يُدْعَى لَهَا (١) شَرَفاً ... وَتَعْتَلِي بِٱسْمِهِ ٱلْأَشْعَارُ وَٱلْخُطَبُ
أَنَالَهُ ٱلْجُودُ وَٱلْإِقْدَامُ مَنْزِلَةً ... مَا نَالَهَا سَالِفاً آبَاؤُهُ ٱلنُّجُبُ
وَتَاجُ مِلَّةِ خَيْرِ ٱلْأَنْبِيَاءِ لَهُ ... جَدٌّ وَتَاجُ مُلُوكِ ٱلْخَافِقَيْنِ أَبُ
وَإِنْ مَعَالِيهِمْ طَالَتْ فَقَدْ بَلَغَتْ ... بِهِ ٱلْمَآثِرُ مَا لَا يَبْلُغُ ٱلْحَسَبُ
لَقَدْ ظَفِرْتَ مِنَ ٱلْمَجْدِ ٱلصَّرِيحِ بِمَا ... نَصِيبُ طُلَّابِهِ ٱلْإِكْدَاءُ وَٱلنَّصَبُ (٢)
مُنَافِياً (٣) كُلَّ مَنْ تُخْفِيهِ هِمَّتُهُ ... فَلَيْسَ يُعْرَفُ إِلَّا حِينَ يَنْتَسِبُ
بِكَ ٱقْتَضَى ٱلدِّينُ دَيْناً حَانَ مَاطِلُهُ ... فَيَسَّرَ ٱللّٰهُ مَا تَرْجُو وَتَرْتَقِبُ
فَلَيْسَ يَعْصِيكَ إِلَّا مَنْ حُشَاشَتُهُ ... يَشْتَاقُهَا ٱلْحَتْفُ أَوْ يَشْتَاقُهَا ٱلْعَطَبُ
وَصَلْتَنِي (٤) بِصِلَاتٍ لَا يَجُودُ بِهَا ... إِلَّا ٱمْرُؤٌ مَالُهُ فِي مَالِهِ أَرَبُ
فَمِنْ بَيَانِكَ مَاءُ ٱلْفَضْلِ مُنْهَمِرٌ ... وَمِنْ بَنَانِكَ مَاءُ ٱلْجُودِ مُنْسَكِبُ (٥)
وَٱلْمَجْدُ إِنْ كَانَ فِي ٱلْأَقْوَامِ مُكْتَسَباً ... فَإِنَّهُ فِيكَ مَوْلُودٌ وَمُكْتَسَبُ
سَطَوْتَ فَٱسْتَصْغَرَ ٱلْأَنْجَادُ (٦) مَنْ غَلَبُوا ... وَجُدْتَ فَٱسْتَنْزَرَ ٱلْأَجْوَادُ مَا وَهَبُوا

---

(١) لهم (ل)
(٢) هذا البيت والذي بعده يختلف ترتيبها في النسخ وقد اخترنا ترتيب (ل)
(٣) مناقضاً (ل)
(٤) واصلتني (ل)
(٥) هذا البيت وبيتان بعده ساقطة من (ل)
(٦) الأمجاد (م)

كَمْ مِنْ لُهىً جَمَّةٍ أَتْبَعْتَها بِلُهىً ... كَذَّبْنَ مَنْ قالَ إِنِّي جارُكَ الْجُنُبُ
وَزادَ بِرُّكَ حَتّى صارَ ناسِبُكُمْ ... يَعُدُّنِي مِنْ ذَوِي الْقُرْبى إِذا نُسِبُوا
فَقَدْ تَرَكْتَ غَنِيّاً (١) غَيْرَ مَقْلِيَةٍ ... لَمّا تَجَدَّدَ لِي فِي عامِرٍ (١) نَسَبُ
وَسَوْفَ أُبْقِي عَلى ذا الْمُلْكِ مِنْ كَلِمِي ... ما لا تَحَيَّفُهُ (٢) الْأَحْوالُ وَالْحِقَبُ
مِنْ كُلِّ مُطْرِبَةٍ لِلْفَضْلِ مُطْرِبَةٍ ... مَنْ لَيْسَ يَطْرَبُ وَالْأَوْتارُ تَصْطَخِبُ
قَوْلٌ يُضاعِفُ بُعْدُ الدّارِ قِيمَتَهُ ... كَالْمِسْكِ يَزْدادُ قَدْراً حِينَ يَغْتَرِبُ
وَكَيْفَ أَمْدَحُهُ مِنْ بَعْدِ مَعْرِفَتِي ... أَلّا أَقُومَ (٣) بِعِشْرِ الَّذِي يَجِبُ
لَنْ يَبْلُغَ الْمَدْحُ أَدْنى ما تَجُودُ بِهِ (٤) ... فَلَسْتَ تُحْرِزُ إِلّا دُونَ ما تَهَبُ

١٦

وقال (٥) يمدح ناصر الدولة وسيفها أبا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان (٦)

هَلْ فَوْقَ مَجْدِكَ غايَةٌ لِطِلابِ ... أَمْ عَنْ ذَراكَ مُعَرَّجٌ لِرِكابِ

---

(١) غَنِيّ : قبيلة الشاعر المنسوبة إلى غني بن أعصر بن سعد من قيس عيلان من العرب العدنانية والنسبة إليها غَنَوي . وعامر بن صعصعة : جدّ بني كلاب قبيلة الممدوح .

(٢) ما لا تغيره (ل)

(٣) أن لا تقوم (ل)

(٤) لن يبلغ الحمد أدنى ما يجود به ... فلست تخزن إلا دون ما تهب (ل)

(٥) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح ناصر الدولة بن حمدان »

(٦) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

مَا ٱلْمُنْزِلُ ٱلْآمَالَ عِنْدَكَ مُخْفِقٌ ... كَلَّا وَلَا ٱلْمُرْتَادُ بِٱلْمُرْتَابِ (١)
فَطُلِ ٱلْوَرَى وَتَعَلَّ رُتْبَتَكَ ٱلَّتِي ... خَطَبَتْكَ وَهْيَ كَثِيرَةُ ٱلْخُطَّابِ
وَتَمَلَّكِ ٱلْعَلْيَاءَ بِٱلسَّعْيِ ٱلَّذِي ... أَغْنَاكَ عَنْ مُتَعَالِمِ ٱلْأَنْسَابِ
بِسَوَادِ نَقْعٍ وَٱحْمِرَارِ صَوَارِمٍ (٢) ... وَبَيَاضِ عِرْضٍ وَٱخْضِرَارِ جَنَابِ
وَٱفْخَرْ (٣) بِعَمٍّ عَمَّ جُودُ يَمِينِهِ ... وَأَبٍ لِأَفْعَالِ ٱلدَّنِيَّةِ آبِ
بِوِرَاثَةِ ٱلْأَفْعَالِ أَدْرَكْتَ ٱلْمَدَى (٤) ... لَا شَكَّ قَبْلَ وِرَاثَةِ ٱلْأَلْقَابِ
حَسَنَاتُ فِعْلِكَ (٥) جَمَّةٌ فَبِأَيِّهَا ... أَصْبَحْتَ مُنْفَرِداً مِنَ ٱلْأَضْرَابِ
بِعَطَائِكَ ٱلْمُجْتَاحِ أَمْ بِقَضَائِكَ ٱلْـ ... ـمُنْتَاشِ أَمْ بِعَطَائِكَ ٱلْمُنْتَابِ
أَمْ بَذْلِ عَفْوِكَ وَٱلذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ (٦) ... أَمْ قَطْعِ (٧) عَزْمِكَ وَٱلسُّيُوفُ نَوَابِ
فِي ٱلْأَرْضِ أَهْلُ مَمَالِكٍ سَاحَاتُهُمْ ... وَصُدُورُهُمْ فِي ٱلْمَحْلِ غَيْرُ رِحَابِ
لَمْ يُعْجِزُوا فِي ٱلْمَكْرُمَاتِ (٨) وَأَعْجَبُوا ... وَلَدَيْكَ إِعْجَازٌ بِلَا إِعْجَابِ

---

(١) كالمرتاب (ل)
(٢) واحمرار أسنةٍ (ل)
(٣) وأنخم (م)
(٤) المُنَى (ل)
(٥) جدك (م)
(٦) عظيمة (ل)
(٧) أم وقع عزمك ... (ل)
(٨) في المأثرات (ل)

وَلِحِلْمِكَ ٱلْإِغْضاءِ فِي ٱلْإِغْضابِ ... وَلِنَيْلِكَ ٱلْإِجْداءِ فِي ٱلْإِجْدابِ
وَلَأَنْتَ غُرَّةُ أُسْرَةٍ أَيْمانُها ... مَلْأَى مِنَ ٱلْإِعْطاءِ وَٱلْإِعْطابِ
مِنْ رازِقٍ فِي لَزْبَةٍ أَوْ سابِقٍ ... فِي حَلْبَةٍ أَوْ ناطِقٍ بِصَوابِ
قَوْمٌ إِذَا طَلَعَ ٱلْعَجاجُ عَلَيْهِمُ ... قَتَلُوا ٱلْعِدَى فَٱنْجابَ عَنْ أَنْجابِ
وَإِذَا تَعَذَّرَتِ ٱلْغُيُوثُ بِأَرْضِهِمْ ... نابُوا عَنِ ٱلْأَنْواءِ خَيْرَ مَنابِ
حَرَبُوا ٱلزَّمانَ فَنالَ مِنْهُمْ ثَأْرَهُ ... بِشَبا خُطُوبٍ لَا بِحَدِّ حِرابِ
وَأَتَيْتَ فِي أَعْقابِ قَوْمِكَ عالِماً ... فِي ٱلرَّوْعِ فَضْلَ فَوارِسِ ٱلْأَعْقابِ
فَأَخَفْتَهُ حَتَّى ٱنْبَرَتْ أَحْداثُهُ ... مَفْلُولَةَ ٱلْأَظْفارِ وَٱلْأَنْيابِ
ما بَيْنَ خَطْبٍ رُعْتَهُ بِعَزِيمَةٍ ... تُرْدِي وَخَطْبٍ ذُدْتَهُ بِخِطابِ
يا أَخْصَرَ ٱلْأُمَراءِ فِي حَسْمِ ٱلْأَذَى ... قَوْلاً وَأَحْصَرَهُمْ غَداةَ سِبابِ
شَرُفَ ٱلنَّدِيُّ وَأَنْتَ فِيهِ ٱلْمُحْتَبِي (١) ... شَرَفَ ٱلنَّدَى ٱلْمُعْطَى وَأَنْتَ ٱلْحابِي
لَوْ راءَ ما يَأْتِي أَوائِلُ وائِلٍ (٢) ... بِمَحْضِ ٱلْفَخْرِ مِنْكَ لُبابِ (٣)
لِلنَّاصِرِ بْنِ ٱلنَّاصِرِ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي ... ما شَمْسُهُ مَحْجُوبَةٌ بِضَبابِ

---

(١) المجتبى (ع) و (م)
(٢) وائل بن قاسط من ربيعة من عدنان . كان له من الولد بكر وتغلب وهما بطنان عظيمان .
(٣) كذا والبيت كله ساقط من (ل)

مَلِكٌ إذَا اجْتَابَ الْمُفَاضَةَ (١) فِي وَغىً عَايَنْتَ لَيْثاً فِي قَمِيصِ حُبَابِ
يُلْفِي (٢) طَنِينَ ذُبَابِ كُلِّ مُهَنَّدٍ فِي سَمْعِهِ عِزّاً طَنِينَ ذُبَابِ
شَفَعَ الشَّجَاعَةَ بِالْخُشُوعِ (٣) لِرَبِّهِ مَا أَحْسَنَ الْمِحْرَابَ (٤) فِي الْمِحْرَابِ
وَغَدَا يُحَاسِبُ نَفْسَهُ لِمَعَادِهِ وَهِبَاتُهُ تَتْرَى بِغَيْرِ حِسَابِ
إِنَّ الْقَوَافِيَ مُذْ أَتَتْكَ مَوَادِحاً أَمِنَتْ مِنَ الْإِكْدَاءِ وَالْإِكْذَابِ (٥)
فَلْتَفْخَرِ الْأَيَّامُ مِنْكَ بِبَاسِلٍ غَمْرِ الثَّوَابِ مُطَهَّرِ الْأَثْوَابِ
يَقْظَانَ (٦) أَوْجَدَهُ التَّنَاهِي فِي النُّهَى عَدَمَ اللِّعَابِ بِرَبْعِهِ وَالْعَابِ
قَدْ كُنْتُ عَنْ حَوْكِ (٧) الْقَرِيضِ مُنَكِّباً فَأُتِيحَ لِي عِرْفَانُ وَجْهِ صَوَابِي
فَلَأَكْسُوَنَّ عُلَاكَ مِنْ حَبَرَاتِهِ حُلَلَ الْمُلُوكِ وَحِلْيَةَ الْآدَابِ
وَلَأُهْدِيَنَّ الْمَدْحَ عَزَّ نَظِيرُهُ لِأَعَزِّ فَرْعٍ فِي أَجَلِّ نِصَابِ

---

(١) المفاصة ؟ (ع) و (م)
(٢) يلقى (ل)
(٣) بالخضوع (مسالك الأبصار . ج (١٠) مخطوط) .
(٤) المحراب : الشديد الحرب الشجاع . والمحراب الثانية : مقام الإمام في المسجد .
(٥) هذا البيت ساقط من (ل)
(٦) وأغر . . . بهامش (ع) و (م)
(٧) عن قول القريض (ل)

وَلأُبْقِيَنَّ عَلَى عَدِيٍّ مِثْلَ مَا أَبْقَى حَبِيبٌ فِي بَنِي عَتَّابِ (١)

١٧

وقال (٢) يمدح أمير الجيوش الدِّزبري (٣) وقد ضربت له خيام وخرج إليها معوِّلاً على الغزو .

إِنَّ ٱلْعُلَى ٱلْمُعْيِي ٱلْمُلُوكَ طِلَابُهَا لَكَ دُونَ هٰذَا ٱلْخَلْقِ يُفْتَحُ بَابُهَا

خَطَبَتْكَ رَاغِبَةً إِلَيْكَ وَطَالَمَا (٤) رُدَّتْ عَلَى أَعْقَابِهَا خُطَّابُهَا

وَلَقَدْ فَرِعْتَ بِمَا صَنَعْتَ مَحَلَّةً لَوْلَا ٱلنُّجُومُ تَعَذَّرَتْ أَتْرَابُهَا

وَبِكَ ٱنْجَلَى عَنْ مُقْلَةِ ٱلْحَقِّ ٱلْقَذَى وَٱنْجَابَ عَنْ لَيْلِ ٱلْخُطُوبِ حِجَابُهَا (٥)

---

(١) عدي : احد أجداد بني حمدان المذكورين في عمود نسبهم . وحبيب : هو أبو تمّام الطائي ، وما ابقاه في بني عتّاب : إشارة إلى قول أبي تمّام من قصيدة يمدح بها مالك بن طوق التغلبي :

لا جود في الأقوام يُعلم ما خلا جوداً حليفاً في بني عتّاب

ولأبي تمام عدة قصائد في مالك وأخيه القاسم ابني طوق ، وعتّاب من اجدادهما.

(٢) يختلف مكان هذه القصيدة في (ل) عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح أمير الجيوش مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدزبري وأنشده إياها يوم ضربه الخيام وخروجه معوِّلاً على الغزو في سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة » .

(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٤) وربما (ل)

(٥) هذا البيت ساقط من (ل)

وَأَعَدْتَ أَيَّامَ ٱلْخِلَافَةِ غَضَّةً فَمَضَىٰ شَبَاهَا مُنْذُ عَادَ شَبَابُهَا
مُسْتَرْجِعًا بِٱلْمُرْهَفَاتِ مَمَالِكًا لَوْلَاكَ مَا غَصَّتْ بِهَا غُصَّابُهَا (١)
فَٱفْخَرْ فَإِنَّكَ غُرَّةٌ فِي أُسْرَةٍ دَلَّتْ عَلَى أَنْسَابِهَا أَحْسَابُهَا
وَتَمَلَّهَا خِيَمًا حَبَاكَ ٱلنَّصْرَ مَنْ مُدَّتْ لِنُصْرَةِ دِينِهِ أَطْنَابُهَا
طَلَعَتْ بِأَعْلَاهَا نُجُومُ دُجًى ضُحًى زَهَرَتْ فَمِنْ أَنْوَارِهَا جِلْبَابُهَا
وَبِهَا ٱلْحَيَا وَٱلشَّمْسُ طَالِعَةٌ فَهَلْ عُقِدَتْ عَلَى ٱلْفَلَكِ ٱلْمُدَارِ قِبَابُهَا
قَصْرٌ إِذَا ٱلشُّعَرَاءُ رَامَتْ (٢) وَصْفَهُ عَجَزَتْ وَقَصَّرَ دُونَهُ إِطْنَابُهَا
فِي كُلِّ فِتْرٍ مِنْهُ حَرْبٌ لَمْ تَرُعْ مَنْ قَاتَلَتْهُ (٣) سُيُوفُهَا وَحِرَابُهَا
كَثُرَتْ مُهَاوَاةُ ٱلرِّجَالِ مُشِيرَةً بِظُبَى صَوَارِمِهَا وَقَلَّ (٤) ضِرَابُهَا
تَحْمِي ٱلرُّمَاةُ بِهَا حَقَائِقَهَا وَلَمْ يَسْطِعْ فِرَاقَ قِسِيِّهَا نُشَّابُهَا (٥)
فَتَرَى (٦) ٱلْأُسُودَ بِهِ فَوَارِسَ حَيْثُ لَا تَعْدُو وَلَا تَفْرِي ٱلطُّلَى أَنْيَابُهَا

---

(١) عصابها (ل)
(٢) راموا (ع) و (م)
(٣) مَن قابلته (ل)
(٤) وفل (ل)
(٥) الحقائق : جمع حقيقة وهي ما يجب على الرجل أن يحميه ، يقال هو حامي الحقيقة وهو من حماة الحقائق . ولم يسطع : أي لم يستطع ، يقال اسطاع يسطيع أي استطاع يستطيع فيحذفون التاء استثقالاً لها مع الطاء .
(٦) وترى (ل)

وَتَرى ٱلْفَوارِسَ لاَ تَمَلُّ جِيادُها … تُزْجي ٱلظَّعائِنَ لاَ تَكِلُّ[١] رِكابُها
أَبَداً تَسيرُ وَلاَ تَزُولُ فَهَلْ تُرى … عَرَفَتْ غُيُوثَ ٱلْجُودِ أَيْنَ مَصابُها
عَزْمٌ مَتى تَصِلِ ٱلْعِدى أَخْبارُهُ … قَبْلَ ٱلْعِيانِ تَقَطَّعَتْ أَسْبابُها
يامُتْعِبَ ٱلنَّفْسِ ٱلنَّفِيسَةِ حَسْبُ مَنْ[٢] … قارَعْتَ عَنْهُ راحَةً إِتْعابُها
مَنْ هَمَّ بِٱلْعَلْياءِ هامَ فُؤادُهُ … وَجْداً بِها وَحَلاَ بِفِيهِ صابُها
أَيَنالُ مَنْ صَعُبَتْ عَلَيْهِ سُهُولُها[٣] … ما نالَ مَنْ سَهُلَتْ عَلَيْهِ صِعابُها
تَفْديكَ مِنْ غِيَرِ ٱلزَّمانِ خَلائِقٌ … في راحَتَيْكَ ثَوابُها وَعِقابُها
إِنَّ ٱلسَّماءَ رَأَتْ فَعالَكَ في ٱلْوَرى … فَإِذا دَعَوْا لَكَ فُتِّحَتْ أَبْوابُها
وَٱلْأَرْضُ إِنْ خافَتْ فَمِنْكَ ذَهابُ ما … تَخْشى وَإِنْ ظَمِئَتْ فَمِنْكَ ذِهابُها[٤]
لاَ تَشْتَكي ظُلْماً وَعَدْلُكَ جارُها … كَلاَّ وَلاَ ظُلَماً وَأَنْتَ شِهابُها
خَبُثَتْ فَمُذْ طَهَّرْتَها بِدِماءِ مَنْ … خَبُثَتْ بِهِمْ[٥] طَهُرَتْ وَطابَ تُرابُها
لَوْلاَ فَعالُكَ بِٱلطَّواغي لَمْ تَلُذْ … حَذَرَ ٱلْبَوارِ بِرُومِها أَعْرابُها[٦]

---

(١) لا يكل (ل)
(٢) حسبُ ما (ل)
(٣) سهوله ؟ (ل)
(٤) الذهاب : الأمطار الغزار .
(٥) به (ل)
(٦) الطواغي : جمع طاغوت وهو كل رأس ضلال . ويشير بذلك إلى هزيمة حسّان بن المفرّج الطائي والتجائه الى الروم .
« انظر خطط الشام ج ١ ص ٢٥١ »

هيْهاتَ لاَ عِزٌّ يُتاحُ لهَا وَقدْ ... دانَتْ لِمُلْكِكَ كَلبُها وَكِلابُها (١)

وَبِلادُ أرْمانُوسَ سَوْفَ تَشيمُها ... إنْ حانَ مالِكُها وَحانَ خرَابُها (٢)

وَالْمُلْكُ لاَيبْقَى لَهُ إلاَّ كَما ... يَبقَى عَلى وَجْهِ الْمُدام حبَابُها

وَالرُّومُ ثابتَةٌ كَما زَعمتْ إذَا ... ثَبَتَتْ علَى وَقعِ السُّيُوفِ رِقابُها

وَلَها مِنَ الْبيضِ الرِّقاقِ رِهافُها ... إنْ لَمْ تَنِبْ (٣) وَمِنَ الْعِتاقِ صِلابُها

خَيلٌ إذَا رَكَضَتْ تَساوَى عِنْدَها ... مِنْ كُلِّ أرْضٍ وَهْدُها وَهِضابُها

تَرْدي بِآسادٍ خَوادِرَ في الْقنا ... مِنْها أظافِرُها وَمِنْها غابُها (٤)

وَأمامَها ظَفِرٌ يذِلُّ لَهُ الْعِدى ... وَيفُلُّ ظُفْرُ النَّائِباتِ وَنابُها (٥)

اِذْعَرْ جُيُوشَهُمُ بِجَيْشِكَ إنَّها ... نَعَمٌ وأطْرافُ (٦) الْوَشيجِ ذِئابُها

وَالْقوْمُ إنْ شطَّتْ بِعِزِّهِمُ النَّوَى ... فابْنُ الْمُفرِّجِ لاَ تَشُكَّ غرابُها (٧)

---

(١) يشير بذلك إلى دخول رافع بن أبي الليل الكابي في طاعة الفاطميين ، والى مقتل صالح بن مرداس الكلابي لما قاتله أنوشتكين .

« انظر خطط الشام ج ١ ص ٢٤٩ »

(٢) أرمانوس : ملك الروم . « الكامل لابن الاثير ج ٩ ص١٧٢ »

(٣) إن لم تَشُبُ . . . (ل)

(٤) رَدَتِ الفرس : رجمت الأرض بحوافرها .

(٥) رجل ظَفِر : لا يطلب أمراً إلا أصابه . والبيت كله ساقط من (ل)

(٦) . . باطراف الوشيج ذبابها (ل)

(٧) ابن المفرّج : هو حسّان بن المفرّج الطائي الذي مالأ ملك الروم على غزو حلب ، فقصد ملك الروم حلب سنة ٤٢١ وانهزم عنها أشنع هزيمة . « انظر خطط الشام ١/٢٥٠ » والبيت كله ساقط من (ل)

إنْ زُرْتَ مَمْلَكَةَ ٱلنَّصارَى زَوْرَةً　　أعْيَا عَلَى أصْحَابِها إصْحَابُها
ثَبَتَتْ بِأفْئِدَةِ ٱلعِدَى لكَ هَيْبَةٌ　　ستَزُولُ مِنْ (١) إلْبابِها ألْبابُها
هِمَمٌ يَهِيبُ بِها ٱلْوَلِيُّ لِدَفْعِ مَا　　يَخْشَى وَلَكِنَّ ٱلْعَدُوَّ يَهابُها
عَزَّتْ وَجادَتْ فَٱلْمَرُوعُ طَرِيدُها　　فِي كُلِّ أرْضٍ وٱلْمَرِيعُ جَنابُها
يا مُصْطَفَى ٱلْمُلْكِ ٱلْمُظَفَّرَ دَعْوَةً　　عَدْواكَ إنْ عَدَتِ ٱلْخُطوبُ جَوابُها (٢)
حَسُنَتْ بِكَ ٱلدُّنْيا فَإنْ هِيَ أعْجَبَتْ　　تِيهاً فَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ إعْجابُها
إنَّ ٱلقَوافِيَ وَهْيَ غَيْرُ مَلُومَةٍ　　مُذْ (٣) أصْبَحَتْ دَأْبِي فَمَدْحُكَ دابُها
فَٱلْبَسْ مِنَ ٱلْحَمْدِ ٱلْمُؤَثَّلِ مُوقِناً　　أنَّ ٱلْمَحامِدَ لَنْ تَرِثَّ ثِيابُها
حُلَلاً عَلَيَّ وَمَا أُكافِئُ نَسْجُها　　وَعَلَى مَناقِبِكَ ٱلْعُلَى إذْهابُها
وَإذَا ٱلْخُيُولُ تَسابَقَتْ فِي حَلْبَةٍ　　بانَتْ هُناكَ هِجانُها وَعِرابُها
قَدْ صَحَّ لِي كَدَرُ ٱلْمُلُوكِ وَغَدْرُها　　لَمَّا وَفَى لِي صَفْوُها وَلُبابُها
غَرِيَتْ صُرُوفُ ٱلدَّهْرِ بِي إنْ غَرَّنِي　　مِنْ بَعْدِ أنْ هَطَلَتْ يَداكَ سَرابُها
أخْلَيْتَ لِي ٱلعَيْشَ ٱلْأمَرَّ بِأنْعُمٍ　　صَدَقَتْ بَوارِقُها وَسَحَّ سَحابُها
وَنَظَرْتَنِي كَرَماً بِمُقْلَةِ عالِمٍ　　أنَّ ٱلرِّجالَ حُلِيُّها آدابُها

---

(١) عن (ل)
(٢) هذا البيت والذي بعده ساقطان من (ل)
(٣) قد أصبحت . . . (ل)

فَأَسْلَمْ وَإِنْ رُغِمَتْ (١) عِداكَ لِأُمَّةٍ لَوْلاكَ طالَ عَلَى ٱلزَّمانِ عِتابُها

١٨

وقال(٢) يمدح ناصر الدولة(٣) ويهنيه بعيد النحر ويذكر الإرجاف(٤)

بَقِيتَ لِذَا ٱلعِزِّ ٱلَّذِي عَزَّ مَطْلَبا وَلاَ زالَ ظَنُّ ٱلْحاسِدِيكَ مُخَيَّبا
لَقَدْ جَلَّتِ (٥) ٱلْبُشْرى بِتَكْذِيبِ ماحَكَوْا فَأَهْلاً بِما قالَ ٱلْبَشِيرُ وَمَرْحَبا
وَلِلّهِ قَوْلٌ كانَ لِلشَّمْلِ جامِعاً وَلِلبَغْيِ مُجْتاحاً وَلِلْهَمِّ مُذْهِبا
وَيا حَبَّذَا ٱلقَوْلُ ٱلَّذِي بانَ مَيْنُهُ إِذَا كانَ عَمّا (٦) فِي ٱلضَّمائِرِ مُعْرِبا
عَرَفْتَ بِهِ ما فِي ٱلْقُلُوبِ فَلَمْ تَجِدْ بِها عَنْكَ (٧) مُعْتاضاً وَلاَ عَنْكَ مَرْغَبا
جَنَيْتَ مِنَ ٱلْإِحْسانِ وَٱلْعَدْلِ وَٱلتُّقَى هَوًى عَدِمَتْ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ ٱلتَّقَلُّبا

---

(١) وإن زعمت . . . ؟ (م)

(٢) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال يمدح ناصر الدولة ويهنيه بعيد النحر »

(٣) انظر ترجمته في الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

(٤) لعله يريد بالإرجاف الأخبار التي سبقت القبض عليه وتسييره من دمشق الى مصر سنة ٤٤٠ .

(٥) لقد حلت . . . (ع) و (م)

(٦) إذا كان عزماً . . . (ع) و (م)

(٧) منك . . . (بهامش م)

يَفُوقُ هَوىً مَنْ يَعْشَقُ الطَّرْفَ أَحْوَراً ... وَصَبْوَةَ مَنْ يَصْبُو إِلى الثَّغْرِ أَشْنَبا
فَلاَ طَوَتِ الأَقْدارُ أَيَّامَكَ الَّتي ... تُذَكِّرُ أَيَّامَ الصِّبا كُلَّ أَشْيَبا (١)
وَلاَ أَقْلَعَ النَّوْءُ الَّذِي أَنْتَ غَيْثُهُ ... فَلَسْنا نَرى عاماً بِظِلِّكَ مُجْدِبا
وَنَبْتُ الوِهادِ كانَ قَبْلَكَ ذاوِياً ... فَلَمَّا أَتَيْتَ اخْضَرَّ ما تُنْبِتُ الرُّبا
طَلَعْتَ عَلَى ذِي الأَرْضِ أَيْمَنَ طالِعٍ ... فَأَمَّنْتَ مُرْتاعاً وَأَرْهَبْتَ مُرْهِبا
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ أَفعالُكَ المَجْدَ نَفْسَهُ ... فَلاَ شَكَّ أَنَّ المَجْدَ مِنْها تَرَكَّبا
فَلاَ يَلْتَمِسْ (٢) إِدْراكَ رُتْبَتِكَ الوَرى ... فَما عُرِضَتْ لِلْخاطِبِينَ فَتُخْطَبا (٣)
لَقِيدْتَها بِالمَأْثُراتِ مُحَوِّطاً (٤) ... عَلَيْها فَلَمْ تَتْرُكْ لَها عَنْكَ مَذْهَبا
فَما هِيَ إِلاَّ حَوْزُ مَنْ طابَ مَوْلِداً ... وَنَشْراً (٥) وَأَخْباراً وَعِرْقاً وَمَنْصِبا
وَذِي شِيَمٍ سَيْفِيَّةٍ ناصِرِيَّةٍ ... قَضَيْنَ لَهُ أَنْ وُرِّثَ العَمَّ وَالأَبا
فَأَصْبَحَ مَدْعُوًّا بِما دُعِيا بِهِ ... فَلاَ فَرْقَ (٦) فِيها أَنْ يُسَمَّى وَيُنْسَبا
إِذا نَزَلَ العافُونَ مَغْناهُ جادَهُمْ ... حَيا مُزْنَةٍ عاداتُها أَنْ تَصَوَّبا

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)
(٢) فلا تلتمس إدراك رتبتك العدى (ع) و (م)
(٣) لتخطبا (ل)
(٤) محيطا (ع) و (م)
(٥) وبشراً وأخباراً وفرعاً ومنصبا (ل)
(٦) فلا فرق بين أن يسمى وينسبا (ل)

وَلَمْ يجِدُوا غيمَ ٱلْمواعِيدِ زِبْرِجاً   لَدَيْهِ وَلا بَرْقَ ٱلطَّلاقَةِ خُلَّبا
فَوازِنْ بِهِ أَهْمَى ٱلْغُيُوثِ إذا حبا[1]   وَوازِنْ بِهِ أَرْسَى ٱلْجِبالِ إذا ٱحْتَبَى
وَلَوْ لَمْ يُصَدِّقْ ناصِرُ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُنَى   بِأَنْعُمِهِ[2] لَمْ تَلْقَ إلاَّ مُكَذِّبا
مِنَ ٱلْقَوْمِ لَمْ يُغْضُوا لِباغٍ عَلَى قَذًى   فُواقاً[3] وَلَمْ يَرْضَوْا سِوَى ٱلْحَمْدِ مَكْسَبا
أُناسٌ[4] سُقُوا دَرَّ ٱلْإِباءِ لِيَنْتَخُوا   كَما سُقِيَ ٱلْماءَ ٱلْحَدِيدُ لِيَصْلُبا
أَطاعَتْهُمُ ٱلْأَيَّامُ في نَيْلِ ما بَغَوْا   وَلَوْ غالَبَتْهُمْ أَحْرَزُوهُ تَغَلُّبا
لَئِنْ كانَ هٰذا ٱلدَّهْرُ مالِكَ أَهْلِهِ   فَإِنَّكُمُ مُلاَّكُهُ شاءَ أَوْ أَبَى
وَأَنْتُمْ[5] مَقَرُّ ٱلْمُلْكِ قِدْماً وَإِنَّما   يُرَى نازِلاً في غَيْرِكُمْ إنْ تَغَرَّبا
أَتَى مُلْكُكُمْ مِنْ مَطْلِعِ ٱلشَّمْسِ مُشْبِهاً   سَناها فَلَمَّا طَبَّقَ ٱلْأَرْضَ غَرَّبا
وَكانَ يَوَدُّ ٱلْغَرْبُ لَوْ كانَ مَشْرِقاً   فَصارَ يَوَدُّ ٱلشَّرْقُ لَوْ كانَ مَغْرِبا
إذا ما شَهِدْتُمْ مَأْزِقاً شَهِدَ ٱلْوَرَى   بِأَنَّكُمُ أَجْرَى وَأَمْضَى مِنَ ٱلظُّبَا
مَلأْتُمْ قُلوبَ ٱلْعالَمِينَ مَهابَةً   وَحُقَّ لِأُسْدِ ٱلْغابِ أَنْ تُتَهَيَّبا

---

(١) إذا حمى ؟ (ل)

(٢) بإنعامه (ل)

(٣) الفُواق : ما بين الحلبتين من الزمان جعلوه ظرفاً على السعة .

(٤) أناساً سقوا در الإباء لينتجوا (ل)

(٥) فأنتم (ل)

فَكَمْ غُضَّتِ ٱلْأَبْصارُ عِنْدَ لِقائِكُمْ خُضُوعاً وَفُضَّتْ عِنْدَ ذِكْرِكُمُ ٱلْحُبا
وَكَمْ قالَ رائي جُودِكُمْ ووَفائِكُمْ وَبأْسِكُمْ ما ٱلْفَخْرُ إلاّ لِتَغْلِبا
فَيا مَلِكاً ما زالَ للهِ مُرْضِياً وَلِلْإِفْكِ في نُصْحِ ٱلْخِلافَةِ [1] مُغْضِبا
وَيا مَنْ طَوى عِزَّ ٱلْأَعادي وَما ٱنْتَضى حُساماً وَلا أَنْضى مِنَ ٱلرَّكْضِ مُقْرَبا
بَلى أَسْكَنَ ٱلْبيضَ ٱلْجُفُونَ مُجَرِّداً صَوارِمَ عَزْمٍ لا يُفَلُّ لَها شَبا
وَثاقِبَ آراءٍ يُضِيءُ لَها ٱلدُّجى وَصادِقَ أَفْكارٍ تُرِيهِ ٱلْمُغَيَّبا
لَقَدْ طالَ ما ٱسْتَنْقَذْتَ بِٱلْأَمْنِ خائِفاً وُقُوعَ ٱلرَّدى وَٱنْتَشْتَ بِٱلْعَفْوِ مُذْنِبا
إِذا عُدَّ أَمْجادُ [2] ٱلدُّنا كُنْتَ واحِداً وَإِنْ سُعِّرَتْ نارُ ٱلْوَغى كُنْتَ مِقْنَبا [2]
جَمَعْتَ فَحُزْتَ ٱلْفَخْرَ نَفْساً نَفِيسَةً وَقَلْباً عَلى صَرْفِ ٱلنَّوائِبِ قُلَّبا
وَطَرْفاً إِلى غَيْرِ ٱلْفَضائِلِ ما رَنا وَسَمْعاً إِلى غَيْرِ ٱلْمَحامِدِ ما صَبا
مَناقِبُ قَدْ خَصَّتْ نِزارَ يَزِينُها مَواهِبُ قَدْ عَمَّتْ نِزارَ وَيَعْرُبا [3]
فَهُنِّيتَ أَعْيادَ ٱلزَّمانِ مُمَلَّكاً ذُرى شَرَفٍ مَنْ رامَهُ زَلَّ أَوْ كَبا
وَبُلِّغْتَ أَقْصى غايَةِ ٱلسُّؤْلِ في أَبي عَلِيٍّ [4] فَما أَسْخى وَأَنْخى وَأَنْجَبا

---

(١) الخلائف (ل)

(٢) كذا ولعله أنجاد. والمِقْنَبُ: جماعة من الخيل تجتمع للغارة.

(٣) أي عمت بني نزار وهم العدنانيون، وبني يعرب وهم القحطانيون.

(٤) يريد بأبي علي ابن الممدوح وهو الحسين بن الحسن بن الحسين ولقبه أيضاً ناصر الدولة كلقب أبيه. انظر الحاشية رقم (١) ص (١٧)

جرَى في مَدىً جلَّيْتَ فيهِ مُصلِّياً — وما كُلُّ فرعٍ طيِّبِ الأصلِ طيِّبا
لقَدْ أظهرَ الدَّهرُ الَّذي هُوَ عينُهُ — بهِ اليومَ إعجاباً ومنهُ تعجُّبا
إذَا زُرْتُهُ لَمْ أَدْرِ هلْ جِئْتُ مجلِساً — حوى جُمَلَ العلياءِ أمْ جئتُ(١) مكتبا
بحيثُ ألاقي حُلَّةَ الفضْلِ بالحِجى — مُطرَّزةً والحِلْمَ يستغرِقُ الصِّبا
رأيْتُ أخاهُ (٢) مثلَهُ ورأيتُهُ — يُسايِرُ مِنْ أبنائِهِ (٣) الغُرِّ موكبا
هُما كوكبا سعْدٍ أنافا وأشرقا — فلاَ أفَلاَ ما أطلعَ اللَّيلُ كوكبا
سماعُكَ قولِي مِنْ أجلِّ جوائزي — فقُلْ للُّهى مهلاً فما حُلَلُ الرُّبا
سأُثْني بقدرِ الجُهْدِ (٤) للعيِّ غالباً — ولاَ أبتغي ما تستحِقُّ فأُغلبا
ولَوْ كُنْتُ أرجُو أنْ تقومَ مدائحي — بأيسرِ ما تأتي لأَشبهْتُ أشعبا (٥)
أصارَ لماءِ المدْحِ جُودُكَ مسرَبا (٦) — وأصفيْتَهُ مِنْ جودِكَ الغمْرِ مشرَبا
فلاَ عُذْرَ للشِّعْرِ الَّذي فاضَ بحرُهُ (٧) — إذَا لَمْ يكُنْ في وصْفِ فضلِكَ مُطنِبا

---

(١) أوجئت مكتباً (ع) و (م)
(٢) كان لأبي علي أخوان هما فخر العرب وتاج المعالي قتلا معه في مصر سنة ٤٦٥ « ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٠ »
(٣) من آرائه (ع) و (م)
(٤) في (ع) و (م) بقدر الحمد . وفي (ل) بقدر الجهل . وكلاهما تصحيف ولعل ما تراءى لنا هو الصواب .
(٥) أشعب بن جبير : ظريف من أهل المدينة يضرب المثل بطمعه .
(٦) مشرباً (ل)
(٧) الذي شاع فضله (ل)

وَهٰذي ٱلْمَساعِي عَنْ صِفاتي (١) غَنِيَّةٌ ... وَلٰكِنَّها لَمْ تُمْلِ إلاَّ لِأَ كْتُبا (٢)
وَلاَ بَرِحَ ٱلْمَوْلي بِكَ ٱلْعَدْلَ مانِعاً ... مَكانَكَ مِنْ أَعْلىٰ مِنَ ٱلنَّاسِ أَوْ حَبا (٣)
وَلاَ زِلْتَ تَجْلُو ٱلْحادِثَاتِ وَتَجْتَلي ... عَذارىٰ ٱلْقَوافِي ما جَلَى ٱلصُّبْحُ غَيْهَبا

١٩

وقال (٤) يمدح محمود بن نصر بن صالح (٥)

بِسَعْدِكَ دارَتْ في ٱلسَّماءِ ٱلْكَواكِبُ ... وَسارَتْ لِتَشْييدِ ٱلْعَلاءِ ٱلْمَواكِبُ
وَلَوْلاكَ لَمْ يَقْحَمْ جَوادٌ بِمَأْزِقٍ ... وَلاَ فَتَكَتْ فِي ٱلْأُسْدِ تِلْكَ ٱلثَّعالِبُ (٦)
بِحَيْثُ ٱلْتَقَتْ سُمْرُ ٱلْقَنا وَصُدُورُهُمْ ... وَبِيضُ ٱلْمَواضِي وَٱلطُّلىٰ وَٱلتَّرائِبُ
عِناقٌ يُزِيلُ ٱلشَّوْقَ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ ... يُرىٰ واصِلاً وَهْوَ ٱلْقَطُوعُ ٱلْمُجانِبُ
بِيَوْمٍ أَحَمِّ ٱلْجَوِّ حامٍ وَطِيسُهُ ... كَأَنَّ حَصاهُ مِنْ تَلَظِّيهِ ذائِبُ
صَبَغْتَ بِهِ ما أَبْيَضَّ مِنْ فَلَقِ ٱلضُّحىٰ ... بِكُلِّ بَياضٍ تَجْتَوِيهِ (٧) ٱلْكَواعِبُ

---

(١) صفاتك ؟ (ل)
(٢) لتكتبا (ل)
(٣) فلا برح الملك المعدّل مانعاً ... مكانك من أعلى من الناس واجتبا (ل)
(٤) هذه القصيدة كلها ساقطة من (ل)
(٥) انظر الحاشية رقم(١) ص (٢٦)
(٦) الثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل في جبة السنان .
(٧) تحتويه ؟ (م) و (ع)

وَرَاجَعْتَ شَيْبَ ٱلْهِنْدُوَانِيِّ حُلْكَةً وَأَبْهَجُهُ مَا سُمْتَهُ وَهْوَ شَائِبُ
عَلَى أَنَّهُ صِبْغٌ يُحَدِّثُ سَائِلاً بِمَا كَانَ مِنْ تَأْثِيرِهِ وَهْوَ غَائِبُ
وَنَابَ وَإِنْ لَمْ يَرْضَ عَزْمُكَ قَاطِعاً وَمِنْ أَيْنَ كُفْؤٌ عَنْهُ يُوجَدُ نَائِبُ
فَرَيْتَ بِهِ غَرْبَ ٱلزَّمَانِ وَغَايَةُ ٱلْـ صَّوَارِمِ أَنْ تَفْرِى بِهِنَّ ٱلْغَوَارِبُ
وَمَلْمُومَةٍ دَبَّتْ وَأَلْسِنَةُ ٱلْقَنَا لَهَا حُمَةٌ وَٱلْمُقْرَبَاتُ ٱلْعَقَارِبُ
يُعَاطِي بِهَا ٱلنَّدْمَانُ كَأْساً مِنَ ٱلرَّدَى بِهَا نَالَ رِيّاً فِي ٱلْمَنِيَّةِ شَارِبُ
وَعَانَقَ فِيهَا مُبْغِضٌ لِبَغِيضِهِ كَمَا ٱعْتَنَقَتْ يَوْمَ ٱلْتِقَاءِ ٱلْحَبَائِبُ
سَمَاعُهُمُ فِيهَا ٱلصَّلِيلُ وَخَمْرُهُمْ دَمُ ٱلْقَوْمِ لَا مَا ٱسْتَحْلَبَ ٱلْكَرْمَ حَالِبُ
سَرَتْ بِكَ فِي لَيْلٍ مِنَ ٱلنَّقْعِ أَلْيَلٍ تُعَمَّى عَلَى مَنْ سَارَ فِيهِ ٱلْمَذَاهِبُ
فَأَطْلَعْتَ فِيهِ بِٱلْأَسِنَّةِ أَنْجُماً لَهَا مِنْ نَوَاصِي ٱلدَّارِعِينَ ذَوَائِبُ
عَزَائِمُ خَرَّاجٍ إِذَا مَا تَضَايَقَتْ مَخَارِجُهُ لَا لَاعِباً وَهْوَ لَاعِبُ
وَطَعْنٌ لِسُمْرِ ٱلسَّمْهَرِيِّ مُحَطِّمٌ عَلَى أَنَّهُ لِلْمَجْدِ بَانٍ وَنَاصِبُ
وَضَرْبٌ لِبِيضِ ٱلْمَشْرَفِيِّ مُهَدِّمٌ بِهِ وَلِأَعْدَادِ ٱلْمُعَادِينَ حَاصِبُ
وَأَرْعَنَ مَوَّارِ ٱلْحَوَاشِي لِأَرْضِهِ بِعِثْيَرِهِ مِنْ نَاظِرِ ٱلْجَوِّ(١) حَاجِبُ
لَهُ مِنْ سُطَا فَخْرِ ٱلْمُلُوكِ مُؤَيِّدٌ يُطَاعِنُ عَنْ أَقْرَانِهِ وَيُضَارِبُ

(١) في (ع) و (م) الحو . وهو من سهو الناسخ .

فتىً هَذَّبَتْ فيه التَّجاربُ نَفْسَهُ ... فكيف بها إذ هذَّبَتْها التَّجاربُ
يَسُدُّ مَسَدَّ الألفِ بأساً ونَجْدَةً ... إذا ردَّ ضربَ الألفِ في الألفِ حاسبُ
وَدَبَّرَ أمرَ المُلْكِ قبلَ بُلوغِهِ ... وما نَزَعَتْ عنهُ السَّحابَ الرَّبائبُ
وتلكَ لأبناءِ المُسَيَّبِ شيمَةٌ ... يَسُودُ وليدٌ مثلما سادَ شائبُ
أُناسٌ أساءتْ حُكْمَها في لُهاهُمُ ... أكُفُّهُمُ إذْ أحْسَنُوا والمَواهِبُ
وسَدُّوا بتسديدِ الطِّعانِ منَ العُلى ... ثُغوراً تولَّتْ كَشْفَهُنَّ النَّوائبُ
فَمِنْ رأيهِ الواري عواليهِ أُشْرِعَتْ ... ومن عَزْمِهِ الماضي تُسَلُّ القَواضبُ
هُوَ المَلِكُ الفيّاضُ بأساً ونائلاً ... فَحَيْثُ تَراهُ ناقماً فَهْوَ واهبُ
يَصُولُ ولَوْ أنَّ النُّجُومَ كتائبُ ... ويُعطي وكَفُّ الجَدْبِ للسِّترِ جاذبُ
وكُنْتَ إذا ما الشَّرُّ صَرَّحَ باسْمِهِ ... وَلاذَتْ بأعْناقِ الصَّياصي الذَّوائبُ
جَعَلْتَ غِرارَ المَشْرَفِيِّ مُصاحِباً ... ألا إنَّهُ نِعْمَ الرَّفيقُ المُصاحِبُ
وَفِيٌّ إذا خانَ الشَّقيقُ ودافِعٌ ... إذا حاصَ عنْ دَفْعِ المُلِمِّ المُحارِبُ
ولمَّا أبى(١) قَوْمٌ سوى البَغْيِ مَرْكَباً ... وللذُّلِّ فيهِ والمَذَلَّةِ راكِبُ
سَدَدْتَ عَلَيْهِمْ كُلَّ بابٍ وثُغْرَةٍ ... يخالُونَ منهُ النُّجْحَ والنُّجْحُ عازِبُ
وأمْهَلْتَهُمْ حتّى لَظَنُّوكَ عاجزاً ... وما يَسْتَوي المَغْلوبُ والمُتَغالِبُ

(١) في (ع) و (م) أنى . وهو تصحيف .

وَقَدْ تَنفُذُ الْأَقْدارُ حَتَّى يَرَى امْرُؤٌ   مِنَ الصِّدْقِ ظَنًّا وَعْدَها وَهْوَ كَاذِبُ
وَعَزْمُكَ ماضٍ حِينَ تَنْبُو صَوارِمٌ   وَرَأْيُكَ لمَّا أَظْلَمَ الْجَوُّ ثاقِبُ
وَلكِنَّهُمْ مِنْ عامِرٍ (١) فِي أَرُومَةٍ   لَهَا مِنْكَ عِزٌّ لاَ يُرَامُ وَجانِبُ
فَإِنْ يَهْفُ فَرْعٌ مِنْهُمُ فَاغْتِفَارُ ما   جَناهُ عَلَى مَعْرُوفِ فَضْلِكَ وَاجِبُ
بَنُو الْعَمِّ وَالْأَرْحامُ فِي النَّاسِ شُجْنَةٌ (٢)   رِعايَتُها فِي الدِّينِ وَالْعَقْلِ وَاجِبُ
فَكُنْ بِهِمُ لاَ فِيهِمُ الْخَطْبَ ضارِبًا   فَفِيهِمْ قُوًى تَعْيَا بِهِنَّ الضَّرائِبُ
وَلَمَّا هَجَرْتَ الشَّامَ حاشاكَ أَنْ تُرَى   لَهُ هاجِراً أَوْ عَنْهُ رَأْيُكَ راغِبُ (٣)
فَلاَ حَلَّهُ مِنْ وَحْشَةٍ مَا اسْتَفَزَّهُ   عَنِ الْأَمْنِ وَارْتابَ النَّزِيلُ الْمُصَاقِبُ
وَمَا كَانَ لَمَّا اعْتَلَّ مِنْ قَبْلُ شافِيًا   سِواكَ لَهُ يا مَنْ لَهُ الْفَضْلُ صاحِبُ
مَدَدْتَ عَلَيْهِ ظِلَّ عِزِّكَ فَاحْتَمَى   وَلَوْلاكَ يَوْمًا ما احْتَمَى فِيهِ جانِبُ
وَصَيَّرْتَهُ لِلْأَمْنِ رَبْعًا وَقَبْلَها   غَدَا لِذُيُولِ الْخَوْفِ وَهْوَ مَساحِبُ
وَأَنْقَذْتَ قَوْمًا فِيهِ مِنْ كُفَّةِ (٤) الرَّدَى   وَقَدْ نَشِبَتْ أَظْفارُها (٥) وَالْمَخالِبُ

(١) عامر بن صعصعة : جد بني كلاب قبيلة الممدوح .

(٢) الشجنة مثلثة الشين : الشعبة من كل شيء يقال « بينهما شجنة رحم » أي شعبة رحم كأنها حبل من حبال صلته .

(٣) يشير بذلك إلى تخلي محمود عن حلب لعمه ثمال بن صالح سنة ٤٥٣ ثم عودته إليها سنة ٤٥٤ . « انظر الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٨٠ » .

(٤) كفة الصائد : حبالته

(٥) كذا ولعلها (أظفاره)

بِعِزِّكَ لاَ ذُوا وَهْوَ أَمْنَعُ مَوْئِلٍ وَغَيْثُكَ أَمُّوا وَهْوَ لِلْبِرِّ سَاكِبُ
تَرَكْتَ لَهُمْ رَأْياً كَسَاهُمْ مَذَلَّةً وَلُذْتَ بِرَأْيٍ جَانَبَتْهُ الْمَعَائِبُ
أَسَاؤُوا وَجَاؤُا لاَئِذِينَ بِشِيمَةٍ لِمَذْهَبِهَا فِي الْعَفْوِ تَعْفُو الْمَذَاهِبُ
فَمَالَ إِلَىٰ جَنْبِ التَّجَاوُزِ عَنْهُمُ كَرِيمٌ قَدِيرٌ لِلرِّضَىٰ مِنْهُ جَانِبُ
يَمُنُّ وَطَوْلُ الإِقْتِدَارِ مُسَاعِدٌ وَيَحْلُمُ فِي وَقْتٍ بِهِ الْحِلْمُ عَازِبُ
تَجَاوَزَ صَفْحاً عَنْ عُقُوبَةِ جَاهِلٍ يُسِيءُ وَيَنْسَىٰ مَا تَجُرُّ الْعَوَاقِبُ
وَأَدَّبَهُمْ بِالْعَفْوِ وَالْعَفْوُ سَوْطُهُ لِكُلِّ كَرِيمٍ فِيهِ تُلْقَىٰ الْمَآدِبُ

٢٠

وقال (١) يرثي محموداً (٢) ويعزي والدته علوية (٣) ابنة وثّاب

يَطْمَعُ(٤) النَّاسُ فِي الْبَقَاءِ وَتَأْبَىٰ نُوَبٌ تَسْلُبُ النُّفُوسَ اغْتِصَابَا
وَمَتَىٰ تَرْعَوِي حَوَادِثُ دَهْرٍ دَأْبُهَا أَنْ تُفَرِّقَ الْأَحْبَابَا
يَذْهَبُ اللَّوْمُ وَالْعِتَابُ هَبَاءً فِي خُطُوبٍ لاَ تَعْرِفُ الإِعْتَابَا

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا .
(٢) هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)
(٣) هي علوية بنت وثّاب النميري صاحب حرّان وتعرف بالسيدة كانت من أعقل النساء وأفصحهن . « انظر زبدة الحلب في تاريخ حلب لابن العديم ١/٢٥٥ »
(٤) تطمع الناس ... (ل)

غِيرُ لَوْ نَحَتْ غُرَاباً إِذاً شَــــــابَ وَلَوْ صَافَحَتْ حَدِيداً لَذَابَا
وَإِذَا مَا سَطَتْ فَمَنْ ذَا يُدَاجِي مِنْ جَمِيعِ ٱلْأَنَامِ أَمْ مَنْ يُحابَا
لَوْ يَهَابُ ٱلرَّدَى لَنَكَّبَ[1] مَحْمُو دَاً وَلَكِنَّ صَرْفَهُ لَنْ يَهابَا
عَمَّ نَصْراً وَصَالِحَاً وَمَنِيعَاً وَشَبِيبَاً وَلَمْ يَهَبْ وَثَّابَا[2]
أَيْنَ[3] تِلْكَ ٱلْأَمْلَاكُ زَادُوا عَلَى ٱلْخَلْ قِ وَزَانُوا ٱلْأَحْسَابَ وَٱلْأَنْسَابَا
إِنْ دَعَاهُمْ إِلَى ٱلْكَرِيهَةِ دَاعٍ جَعَلُوا ٱلطَّعْنَ وَٱلضِّرَابَ جَوَابَا
وَلَقُوا ٱلْحَرْبَ دَارِعِينَ مِنَ ٱلصَّبْ رِ دُرُوعَاً لَيْسَتْ تَحُلُّ ٱلْعِيَابَا
نَزَلُوا مُكْرَهِينَ عَنْ ذِرْوَةِ ٱلْعِ زِّ وَكَانُوا قِدْماً لَهُ أَرْبَابَا
فَكَأَنْ لَمْ يُصَاقِبُوا أَرْضَ حَرَّا نَ وَلَا حَلَّ حَيُّهُمْ جُلَّابَا[4]
قَصَدَتْهُمْ بَوَائِقُ ٱلدَّهْرِ[5] حَتَّى أَسْكَنَتْهُمْ بَعْدَ ٱلْقُصُورِ ٱلتُّرَابَا

---

(١) في مختارات البارودي : تنكّب محموداً .

(٢) نصر بن صالح والد محمود ، وصالح بن مرداس جده ، ومنيع بن شبيب بن وثّاب النميري صاحب حرّان خاله . « الكامل لابن الأثير ج ٩ ص ٨٠ »

(٣) إن تلك ... (ع) و (م)

(٤) حرّان : مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة وهي قصبة ديار مضر واقعة على طريق الموصل والشام والروم . وجُلّاب : نهر في حرّان سمي باسم قرية يقال لها جُلّاب . « معجم البلدان لياقوت »

(٥) بوائق الأرض ... (ع) و (م)

وَاسْتَزَادَتْ أَبَا سَلَامَةَ (١) لَمَّا ... تَمَّ مُلْكاً وَقُدْرَةً وَشَبَابَا
حَادِثٌ عَمَّ عَامِراً بِالرَّزَايَا ... فَاسْتَكَانَتْ لَهُ وَخَصَّ كِلَابَا (٢)
إِنَّ رَيْبَ الْمَنُونِ أَلْوَى بِمَلْكٍ ... لَوْ رَمَاهُ غَيْرُ الرَّدَى مَا أَصَابَا
لَمْ يُغَالِبْ قَضَاءَ ذِي الْعَرْشِ إِذْ وَا ... فَى وَمَا زَالَ لِلْعِدَى غَلَّابَا
لَا يَخَافُ الْأَمْلَاكَ مُذْ (٣) فَارَقَ الْمَهْـ ... ـدَ وَهَلْ تَرْهَبُ الْأُسُودُ الذِّئَابَا
مِنْ أُنَاسٍ (٤) تَوَارَثُوا الْبَأْسَ (٥) وَالنَّخْوَ ... ةَ وَاسْتَحْقَبُوا الْعُلَى أَحْقَابَا
تَرَكُوا لِلْوَرَى الْوِهَادَ مِنَ الْعِزِّ ... وَحَلُّوا مِنْهُ الرُّبَى وَالْهِضَابَا
لَهْفَ نَفْسِي عَلَى الْمُسَافِرِ لَا يَرْ ... جُو لَهُ طَالِبُ النَّوَالِ إِيَابَا
أَكْرَمُ الْعَالَمِينَ نَفْساً وَأَخْلَا ... قاً وَأُمّاً وَوَالِداً وَنِصَابَا
كَانَ فِي ذَا الْوَرَى غَرِيباً وَوَافَى ... قَدَرٌ (٦) لَمْ يَزِدْهُ إِلَّا اغْتِرَابَا
يَكْرَهُ الْوَعْدَ وَالْمِطَالَ فَتَنْثَا ... لُ يَدَاهُ بِالْمَكْرُمَاتِ اقْتِضَابَا
جَازَ حَدَّ النَّدَى وَآمَنَ سِرْبِي ... فَكَفَى أَنْ أَرْتَادَ أَوْ أَرْتَابَا

(١) أبو سلامة : كنية المرثي محمود بن نصر بن صالح «تاريخ ابن الوردي ١/٣٦٧»
(٢) كلاب : قبيلة المرثي وهي بطن من عامر بن صعصعة .
(٣) إذ فارق ... (ل)
(٤) من أسود ... (م)
(٥) توارثوا المجد ... (ل)
(٦) قدراً (ل)

عَقَلَتْنِي فِي ظِلِّهِ فَمَلاتٌ   تَمْنَعُ الْإِنْتِجَاعَ وَالْإِضْطِرَابَا
بَيْنَ جُودٍ يَسِيرُهُ يَطْرُدُ الْفَقْـ   ـرَ وَقُرْبَى تُعَلِّمُ الْآدَابَا
وَعَطَايَا لَمَّا تَعَالَمَهَا الْعَا   لَمُ لَمْ يُنْكِرُوا لِبَحْرٍ عُبَابَا
وَكَسَانِي مَلَابِساً أَلْبَسَتْنِي   مُذْ تَوَارَى مِنَ الْأَسَى جِلْبَابَا
يَا ابْنَةَ الْأَكْرَمِينَ قَدْرُكِ فِي النَّا   سِ عَظِيمٌ وَإِنْ عَظُمْتِ مُصَابَا
فَاسْتَرَدَّ الْوَهَّابُ مَا كَانَ أَعْطَا   كِ وَمَنْ ذَا يُنَازِعُ الْوَهَّابَا
لَمْ تَسُودِي ذَا الْخَلْقَ إِلَّا بِفَضْلٍ   فُقْتِ فِيهِ الْأَشْكَالَ وَالْأَضْرَابَا
فَدَعِي رَأْيَ أُمَّةٍ لَسْتِ مِنْهُمْ   وَافْعَلِي فِعْلَ مَنْ يَخَافُ الْحِسَابَا
وَتَأَسَّيْ بِرَأْيِ دَاوُدَ فِي الْفِتْـ   ـنَةِ إِذْ خَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَا [1]
لَا تُعَاصِي مَوْلَاكِ فِيمَا قَضَاهُ   وَذَرِي الْحُزْنَ إِنْ أَرَدْتِ الثَّوَابَا
قَدَرُ اللهِ لَا يُدَافَعُ إِنْ حُمَّ   فَصَبْراً لِحُكْمِهِ وَاحْتِسَابَا
أَيُّ عُذْرٍ وَقَدْ أَحَطْتِ بِصَرْفِ الدَّ   هْرِ عِلْماً وَقَدْ دَرَسْتِ الْكِتَابَا
وَحَقِيقٌ بِالصَّبْرِ مَنْ ازَمَ الْمُصْـ   ـحَفَ دِيناً وَوَاصَلَ الْمِحْرَابَا
وَلِعُذْرٍ تَأَخَّرَتْ هَذِهِ الْخِدْ   مَةُ لَا أَنَّنِي عَدِمْتُ الصَّوَابَا
نَابَتِ الْعَيْنُ بِالْبُكَاءِ وَأُفْحِمْـ   ـتُ فَمَا أَحْسَنَ اللِّسَانُ الْمَنَابَا

(١) إشارة إلى الآية الكريمة في سورة ص (... وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ).

زَالَ لُبِّي فِي عِلَّةٍ جَمَّتْ لِي ... فَقْدَ تاجِ ٱلْمُلُوكِ (١) وَٱلْأَوْصابا
لَيْتَنِي (٢) لَمْ أُفِقْ فَقَدْ جاءَ مِنْ فَقْـ ... ـدِيهِ ما سَهَّلَ ٱلْحِمامَ فَطابا
لَا يُوازِي (٣) مِعْشارَ ما كانَ يُولِي ... قَطْعِيَ ٱلْعُمْرَ حَسْرَةً وَٱكْتِئابا
سَرَّنِي حاضِراً وَأَدْنى وَأَغْنى ... فَعَدِمْتُ ٱلسُّرُورَ لَمَّا غابا
وَبِرَغْمِي أَنْ أَجْعَلَ ٱلْمَدْحَ تَأْبِيْـ ... ـناً وَأَدْعُو مَنْ لَوْ وَعى لَأَجابا
بِعِقَـالٍ لَا أَسْتَزِيدُ بِهِ زُلْـ ... ـفى وَلَا أَبْتَغِي عَلَيْهِ ثَوابا
سائِرٍ (٤) لَا يَزالُ يَشْكُرُ نُعْما ... هُ كَما تَشْكُرُ ٱلرِّياضُ ٱلسَّحابا

* * *

(١) تاج الملوك : لقب المرثي .
(٢) في هذا البيت نقص في (ل)
(٣) لا يساوي ... (ل)
(٤) سائراً لن يزال ... (ل)

٢١

وقال [١] يمدح نصر بن صالح [٢] ويهجو بدراً الجمالي [٣]

أَبا زَنَّةٍ [٤] لاَ زالَ جَدُّكَ هابِطاً وَحَدُّكَ مَفْلُولاً وَسَعْيُكَ خيَّابا [٥]

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي :
(وقال يهجو بدراً ويمدح محمود بن صالح)

(٢) كذا والصواب محمود بن نصر بن صالح كما في (ل) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٣) هو أمير الجيوش أبو النجم بدر الجمالي الأرمني ، كان مملوكاً لجمال الدولة ابن عمّار فعرف بالجمالي ، استعمله المستنصر على الشام سنة ٤٥٥ فجرى بينه وبين أهل دمشق والجند ما جعله يخاف على نفسه فخرج عنها هارباً سنة ٤٥٦ . ثم وليها ثانية سنة ٤٥٨ فثار عليه أهل دمشق مرة أخرى فهرب منهم سنة ٤٦٠ فخرب العامة والجند قصر الإمارة وأحرقوه ، وتقلد نيابة عكا . فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن استدعاه المستنصر وقلده الوزارة سنة ٤٦٥ وفوض إليه جميع أموره فاستبد بأمور الدولة وضبطها أحسن ضبط . وكان شديد الهيبة مسرفاً في القتل وبقي متحكماً في مصر إلى أن توفي سنة ٤٨٧ .

« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩١ و ٩٣ والكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٨١ وخطط مصر للمقريزي ج ٢ ص ٢١١ »

(٤) أبو زَنَّة : كنية القرد.

(٥) وسعيك قد خابا (ع) و (م)

وَأَلْحَقَكَ اللّٰهُ الْكَرِيمُ بِعُصْبَةٍ فَتَحْتَ إِلَى ضَرْبِ الرِّقَابِ لَهُمْ بَابَا (١)
فَكَمْ لَكَ فِي بَسْطِ الرَّدَى مِنْ حَبَائِلٍ تَكُونُ إِلَى مَا يَكْرَهُ اللّٰهُ أَسْبَابَا
أَلَسْتَ الَّذِي أَغْرَى بِمَوْلَاهُ جُنْدَهُ وَعَادَ وَمَا يَحْوِي مِنَ الْمُلْكِ (٢) أَسْلَابَا
وَعَاوَدْتَ فِيمَنْ حَلَّ بِالشَّامِ نَاظِراً فَأَرْمَلْتَ نِسْوَاناً وَفَرَّقْتَ (٣) أَحْبَابَا
وَلَمَّا عَمَمْتَ الْخَلْقَ بِالْفَقْرِ وَالرَّدَى فَبَادُوا وَأَوْسَعْتَ (٤) الْمَنَازِلَ إِخْرَابَا
عَمَدْتَ إِلَى مَنْ لَا يُعَدَّدُ فَضْلُهُ وَلَوْ كَانَ أَهْلُ الْبَدْوِ وَالْحَضْرِ حُسَّابَا
جَهَدْتَ (٥) لِكَيْ مَا تَسْلُبُ الدِّينَ عِزَّهُ وَكُنْتَ لِمَا لَمْ يَرْضِ (٦) ذَا الْعَرْشِ طَلَّابَا

---

(١) يشير بذلك إلى المكيدة التي دبرها لقتل أمراء الدولة ، وذلك أنه لما دخل مصر سنة ٤٦٥ « استدعى أمراء الدولة إلى منزله في دعوة صنعها لهم ، وبيّت مع أصحابه أن القوم إذا أجنهم الليل فإنهم لا بد يحتاجون إلى الخلاء ، فمن قام منهم إلى الخلاء يقتل هناك ، ووكل بكل واحد واحداً من أصحابه وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الأمير من دار ومال وإقطاع وغيره ، فصار الأمراء إليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين ، فما طلع ضوء النهار حتى استولى أصحابه على جميع دور الأمراء وصارت رؤوسهم بين يديه » « خطط مصر المقريزي ج ٢ ص ٢١١ »

(٢) من المال (ع) و (م)

(٣) وأرحلت (ع) و (م)

(٤) واتبعت (ع) و (م)

(٥) في هامش (ع) و (م) : وكدت ... وفي (ل) لكي تسلب الدين الحنيفي عزه ...

(٦) لما لم يرض ذو العرش طلابا (ل)

وَذَلِكَ كَيْدٌ عَادَ مِنْ قَبْلِ ضَرِّهِ   هَبَاءً فَمَا أَخْلَى مِنَ ٱلضَّيْغَمِ ٱلْغَابَا
وَمَكْرٌ بِحَمْدِ ٱللهِ حَاقَ بِأَهْلِهِ   وَعَارِضُ بَغْيٍ قَبْلَ أَنْ يُمْطِرَ ٱنْجَابَا
وَلَمْ تَرْجُ هٰذَا ٱلْمُلْكَ يَوْماً وَإِنَّمَا   خَبُثْتَ فَأَغْرَيْتَ ٱلطُّغَاةَ(١) بِمَنْ طَابَا
وَمَنَّيْتَ أَمَّانًا(٢) كَدِينِكَ دِينُهُ   وَلَوْ أَمْهَلَتْهُ ٱلْبِيضُ أَلْفَاكَ كَذَّابَا
حَوَيْتَ صِفَاتِ ٱلْكَلْبِ إِلَّا حِفَاظَهُ   فَفِي(٣) ٱلْأَمْنِ هَرَّاراً وَفِي ٱلْخَوْفِ هَرَّابَا(٤)
كَأَفْعَالِ مَنْ حَاوَلْتَ بِٱلْخَتْلِ نَفْسَهُ   فَلَا زِلْتَ مَغْلُوباً وَلَا زَالَ غَلَّابَا؟
مُبِيحُ حِمَى ٱلْأَمْوَالِ إِنْ زَمَنٌ نَبَا   وَمَانِعُ(٥) سَرْحِ ٱلْمُلْكِ إِنْ حَادِثٌ نَابَا
إِذَا ٱجْتَابَ ثَوْباً مِنْ عُلًى وَمَهَابَةٍ   لَبِسْتَ مِنَ ٱلْفَحْشَاءِ وَٱلْخِزْيِ(٦) أَثْوَابَا
وَإِنْ عَدَّ مِرْدَاساً وَنَصْراً وَصَالِحاً   لَدَى ٱلْفَخْرِ وَٱسْتَثْنَى شَبِيباً وَوَثَّابَا(٧)
بَجَحْتَ بِهَنَّاسٍ وَطُلْتَ بِتَرُوسٍ   وَزَالًا وَأَرْبَابٍ(٨) تُضَامُ فَلَا تَابَا؟

---

(١) الغواة (ع) و (م)
(٢) الأمّان : من لا يكتب كأنه أمي . ورواية (ل) هكذا :
ومنيت أمّاناً لديك دينه   ولو أمكنته البيض ألفاك كذّابا
(٣) مع الأمن ... (ل)
(٤) ورد في هامش (ع) بجانب كلمة (هرّابا) ما نصه : وأقبلت والجدران .
(٥) وبالغ شرخ الملك ... (ع) و (م)
(٦) والغدر أثوابا (ع) و (م)
(٧) نصر بن صالح بن مرداس : والد الممدوح . وشبيب بن وثّاب النميري صاحب حرّان جده لأمه .
(٨) وأرذال تضام ... (ع) و (م) والأسماء الواردة في البيت أسماء أرمنية .

وَبِالسَّيفِ يَسْطُو حِينَ تَسْطُو بِحِيلَةٍ ... وَيُنْفِقُ أَمْوالاً وَتُنْفِقُ أَلْقابا
تَنَزَّهَ عَنْ عُجْبٍ مَعَ الْعِزِّ وَالْغِنَى ... وَزِدْتَ مَعَ الْإِذْلالِ وَالْفَقْرِ إِعْجابا
وَما دُونَهُ لِلطَّالِبِي(١) الْعُرْفِ حاجِبٌ ... إِذا ما أَتَوْا مِنْ دُونِ بابِكَ حُجَّابا
وَما تَحْتَ ذاكَ الْبابِ إِلَّا دَهاثِمٌ(٢) ... بِها عِشْتَ لا طالَتْ حَياتُكَ أَحْقابا
لَئِنْ كُنْتَ مِنْ قَوْمٍ لِئامٍ فَلَمْ تَزَلْ ... أَقَلَّهُمُ خَيْراً وَأَكْثَرَهُمْ عابا
زَعَمْتَ لَحاكَ اللهُ أَنَّكَ تائِبٌ ... وَما هٰذِهِ الْأَفْعالُ أَفْعالُ مَنْ تابا
نَظارِ تَرَ الْمَمْلُوءَ بَأْساً وَنَخْوَةً ... وَقَدْ مَلَأَ الْغَبْراءَ تُرْكاً وَأَعْرابا
فَما مَلِكُ الْأَمْلاكِ وَالْعَصْرِ راضِياً ... وَإِنْ غابَ عَمَّا قَدْ جَنَيْتَ فَما غابا
وَما هِيَ إِلَّا عَزْمَةٌ عامِرِيَّةٌ ... تُقَطِّعُ آراباً وَتَبْلُغُ آرابا(٣)

٢٢

وقال(٤) يمدح أمير الجيوش(٥)

لَوْ لَمْ يَقُدْ نَحْوَكَ الْعِدَى الرَّغَبُ ... أَنْزَلَهُمْ تَحْتَ حُكْمِكَ الرَّهَبُ

---

(١) للطالب الغزو (ع) و (م)

(٢) الدَهْثَم : الشديد من الإبل والرجل المعطاء السهل الخلق والبحر. والدَهْثَمة: الأرض السهلة والمرأة السهلة الخلق . وكل هذه المعاني لا تكاد تصلح في هذا الموضع .

(٣) تقطّع آراباً : جمع أربة وهي العقدة . وتبلغ آراباً جمع أرب : أي الحاجة وفي (ل) وتوصل آراباً :

(٤) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك هكذا :
« وقال أيضاً يمدحه »

(٥) هو أنوشتكين الدزبري والي دمشق انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

فَكَيفَ(١) يُنْجِي ٱلْفِرَارُ مِنْ مَلِكٍ تَطْلُبُ أَعْدَاءَ مُلْكِهِ ٱلنُّوَبُ
وَمَنْ تَوَلَّى ٱلْإِلٰهُ نُصْرَتَهُ فَلَيْسَ يَحْمِي طَرِيدَهُ ٱلْهَرَبُ
بَنِي شَبِيبٍ(٢) هُبُّوا فَقَدْ رُفِعَتْ عَنْ عَفْوِ مُلْغِي ٱلْجَرَائِمِ ٱلْحُجُبُ
وَعَادَ سَيْفُ ٱلْهُدَى(٣) لِعَادَتِهِ فَكُلُّ مَا تَأْمُلُونَهُ كَثَبُ
عَلَامَ تَظْمَوْنَ فِي مُجَاوَرَةِ ٱلشَّـ رْكِ وَغَيْثُ ٱلْإِسْلَامِ مُنْسَكِبُ(٤)
حَلَّأْتُهُمْ عَنْوَةً وَلَوْلَاكَ مَا مُدَّ لِقَيْسٍ فِي أَرْضِهِمْ طُنُبُ
فَحِينَ فَاقَ ٱلْعِقَابَ مَا ٱقْتَرَفُوا(٥) قِدْماً وَجَازَ ٱلْجَزَاءَ(٦) مَا ٱكْتَسَبُوا
عُدْتَ إِلَى ٱلْعَادَةِ ٱلَّتِي أَلِفُوا فَمَاتَ فِي طَيِّ صَفْحِكَ ٱلْغَضَبُ
لَحَاوَلُوا(٧) نُصْرَةً عَلَيْكَ وَكَمْ طَالِبِ أَمْرٍ قَدْ غَالَهُ ٱلطَّلَبُ
حَتَّى إِذَا أَخْفَقَتْ ظُنُونُهُمُ تَهَافَتَتْ نَحْوَ قَصْرِكَ ٱلْعُصَبُ
تَنْحُو هُمَاماً فِي ظِلِّ خِدْمَتِهِ تُجْنَى ٱلْمَعَالِي وَتُكْسَبُ ٱلرُّتَبُ(٨)

---

(١) وكيف (ل)
(٢) شبيب بن وثّاب النميري صاحب حرّان.
(٣) سيف العدى (ل)
(٤) ينسكب (ل)
(٥) ما افترقوا (ع) و (م)
(٦) الجوار (ل)
(٧) تحاولوا ... طالب أمرٍ عنا لهُ الطلبُ (ل)
(٨) هذا البيت ساقط من (ل)

فَمايَنُوا هَذي حَضْرَةٌ يَنْفُقُ ٱلْجِدُّ لَدَيْهـا وَيَكْسُدُ ٱللَّعِبُ
وَمَنْ رَأى بَعْثَهُ ٱلْكَتائِبَ لا(١) يَنْفَعُ حامَتْ عَنْ نَفْسِهِ ٱلْكُتُبُ
ما ظَفِرُوا فيكَ بِٱلَّذي طَلَبُوا فَلْيَظْفَرُوا مِنْكَ بِٱلَّذي طَلَبُوا
قَدْ بَذَلُوا ٱلطَّاعَةَ ٱلَّتي مَنَعُوا فَٱسْتَرْجِعُوا ٱلنِّعْمَةَ ٱلَّتي سَلَبُوا
وَأَنْتَ مَنْ تَرْدَعُ ٱلْوَسائِلُ مِنْ سُطاهُ ما لَيْسَ تَرْدَعُ ٱلْقُضُبُ(٢)
عَواطِفٌ طالَما كَسَوْتَ بِهـا مَنْ سَلَبَتْهُ رِماحُكَ ٱلسُّلُبُ
قَدْ(٣) هَذَّبَتْهُمْ لَكَ ٱلْخُطُوبُ وَلَوْ لا ٱلنَّارُ ما كانَ يَخْلُصُ ٱلذَّهَبُ
فَٱكْشِفْ مُحَيَّاً ٱلرِّضى فَصَفْحَتُهُ تَبْدُو لَهُمْ تارَةً وَتَحْتَجِبُ
لِتَرْجِعَ ٱلْعِزَّةُ ٱلَّتي ذَهَبَتْ فَهُمْ(٤) عِبِدَّاكَ حَيْثُ ما ذَهَبُوا
مُشَرِّدُو ذي ٱلسُّيُوفِ إِنْ بَعُدُوا وَوارِدُو ذي ٱلْحِياضِ إِنْ قَرُبُوا
عِزٌّ مُقيمٌ بِٱلشَّـامِ تَكْلَؤُهُ وَذِكْرُهُ فِي ٱلْبِلادِ مُغْتَرِبُ
عِنْدَ مُلُوكِ ٱلزَّمانِ يَعْرِفُهُ مُتَوَّجٌ مِنْهُمُ وَمُعْتَصِبُ
فَلْيَهْنِ مَوْلاكَ أَنَّ دَوْلَتَهُ تَنْتَجِبُ ٱلصَّفْوَ ثُمَّ تَنْتَخِبُ(٥)

(١) لا يغنيه (ل)
(٢) القصب (م)
(٣) مذ هذبتهم . . . (ع) و (م)
(٤) عِبِدَّاك : أي عبيدك . وفي (ع) و (م) عِبِدَّانُ . وهو تصحيف .
(٥) تنتخب الصفو ثم تنتجب (ل)

أَوْلَى ٱلْوَرَى أَنْ تَكُونَ طاعَتُهُ فَرْضاً عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ يَجِبُ
مَنْ (١) ذَلَّلَ ٱلدَّهْرَ بَعْدَ عِزَّتِهِ حَتَّى تَجَلَّتْ عَنْ أَهْلِهِ ٱلْكُرَبُ
فَٱلْعَدْلُ فاشٍ وَٱلْجَوْرُ مُكْتَتِمٌ وَٱلْخَوْفُ ناءٍ وَٱلْأَمْنُ مُقْتَرِبُ
إِنَّ أَجَلَّ ٱلْمُلُوكِ كُلِّهِمِ رَضُوا بِهٰذَا ٱلْقَضاءِ أَوْ غَضِبُوا
مَلْكٌ إِلَيْهِ تُعْزَى ٱلْعُلَى أَبَداً وَيَنْتَمِي ٱلْفَخْرُ حِينَ يَنْتَسِبُ
مِنَ ٱلْأُلَى غَيْرَ ضُمَّرِ ٱلْخَيْلِ ما قادُوا وَغَيْرَ ٱلْكُماةِ ما ضَرَبُوا
ٱلْمَطَرُ ٱلْجَوْدُ إِنْ هُمُ سُئِلُوا وَٱلْعَدَدُ ٱلدَّثْرُ إِنْ هُمُ رَكِبُوا
أَبْلَجَ تَسْمُو بِمَدْحِهِ قالَةُ ٱلشِّعْرِ وَتُزْهَى بِذِكْرِهِ ٱلْخُطَبُ
ذُو رَاحَةٍ فِي ٱلنَّدَى يُقِرُّ لَها بِأَنَّهــا لَا تُساجِلُ ٱلسُّحُبُ
عِدٌّ مِنَ ٱلْجُودِ لَا يَغِيضُ وَإِنْ دَامَ إِلَيْهِ ٱلذَّمِيلُ وَٱلْخَبَبُ
لِتَتْرُكِ ٱلتُّرْكُ ذِكْرَ سالِفِهــا فَحَسْبُ مَنْ ذِي ٱلْعُلَى لَهُ حَسَبُ
كَمْ حُزْتَ سِرْباً تَحْمِي جَآذِرَهُ ٱلْـ بِيضُ هُناكَ (٢) ٱلْجُيُوشُ لَا ٱلسُّرَبُ
فَكُنْتَ (٣) سِتْراً وَٱلرَّوْعُ قَدْ كَشَفَتْ عَمَّــا تُجِنُّ ٱلْبُرُودُ وَٱلنُّقُبُ

---

(١) من ذلك الدهر (ل)

(٢) ثقال الجيوش لا السُّرُبُ (ل) . والسُّرَب جمع سُرْبَة (قياساً) وهي جماعة الخيل ما بين العشرين الى الثلاثين .

(٣) وكنتَ . . . (ل)

لِلّهِ أفعَالُكَ الّتي نَشَرَتْ ... مَا لَيْسَ تَطْوي بِعُمرِهَا[1] الْحُقَبُ
مَلأَتْ أُفُقَ الْعَلاءِ مِنْ هِمَمٍ ... تَحْسُدُهَا في بُرُوجِها الشُّهُبُ
فمَا يُجَارِيكَ فِي الدُّنا أحَدٌ ... أنّىٰ تَسَاوىٰ الْبِحَارُ وَالْقُلُبُ
وَالرُّومُ قَتْلىٰ خَوْفٍ وَوَقْعِ ظُبىً ... إنْ زَهِدُوا فِي اللّقَاءِ أَوْ رَغِبُوا
وَقَدْ دَرَوْا أنَّهُمْ وَمَا وَهِمُوا ... إنْ نَكَبُوا عَنْ بِلادِهِمْ نُكِبُوا
مُظَفَّرٌ مَنْ تُظِلُّهُ هٰذِهِ الـ ... ـرَّاياتُ لاَ مَنْ تُظِلُّهُ الصُّلُبُ[2]
فِي كُلِّ يَوْمٍ يَزُورُ أرْضَهُمُ ... مِنْ ذِكْرِ ذَا الْعَزْمِ جَحْفَلٌ لَجِبُ
فَارْمِ بِهِ عُدْوَةَ الْخَلِيجِ[3] فَقَدْ ... طَارَتْ هَبَاءً فِي رِيحِهِ حَلَبُ
أوْ فَتَرَبَّثْ[4] فَقَدْ ظَفِرْتَ مَعَ الـ ... ـخَفْضِ بِأقْصَى مَا يَبْلُغُ[5] النَّصَبُ
وَشِمْ[6] ظُبَاكَ الّتي إذَا نَصَلَتْ ... فَمِنْ دِمَاءِ الْمُلُوكِ تَخْتَضِبُ
فَطَالَمَا أضْرَمَتْ بَوَارِقُهَا ... نَاراً أسُودُ الْوَغىٰ لَهَا حَصَبُ[7]

---

(١) بنشرها (ل)
(٢) السحب ؟ (ل)
(٣) يريد بالخليج : خليج القسطنطينية .
(٤) تربث : تمكث .
(٥) في الأصل : ما تبلغ .
(٦) شامَ سيفه : أغمده وأصلته ضد .
(٧) الحَصَبُ كل ما يُرمى به في النار من حطب وغيره . وفي (ل) نار أسود الوغى لها حطب .

وَكَيْفَ تَسْتَعْصِمُ الْبِلادُ وَأَعْمَا رُ حُمَاةِ الْبِلادِ تُنْتَهَبُ
وَصَالِحٌ(١) مَنْ قَتَلْتَهُ وَهْوَ مَنْ قَدْ كَانَ يُجْنَىٰ مِنْ بَأْسِهِ الْحَرَبُ
أَثْبَتُّهُمْ وَطْأَةً إِذَا زَلَّتِ الْأَقْـ ـدَامُ خَوْفًا وَاصْطَكَّتِ الرُّكَبُ
فَلْيَسَلْ نَصْرٌ(٢) عَنِ الْعَوَاصِمِ فَالْـ ـقَاتِلُ فِي حُكْمِهِمْ لَهُ السَّلَبُ
مَا بَالُهُ يَمْنَعُ الْحُقُوقَ وَمَا مِثْلُ أَمِيرِ الْجُيُوشِ يُغْتَصَبُ
يَا مُصْطَفَى الْمُلْكِ كُلُّ عَارِفَةٍ إِلَيْكَ تُعْزَىٰ وَمِنْكَ تُكْتَسَبُ
عُمَّ بِجَدْوَاكَ مَنْ أَتَاكَ لَهَا وَمَا لَهُ فِي الْبِلادِ مُضْطَرَبُ
وَاخْصُصْ بِهَا مَنْ وَفَىٰ فَلَيْسَ لَهُ(٣) إِلَّا إِلَىٰ ذَا الْجَنَابِ مُنْقَلَبُ
فَكَيْفَ يَعْدُو أَبَا سَمَاوَةَ مَا يَرْجُو وَأَنْتَ السَّبِيلُ وَالسَّبَبُ
وَقَدْ أُضِيفَتْ لَهُ إِلَى الْخِدْمَةِ الْـ ـقُرْبَىٰ فَصَحَّ الْوَلَاءُ وَالنَّسَبُ
بَلَّغْتَهُ(٤) يَا عُدَّةَ الْإِمَامِ مَدًى مَا بَلَغَتْهُ آبَاؤُهُ النُّجُبُ
وَارْدُدْ إِلَيْهِ تُرَاثَ وَالِدِهِ تُثْنِ إِلَيْهِ الْأَعِنَّةَ الْعَرَبُ

---

(١) هو صالح بن مرداس الكلابي أمير حلب . انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)

(٢) هو نصر بن صالح بن مرداس أمير حلب . انظر الحاشية رقم (٣) ص (٧١)
والعواصم حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبتها أنطاكية .
« معجم البلدان »

(٣) لها (ع) و (م)

(٤) بلغتَ ؟ (ع) و (م)

فَمِنْ عَجِيبِ ٱلْأَشْيَاءِ أَنْ يُصْبِحَ ٱلْـ ... ـمُلْكُ شَعَاعاً وَيُحْرَزَ ٱللَّقَبُ
وَأَسْمَعَ لَهَا جَمَّةَ ٱلْمَحَاسِنِ مِنْ ... أَحْسَنِ (١) ما يُصْطَفَى وَيُنْتَخَبُ
غَرَّاءَ لَوْ نُوجِيَتْ بِمَا ضَمِنَتْ ... صُمُّ ٱلْجِبَالِ ٱسْتَخَفَّهَا ٱلطَّرَبُ

٢٣

وقال أيضاً (٢)

حاشاكَ أَنْ تَسْلُبَ ٱلْأَيَّامُ ما تَهَبُ ... وَأَنْ تُخَوِّفَ مَنْ أَمَّنْتَهُ ٱلنُّوَبُ
قَدْ (٣) رَامَ نَفْيَ كِلَابٍ عَنْ مَوَاطِنِهَا ... بِٱلْخَتْلِ (٤) مَنْ مالَهُ فِي أَرْضِهَا نَشَبُ
وَٱلرُّومُ تَسْعَى ٱغْتِيَالاً لَا مُصَالَتَةً ... أَلَا تَنُوْهَا وَكَاسَاتُ ٱلرَّدَى نُخَبُ (٥)
فِي مَوْقِفٍ خَرِسَتْ أَيْدِي ٱلْكُمَاةِ بِهِ ... وَلِلصَّوَارِمِ فِيهِ أَلْسُنٌ ذُرُبُ (٦)
غَزَوْا مِئِينَ أُلُوفٍ (٧) فِي مِئِينَ فَمَا ... فَاتَ ٱلْمَنِيَّةَ مَنْ لَمْ يُنْجِهِ ٱلْهَرَبُ

---

(١) أنفس ... (ل)
(٢) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا. وعنوانها هناك هكذا: « وله ايضاً من قصيدة أولها »
(٣) ومنها: قد رام نفي كلاب ... (ل)
(٤) بالحيل (ل)
(٥) تحب ؟ (م)
(٦) دُرُبُ (ل)
(٧) ألوفا (ع)

فَصَدْرُ مَلْكِهِمُ مِمَّا جَرَى حَرِجٌ وَقَلْبُ مَلْكِهِمُ مِمَّا يَرَى يَجِبُ
تَوَهَّمَ الْحَزْمَ مَوْلُوداً فَصَحَّ لَهُ مُذْ قارَعَ التُّرْكَ أَنَّ الْحَزْمَ مُكْتَسَبُ
وَلَيْسَ تَرْضَى الْعَوَالِي وَهِيَ ما انْحَطَمَتْ أَنْ يَطْرُدَ الْأُسْدَ عَنْ عِرِّيسِها الشَّبَبُ (١)
وَهِيَ الْمَمالِكُ لاَ تُحْمَى مَسارِحُها إِذَا (٢) أَضَرَّ بِذُؤْبانِ الْفَلاَ السَّغَبُ
إِنَّ الْعَوَاصِمَ (٣) نادَتْ مِنْكَ عَاصِمَهَا وَقَدْ تَوَالَى عَلَيْها الْخَوْفُ وَالرَّهَبُ
إِذْ كُلُّ ماطِرَةٍ ذَا الْكَفُّ مَنْشَأُها وَكُلُّ عِزٍّ بِهٰذَا السَّيْفِ مُكْتَسَبُ
لاَ تُهْمِلِ الشِّرْكَ فِي اسْتِئْصالِ شَأْفَتِها (٤) فَإِنَّما الشَّامُ جِسْمٌ رَأْسُهُ حَلَبُ
وَانْهَضْ لِنُصْرَتِها فِي أُسْدِ مَلْحَمَةٍ كَأَنَّ جِدَّ الْمَنايا بَيْنَهُمْ لَعِبُ
مُقْرَباتٍ كَساها نَقْعُ أَرْجُلِها أَضْعافَ ما بَزَّها التَّقْرِيبُ وَالْخَبَبُ
مُقْوَرَّةٌ طَالَمَا أَنْضَيْتَها (٥) تَعَباً عِلْماً بِأَنَّ (٦) سَيُجْنِي الرَّاحَةَ التَّعَبُ

---

(١) الشَّبَبُ : المُسِنّ من الثيران والغنم . وفي (ع) و (م) (السب) وهو تصحيف .

(٢) اذ لا يليق بذؤبان . . . (ع) و (م)

(٣) العواصم : حصون موانع وولاية تحيط بها بين حلب وأنطاكية وقصبتها أنطاكية . « معجم البلدان »

(٤) كذا في نسخ الديوان الثلاث . وفي مختارات البارودي : شأفته .

(٥) أنصبتها (ع) و (م)

(٦) هذا مثل قول أبي السمراء الغساني : ←

فِي ٱلْقَيْظِ وَٱلْقُرِّ(١) لَا ظِلٌّ وَلَا كَنَفٌ لَهَا فَلَيْسَتْ بِغَيْرِ ٱلنَّقْعِ تَحْتَجِبُ
فَعِزُّ مَنْ دَانَ دَانٍ مَا ٱسْتَقَامَ بِهَا وَقَلْبُ مَنْ لَمْ يُجِبْ مِنْ خَوْفِهَا يَجِبُ
أَوْقِعْ بِهَا نَارَ عَزْمٍ مِنْكَ لَيْسَ لَهَا(٢) إِلَّا ٱلْكُمَاةُ إِذَا مَا أُسْعِرَتْ حَطَبُ
نَارٌ(٣) مَتَى وَقَعَتْ مِنْ دُونِ خَرْشَنَةٍ فَكُلُّ مَنْ خَلْفَ أَنْطَاكِيَّةٍ حَصَبُ(٤)
إِذَا ٱكْتَسَتْ بَارِضَ(٥) ٱلرِّبْعِيِّ أَرْضُهُمُ فَلْيَرْقُبُوهَا(٦) فَإِنَّ ٱلْمُلْتَقَى(٧) كَثَبُ

ـ لا يأمنَنَّ على النساء أخٌ أخاً ما في الرجال على النساء أمينُ
كل الرجال وإن تعفّف جهده لا بدَّ أنَّ بنظرةٍ سيخونُ

« ربيع الأبرار للزمخشري ج ٤ ورقة $\frac{١٠٨}{٢}$ مخطوط في الظاهرية ».

وورد البيتان في (محاضرات الأدباء للراغب ج ٢ ص ٦٥) منسوبين لذي الرمة باختلاف يسير. كما وردا في المستطرف ج ٢ ص ٢٨٨ منسوبين للسمعاني خطأً.

(١) في القيظ والظل . . . (ل) .

(٢) ليس بها (ل)

(٣) ناراً (ل)

(٤) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . وأنطاكية: قصبة العواصم من الثغور الشامية (معجم البلدان) . والحَصَب : كل ما يرمى به في النار من حطب وغيره .

(٥) البارِض : أول ما تخرج الأرض من نبت . والرِّبْعي : ما نتج في أيام الربيع . والكَثَبُ القرب .

(٦) فليرفعوها (ل)

(٧) المرتقى (ع) و (م)

وَلَوْ دروْا أَنَّها وَالْعُشْبَ طَالِعَةٌ ... مَا سَرَّ مُجْدِبَهُمْ أَنْ يَطْلَعَ الْعُشْبُ
قَدْ صَدَّ عَنْهُمْ غِرَارَ النَّوْمِ سَيْفُ هُدىً ... غِرارُهُ بِدَمِ الْأَعْدَاءِ مُخْتَضِبُ (١)
شَغْبُ الْخِلافَةِ مُذْ سَلَّتْهُ مُلْتَثِمٌ ... لَكِنْ(٢) عَصَا مَنْ عَصَى مِنْ حَدِّهِ شُعَبُ
فَالْمُسْتَجِيرُ بِذِي الرَّايَاتِ مُعْتَصِمٌ ... لَا الْمُسْتَجِيرُ بِمَنْ رَايَاتُهُ الصُّلُبُ(٣)

(١) غِرار النوم : القليل منه ، وغِرار السيف : حدُّه .
(٢) لئن عصى مَن عصى من حده شعب (ع) و (م)

(تابع قافية الباء)

(٣) قال ابن حَيُّوس في أحمد بن علي النصيبي قاضي دمشق المتوفي سنة ٤٦٨ .

حاشَا سَمِيَّكَ أَنْ تُدْعَى لَـهُ وَلَداً ... لَوْ كُنْتَ مِنْ نَسْلِهِ مَا كُنْتَ كَذَّابا

« لسان الميزان لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ٢٢٤ »

قافيـة التـاء

٢٤

وقال يرثي القاضي أمين الدولة أبا طالب عبد الله بن محمد بن عمّار بن الحسين بن عبد الله بن إدريس بن أبي يوسف الطائي(١) بثغر طرابلس سنة اربع وستين واربع مائة ويعزي القاضي الأجل جلال(٢) الملك وعماده ذا المعالي صفي أمير المؤمنين .

ذُدْ بِالْعَزَاءِ الْهَمَّ عَنْ طَلِبَاتِهِ   لاَ تُسْخِطَنَّ اللّهَ فِي مَرْضَاتِهِ
لَكَ مِنْ سَدَادِكَ مُخْبِرٌ بَلْ مُذْكِرٌ   أَنَّ الزَّمَانَ جَرَى عَلَى عَادَاتِهِ
أَثْكَلْتَهُ أَحْدَاثُهُ وَخُطُوبُهُ   فَاصْبِرْ لَهُ إِنْ نَالَ بَعْضَ تِرَاتِهِ

(١) كان قاضي طرابلس واستقل بها سنة ٤٦٢ وتوفي في شهر رجب سنة ٤٦٤

(٢) هو جلال الملك أبو الحسن علي بن عمّار ، ابن أخي أبي طالب ، خلف عمه على طرابلس ، فضبطها أحسن ضبط ، وظل بنو عمّار مستقلين بها الى أن استولى عليها الصليبيون سنة ٥٠٢

« ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٦ و ٩٧ و ١٦٣ »
و « المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ج ٢ ص ١٨٨ »

وعنوان هذه القصيدة في (ل) هكذا : (وقال ايضاً على قافية التاء يرثي القاضي الأجل أمين الدولة أبا طالب عبد الله بن محمد بن عمّار بن الحسين بن قيدس بن عبد الله بن إدريس بن أبي يوسف الطائي قدس الله روحه وكانت وفاته بطرابلس الشام يسر الله فتحها ليلة السبت النصف من رجب سنة أربع وستين وأربعماية ويعزي القاضي الأعز الأجل سيد الحكام جلال الدولة وعمادها ذا المعالي صفي أمير المؤمنين) .

صَدَعَ ٱلْقُلُوبَ بِمَا أَتَىٰ مُسْتَيْقِنًا ... أَنْ لَا يُذَمَّ وَأَنْتَ مِنْ حَسَنَاتِهِ
إِنَّ ٱلَّذِي عَمَّ ٱلْأَنَامَ مُصَابُهُ ... وَتَشَعَّبَتْ شُعَبُ ٱلْمُنَىٰ بِوَفَاتِهِ
أَمَلُوا شَتَاتَ ٱلشَّمْلِ خُيِّبَ ظَنُّهُمْ ... أَنَّىٰ وَقَدْ مُلِّكْتَ جَمْعَ شَتَاتِهِ
لَمَّا رَأَىٰ أَنَّ ٱلشَّبِيبَةَ لِلْعُلَىٰ ... وَزَرٌ(١) وَبَانَ ٱلضَّعْفُ فِي حَرَكَاتِهِ
وَلِأَنَّكَ مِنْهَا مَا تَوَلَّىٰ بُرْهَةً ... وَفَدَىٰ حَيَاتَكَ رَاضِيًا بِحَيَاتِهِ
فَلِذَاكَ لَاقَىٰ يَوْمَهُ مُسْتَبْشِرًا ... حَتَّىٰ ظَنَنَّا ٱلْمَوْتَ بَعْضَ عُفَاتِهِ
وَقَضَىٰ عَلِيًّا أَنْ تَقُومَ مَقَامَهُ ... بَعْدَ ٱلْفِرَاقِ فَلَمْ يَفُهْ بِوَصَاتِهِ
مُلِّيتَ مَا وُرِّثْتَهُ مِنْ عِزِّهِ ... وَوُقِيتَ بِٱلْمَسْمُوعِ مِنْ دَعَوَاتِهِ
فَلَقَدْ مَضَىٰ تَرْجُو ٱلْمَمَالِكُ رَدَّهُ ... فَتَسُومُهُ وَتَخَافُ مِنْ سَطَوَاتِهِ
فَبَكَاهُ ثَغْرٌ كَانَ عِصْمَةَ أَهْلِهِ ... وَمَعَاذَ قَاصِدِهِ وَعِزَّ وُلَاتِهِ
أَجْنَاهُ رَبُّ ٱلْعَرْشِ غَرْسَ فَعَالِهِ ... وَقَضَىٰ لَهُ بِٱلْخُلْدِ فِي جَنَّاتِهِ
بِٱلرِّفْقِ أَدْرَكَ وَادِعًا مَا لَمْ يَنَلْ ... أَنْحَىٰ ٱلْمُلُوكِ بِكُمْتِهِ وَكُمَاتِهِ
حَتَّىٰ تَخَلْنَاهُ نَبِيًّا مُرْسَلًا ... وَمَحَاسِنُ ٱلْأَخْلَاقِ مِنْ آيَاتِهِ
فَأَمْلِكْ بِمَا مَلَكَ ٱلْقُلُوبَ مُكَذِّبًا ... مَنْ ظَنَّ أَنَّ مَمَاتَهَا بِمَمَاتِهِ
مَالِي ظَلِلْتُ مُنَبِّهًا ذَا يَقْظَةٍ ... يَأْتِي مِنَ ٱلْإِحْسَانِ مَا لَمْ آتِهِ(٢)

(١) الوَزَرُ : الملجأ والمعتصم .
(٢) ما لم يأته (ل) وفوقها علامة توقف .

أَمْوَالُهُ مَرْفُوضَةٌ كَعُدَاتِهِ ... وَصِلاَتُهُ مَفْرُوضَةٌ كَصَلاَتِهِ
وَإِذَا أَزَارَ الطِّرْسَ نِقْسَ دَوَاتِهِ ... أَيْقَنْتَ أَنَّ الفَضْلَ مِنْ أَدَوَاتِهِ
مَا زَالَ يَثْنِي الدَّهْرَ عَنْ عَزَمَاتِهِ ... فَيَفُلُّهَا وَيَجُودُ فِي أَزَمَاتِهِ
تُمْسِي كِرَامُ العَصْرِ بَعْضَ ضُيُوفِهِ ... وَيَبِيتُ فِعْلُ الخَيْرِ مِنْ صَبَوَاتِهِ
وَأَسَدُّ (١) مَنْ أَسْدَى يَداً مَأْثُورَةً ... مَنْ أَوْدَعَ المَعْرُوفَ عِنْدَ ثِقَاتِهِ
صَبْراً جَلاَلَ المُلْكِ تَحْمَدْ غِبَّ مَا ... خُوِّلْتَهُ فَالصَّبْرُ مِنْ آلاَتِهِ
لاَ تُشْعِرَنَّ الدَّهْرَ أَنَّكَ جَازِعٌ ... مِنْ فِعْلِهِ فَيَلَجَّ فِي غَدَرَاتِهِ
فَلأَنْتَ مَجْدُ مُلُوكِ دَهْرِكَ فَلْيَعُدْ ... عَنْ قَوْلِهِ مَنْ قَالَ مَجْدُ قُضَاتِهِ
وَلَقَدْ عَلِمْنَا أَنَّ يَنْسُكُمُ الَّذِي ... لاَ تَرْحَلُ العَلْيَاءُ عَنْ حُجُرَاتِهِ
وَافَاكَ مِنِّي (٢) ذَا الكَلاَمُ مُعَزِّياً ... بَلْ رَاغِباً فِي الصَّفْحِ عَنْ زَلاَّتِهِ
قَوْلٌ أَتَى عَنْ عِلَّةٍ وَفَجِيعَةٍ ... فَاقْبَلْهُ مَسْتُوراً عَلَى عِلاَّتِهِ

---

(١) وأسرُّ ... (ل)

(٢) عني (ل)

٢٥

وقال يهجو أبا الطاهر (١) ابن عم ناصر الدولة بن حمدان .

أَبَا طَاهِرٍ أَنْتَ عَيْبُ الزَّمَانِ وَعَيْبٌ لِحَمْدَانَ فِي حُفْرَتِهْ (٢)
لَئِنْ مَثَلٌ لِطُوَيْسٍ (٣) جَرَى فَإِنَّكَ أَشْأَمُ مِنْ غُرَّتِهْ
كَفَى ٱللهُ شُؤْمَكَ سَيْفَ ٱلْإِمَامِ وَبَاعَدَ شَخْصَكَ عَنْ حَضْرَتِهْ (٤)

---

(١) لم نجد له ترجمة وإنما ورد في تاريخ ابن خلدون ٦/٢٥٢ « أبو طاهر إبراهيم بن ناصر الدولة »

(٢) هذه الأبيات الثلاثة ساقطة من (ل)

(٣) طُوَيْس : يضرب به المثل في الشؤم يقال « اشأم من طُوَيْس »

(تابع قافية التاء)

(٤) قال ابن حَيُّوس :

خُذْ مَا تَعَجَّلَ وَٱتْرُكْ مَا وُعِدْتَ بِهِ فِعْلَ ٱلْأَرِيبِ فَلِلتَّأْخِيرِ آفَاتُ
فَلِلسَّعَادَةِ أَوْقَاتٌ مُيَسَّرَةٌ تُعْطِي ٱلسُّرُورَ وَلِلْأَحْزَانِ أَوْقَاتُ

تاريخ الإسلام الكبير للذهبي نسخة السلطان أحمد الثالث في استانبول رقم ١٢٨ الجزء الحادي عشر ورقة ٢٨٠ (مخطوط) .

قافيـة الحـاء

٣٦

وقال بديهاً (١)

فِتْيَةٌ قَدْ قَطَعُوا ٱلدَّهْـ ـرَ ٱغْتِبَاقًا وَٱصْطِبَاحا
يَحْمِلُونَ ٱلرَّاحَ بِٱلرَّا حِ غُدُوًّا وَرَوَاحا
وَإِذَا مَا سُئِلُوا ٱلْجُو دَ غَدَا ٱلْمَالُ مُبَاحا (٢)
وَإِذَا (٣) قِيلَ ٱرْكَبُوا قَدْ غَلَبَ ٱلْجِدُّ ٱلْمُزَاحا
جَعَلُوا ٱلْكَاسَاتِ بِيضاً وَٱلرَّيَاحِينَ رِمَاحا

(١) وقال على قافية الحاء بديهاً (ع) وقال أيضاً على قافية الحاء (ل)
(٢) محل هذا البيت في (ع) و (م) آخر الأبيات.
(٣) فاذا ... (ع) و (م)

قافيـــة الدال

٢٧

وقال (١) يمدح عز الملوك أبا الفضائل سابق (٢) بن محمود في سنة تسع وستين (٣) واربع مائة

عَوِّضُونا (٤) مِنَ السُّهادِ الرُّقادا فَلَعَلَّ الْخَيالَ أَنْ يَعْتَـــادا
صِحَّةُ الشَّوْقِ أَحْدَثَتْ عِلَّةَ الصَّبْـ (٥) ـرِ وَبُعْدُ الْمَزارِ أَدْنىٰ السُّهادا
كَمْ عَذُولٍ عَلَيْكُمُ رامَ إِصْلا حِي فَكانَ الْمَلامُ لِي إِفْسادا
كُلَّما زادَ عَذْلُهُ زادَ وَجْدِي وَكِلانا (٦) في شَأْنِهِ قَدْ تَمادى
ثُمَّ رافَقْتُمُوهُ إِذْ جاءَ يَلْحـا نِي فَأَلّا رافَقْتُمُ الْعُوّادا

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح الأمير عز الملوك أبا الفضائل سابق بن محمود ويذكر منزلته (منازلته) أنطاكية بعسكره وحصـــاره لها وأنشدها في عيد النحر سنة تسع وستين واربعماية » .

(٢) هو سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي آخر الأمراء المرداسيين في حلب تولاها سنة (٤٦٨) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٥٠)

(٣) في الأصل : (سنة تسع وسبعين وأربع ماية) وهو من سهو الناسخ والصواب ما أثبتناه كما في (ل) وذلك لأن الشاعر توفي سنة ٤٧٣ .

(٤) عوضونا عن السهاد رقادا (ل)

(٥) علة الوجد (ل)

(٦) فـكلانا . . . (مسالك الأبصار ج ١٠ مخطوط)

كَيفَ يُصْغِي إلىٰ ٱلْمَلامَةِ فِيكُمْ مَنْ يَرىٰ ٱلْغَيَّ فِي هَوَا كُمْ رَشَادا
مَنْ لِقَلْبٍ أَصْلَيْتُمُوهُ لَظَى ٱلْجَمْـ ـرِ وَجَنْبٍ أَفْرَشْتُمُوهُ ٱلْقَتَادا
بَعْدَ عَيْشٍ حَكَىٰ ٱلشَّبَابَ بَلَوْنَا هُ حَمِيداً وَقَدْ مَضَىٰ مَا عَادا
وَنَأَيْتُمْ مَعَ ٱلدُّنُوِّ فَمَا أَنْـ ـكَرْتُ لَمَّا نَأَىٰ ٱلْمَحَلُّ ٱلْبِعَادا
وَوَرَاءَ ٱلْحِمَىٰ بِوَادٍ بِوَادٍ تَمْنَعُ ٱلسُّمْرُ سِرْبَهُ أَنْ يُصَادا
وَمَهىً مَا لَهَا ٱعْتِنَاءٌ بِمَنْ هَا مَ وَلَا لَفْتَةٌ إِلىٰ مَنْ فَادا
مَا عَرَفْنَ ٱلْبُكَاءَ يَوْماً وَكَمْ أَبْـ ـكَيْنَ عَيْناً وَكَمْ تَبَلْنَ فُؤَادا
كُلُّ حَسْنَاءَ لَا تَجُودُ بِإِحْسَا نٍ وَرُودٍ لَا تُحْسِنُ ٱلْإِرْوَادا [1]
وَأَرَى ٱلْعِشْقَ وَٱلثَّمَانُونَ تَنْهَىٰ عَنْهُ رَأْياً فَارَقْتُ فِيهِ ٱلسَّدَادا
وَعَرَتْنِي نَوَائِبٌ تُبْطِلُ ٱلْحَـ ـقَّ وَتُعْطِي غَيْرَ ٱلْمُحِقِّ ٱلْمُرَادا
وَأَخِلَّاءُ يُضْمِرُونَ لِيَ ٱلشَّحْـ ـنَاءَ وَدْءاً [2] وَيُظْهِرُونَ وِدَادا
قَدَحُوا فِي فَضَائِلٍ حَرَمُوهَا بِزِنَادٍ لَا تَعْدَمُ ٱلْإِصْلَادا
وَقَدِيماً كَمِ ٱبْتَغَىٰ نَقْضَ حَبْلِي جَاهِلٌ بِي [3] فَزَادَهُ إِحْصَادا
لَا مَلَامٌ لَهُمْ وَهَلْ لِيمَتِ ٱلرِّيـ ـحُ إِذَا لَمْ تُزَعْزِعِ ٱلْأَطْوَادا

---

(١) الإرواد : الرفق .
(٢) الوَدْء : الغشيان بالاساءة .
(٣) جاهل لي فؤاده إحصادا ؟ (ع) و (م)

مَنْ يُذَدْ بِالتَّمْوِيهِ عَنْ مَوْرِدِ الْعِزِّ فَإِنِّي عَنْ وِرْدِهِ لَنْ أُذَادَا
صُنْتُ نَفْسِي عَنِ اللَّحَاقِ بِقَوْمٍ بَلَغَ الْحِرْصُ فِيهِمُ مَا أَرَادَا
وَزَوَتْنِي عَنْهُ مَوَاهِبُ مَلْكٍ جَلَّ عَنْ أَنْ يُهَزَّ أَوْ يُسْتَزَادَا
يَفْعَلُ الدَّهْرُ جَاهِداً كُلَّ مَا شَا ءَ وَلَمْ[1] يُلْفَ هَادِماً مَا شَادَا[2]
وَاعِدٌ بِالْغِنَى فَلَا يُخْلِفُ الْوَعْـ دَ وَيَعْفُو فَيُخْلِفُ الْإِيعَادَا
وَبَعِيدُ[3] الْمَرَامِ، مَا قَالَتِ الْأَعْـ دَاءُ حَازَ الْكَمَالَ إِلَّا وَزَادَا
فَاتَ أَمْلَاكَ عَصْرِهِ فَبِحَقٍّ حَلَّ أَعْلَى الرُّبَى وَحَلُّوا[4] الْوِهَادَا
خَنَعُوا وَانْتَخَى وَعَزَّ وَذَلُّوا وَهَوَوْا وَاعْتَلَى وَضَنُّوا وَجَادَا
فَعَلَاتٌ عَمَّتْ رَبِيعَةَ بِالْفَخْـ رِ وَكَعْباً وَخَصَّتِ الشَّدَّادَا[5]
وَمَعَالٍ مَا قَصَّرَتْ دُونَهَا الْآ مَالُ إِلَّا لِتَعْذِرَ[6] الْحُسَّادَا
سَدَّ أَقْطَارَهَا عَلَى النَّاسِ مَنْ سَا دَ وَلَمْ تَكْسُ عَارِضَاهُ سَوَادَا

---

(١) ولا يلف (ع) و (م)
(٢) ما أشادا (ل)
(٣) وبعيد الغرام . . . (ل)
(٤) وحلّ ؟ (م)
(٥) شدّاد وكعب وربيعة من أجداد بني مرداس . انظر عمود نسبهم من صالح بن مرداس الى معد بن عدنان في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ١ ص ٢٨٦ .
(٦) لتعدم (ل)

يَا ٱبْنَ مَنْ ذَلَّلُوا(١) ٱلنَّوَائِبَ بِٱلْقَهْـ ـرِ وَأَعْطَاهُمُ ٱلزَّمَانُ ٱلْقِيَادَا
مِنْ مُلُوكٍ لَهَا ٱلْعَوَاصِمُ دَارٌ(٢) وَمُلُوكٍ تَقَيَّلُوا بَغْدَادَا
عُصَبٌ إِنْ جَرَوْا إِلَى ٱلْجُودِ وَٱلْإِقْـ ـدَامِ بَذُّوا ٱلْأَجْوَادَ وَٱلْأَنْجَادَا
وَأَبَوْا أَنْ يَفُوزَ سَاعٍ بِمَجْدٍ لَمْ يَكُنْ مِنْ خِلَالِهِمْ مُسْتَفَادَا
فُقْتَ هٰذَا ٱلْوَرَى جُدُوداً وَآبَا ءً وَفُقْتَ ٱلْآبَاءَ وَٱلْأَجْدَادَا
طُلْتَ طَوْلاً وَهِمَّةً وَمَحَلاً وَمِحَالاً(٣) وَنَجْدَةً وَنِجَادَا
وَأَبَتْ مَا أَبَيْتَ بِيضٌ حِدَادٌ أَبَداً تُلْبِسُ ٱلنِّسَاءَ حِدَادَا
مُرْهَفَاتٌ إِنْ بَزَّهَا سُخْطُكَ ٱلْأَغْـ ـمَادَ عِيضَتْ مِنَ ٱلطُّلَى أَغْمَادَا
لَوْ أَبَانَتْ عَنْ ذِكْرِ مَنْ(٤) عَاصَرَتْهُ ذَكَرَتْ تُبَّعاً وَلَمْ تَنْسَ عَادَا(٥)
وَعِتَاقٌ مُقَوَّرَةٌ(٦) تَسْبِقُ ٱلْأَوْ هَامَ إِذْ غَيْرُهَا يُبَارِي ٱلْجِيَادَا
تَرِدُ ٱلرَّوْعَ وَهِيَ دُهْمٌ مِنَ ٱلنَّقْـ ـعِ وَيَصْدُرْنَ بِٱلنَّجِيعِ وِرَادَا(٧)

(١) ذَلَّلَ ... (ل)
(٢) داراً ؟ (ل)
(٣) المِحال : التدبير والكيد والقدرة والشدة .
(٤) ما عاصرته (ع) و (م)
(٥) تُبَّع : الملك الأكبر من ملوك الدولة الحميرية الثانية باليمن في الجاهلية .
وعاد : جد جاهلي قديم وبه سميت قبيلة عاد قوم هود وهم من العرب البائدة .
(٦) مُقَوَّرَة : ضامرة .
(٧) الوِرادُ : جمع وَرْد وهو الأحمر الضارب إلى الصفرة .

إنْ أرَدْنَ ٱلْبعيدَ كانَ قريباً أَوْ وَرَدْنَ ٱلْبِحارَ صارَتْ ثِماداً[١]
لَمْ تزَلْ تُوسِعُ ٱلْخِلافَةَ بِٱلنُّصْحِ ٱجْتِهاداً وَٱلْمُشْرِكِينَ جِهاداً
نَهضاتٌ أوْهَتْ قُوى مَلِكِ ٱلرُّومِ فَحَلَّ ٱلثَّرَى بِهَا أَوْ كَادا[٢]
وَلَقَدْ نازَلَتْ مَدِينَتَهُ ٱلْعُظْمَى حُماةٌ لاَ يَأْلَمُونَ ٱلْجِلادَا
يَبْذُلُونَ ٱلنُّفُوسَ فِي طَاعَةِ ٱللَّهِ ٱحْتِسَاباً وَيَذْكُرُونَ ٱلْمَعَادا
مَنْ يُرِدْ مَطْلَباً بِجَدِّكَ لاَ يُكْدِي وَمَنْ كُنْتَ رِدْءَهُ لَنْ يُكادا
أَغْمَدَ ٱلرُّومُ عَنْ حِمَايَتِهَا ٱلْبِيضَ وَلَمْ يَشْرَعُوا ٱلْقَنَا ٱلْمُنْآدا
وَإذا ٱلنَّارُ نَامَ مُوقِدُهَا عَنْهَا فَأَجْدِرْ بِأَنْ تَحُولَ رَمَادا
رُبَّ أَمْرٍ مُرِيدُهُ لاَ يُنَاوَى جَرَّ أَمْراً وَلِيدُهُ لاَ يُنَادا[٣]
قَصَدَتْهُمْ مِنْ سَابِقٍ عَزَمَاتٌ لاَ تَعَدَّى سِهامُهـا ٱلْإِقْصَادا
صَادِقَاتٌ كَأَنَّ بَيْنَ ٱلْمَنَايَا يَوْمَ تُنْضَى[٤] وَبَيْنَهَا مِيعَادا
وَدَوَاءُ ٱلدَّاءِ ٱلَّذِي فَتَّ فِي ٱلْأَعْضَادِ خَوْفاً وَفَتَّتَ ٱلْأَكْبَادا

---

(١) الثِماد : الماء القليل لا مادة له .

(٢) أو هادا (ل)

(٣) من أمثالهم : (هذا أمر لا ينادى وليده) يضرب في الخير والشر ، أي اشتغلوا به حتى لو مدّ الوليد يده الى أعز الأشياء لا ينادى عليه زجراً .

(٤) ينضى . . . (ل)

جِزْيَـةٌ إنْ رَضِيتَها تُؤْمِنُ الأَنْفُـ سَ مِنْ أنْ تُفارِقَ الأَجْسَادا
أَوْ خُرُوجٌ عَنْها فَقَدْ آنَ لِلْمَسْـ رُوقِ بَعْدَ المِطَالِ أنْ يُسْتَعادا
كَمْ بَغَى حَصْرَهَا عَزِيزٌ فَأَلْفا هُ عَزِيزاً صَعْبَ المَرامِ فَحَادا
وَأَبَى ٱللّهُ أَنْ يُشَارَكَ فِيهِ فَاخْتِصَاصاً بِفَخْرِهِ وَانْفِرادا
وَقَدَتْ(١) عِزَّهَا مُلُوكٌ تَنَاءَوْا عَنْ طَرِيفِ(٢) العُلَى فَعَدُّوا التِّلادا
يَا بَنِي صَالِحٍ(٣) بِكُمْ صَلَحَ الدَّهْـ رُ وَقَدْ كانَ(٤) لا يَرِيمُ الفَسَادا
وَزَمَاناً مَا زِلْتُ أَسْأَلُ عَنْكُمْ فَكَفَتْنِي رُؤْيَاكُمُ الإِسْنَادا
وَشَهِدْتُ البُحُورَ قَدْ كَفَتِ الوُرَّ ادَ أَنْ يَبْعَثُوا لَهَا(٥) رُوَّادا
وَرَغِبْتُمْ فِي المَكْرُمَاتِ فَجُدْتُمْ وَأَرَى النَّاسَ غَيْرَكُمْ زُهَّادا
وَلَقَدْ فَازَ بِالخُلُودِ كِرَامٌ تَخِذُوا الحَمْدَ عُدَّةً وَعَتَادا
بِعَطَايَا تَتْرَى مِئِينَ(٦) وَآلا فَاً وَتُلْفَى فِيمَنْ تَرَى أَفْرَادا

---

(١) كذا في النسخ الثلاث ولعله : فقدت .
(٢) طريق . . . (م)
(٣) صالح بن مرداس الكلابي أول من ملك حلب من بني مرداس . انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)
(٤) وقد كاد . . . (ل)
(٥) لهم . . . (ل)
(٦) مِئيناً . . . (م)

وَسِواكُمْ إذَا تَكَلَّفَ مَعْرُو فًا وَإنْ قَلَّ أكْثَرَ الإعْتِدَادا(١)
سَكَنَ الْخَلْقُ مِنْ(٢) جِوارِكَ ظِلّاً زَادَهُ اللهُ بَسْطَةً وَامْتِدَادا
وَتَوالَتْ أيّامُ مُلْكِكَ أعْيا داً فَكِدْنَا(٣) لا نَعْرِفُ الأعْيَادا
وَجَمَعْتَ الأهْوَاءَ مِنْ بَعْدِ تَشْتِيـ تٍ بِرَأْيٍ يُؤَلِّفُ الأضْدَادا
وَبِمَحْضِ الآرَاءِ خُوِّلَ عَمْرٌو مِصْرَ وَاسْتَلْحَقَ ابْنُ هِنْدٍ زِيَادا(٤)
قَدْ كَثَرْتَ الْمُلُوكَ(٥) فَضْلاً وَإفْضا لاً وَعَدْلاً فَأكْثَرُهُمْ أوْلادا
وَاتْلُ نَصْراً(٦) بِكُلِّ قَرْمٍ هُمَامٍ آمِنٍ أنْ يُطَالَ أوْ أنْ يُسَادا
لِتَرَى مِنْهُمُ حِيَالَكَ آسَا داً وَمِنْ وُلْدِ وُلْدِهِمْ آسَادا
عِشْ لِعَافٍ أنْسَيْتَهُ(٧) الْفَقْرَ إصْفَا داً وَعَانٍ فَكَكْتَ عَنْهُ الصِّفَادا(٨)
وَلْيَزِدْ أمْرُكَ الْمُطَاعُ نَفَاذاً وَلْيَزِدْ كَيْدُ شَانِئِيكَ نَفَادا

---

(١) الاعتقادا (ل)
(٢) في جوارك . . . (ل)
(٣) فكدنا أن ننكر الأعيادا (ل)
(٤) عمرو : هو ابن العاص . وابن هند : معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهم . وزياد : هو ابن أبيه .
(٥) قد كثرت الأنام . . . (ل)
(٦) هو أخو الممدوح . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)
(٧) آيسته الفقر ... (ع) و (م)
(٨) الإصفاد : الإعطاء . والصِّفاد : ما يوثق به الأسير .

صُنْتَنِي عَنْ إِرَاقَتِي مَاءَ وَجْهِي وَأَفَدْتَ ٱلْعِزَّ ٱلَّذِي لَنْ يُفَادَا
فَسَأُبْقِي عَلَيْكَ مَا أَمْكَنَ ٱلْقَوْ لُ ثَنَاءً حَتَّىٰ ٱلْمَعَادِ مُعَادَا
بِقَوَافٍ(١) لَيْسَتْ تُفَارِقُ مَغْنَا كَ عَلَى أَنَّهَا تَجُوبُ ٱلْبِلَادَا
قَدْ حَمَاهَا مَنْ أَجْزَلَ ٱلنَّقْدَ إِذْ زُفَّ تْ إِلَيْهِ وَأَحْسَنَ ٱلإِنْتِقَادَا(٢)
عَنْ جَهُولٍ يَعُدُّهَا مِنْ عُدَاهُ وَعَدُوٍّ مِنْ سَمْعِهَا يَتَفَادَى
وَقَبِيحٌ(٣) أَنْ أَدَّعِي ٱلْفَضْلَ فِيهَا بَعْدَ أَنْ أَنْطَقَتْ عُلَاكَ ٱلْجَمَادَا

٢٨

وقال يمدحه (٤)

عَلَيَّ(٥) لَهَا أَنْ أَحْفَظَ ٱلْعَهْدَ وَٱلْوُدَّا وَإِنْ لَمْ(٦) يُفِدْ إِلَّا ٱلْقَطِيعَةَ وَٱلْبُعْدَا

(١) في قوافٍ ... (ل)
(٢) وأحسن الإنقادا (م)
(٣) وقبيح مَن ادعى ... (ل)
(٤) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك هكذا :
« وقال أيضاً يمدح سابق بن محمود بن نصر بن صالح »
(٥) ورد في زبدة الحلب لابن العديم – مخطوط – ما خلاصته : في يوم عيد الفطر من سنة ٤٦٨ قُتل نصر بن محمود صاحب حلب ، فاستُدعي أخوه سابق إلى القلعة ونودي بشعاره ، ودخل عليه ابن حَيُّوس فأنشده قصيدة أولها :
عليَّ لها ان أحفظ العهد والودا . . . فأطلق له سابق ألف دينار . وجعل له في كل شهر ثلاثين ديناراً .
(٦) وإن لم تفد ... (ل)

وَكَمْ عَاذِلٍ فِيهَا أَشَارَ بِهَجْرِهَا ... فَأَدّىٰ إِلىٰ أَسْمَاعِنَا خَبَراً إِذَا
إِذَا مَا أَطَالَ اللَّوْمَ قُلْتُ لَهُ اتَّئِدْ ... فَمَا عَاشِقٌ مَنْ لَا يَرىٰ غَيَّهُ رُشْدَا
وَخذْ الْهَوىٰ مِنْ عَدِّ إِسْخَاطِهِ رِضىً ... وَإِكْدَارَهُ صَفْواً وَحَنْظَلَهُ شَهْدَا
وَلَوْ لَمْ يَرُضْنِي الشَّوْقُ وَالْهَجْرُ بُرْهَةً ... لَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْوَعْدَ وَالنَّائِلَ الثَّمْدَا
تَصَدَّتْ إِلىٰ أَنْ قُلْتُ مَا الْهَجْرُ(١) دِينُهَا ... وَصَدَّتْ إِلىٰ أَنْ صِرْتُ لَا أُنْكِرُ الصَّدَّا
وَبَانَتْ فَبَاتَ(٢) الطَّيْفُ يَعْصِي(٣) بِحُكْمِهَا ... يُوَاصِلُنِي سَهْواً وَيَهْجُرُنِي عَمْدَا
عَشِيَّةَ قَالَتْ لَا يَمُتْ بِأَنَّهُ ... مُقِيمٌ عَلَى دَعْوَاهُ مَنْ لَمْ يَمُتْ وَجْدَا
وَقَفْنَا مَعاً أَسْتَنْصِرُ الدَّمْعَ وَالضَّنىٰ ... إِذَا مَا انْبَرَتْ تَسْتَنْصِرُ الطَّرْفَ وَالْقَدَّا
وَسَهْمَ لِحَاظٍ يُؤْلِمُ الْقَلْبَ جُرْحُهُ ... أَهَانَ جِرَاحاً تُؤْلِمُ الْعَظْمَ وَالْجِلْدَا
وَتَخْجَلُ مِنْ ظُلْمِي صُرَاحاً فَكُلَّمَا(٤) ... حَكَى الْوَرْدَ خَدَّاهَا حَكَى دَمْعِيَ الْوَرْدَا
وَمَا زِلْتُ(٥) مِنْ أُولَى زَمَانِي رَاغِباً ... بِنَفْسِيَ أَنْ تَبْغِي مَآرِبَهَا كَدَّا

---

(١) ما البخل دينها (ل) و(مسالك الأبصار ج ١٠ مخطوط) .
(٢) في النسخ الثلاث وباتت والتصحيح من مسالك الأبصار .
(٣) يقضي بحكمها يواصلنا سهواً ويهجرنا عمدا (ل)
(٤) وكلا (ل)
(٥) في أولي . . . (ع) و (م)

وَأَنْ أَقْدَحَ النَّارَ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا إِلَى الحظِّ (١) ما كانَ الخُضُوعُ لها زَنْدَا
فَيا رَغْبَتِي فِي الحُبِّ عُودِي زَهادَةً فَما أَنْتِ أُولَى رَغْبَةٍ رَجَعَتْ زُهْدَا
ذَرِي الأَمَلَ المُعْتَلَّ تَلْقَيْ (٢) صَحِيحَهُ لَدَى مَلِكٍ أَفْعالُهُ تَخْلُقُ المَجْدَا
إِذَا جادَ لَمْ يُخْلِفْ مَواهِبَهُ الحَيا وَإِنْ قالَ لَمْ يُخْلِفْ وَعِيداً وَلا وَعْدَا
وَإِنْ جادَتِ الأَنْواءُ فِي الخِصْبِ فاتَها وَإِنْ بَخِلَتْ فِي المَحْلِ كانَ لَها ضِدَّا
وَإِنْ عاقَبَ الجانِينَ صالَ وَما اعْتَدَى وَإِنْ سُئِلَ الإِنْعامَ أَغْنَى وَما اعْتَدَّا (٣)
سَدِيدٌ إِذَا ما القَوْلُ نابَ عَنِ الظُّبَى شَدِيدٌ عَلَى رَيْبِ الزَّمانِ إِذَا اشْتَدَّا
فَدَتْ سابِقاً شُوسُ المُلُوكِ فَإِنَّهُ حَقِيقٌ بِأَنْ يُثْنَى عَلَيْهِ وَأَنْ يُفْدَى
وَعِزُّهُمُ فِي المَجْدِ أَبْعَدُهُمْ مَدًى عَلَى أَنَّهُ بِالمَهْدِ أَقْرَبُهُمْ عَهْدَا
وَأَصْفاهُمُ ذِهْناً وَأَنْداهُمُ يَداً (٤) وَأَضْفاهُمُ ظِلّاً وَأَوْفاهُمُ رِفْدَا (٥)
يَدُلُّ وَلَمْ يُدْلَلْ عَلَى نَهْجِ سُؤْدُدٍ كَذاكَ النُّجُومُ الزُّهْرُ تَهْدِي وَلا تُهْدَى
سَلِيلُ الأُلَى حَلُّوا ذُرَى المَجْدِ بِالقَنا وَخَلَّوْا لِمَنْ يَرْجُو لَحاقَهُمُ الوَهْدَا

(١) إلى لحظ ما كان . . . (ع) إلى لحظ من كان . . . (م)
(٢) يلقى (م) ذر الأمل المعتل تلق صحيحه (ل)
(٣) هذا البيت ساقط من (ل)
(٤) ندىً (ل)
(٥) عهدا (ع) و (م) .

وكَمْ (١) لهُمُ مِنْ حاسِدٍ بسَطَ المُنَى ... ولٰكِنَّهُ أَوْدَى وما نالَ (٢) ما وَدَّا
وتنطِقُ أهلَ العِيِّ أوصافُ مجدِهِمْ ... علَى (٣) أنَّهُمْ إنْ فاخَرُوا أخرَسُوا اللُّدَّا
بَني صالحٍ (٤) أقصَدْتُمُ مَنْ رَمَيْتُمُ ... وأحيَيْتُمُ مَنْ أمَّ معرُوفَكُمْ قصْدَا
سقَى اللهُ دَوْحاً يُثمِرُ الحتفَ والغِنَى ... ولا ملَكَتْ (٥) أيدي الخُطُوبِ لهُ عَضْدَا
فما وَخَدَتْ كُومُ المَطِيِّ بِرَاغِبٍ ... ولا رَاهِبٍ إلاَّ بمَدْحِكُمُ تُحْدَى
أفضْتُمْ علَى هٰذا الوَرَى أنعُماً أبَى ... تَوَاتُرُها (٦) أنْ يستَطيعُوا لها جَحْدَا
وأنَّى يهُمُّ الأولياءُ بِطَيِّهَا ... ولَمْ (٧) يجِدِ الأعداءُ مِنْ نشْرِها بُدَّا
جَنَوْا فعفَوْتُمْ واعْتَفَوْكُمْ فجُدْتُمُ ... فأحسنْتُمُ البُقيا وأجزَلْتُمُ الرِّفْدَا
وذلَّلْتُمُ صعْبَ الزمانِ لأهلِهِ ... فذَلَّ وقَدْ كانَ الجِماحُ لهُ وَكْدَا
ومالَ إلى الإنصافِ مِنْ بعدِ جَوْرِهِ ... فأبدَى الذي أخفَى وأخفَى الذي أبْدَا

(١) فكم ... (ل)

(٢) وما كان ما ودا (ل) و (ع)

(٣) ولكنهم إن فاخروا ... (ل)

(٤) هو صالح بن مرداس الكلابي أول من ملك حلب من بني مرداس انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)

(٥) فلا ملكت ... (ع) و (م)

(٦) توارثها ... (م)

(٧) ولن يجد ... (ل)

وَصيّرْتُمُ ٱلبذْلَ ٱلّذي شاعَ ذِكْرُهُ مُضافاً إلى ٱلعدْلِ ٱلّذي يُوجِبُ ٱلحُمْدا
دُرُوعاً (١) على ٱلأَعْراضِ لا قَوْمُ تُبَّعٍ قَضَوْها ولا داوُدُ أَحْكَمَها سَرْدا
مَناقِبُ لَوْ أَنَّ ٱللّيالي تَوَشَّحَتْ بِأَذْيالِها (٢) لأَبْيَضَّ مِنْهُنَّ ما ٱسْوَدّا
وَمُلْكٌ حَواهُ بَعْدَما شابَ صالِحٌ (٣) وَخَوَّلْتُمُوهُ بَعْدَهُ غِلْمَةً مُرْدا
فَأَشْرَعْتُمُ قُدّامَهُ وَوَراءَهُ صَوارِمَ تَجْتاحُ ٱلعِدى وَقَناً مُلْدا
وَخَيْلاً إذا نادى ٱلصَّريخُ تَهافَتَتْ (٤) إلَيْهِ سِراعاً تَحْمِلُ ٱلغابَ وَٱلأُسْدا
عِراباً كَساها ٱلنَّقْعُ مِمّا يَحُوكُهُ (٥) جِلالاً وَقَدْ سَدَّتْهُ عارِيَةً جُرْدا
وَنارَيْنِ لِلْمَعْرُوفِ وَٱلْبَأْسِ شُبَّتا لِذي فاقَةٍ يُحْبا (٦) وَذي إحْنَةٍ يُرْدى
فَنارُ قِرىً دَلَّتْ عَلَيْهِ وَطالَما هَدَتْ عائلاً قَدْ ضَلَّ وَٱسْتَوْفَدَتْ وَفْدا
وَنارُ وَغىً يَصْلى بِها كُلُّ خائِنٍ (٧) إذا ما بَغى (٨) إطْفاءَها زادَها وَقْدا

(١) دروع ... (ع) و (م)
(٢) بأذيالها لابيضّ منها الذي اسودّ (ل)
(٣) انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)
(٤) ... الصريخ بها فتت إليه سراع ... ؟ (م)
(٥) تحوكه (ع) و (م)
(٦) يُخشى (ع) و (م)
(٧) خائن (ع) و (م)
(٨) إذا ما ابتغى ... (ل)

وَمِنْ دُونِ هٰذَا(١) اُلعِزِّ سَيْفُ خِلافَةٍ ... يَفُوقُ اُلظُّبى صَفْحاً وَيَفْضُلُها حَدّاً
وَيَفْرُقُ ما بَيْنَ اُلمَفارِقِ وَاللَّهى(٢) ... إِذَاما عَرَا خَطْبٌ وَما فارَقَ اُلغِمْدا
أَيا مَنْ حَمى شُكْرِي بِفائِضِ نائِلٍ ... إِذَا رُمْتُ إِحْصاءَ لَهُ كَثُرَ اُلعَدّا
وَأَحْسَنَ بِي يَتْلُو أَباهُ فَما اُعْتَدى ... وَأَسْرَفَ فِي فِعْلِ اُلجَمِيلِ وَما(٣) اُعْتَدَّا
أَلَسْتَ اُبْنَ مَنْ أَنْسَتْ عَطاياهُ كُلَّ مَنْ ... هَمَتْ يَدُهُ طَوْعاً وَكَرْهاً وَمَنْ أَجْدا
وَكَانَ ثَوابُ اُلمَدْحِ فِيهِمْ نَسِيئَةً ... تَناسَى إِلى حِينٍ فَعَجَّلَهُ نَقْدا
وَأَعْطَوْا قَلِيلاً ثُمَّ أَكْدَوا فَيَمَّمَتْ ... رِكابِي مَنْ أَعْطى كَثِيراً وَما(٤) أَكْدا
فَعُوِّضْتُ مِنْ ذُلِّ اُلمَطامِعِ عِزَّةً ... وَمِنْ خِيفَةٍ أَمْناً وَمِنْ عَدَمٍ وَجْدا
بِظِلِّ كَرِيمِ اُلنَّجْرِ وَاُليَدِ لَمْ تَلِدْ ... لَهُ مامَةٌ مِثْلاً وَلا نَجَلَتْ سُعْدا(٥)
وَفِي ضِمْنِ تِلْكَ اُلمَكْرُماتِ كَرامَةٌ ... ظَفِرْتُ بِها حُرّاً فَصِرْتُ لَها عَبْدا

(١) هذا الثغر ... (ل)
(٢) والطُّلى (ل)
(٣) فما اعتدا (ل)
(٤) ومن أكدى؟ (م)
(٥) مامة : أم كعب بن مامة الإيادي المشهور بالكرم والإيثار . صحبه في سفر رجل من النمر بن قاسط وكان في الماء قلة فما زال يؤثره على نفسه بالماء حتى مات عطشاً. وذهب قوله (اسق أخاك النمري) مثلاً . انظر مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٣٢٤ . وسعدى : هي سعدى بنت عوف بن خارجة الطائي إحدى نساء العرب المنجبات، من أبنائها : المغيرة بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أحد أجواد قريش .
« الأغاني ج ١٥ ص ٤٦ »

فَها (١) أنا ثاوٍ في جَنابِكَ لَمْ أمِلْ ... إلى أمَلٍ يُنْحَى وَلاَ مِنَّة تُسْدَى
يَعافُ وُرُودَ الطَّرْقِ (٢) مَنْ وَجَدَ الحَيا ... وَيَأْبَى الرِّضى بالرَّشْحِ (٣) مَنْ جاوَرَ العِدَّا
هَنيئاً لكَ المِيدانِ ثانٍ وأوَّلٌ ... تَوَدُّ الثُّرَيّا أنْ تَكُونَ لَهُ (٤) مَهْدا
وَواهِبُهُ المَسْؤولُ في أنْ يُرِيكَهُ ... هُماماً سَعيدَ الجَدِّ وَابْنَ ابْنِهِ جَدّا
وَلا زالَ مَنْعُوتاً بِنَعْتِ سَمِيِّهِ ... وَأخْبارُهُ تُرْوى وَرَاحَتُهُ تَنْدى
وَمالِيَ لا أُهْدي إلَيْكَ غَرائِباً ... بِكَ اعْتَصَمَتْ عَنْ أنْ تُباعَ وَأنْ تُهْدى
مُضَمَّنَةً مَدْحاً إذا ضاعَ نَشْرُهُ ... فَما النَّدُّ أهْلاً أنْ يَكُونَ لَهُ (٤) نِدّا
وَطائِيَّةَ التَّحْبيرِ لَمْ تَعْدُ أعْصُراً (٥) ... وَنَجْدِيَّةً لَمْ يَأْتِ قائِلُها نَجْدا
وَكَمْ رَاقَ شِعْرٌ ما حَبيبٌ (٦) أتى بِهِ ... وَقَدْ طُلَّ سَيْفٌ وَما عَرَفَ الهِنْدا
وَلَنْ تَبْلُغَ الأقْوالُ ما أنْتَ فاعِلٌ ... وَلَوْ بَلَغَتْ في وَصْفِ آلائِكَ الجُهْدا
فَأنْزَرُ (٧) ما تُعْطِيهِ يُوفي عَلَى المُنى ... وَأيْسَرُ ما تُولِيهِ (٨) يَسْتَغْرِقُ الحَمْدا

---

(١) وها أنا ... (ل)

(٢) الطَّرْقُ : الماء الذي خوضته الإبل . والحَيا : المطر . والرشح : تحلّب الماء . والعِدُّ : الماء الجاري الذي له مادة لا تنقطع .

(٣) بالتَّشَحُّج مَنْ جاوز العدا (ل) والتَّشَحُّج شرب دون الري .

(٤) لها (ل)

(٥) التحبير : التحسين والتزيين . أي أن قصائده كقصائد أبي تمام الطائي تحبيراً على أنه غير طائي بل غنوي ينتسب إلى غني ابن أعصُر .

(٦) حبيب : هو أبو تمام الطائي الشاعر المشهور . وفي (ل) ما حييت . وهو تصحيف .

(٧) وأنزر ... (ل)

(٨) ما تأتيه (ع) و (م)

٢٩

وقال (١) يمدح الشريف فخر الدولة (٢) نقيب الطالبيين

هَوَاكُمْ وَإِنْ لَمْ تُسْعِفُونا وَلَمْ تَجْدُوا ... عَلَى ما عَهِدْتُمْ وَالنَّوَى لَمْ تَحِنْ (٣) بَعْدُ
وَفِينا وَلَمْ نَسْمَعْ مَقَـالَةَ قائلٍ : ... إِذَا ظَلَمَ الْمَفْقودُ لَمْ يُؤْلِمِ الْفَقْدُ
وَحَكَّمَكُمْ فِينا الْغَرامُ فَجُرْتُمُ ... وَكَمْ حَكَمَ الْمَوْلَى بِما كَرِهَ الْعَبْدُ
غَرامٌ كَما شاءَ التَّغَرُّبُ وَالنَّوَى ... وَسُقْمٌ كَما تَهْوَى الْقَطِيعَةُ وَالصَّدُّ
بَلَغْتُمْ مِنَ الْإِعْراضِ وَالْهَجْرِ وَالْقِلَى ... مَدًى لَمْ يَزِدْ فِيهِ التَّفَرُّقُ (٤) وَالْبُعْدُ
فَإِنْ نَشَدَ الْعُذْرِيُّ فِي الْحَيِّ عَنْسَهُ (٥) ... نَشَدْتُ كَرًى ما لِلْجُفُونِ بِهِ عَهْدُ

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي : « وقال أيضاً يمدح الشريف فخر الدولة ومجدها نقيب نقباء الطالبيين أبا الحسن أحمد رحمه الله » .

(٢) هو الشريف فخر الدولة أبو يعلي حمزة بن الحسن بن العباس بن أبي الجن ولد سنة ٣٦٩ . ولي النقابة بمصر ؛ وولي قضاء دمشق من قبل الظاهر بن الحاكم الفاطمي ، وجدّد بدمشق مساجد ومنابر وقنوات وأجرى الفوّارة التي في جيرون (عند باب الجامع الأموي الشرقي ويسميها الدماشقة اليوم النوفرة كما يسمون باب الجامع الشرقي باب النوفرة ويطلقون على المحلة كلها محلة النوفرة) وكان كريماً كثير الصدقات وتوفي بدمشق سنة ٤٣٤ . وله ترجمة في تاريخ دمشق لابن عساكر ج ٤ ص ٤٤٢ .

(٣) لم تحن (ع) و (م)

(٤) ... التقرب والبعد (ل)

(٥) عيشه (ل)

وَيا حَبَّذا رِيحٌ على ما تَحَمَّلَتْ (١) تَرُوحُ بِرَيّاكُمْ مِنَ الشّامِ أوْ تَغْدُو
تُهَيِّجُ أشْواقاً وَتَنْقَعُ غُلَّةً فَفِيها الضَّنَى وَالْبُرْءُ وَالصّابُ وَالشَّهْدُ
وَرَبْعٌ بِمَقْرَى (٢) لا الْعَقِيقُ وَلا اللِّوى وَوَرْدٌ (٣) بِسَطْرَى لا الْعَرارُ وَلا الْمَرْدُ

(١) على ما تضمنت (ل)

(٢) مقرى : ورد في معجم البلدان لياقوت أنها قرية في نواحي دمشق . وعيّن ابن طولون الصالحي مكانها بقوله في رسالته ضرب الحوطة على الغوطة : (مقرى كانت قرية فخربت شرقي الصالحية ، أدركت فيها السبع قاعات ، والآن باق بها مسجد ومأذنة عند طاحونها على نهر ثورا) وابن طولون من أهل القرن العاشر . وورد في (غوطة دمشق للأستاذ محمد كرد علي ص ٢٢٢) حقق دهمان موقع مقرى فقال : «هي شرقي طاحون الأشنان ، بيت أبيات على ضفة نهر ثورا الشمالية ، وهناك طاحون مافتئت تعرف بطاحون مقرى » . والعقيق : كل مسيل ماء شقه السيل في الأرض فأنهره ووسعه ، وفي بلاد العرب أعقة كثيرة كعقيق اليمامة وعقيق المدينة وغيرها ، وقد أكثر الشعراء من ذكر العقيق . انظر معجم البلدان . واللوى : منقطع الرمل وموضع بعينه وهو واد من أودية بني سليم وقد أكثر الشعراء من ذكر اللوى . انظر معجم البلدان . وسطرا : ذكر ياقوت في المعجم أنها من قرى دمشق ؛ ومن منتزهات الغوطة أخذاً من قول ابن منير الطرابلسي :

فالقصر فالمرج فالميدان فالشرف الـ أعلى فسطرا فجرمانا فقلبين

وكثيراً ما ذكر الشعراء سطرا ومقرى معاً كقول ابن حيوس الذي نحن بصدده ، وكقول حسان بن نمير المعروف بعرقلة الدمشقي :

سقى الله من سطرا ومقرا منازلاً بها للندامى نضرة وسرورُ

ويؤخذ من ذلك أنها قرب مقرى وقد درست منذ زمن بعيد ولم يذكرها ابن طولون في ضرب الحوطة على الغوطة . وورد في (غوطة دمشق ص ٢١٣) قال دهمان : « إنها كانت في الطريق المقابل لباب جامع القصب ، ويعرف هذا الطريق بجادة عاصم ويخترقه شارع بغداد ، ثم يقابله بالجهة الشمالية جادة الخطيب وكل ذلك من سطرا » . والعرار : النرجس البري . والمرد : ثمر الأراك .

(٣) وروض بسطرى لا العرار ولا الرند (ل)

وحاليةٍ بالحُسْنِ خاليةٍ بهِ ... تعرُّضُها هزْلٌ وإعْراضُها جِدُّ
هلاليةٍ (١) في أصْلها ومرامِها ... حمَتْها ظُبى هنْديةٌ وقنًا مُلْدُ
عشيةَ لمْ نُعطِ العزاءَ بموْقفٍ ... لكُمْ مقصَدٌ منْ بعْدهِ ولنا قصْدُ (٢)
بكينا فأضحكْنا الحسُودَ وزادنا ... بكاءً هديرُ البُزْلِ والرَّكْبُ قدْ جدُّوا
نُريكُمْ بكاءَ السُّحْبِ والبرْقُ ضاحكٌ ... وإضْعافها (٣) التَّهْطالَ إنْ قهْقهَ الرَّعْدُ
فلا تظْهروا (٤) سُخْطاً إذا لمْ يكُنْ رضًى ... ولا تُكْثِرُوا ذمًّا إذا لمْ يكُنْ حمْدُ
ولا تُنْكروا فالدَّهْرُ مُدْنٍ ومُبْعِدٌ ... حوادثَ (٥) فيها ضاقَ بالصارمِ الغِمْدُ
قطعْتُ منَ النَّيْلِ الزَّهيدِ علائقي ... فلي أبداً فيهِ وفي أهْلهِ زُهْدُ
ويمَّمْتُ فخرَ الدَّوْلةِ الواهبَ الغِنى ... وشيكاً وفي أثْنائهِ العزُّ والمجْدُ
فأسْرفَ في إنعامهِ متبرِّعاً ... كريمَ النِّجارِ ما لهُ في الورى نِدُّ
بهِ يحْسُنُ الإسْرافُ لا بي وبالمُنى ... ويقْبحُ بي معْ فعْلهِ لا بهِ الجحْدُ
وكيْفَ وقدْ شاعتْ وسارتْ غرائبٌ ... يُكرَّمُ (٦) منْ يشْدو بهنَّ ومنْ يحْدو

---

(١) هلال : حي من هوازن .
(٢) القصد : هنا القسر .
(٣) بإضعافها ... (ع) و (م)
(٤) فلا تضمروا ... (ل)
(٥) نوايب (ل)
(٦) يقرّب ... (ل)

وَيَبْقَى عَلَى الأَحْسَابِ (١) مِنْهَا مَيَاسِمٌ ... وَتَنْفَعُ إِذْ لاَ يَنْفَعُ الْمَالُ وَالْوُلْدُ
وَتَحْمِلُهَا هُوجُ الرِّيَاحِ مُغِذَّةً ... إِلَى كُلِّ أَرْضٍ قَصَّرَتْ دُونَهَا الْبُرْدُ
عَلَى أَنَّهَا دُونَ الَّذِي يَسْتَحِقُّهُ ... وَإِنْ طَالَتِ الأَقْوَالُ وَاسْتُفْرِغَ الْجُهْدُ
أَحَاطَ بِهَا عِلْماً وَأَثْنَى ثَوَابَهَا ... عَلِيمٌ كَرِيمٌ عِنْدَهُ النَّقْدُ وَالنَّقْدُ (٢)
سَرِيعٌ إِلَى الإِقْدَامِ وَالْجُودِ مَا لَهُ ... إِذَا عَرَضَا إِلاَّ اهْتَبَا لَهُمَا وَكْدُ (٣)
فَمَا يَسْبِقُ الْعَدْوَى عَلَى ذِي جِنَايَةٍ ... وَعِيدٌ وَلاَ الْجَدْوَى وَإِنْ لَمْ يُسَلْ وَعْدُ
وَأَرْوَعَ تُصْبِيهِ الْمَكَارِمُ وَالْعُلَى ... إِذَا غَيْرَهُ أَصْبَتْهُ زَيْنَبُ أَوْ هِنْدُ
هَوًى لَمْ يَحُلْ دُونَ الْمُرُوءَةِ فِي الصِّبَى ... وَلاَ حَلَّ فِي عَصْرِ الْمَشِيبِ لَهُ عَقْدُ
لَهَا عَاذِلُوهُ فِي اللُّهَى عَنْ مَلاَمِهِ ... فَعَذْلُهُمُ جَزْرٌ وَأَنْعُمُهُ (٤) مَدُّ
فَهَلْ قَالَتِ الآمَالُ زَاجِرَةً لَهُمْ ... وَسَاخِرَةً وَالْحَقُّ لَيْسَ لَهُ رَدُّ
«أَقِلُّوا عَلَيْهِمْ لاَ أَبَا لأَبِيكُمُ ... مِنَ اللَّوْمِ أَوْ سُدُّوا الْمَكَانَ الَّذِي سَدُّوا» (٥)
إِذَا رَامَ ذُو حَدٍّ (٦) وَجَدٍّ مَرَامَهُ ... نَبَا صَارِمٌ فِي كَفِّهِ وَكَبَا زَنْدُ

---

(١) ويبقى على الأعراض منها مواسم (ل)
(٢) النقد : التمييز . والنقد : الدرهم .
(٣) الوكد : المراد والهم والقصد .
(٤) وإنعامه (ل)
(٥) البيت للحطيئة أخذه ابن حَيُّوس على سبيل التضمين .
(٦) .. ذو وجد وجد مرامه (ل)

نَدًى بَعْضُهُ أَغْنَى ٱلْعُفَاةَ وَبَعْضُهُ إِلَى كُلِّ أَرْضٍ لَمْ يَفِدْ أَهْلُها وَفْدُ
وَفِكْرٌ يُرِيهِ ٱلْأَمْرَ أَبْلَجَ وَاضِحاً وَمِنْ دُونِهِ لَيْلٌ مِنَ ٱلْغَيْبِ(١) مُسْوَدُّ
وَعَزْمٌ لَهُ حَدٌّ لَدَى ٱلرَّوْعِ ما نَبا بُجاوِرُهُ ٱلْجُودُ ٱلَّذي ما لَهُ حَدُّ
فَلَوْ سَبَقا لَمْ تَفْتَخِرْ بِٱبْنِ مامَةٍ إِيادٌ وَلَمْ تَذْكُرْ مُهَلَّبَها ٱلْأَزْدُ(٢)
فَلا يُضِعِ ٱلْباغِي مَداهُ عَناءَهُ فَأُخْراهُ إِكْداءٌ وَأَوَّلُهُ كَدُّ
أَلَسْتَ(٣) ٱبْنَ مَنْ رَدَّ ٱلْخُطُوبَ كَلِيلَةً وَلَوْلاهُ(٤) لَمْ تَقْلَعْ نَوائِبُها ٱلرُّبْدُ
حَوادِثُ مادَ(٥) ٱلشَّأْمُ فِيها بِكُلِّ مَنْ بِهِ وَدِمَشْقٌ دُونَ بُلْدانِهِ(٦) مَهْدُ
وَإِنْ شِدْتَ لِلْبَيْتِ ٱلَّذي أَنْتَ فَخْرُهُ مَناقِبَ يَسْتَعْلِي بِها ٱلْأَبُ وَٱلْجَدُّ
أَمامَكَ جاؤُا فِي ٱلزَّمانِ وَإِنَّهُمْ وَراءَكَ فِي ٱلْإِفْضالِ وَٱلْفَضْلِ إِنْ عُدُّوا
تَفَرَّقَ فِيهِمْ سُؤْدُدٌ فَجَمَعْتَهُ وَزِدْتَ كَما أَرْبَى عَلَى ٱلْحَبَبِ ٱلشَّدُّ
كَذٰلِكَ أَنْوارُ ٱلنُّجُومِ خَفِيَّةٌ إِذا ما جَلا أَنْوارَهُ ٱلْقَمَرُ ٱلْفَرْدُ

(١) من العيب (ع)
(٢) ابن مامة : هو كعب ابن مامة الإيادي انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩)
والمهلّب : هو ابن أبي صفرة الأزدي انظر الحاشية رقم (٥) ص (٣٩)
(٣) أليس ابن من ... (ع)
(٤) ولولاك ... (ع) و (م)
(٥) ماذا الشام ؟ (ع) و (م)
(٦) بلدانها (ع) و (م)

وَإِنَّ أَدِيمَ ٱلْأَرْضِ لَا شَكَّ وَاحِدٌ وَمَا يَسْتَوِي فِيهَا ٱلشَّوَاهِقُ وَٱلْوَهْدُ
عَلَى أَنَّهُمْ طَالُوا ٱلْكِرَامَ ٱلْأُلَى حَوَوْا (١) مَنَاقِبَ لَا يُحْصَى لَهَا وَلَهُمْ عَدُّ
وَقَدْ فَخَرَتْ قِدْماً (٢) تَمِيمٌ بِدَارِمٍ عَلَى أَنَّهَا قُلٌّ وَإِنْ كَثُرَتْ سَعْدُ (٣)
غُيُوثُ نَدًى تَعْدِي عَلَى ٱلْمَحْلِ كُلَّمَا عَدَا (٤) وَلُيُوثٌ وَٱلْجِيَادُ بِهِمْ تَعْدُو
وَكَمْ أَطْرَقُوا بَعْدَ ٱلْمَوَاهِبِ حِشْمَةً وَكَمْ طَرَقُوا بَابَ ٱلثَّنَاءِ فَمَا رُدُّوا
فَهُمْ (٥) فَضَلُوا مَنْ عَارَضُوا بِفَضَائِلٍ عُيُونُ ٱلْوَرَى عَنْ طُرْقِهَا أَبَداً رُمْدُ
إِذَا أُفْحِمُوا قَالُوا وَإِنْ خَنَعُوا (٦) نَخَوْا وَإِنْ بَخِلُوا (٧) جَادُوا وَإِنْ هَزَلُوا اجِدُّوا
وَتَلْقَاهُمُ خُرْساً لَدَى ٱلْهُجْرِ وَٱلْخَنَا وَإِنْ (٨) فَاضَلُوا أَوْ نَاضَلُوا فَهُمُ لُدُّ
وَإِنَّكَ أَغْنَى ٱلنَّاسِ عَنْ ذِكْرِ سَالِفٍ إِذَا فَاحَ عَرْفُ ٱلْمِسْكِ لَمْ يُذْكَرِ ٱلرَّنْدُ

---

(١) على أنهم طالوا الكرام بما حووا (ع) و (م)

(٢) يوماً (ع) و (م)

(٣) تميم : قبيلة عظيمة من العرب العدنانية . وبنو دارم بن مالك بطن من تميم وأشرافهم كثيرون . وبنو سعد بن زيد مناة من تميم أيضاً .

(٤) غدا ... تغدو (ل)

(٥) هُمُ ناقضوا مَن عاشروا بفضائل (ل)

(٦) وإن نخعوا نخوا (م)

(٧) وإن هزلوا جادوا ... (ل)

(٨) وإن فاخروا أوناصلوا ... (ل)

غَنِيتَ بِنَفْسٍ لاَ تُنَافَسُ فِي عُلَى | أُعِينَتْ بِجَدٍّ لاَ يُفارِقُهُ (١) جِدُّ
لَئِنْ ذُدْتَ عَنْهَا كُلَّ ذِي شَغَفٍ (٢) بِهَا | فَلاَ غَرْوَ أَنْ تَحْمِي عَرائِنَهَا الأُسْدُ
وَإِنْ جاوَزَ الْجَوْزَاءَ دَسْتُ عَلْوَتِهِ | فَقَدْ طالَمَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُفْطَمَ الْمَهْدُ
فَلاَ (٣) زَالَتِ الأَعْيادُ تَأْتِي وَتَنْقَضِي | وَجُودُكَ مُمْتَـــارٌ وَظِلُّكَ مُمْتَدُّ
سَقَانِي غَمامٌ هـــاطِلٌ ما انْتَجَعْتُهُ | فَأَغْنَى كَمَا أَغْنَى عَنِ الثَّمَدِ الْعِدُّ
وَأَحْسَنْتَ بِي عَنْ عادَةٍ أَنْتَ وَالنَّدَى | وَقَصَّرْتُ لاَ عَنْ عادَةٍ أَنا وَالْحَمْدُ (٤)
وَكانَتْ قَوافِي الشِّعْرِ قِدْماً تَدِينُ لِي | وَما خِلْتُهَا إِذْ أَمْكَنَ الْقَوْلُ تَرْتَدُّ
لَقَدْ خَذَلَتْنِي حِينَ حاوَلْتُ نَصْرَهَا | وَما زِلْتُ غَلاَّباً (٥) بِهَا وَهْيَ لِي جُنْدُ
وَلاَ عُذْرَ فِي التَّقْصِيرِ مِنْ بَعْدِ أَنْعُمٍ | بِأَيْسَرِهَا يُسْتَنْطَقُ الْحَجَرُ الصَّلْدُ

---

(١) لا يقارنه جدٌّ (ل)
(٢) ... شغفٍ بها (ل)
(٣) ولا زالت (ل)
(٤) أنا والجهد (ل)
(٥) غلاّباً لها (ل)

٣٠

وقال (١) يمدح تاج الملوك (٢) بن صالح

أمّا ٱلْحِسانُ فَما لَهُنَّ عُهُودُ وَلَهُنَّ عَنْكَ وَما ظَلَمْنَ مَحِيدُ
فَٱرْبَعْ فَما لِلْبِيضِ فِيكَ لُبانَةٌ لِسِواكَ خُوطُ ٱلْبانَةِ ٱلْأُمْلُودُ
وَٱبْغِ ٱلنَّباهَةَ وَٱلثَّراءَ بِعَزْمَةٍ لَمْ يَثْنِها لَوْمٌ وَلا تَفْنِيدُ
قَدْ أَعْوَزَ ٱلْماءُ ٱلطَّهُورُ وَما بَقِي (٣) غَيْرُ ٱلتَّيَمُّمِ لَوْ يَطِيبُ صَعِيدُ
وَنَبا بِيَ ٱلْوَطَنُ ٱلْقَدِيمُ وَإِنَّنِي فِي (٤) ٱلْبُعْدِ عَمَّنْ حَلَّهُ لَسَعِيدُ
وَتَنُوفَةٍ عَقِمَتْ فَما تَلِدُ ٱلْكَرى لٰكِنَّها لِلنّائِباتِ وَلُودُ
فِيها يَطِيشُ ٱلسَّهْمُ وَهْوَ مُسَدَّدٌ وَيَضِلُّ رَأْيُ ٱلْمَرْءِ وَهْوَ سَدِيدُ
أَفْنَيْتُها بِقَلائِصٍ عاداتُها أَنْ تَنْقُصَ ٱلْفَلَواتِ وَهْيَ تَزِيدُ

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا، وعنوانها هناك كما يأتي :
(وقال أيضاً يمدح محمود بن نصر بن صالح ويهنيه بالسنة الجديدة)

(٢) هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس الكلابي أمير حلب . انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٣) وما بقا (ع)

(٤) في البعد عن وطني إذاً لسعيد (ع) و (م)

وَصَّى بِهَا حَيْدَانُ مَهْرَةَ سَالِفاً ... وَنَمَى ٱلْجَدِيلُ أُصُولَهَا وَٱلْعِيدُ (١)
فَمَرَرْنَ يَخْبِطْنَ ٱلدَّيَاجِيَ وَٱلْفَلَا ... وَأَظُنُّهُنَّ عَلِمْنَ أَيْنَ أُرِيدُ
تَأْتَمُّ مَلْكاً بِٱلْعَوَاصِمِ (٢) بَحْرُهُ ... عَذْبُ ٱلْمِيَاهِ (٣) وَظِلُّهُ مَمْدُودُ
أَنِفَتْ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِي بَذْلِ ٱللُّهَى ... فَلَهَا صُدُوفٌ عَنْهُمُ وَصُدُودُ
وَوَرَاءَهَا مَنْ لَا أَذُمُّ مَهَانَةً (٤) ... وَأَمَامَهَا مَحْمُودٌ ٱلْمَحْمُودُ
مَلِكٌ لِمَا تَبْنِي يَدَاهُ شَائِدٌ ... وَلِمَا بَنَاهُ أَوَّلُوهُ مُشِيدُ
مَا زَالَ يَبْتَدِعُ ٱلْعَلَاءَ مُنَاقِضاً ... مَنْ رَأْيُهُ فِي حَوْرِهِ (٥) ٱلتَّقْلِيدُ
وَيَفُوتُ أَهْلَ ٱلْأَرْضِ بِٱلشِّيَمِ ٱلَّتِي ... يَمْتَارُ مِنْهَا سَيِّدٌ وَمَسُودُ
وَغَرَائِبٍ مِنْ نُطْقِهِ مَا مِثْلُهَا ... فِي (٦) ٱلْفَضْلِ مُكْتَسَبٌ وَلَا مَوْلُودُ
يُعْطِي وَلَوْ سِيمَ ٱلْحَيَاةَ أَوِ ٱلصِّبَى ... وَيَفِي وَلَوْ بِٱلْغَدْرِ نِيلَ خُلُودُ
وَإِذَا ٱنْتَمَى يَوْمَ ٱلْوَغَى ثُمَّ ٱكْتَنَى ... فَٱلنَّصْرُ فِيهِ مُبْدِئٌ وَمُعِيدُ

---

(١) مهرة بن حيدان : حي من قضاعة وإليه تنسب الإبل المهرية التي تسبق الخيل ، وجديل : فحل من الإبل كان للنعمان بن المنذر يضرب به المثل . والعيد : فحل منجب تنسب إليه كرام النجائب .

(٢) العواصم : انظر الحاشية رقم (٣) ص (١٢٩)

(٣) عذب المذاق ... (ل)

(٤) مهابةً (م) إهانة (ل)

(٥) في جوره (ل) وكلاهما محل نظر . ولعل الصواب : في حَوْزِهِ .

(٦) في الأرض ... (ل)

وَمَتَى تُخَوَّفُ ذِي ٱلْبِلَادُ وَدُونَهَا مَلِكٌ تَدِينُ لَهُ ٱلْمُلُوكُ ٱلصِّيدُ
وَلَيتَ نُمَيْرٌ نَصْرَهُ وَرَبِيعَةٌ (١) وَلَهُ مِنَ ٱلْعَزْمِ ٱلْوَحِيِّ جُنُودُ
وَلَقَدْ حَبَاهُ أُخُوَّةً وَمَحَبَّةً مَلِكٌ لَهُ أَهْلُ ٱلزَّمَانِ عَبِيدُ
وَدَعَاهُ ذَا (٢) ٱلْحَسَبَيْنِ عِلْماً أَنَّهُ يُزْهَى بِهِ ٱلتَّعْظِيمُ وَٱلتَّمْجِيدُ
يَا بْنَ ٱلَّذِينَ إِذَا تَضَوَّعَ نَشْرُهُمْ كَسَدَ ٱلْعَبِيرُ بِهِ وَهَانَ ٱلْعُودُ
أَسَرَّ لَهَا فَوْقَ ٱلسَّمَاءِ أَسِرَّةٌ وَلِطِفْلِهَا ٱلْحَابِي (٣) هُنَاكَ مُهُودُ
قَوْمٌ أَقَامُوا سُوقَ كُلِّ فَضِيلَةٍ كَسَدَتْ وَقَامُوا وَٱلْأَنَامُ (٤) قُعُودُ
وَغَنُوا (٥) وَلَا فِي ٱلْبَأْسِ يَدْخُلُ ذِكْرُهُمْ وَٱلْبَأْسُ أَوْفَى كَسْبِهِمْ وَٱلْجُودُ
كُلٌّ إِذَا مَا ٱلْحَرْبُ شُبَّتْ عَامِرٌ وَإِذَا أَتَى ٱلْأَضْيَافُ فَهْوَ لَبِيدُ (٦)
تَتَوَقَّعُ ٱلْأَذْوَادُ مِنْهُ عَاقِراً مَا زَالَ يَحْمِي سَرْحَهَا وَيَذُودُ

---

(١) نُمَيْرٌ : انظر الحاشية رقم (٦) ص (٧٤) وربيعة : قبيلة من عامر ابن صعصعة .

(٢) ذو الحسبين (ل)

(٣) الجائي (م)

(٤) والكرام قعود (ل)

(٥) وعنوا ... (ل)

(٦) عامر بن صعصعة : ينتسب إليه بنو مرداس ، كما ينتسب إليه لبيد بن ربيعة العامري الشاعر الفارس الجواد المشهور أحد أصحاب المعلقات ، أدرك الإسلام فأسلم وسكن الكوفة وعمّر طويلا ، وكان كريماً نذر ان لا تهب الصبا إلا نحر وأطعم .

مِنْ كُلِّ مُحْدَثَةِ الْفَصِيلِ وَمُقْرَمٍ ... قَدْ صَدَّ عَنْهُ الْجَيْشَ وَهْوَ عَتُودُ[١]

تُصْبِيهِ مُرْهَفَةُ الظُّبِى مَخْضُوبَةً ... بِدَمِ الْأَعَادِي لَا الظِّبَاءُ الْغِيدُ

وَلَهُ نُهُودٌ فِي الْمُغَارِ عَلَيْهِمُ ... تُنْسِي غُصُونًا حُمِّلْنَ نُهُودُ[٢]

وَبُرُوقُهُ نَأْيٌ وَعَوْدٌ يَقْطَعُ الْـ ... فَلَوَاتِ لَا نَايٌ يَرُوقُ وَعُودُ

طَالُوا الْأَنَامَ وَطُلْتَهُمْ بِخَلَائِقٍ ... خُلِقَتْ عَلَى مَا تَشْتَهِي وَتُرِيدُ

وَلَقَدْ حَوَيْتَ مِنَ الْمَعَالِي طَارِفًا ... تَغْنَى بِهِ عَنْ أَنْ يُعَدَّ تَلِيدُ

كَرَمٌ تَمُدُّ إِلَيْهِ أَعْنَاقُ الْمُنَى ... وَسُطًى لِهَيْبَتِهَا الْجِبَالُ تَمِيدُ

وَنَأَيْتَ عَنْ أَهْلِ الزَّمَانِ بِهِمَّةٍ ... قَدْ جَازَتِ النَّسْرَيْنِ[٣] وَهْيَ صَعُودُ

لَا كَالرِّجَالِ تَبَايَنُوا[٤] لَكِنْ كَمَا ... يَتَبَايَنُ الْمَوْجُودُ وَالْمَفْقُودُ

فَلِذَا الثَّنَاءُ عَلَيْكَ ضِدُّ ثَنَائِهِمْ ... ذَا مُنْشَدٌ أَبَداً وَذَا مَنْشُودُ

مَا زَالَ يَسْقُمُ وَعْدُهُمْ وَوَعِيدُهُمْ ... وَيَصِحُّ عِنْدَكَ مَوْعِدٌ وَوَعِيدُ

عَاشُوا وَمَا يَخْضَلُّ فِي حُجُرَاتِهِمْ ... تُرْبٌ وَلَا يَخْضَرُّ فِيهِمْ[٥] عُودُ

فَأَرَحْتَهُمْ[٦] بِالْيَأْسِ مِنْ ذَا الْمُرْتَقَى ... فَلَهُمْ نُكُوصٌ دُونَهُ وَنُدُودُ[٧]

(١) عَنُود (ع) و (م)
(٢) هذا البيت ساقط من (ل)
(٣) النسران : كوكبان يقال لأحدهما النسر الواقع وللآخر النسر الطائر .
(٤) تباينت ... (ع) و (م)
(٥) فيها (ع) و (م)
(٦) وأرحتهم (ع) و (م)
(٧) ندَّ البعير ندوداً : نفر وذهب على وجهه شارداً .

وَإِذَا سَمَتْ آمَالُ حَاسِدِ نِعْمَةٍ بَسَطَ الرَّجَاءَ فَعَبْدُكَ (١) الْمَحْسُودُ
وَالْعَيْشُ غَضٌّ مَا سَلِمْتَ لأُمَّةٍ إِصْلَاحُهَا إِلَّا عَلَيْكَ بَعِيدُ
أَوْطَنْتَ فِيهَا الْأَمْنَ بَعْدَ نُزُوحِهِ وَنَفَيْتَ عَنْهَا الْخَوْفَ فَهْوَ طَرِيدُ
فَلَوِ اسْتَطَاعَتْ أَنْ تَكَلَّمَ أَرْضُهُمْ أَثْنَتْ عَلَيْكَ تَهَائِمٌ وَنُجُودُ
ظَلَّتْ (٢) عَشِيرَتُكَ الَّتِي عَاشَرْتَهَا فَلَهَا مُرُوقٌ دَائِمٌ وَمُرُودُ
فَجَعَلْتَ مَحْضَ الْخَوْفِ مِلْءَ صُدُورِهِمْ فَعَنَا عَنِيدٌ وَاسْتَقَامَ عَنُودُ (٣)
مَا إِنْ يَحُلُّ الرُّعْبُ صَدْراً وَاغِراً فَتُقِيمَ فِيهِ سَخَائِمٌ وَحُقُودُ
لَوْ كُنْتَ يَا تَاجَ الْمُلُوكِ مُؤَازِراً لِسَمِيِّ جَدِّكَ مَا عَصَتْهُ ثَمُودُ (٤)
أَوْ كُنْتَ نَاصِرَ هَاشِمٍ فِيمَا مَضَى مَا ضَلَّ مُرْتَادٌ وَخَابَ مُرِيدُ
تَزْدَادُ مَجْداً لَيْسَ يُعْرَفُ كُلَّمَا قَالَتْ عُدَاتُكَ مَا عَسَاهُ يَزِيدُ
فَشِمِ السُّيُوفَ فَطَالَمَا جَرَّدْتَهَا حَتَّى لَقُلْنَا مَا لَهُنَّ غُمُودُ
هِنْدِيَّةٌ كَمْ مَزَّقَتْ فِي (٥) مَأْزِقٍ مَا كَانَ أَحْكَمَ سَرْدَهُ دَاوُدُ (٦)

(١) فغيرك المحسود (ل)
(٢) كذا في النسخ الثلاث والصواب : ضَلَّتْ .
(٣) العنود : الجائر عن القصد .
(٤) جد الممدوح : صالح بن مرداس . وسميه : صالح النبي عليه السلام .
وثمود : قبيلة من العرب الأولى وهم قوم صالح .
(٥) من ؟ (ل)
(٦) أي الدروع .

أَثْنى عليْكَ مُؤالِفٌ وَمُخالِفٌ طَوْعاً بِأنَّكَ في ٱلزَّمانِ فَرِيدُ
فَعجِبتُ كَيفَ أَقَرَّ أَنَّكَ وَاحِدٌ في ٱلنّاسِ مَنْ ما دِينُهُ ٱلتَّوْحِيدُ
وَقَصَرْتَ وَعْدَكَ فَلْيدُمْ مَقْصُورُهُ لِمُؤَمِّلِيكَ وَعُمْرُكَ ٱلْمَمْدُودُ
تُغْنِي ٱلْعُفاةَ وَتَصْطَفِي مُهَجَ ٱلْعِدىٰ قـامَتْ بِذاكَ أَدِلَّةٌ وَشُهُودُ
وَبِمَنْهَجِ ٱلْأَطْماعِ تَخْتَلِفُ ٱلْوَرىٰ هٰذا يُفِيدُ غِنًى وَذاكَ يُبِيدُ (١)
يا كَعْبَةَ ٱلْجُودِ ٱلَّتي طُفْنا بِهـا فَلَنا رُكُوعٌ حَوْلَها (٢) وَسُجُودُ
بِجَنابِكَ (٣) أُبْيِضَتْ لَيالِيَّ ٱلَّتي أَيّامُها مِنْ قَبْلِ قُرْبِكَ سُودُ
وَخَرَجْتُ مِنْ حَجْرِ ٱلزَّمانِ لِعِلْمِهِ أَنّي بِإِفْضـائي إِلَيْكَ رَشِيدُ
مِنَنٌ غَلَبْتَ بِها ٱلْقَرِيضَ فَما لَهُ بِذَراكَ تَصْوِيبٌ وَلاَ تَصْعِيدُ
وَأَعَدْنَ لي شَرْخَ ٱلشَّبابِ وَلَمْ أَخَلْ مِنْ قَبْلِها أَنَّ ٱلشَّبابَ يَعُودُ
وَلَهُنَّ في سُوقِ ٱلثَّناءِ بَضائِعٌ تُزْجىٰ وَفي سُوقِ ٱلْعُفـاةِ قُيُودُ
أَذْهَلْتَني عَنْ أَنْ أَقُومَ بِحَقِّهـا يا وَاسِمِي بِٱلْعَجْزِ حِينَ يَجُودُ
وَإِذا (٤) ٱعْتَرَفْتُ بِهِ وَقَصَّرَ خاطِري عِيًّا فَذاكَ ٱلْإِعْتِرافُ جُحُودُ

---

(١) وذاك يفيد ؟ (ل)

(٢) حوله (ل)

(٣) بحياتك . . . (ل)

(٤) وإنْ اعترفت ... (ل)

لَا تُلْزِمَنِّي فَوْقَ جَهْدِي مُمْتِناً (١) بِصِفَاتِ مَجْدٍ مَالَهَا تَحْدِيدُ
وَمَعَ اعْتِذَارِي فَاسْتَمِعْ لِغَرِيبَةٍ عَوْنَايَ فِيهَا الْفِكْرُ وَالتَّسْهِيدُ
لَوْ أَنَّ نَخْلَيْ طَيِّءٍ حَضَرَا لَهَا أَمْضَى حَبِيبٌ حُكْمَهَا وَوَلِيدُ (٢)
مَبْذُولَةٌ فِي الْقَوْمِ وَهْيَ مَصُونَةٌ مَعْقُولَةٌ فِي الْحَيِّ وَهْيَ شَرُودُ
خَفَّتْ عَلَى الْأَفْوَاهِ حَتَّى لَأُنْبِرَتْ تَحْدُو بِهَا مَعَنَا الْمَطَايَا الْقُودُ
وَتَكَرَّرَتْ فِينَا فَمَا كُرِّرَتْ قَدْ صَارَ يَحْفَظُهَا الدُّجَى وَالْبِيدُ
فَاضِلْ(٣) بِهَا الْأَشْعَارَ تَعْرِفْ فَضْلَهَا(٤) مَا كُلُّ مَنْ مَدَحَ الْمَجِيدَ مُجِيدُ
أُوصِيكَ بِي خَيْراً فَإِنِّي فِي الْأُلَى أَصْبَحْتَ مَالِكَ رِقِّهِمْ مَعْدُودُ
وَوَصِيَّتِيكَ تَجُدْ بِعَفْوِكَ زَلَّةً مَا فَوْقَ مَا أَوْلَيْتَنِيهِ مَزِيدُ
أَيَنَالُنِي شَيْءٌ أُحَاذِرُهُ وَلِي مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ عُدَّةٌ وَعَدِيدُ
لَا زِلْتَ تُبْلِي كُلَّ عَامٍ قَادِمٍ فِي الْعِزِّ مَا خَلَفَ اللَّبِيسَ جَدِيدُ
وَأَرَى النُّجُومَ تَخَالَفَتْ أَحْكَامُهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُنَّ سُعُودُ

* * *

(١) معتباً (ع) و (م)
(٢) حبيب : أبو تمام الطائي . والوليد : البحتري وهو أيضاً طائي .
(٣) في جميع النسخ ناضل وهو تصحيف لما أثبتناه .
(٤) قدرها (ع) و (م)

٣١

وقال(١) يمدح أمير الجيوش(٢)

طاوِلْ بِهِمَّتِكَ ٱلزَّمانَ وَحِيْدَا ... فَأَرَى مَدَاكَ عَلَى ٱلْأَنامِ بَعِيدَا
وَلَقَدْ بَلَغْتَ بِبَعْضِ سَعْيِكَ رُتْبَةً ... أَعْيَتْ عَلَى مَنْ لَمْ يَدَعْ مَجْهُودَا
فَلْيَيْأَسِ ٱلشَّرَفَ ٱلَّذِي أُوتِيتَهُ ... مَنْ لا يَقُومُ مَقامَكَ ٱلْمَحْمُودَا
فَٱلْعِزُّ يَأْبَى أَنْ يَنِيلَ يَسِيرَهُ (٣) ... مَنْ لا يَكُونُ عَلَى ٱلْجِلادِ جَلِيدَا
وَمُحَمِّلُ ٱلْأَيَّامِ (٤) ما لَمْ تَحْتَمِلْ ... يُفْنِي (٥) ٱلْحَياةَ مُخَيَّبًا مَكْدُودَا
أَنَّى يَنالُ (٦) مَحَلَّةَ ٱلْجَوْزاءِ مَنْ ... لا يَسْتَطِيعُ مِنَ ٱلصَّعِيدِ صُعُودَا
قَدْ شاعَ مَجْدُكَ فَهْوَ أَشْهَرُ فِي ٱلْوَرَى (٧) ... مِنْ أَنْ تَرُومَ لَهُ عِداكَ جُحُودَا
فَلَوِ ٱبْتَغَيْتُ بِما أَقُولُ شَهادَةً ... لَوَجَدْتُ أَهْلَ ٱلْخافِقَيْنِ شُهُودَا

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدحه — أمير الجيوش — ويذكر ولده محموداً وتشريف الحضرة الطاهرة للولد بالتسمية والتكنية واللقب ويهنيه بعيد الفطر من سنة اثنتين وعشرين وأربع مئة »
(٢) هو أنوشتكين الدزبري والي دمشق انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)
(٣) بسيره (ع) و (م)
(٤) الآمال (مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ج ١٠ مخطوط) .
(٥) يفني الزمان ... (ل)
(٦) يحلُّ (مسالك الأبصار)
(٧) في الدنى من أن يروم ... (ل)

غاضَت(١) يَنابِيعُ الْكِرامِ(٢) بِعارِضٍ أَوْفى عَلَى جُودِ الْغَمائِمِ جُودا
تُزْجِي عَواصِفُهُ(٣) سَحائِبَ لِلْمُنى بِيضاً وَسُحْباً لِلْمَنايا سُودا
مُثْعَنْجِرٍ كَفُّ الْمُظَفَّرِ أُفْقُهُ لَمْ يُبْقِ ذا عُدْمٍ وَلا مَزْؤُودا(٤)
فَاعْتاضَ أَهْلُ الشّامِ مِنْ خَوْفِ الرَّدى أَمْناً وَمِنْ عَدَمِ الْيَسارِ وُجُودا
بِأَغَرَّ ما أَمَّ الْمَناقِبَ تابِعاً فِيها وَلا أَخَذَ الْعُلى تَقْلِيدا
لٰكِنْ يُؤَسِّسُ ما بَنى عَنْ(٥) هِمَّةٍ أَبَداً تَعافُ الْمَنْهَلَ الْمَوْرُودا
ما زالَ يَسْبِقُ جُودُهُ مِيعادَهُ كَرَماً وَيَسْبِقُ سَيْفُهُ التَّهْدِيدا
حَتّى أَبانَ عَنِ اعْتِزامٍ لَمْ يَزَلْ لِلْمالِ وَالْباغِي(٦) الْعَنِيدِ مُبِيدا
وَعَتا الزَّمانُ فَكَفَّ مِنْ غُلَوائِهِ فَعَنا وَصارَ لِما يُرِيدُ مُرِيدا
يا سَيْفَ مَنْ عِصْيانُهُ وَوَلاؤُهُ جَعَلا(٧) شَقِيّاً فِي الْوَرى وَسَعِيدا
خَلِّ الْعَدُوَّ(٨) فَقَدْ غَدا أَنْجادُهُمْ لَمْ يُضْمِروا لِمُهَنَّدٍ تَجْرِيدا

---

(١) في جميع النسخ عاضت وهو تحريف لما أثبتناه .
(٢) ينابيع الكلام لعارض (ع) و (م)
(٣) عوارفه (ل)
(٤) المثعنجر : السائل . والمزؤود : المذعور .
(٥) من همة (ل)
(٦) والطاغي ... (ل)
(٧) تركا شقياً في الهوى وسعيدا (ل)
(٨) خل العداة فقد عدا أنجادهم أن يضمروا ... (ل)

أنجاد : جمع نجد وهو الشجاع الماضي في ما يعجز غيره ، السريع الإجابة فيما دعي إليه .

مَلأَتْ وَقَائِعُكَ ٱلْقُلُوبَ مَخَافَةً ... ضَاقَتْ بِهَا عَنْ أَنْ تُجِنَّ حُقُودَا (١)

وَرَفَعْتَ نَاراً كُلَّمَا أَوْقَدْتَهَا ... زَادَتْ بِهَا نَارُ ٱلْعَدُوِّ خُمُودَا

هِيَ نَارُ إِبْرَاهِيمَ لِلْبَاغِي ٱلنَّدَى ... لَـكِنْ عَلَى ٱلْبَاغِي (٢) تُشَبُّ وُقُودَا

وَلَوْ وَلَوْ أَوْغَلَتَ تَطْلُبُ إِثْرَهُمْ (٣) ... لَمْ يَحْمِ مَلْكُ ٱلرُّومِ مِنْكَ طَرِيدَا

وَلَوِ ٱتَّبَعْتَ مُوَلِّياً فِيمَا مَضَى ... لَتَبِعْتَهُمْ سَيْراً يُبِيدُ ٱلْبِيدَا

بِٱلْمُقْرَبَاتِ مُقَرَّبَاتٍ نَحْوَهُمْ ... لَا تَعْرِفُ ٱلْإِيضَاعَ وَٱلتَّخْوِيدَا (٤)

مَقْوَرَّةً (٥) تَرْدِي (٦) بِكُلِّ مَفَازَةٍ ... تَرْدِي ٱلسَّوَابِقَ وَٱلْمَطَايَا ٱلْقُودَا

نَزَعَتْ كُسًى مِنْ نَيِّهَا وَتَسَرْبَلَتْ ... مِنْ نَقْعِهَا فَوْقَ ٱلْجُلُودِ جُلُودَا

فِي فَيْلَقٍ لَوْ لَمْ تَقُدْهُ إِلَى ٱلْعِدَى ... لَـكَفَاكَ بَأْسُكَ عُدَّةً وَعَدِيدَا (٧)

حَمَلَتْ ضَرَاغِمُهُ ٱلْحَدِيدَ مُذَلَّقًا ... وَتَدَرَّعَتْ حَزْماً (٨) بِهِ مَسْرُودَا

---

(١) هذا العجز وصدر البيت الذي يليه ساقطان من (ل)

(٢) الطاغي (ل)

(٣) وَاتَت ولو وغلت تَطلبُ إثرهم لم تحم ... (ل)

(٤) المُقْرَباتُ : الخيل الكريمة . وقَرَّبَ الفرس فهو مقرِّب : عدا تقريباً والتقريب ضرب من العدو . والإيضاع : سير الإبل سهلاً سريعاً .والتخويد السير السريع .

(٥) مقورّة : ضامرة . تَردي : ترجم الأرض بحوافرها . والمطايا القود : المنقادة .

(٦) ترمي (ع)

(٧) مكان هذا البيت في (ل) بعد الذي يليه هنا .

(٨) حلقاته (مختارات البارودي)

فَلْيَلْبَثُوا (١) حَيْثُ أُسْتَقَرَّتْ دَارُهُمْ وَأَرَدْتَ مَا دَامَ الْحَدِيدُ حَدِيدَا (٢)
وَلْيَحْذَرُوا الْهِمَمَ الَّتِي مَنَعَتْهُمُ مِنْ أَنْ يُقِيمُوا بِالشَّآمِ عَمُودَا
نَقَضَتْ (٣) حِبَالَهُمُ حَبَائِلُ لَمْ تَزَلْ قِدْماً تَصِيدُ بِهَا الْمُلُوكَ الصِّيدَا
وَلَطَالَمَا صَبَّحْتَهُمْ فِي غَارَةٍ أَلِفُوا بِهَا أُمَّ اللُّهَيْمِ (٤) وَلُودَا
لَمْ تُبْقِ فِي بَكْرٍ لِرَبِّ هُنَيْدَةٍ بَكْراً وَلاَ لِبَنِي عَتُودَ عَتُودَا (٥)
ظَنُّوا بِهَا نَقْعَ الْجِيَادِ وَوَقْعَهَا عِنْدَ الْمُغَارِ سَحَائِباً وَرُعُودَا
وَمَتَى مَدَدْتَ قَناً فَمَا أَوْرَدْتَهَا مِنْ كُلِّ بَاغٍ ثُغْرَةً وَوَرِيدَا
وَمَتَى سَلَلْتَ ظُبىً فَمَا كَانَتْ لَهَا هَامَاتُهُمْ عِنْدَ اللِّقَاءِ غُمُودَا
أَمْ أَيَّ يَوْمِ وَغىً شَهِدْتَ فَلَمْ يَكُنْ يَوْماً أَغَرَّ مُحَجَّلاً مَشْهُودَا
عَمْرِي لَقَدْ وَجَدُوا جَنَاكَ بِنُصْحِهِمْ أَرْياً فَحِينَ جَنَوْا جَنَوْهُ هَبِيدَا
فَرَأَوْكَ أَصْدَقَ مِنْهُمُ عِنْدَ النَّدَى وَعْداً وَأَنْكَى فِي الْعَدُوِّ (٦) وَعِيدَا

---

(١) فليثنوا (ل)
(٢) مادام الجديد جديداً (ع) و (م)
(٣) نقضت حبائلهم ... (ع) و (م)
(٤) أم اللهيم : المنيّة والداهية .
(٥) بنو بكر بن وائل : قبيلة من ربيعة من العرب العدنانية . وهُنَيدة : اسم للمائة من الإبل وغيرها . وبكر : الفتي من الإبل . وبنو عتود : من طيء . والعتود : الجدي .
(٦) في الهياج وعيداً (ل)

وَأَرَى جِنَابَ[1] مُبِينَةٌ عَنْ رُشْدِهَا إِذْ لَمْ تَرُمْ عَنْ ذَا الْجَنَابِ مَحِيدَا[2]
نَالَتْ[3] بِقُرْبِكَ عِزَّةً وَنَبَاهَةً وَحَمَتْ[3] بِسَيْفِكَ طَارِفًا وَتَلِيدَا
قَلَّدْتَهَا مِنَنًا شَفَعْنَ صَنَائِعًا يَجْعَلْنَ أَحْرَارَ الرِّجَالِ عَبِيدَا
وَمَدَدْتَ بَاعَ أَبِي سَمَاوَةَ مُنْجِزًا لِأَبِيهِ فِي اسْتِصْلَاحِهِ الْمَوْعُودَا
وَنَأَى بِمَنْ كَفَرَ الصَّنِيعَةَ فِعْلُهُ فَغَدَا لِخَوْفِكَ فِي الْبِلَادِ شَرِيدَا
وَلَطَالَمَا خَصَّتْ نُحُوسُ كَوَاكِبٍ قَوْمًا وَكُنَّ لِآخَرِينَ سُعُودَا
أَضْحَى يَرُودُ الْمَحْلَ مَغْرُورٌ مَضَى عَنْ ذَا الْمَحَلِّ مُحَلَّأً مَطْرُودَا
وَوَرَى زِنَادُ مَنِ اعْتَلَتْ آرَاؤُهُ حَتَّى تَقَيَّلَ ظِلَّكَ الْمَمْدُودَا
كَمْ آمَنَتْ سَطَوَاتُ عَزْمِكَ خَائِفًا وَجِلًا وَرَاعَتْ أَرْوَعًا صِنْدِيدَا
وَتَخَرَّمَتْ مَلِكًا وَرَدَّتْ ذَاهِبًا لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ مِثْلُهُ مَرْدُودَا
فَاسْلَمْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ لِأُمَّةٍ تَلْقَى بِقُرْبِكَ كُلَّ يَوْمٍ عِيدَا
وَلِدَوْلَةٍ قَدْ صِرْتَ مُنْتَجَبًا[4] لَهَا زَادَتْ وَعَزَّتْ مَنْعَةً وَجُنُودَا

---

(١) بنو جناب بن هُبَل : من كنانة عذرة .
(٢) هذا البيت وأحد عشر بيتاً بعده ساقطة من (ل)
(٣) نالوا ... وحموا ... « مسالك الأبصار ج ١٠ مخطوط »
(٤) في الأصل : « منتخباً » وهو تصحيف لما أثبتناه لأن منتجب الدولة من ألقاب الممدوح .

وَأُسْعِدْ بِمَوْلُودٍ سَمَا لِمَحَلَّةٍ[١] أَمْسَى لَهَا بَدْرُ السَّمَاءِ حَسُودَا
إِذْ خَصَّهُ خَيْرُ الْأَنَامِ[٢] بِنِعْمَةٍ لَمْ يَحْبُهَا كَهْلاً وَلاَ مَوْلُودَا
وَأَنَالَهُ اسْماً مِنْ صِفَاتِكَ مُؤْذِناً مِنْهُ بِأَمْرٍ لاَ يَزَالُ حَمِيدَا
سَعِدَ الَّذِي يَرْجُو إِمَامُ الْعَصْرِ أَنْ سَيَكُونُ فِي حَالاَتِهِ مَسْعُودَا
نِعَمٌ يُهَنِّيكَ الْإِلَهُ[٣] جَدِيدَهَا فَلَقَدْ لَبِسْتَ بِهَا[٤] الْفَخَارَ جَدِيدَا
وَيُرِيكَ مَحْمُوداً مُبَلَّغَ غَايَةٍ فِي الْمُلْكِ أَعْجَزَ نَيْلُهَا مَحْمُودَا[٥]
تُرْوَى مَنَاقِبُهُ وَيَرْوِي حَوْضُهُ عِنْدَ الْمَعَاطِشِ[٦] مَنْ أَرَادَ وُرُودَا
وَتَرَى بِحَضْرَتِهِ لِيَ ابْناً شَاعِراً مِثْلِي مُجِيداً فِي الثَّنَاءِ مَجِيدَا
يَا مُصْطَفَى الْمُلْكِ الَّذِي كَانَ النَّدَى هَمّاً فَعَاوَدَ فِي ذَرَاهُ وَلِيدَا
أَنْهَجْتَنِي مِنْ[٧] نَهْجِ فَضْلِكَ مَسْلَكاً تَذْنِي مَسَافَتُهُ الْبَلِيغَ بَلِيدَا
فَلَئِنْ حَصِرْتُ[٨] فَإِنَّ عُذْرِي وَاضِحٌ أَنْ لَسْتُ أَبْلُغُ لِلسَّمَا تَحْدِيدَا

(١) بمحلة (ل)
(٢) إذ خصّه المولى الإمام بنعمة لم يعطها ... (ل)
(٣) الإمامُ جديدها (ل)
(٤) به (ل)
(٥) محمود (الأول) ابن أنوشتكين الدزبري ومحمود (الثاني) ابن نصر بن صالح ابن مرداس أمير حلب وخصم أنوشتكين .
(٦) المعاطش : جمع مَعْطَش وهو ميقات الظمء .
(٧) من بشر فضلك ... (ل)
(٨) حضرت ؟ (ل)

وَلَئِنْ(١) نَطَقْتُ فَإِنَّ أَيْسَرَ مَا أَرَى ... مِنْ مَأْثُرَاتِكَ يُنْطِقُ الْجُلْمُودَا
أَلْفَيْتُهُنَّ جَوَاهِراً مَنْثُورَةً ... وَعَلَى الْقَوَافِي أَنْ يَصِرْنَ(٢) عُقُودَا
فَلَكَ الْفَرِيدُ وَقَدْ وَجَدْتَ نِظَامَهُ ... وَلِيَ الثَّنَاءُ وَقَدْ وَجَدْتُ فَرِيدَا
حَمِدَ الْوَرَى لِي ذَا الثَّنَاءَ وَمَذْهَبِي ... فِيهِ فَكُنْتُ الْحَامِدَ الْمَحْمُودَا
جُوزِيتُ عَنْ شُكْرِي بِشُكْرٍ مِثْلِهِ ... فَعَدَدْتُ مَا تُسْدِي إِلَيَّ مَزِيدَا

٣٢

وقال أيضاً يمدحه (٣)

لَكَ السَّعْيُ مَا يَنْفَكُّ يَخْدِمُهُ السَّعْدُ ... وَذَا الْعِزُّ مَا أَمْطَاكَهُ(٤) الْجِدُّ وَالْجَدُّ
بِهِمَّتِكَ الطُّولَى بَلَغْتَ إِلَى الْمُنَى ... وَذُو الْهِمَّةِ الْقُصْرَى(٥) يَرُوحُ كَمَا يَغْدُو
لَقَدْ أَظْهَرَتْ مُذْ غِبْتَ عَنْهَا كَآبَةً ... دِمَشْقُ كَأَنْ لَمْ يَخْلُ مِنْ صَارِمٍ غِمْدُ
مَضَيْتَ كَمَا تَمْضِي الصَّوَارِمُ فِي الطُّلَى ... وَعُدْتَ كَمَا عَادَتْ إِلَى الْأَجَمِ الْأُسْدُ

---

(١) ولئن شعرتُ ... (ل)

(٢) .. إن يصرن عقوداً (ع) و (م)

(٣) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي : « وقال أيضاً يمدحه وأنشده إياها في محرم سنة ثلاثين وأربع مئة عند عودته من حلب وقد فتحها »

(٤) ما أنطاكه (ع) و (م)

(٥) القصوى .. (ع) و (م)

وَشَحْطُ ٱلنَّوَى أَبْدَى سَرائِرَ أَهْلِهَا ... وَقَدْ يُعْرَفُ ٱلشَّيْءُ ٱلْخَفِيُّ بِمَا يَبْدُو
لَئِنْ مُنِعُوا بِٱلْهَمِّ فِي بُعْدِكَ(١) ٱلْكَرَى ... لَقَدْ مَنَعَ ٱلْأَيَّامَ قُرْبُكَ أَنْ تَعْدُو
وَمَا إِنْ رَأَوْا شَمْساً لَهَا ٱلشَّامُ مَطْلَعٌ ... سِوَاكَ وَلَا غَيْثاً تَخُبُّ بِهِ ٱلْجُرْدُ
سَحَابُ حَيَاهُ(٢) ٱلْجُودُ وَٱلْبِشْرُ بَرْقُهُ ... وَوَقْعُ ٱلْعِتَاقِ ٱلْمُقْرَبَاتِ لَهُ رَعْدُ
أَحَاطُوا بِهَا رَجْلَى لِأَنَّ غُبَارَهَا ... تَدَاوَى بِهِ(٣) مِنْ دَائِهَا(٤) ٱلْأَعْيُنُ ٱلرُّمْدُ
وَلَسْتَ مُوَفًّى بَعْضَ مَا تَسْتَحِقُّهُ ... إِذَا لَمْ يَنُبْ عَنْ كُلِّ رِجْلٍ(٥) مَشَتْ خَدُّ
حَضَرْتَ فَوَجْهُ ٱلدَّهْرِ أَبْلَجُ نَاضِرٌ ... وَإِنْ غِبْتَ حِيناً فَهْوَ أَكْلَفُ مُرْبَدُّ
فَلَا تَتَحَدَّوْهُ(٦) بِذَمٍّ فَإِنْ تَكُنْ ... إِسَاءَتُهُ سَهْواً فَإِحْسَانُهُ عَمْدُ
وَإِنَّ أَلَذَّ ٱلْقُرْبِ مَا قَبْلَهُ نَوًى ... وَأَحْلَى ٱلْوِصَالِ مَا تَقَدَّمَهُ صَدُّ
ظَعَنْتَ فَلَمْ تَظْعَنْ رِعَايَتُكَ ٱلَّتِي ... حَمَتْهُمْ فَمَا رِيعُوا وَأَجْدَتْ فَلَمْ يُكْدُوا(٧)
فَلَوْ لَمْ تَكُنْ رُؤْيَاكَ شَيْئاً مُحَبَّباً ... إِلَى كُلِّ عَيْنٍ لَاسْتَوَى ٱلْقُرْبُ وَٱلْبُعْدُ

---

(١) ... من بعدك .. (ل)
(٢) حباه ؟ (ل)
(٣) بها (ع) و (م)
(٤) من دائه (ل)
(٥) عن كل رحل ... (ع) و (م)
(٦) فلا تتحدوا منه بذم ... ؟ (ع) و (م)
(٧) هذا البيت والذي بعده وردا متأخرين قليلاً في (ع) و (م) ورواية الأول فيهما كما يلي : « ظعنت ولم تظعن حمايتك التي حمتهم فما ريعوا وأجدت فما يكدو »

وَهَلْ حَلَبٌ إلاَّ السُّهَى مُنْذُ أَصْبَحَتْ ... لأَرْوَعَ أَيَّامُ الزَّمَانِ لَهُ جُنْدُ
لِذِي الْبِيضِ (١) لَمْ تَجْفُ الطُّلَى شَفَرَاتُها ... وَجُرْدٍ (٢) الْمَذَاكِي مَا يَجِفُّ لَهَا لِبْدُ
إذَا قَصَدَتْ أَرْضَ الْعَدُوِّ فَسَيْرُهَا ... لَعَمْرُكَ تَقْرِيبٌ وَتَقْرِيبُهَا (٣) شَدُّ
وَلَمَّا دَعَتْ مِنْكَ الْعَوَاصِمُ غَوْثَهَا ... أَجَبْتَ بِلاَداً قَدْ تَمَادَى بِهَا الْجَهْدُ
فَأَسْهَرْتَ أَجْفَاناً تَطَاوَلَ نَوْمُهَا ... لِتَرْقُدَ أُخْرَى مَالَهَا بِالْكَرَى عَهْدُ
نَهَضْتَ (٤) وَقَدْ مَادَتْ حِذَاراً بِأَهْلِهَا ... وَعَاوَدْتَ عَنْهَا وَهْيَ مِنْ أَمْنِهَا (٥) مَهْدُ
فَلاَ طَرْفُ ذِي فَتْكٍ إلَى الْفَتْكِ يَمْتَلِي ... وَلاَ يَدُ ذِي جَوْرٍ إلَى الْجَوْرِ تَمْتَدُّ
وَلَمَّا طَغَى نَصْرٌ (٦) أَتَحْتَ لَهُ الرَّدَى ... فَلَمْ (٧) يَحْمِهِ الْجَمْعُ الصَّرِيحُ وَلاَ الْحَشْدُ
أَبَتْ أَنْ يَحِيدَ (٨) الْحَقُّ عَنْ مُسْتَقَرِّهِ ... خُصُومٌ مِنَ الْمُلْدِ الَّتِي أُشْرِعَتْ لُدُّ

---

(١) لدى البيض لم تخف الطلا شفراتها (ل)

(٢) وجُرْدِ مَذَاكٍ ... (ل) و (ع)

(٣) وتقريبها بُعْدُ (ل)

(٤) مضيت ... (ع) و (م)

(٥) وهي من أهلها مهد (ل)

(٦) هو نصر بن صالح بن مرداس أمير حلب حاربه أنوشتكين الدزبري فثبت له وانجلت المعركة عن مقتل نصر سنة ٤٢٩ . وورد في زبدة الحلب لابن العديم ١ / ٢٥٨ ما ملخصه : بعد أن فتح أنوشتكين الدزبري حلب سنة ٤٢٩ سار إلى دمشق ومدحه ابن حيوس بقصيدة يذكر فيها قتل نصر يقول فيها :

ولما طغى نصر أتحت له الردى ... ولم ينجه الجمع الكثير ولا الحشد

(٧) فلم ينفع الجمع ... (ل)

(٨) أبت أن يحاد ... (ل)

فَخَلَّوْا لِأَطْرَافِ ٱلْقَنَا عَنْ مَمَالِكٍ بِهَا أَخَذُوهَا عَنْوَةً وَبِهَا رَدُّوا
أَبَاحَكَ مُلْكُ(١) ٱلْعُرْبِ مَاضِي سِلَاحِهَا سَيُصْفِيكَ(٢) مُلْكَ ٱلْهِنْدِ مَاطَبَعَ ٱلْهِنْدُ
فَكَمْ(٣) خُضْتَ أَهْوَالاً نَتِيجَتُهَا عُلًى وَلَاقَيْتَ أَوْصَابًا جَنَى صَابِهَا شَهْدُ
تَفَرَّدْ بِمُلْكِ(٤) ٱلْأَرْضِ وَٱسْلَمْ لِأَهْلِهَا فَإِنَّكَ فِيهِمْ(٤) وَٱلْأُلَى قَبْلَهُمْ فَرْدُ
وَلَا تُخْلِ قَلْبًا فِي ٱلْوَرَى مِنْ مَخَافَةٍ فَلَوْلَا حَيَاةُ ٱلْخَوْفِ لَمْ يَمُتِ ٱلْحِقْدُ
فَلَوْ(٥) لَمْ يَكُنْ بَأْسُ ٱلْمُهَلَّبِ(٦) كَاسِبًا لَهُ ٱلْعِزَّ مَا أَعْطَتْهُ طَاعَتَهَا ٱلْأَزْدُ
تَكَفَّلَ هٰذَا ٱلْعَزْمُ أَنَّكَ ظَافِرٌ بِمَا لَمْ تُحَدِّثْكَ ٱلظُّنُونُ بِهِ بَعْدُ
أَمَانِيُّ قَدْ أَخْلَتْ لَهَا طُرُقَ(٧) ٱلظُّبَى وَلَا صَدَرٌ يُحْمَى عَلَيْهِ وَلَا وِرْدُ
لِسَائِرِ مَا يَأْتِي بِهِ ٱلدَّهْرُ غَايَةٌ وَمَا لِمَعَالِيكَ ٱنْتِهَاءٌ وَلَا حَدُّ
إِذَا سَلَبَ ٱلْأَعْدَاءُ شَيْئًا رَدَدْتَهُ وَإِنْ سَلَبَتْهُمْ ذِي ٱلسُّيُوفُ فَلَا رَدُّ
قَوَاطِعُ مُذْ أَذْكَتْ بِمُذْكِينَ نَارَهَا فَبَيْنَ ضُلُوعِ ٱلرُّومِ نَارٌ لَهَا وَقْدُ

---

(١) ماضي العرب (م)
(٢) وأصفاك ... (ع) و (م)
(٣) وكم (ل)
(٤) لملك ... منهم ... (ل)
(٥) ولو لم ... (ع) و (م)
(٦) المهلّب : انظر الحاشية رقم (٥) ص (٣٩) والأزد : قبيلته .
(٧) ... طرف الظبي فلا صدر ... (ل)

وَمُنْذُ دَنَتْ دَارُ ٱلْمُبِيرِ مُبِيرِهِمْ ... فَأَمْنُهُمُ جَزْرٌ وَخَوْفُهُمُ مَدُّ

يَقُولُ لَهُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَلِيكُهُمْ ... كَذَا فَٱحْمَدُوا(١) رَأْيِي لِمَا أَكَّدَ ٱلْعَقْدُ

لَعَمْرِي لَقَدْ غَرُّوا(٢) بِإِبْعَادِ عُصْبَةٍ ... نَحَتْ غَيَّهَا مِنْ بَعْدِمَا وَضَحَ ٱلرُّشْدُ

وَلَيْسَتْ لِهٰذَا ٱلْمُلْكِ أُولَى طَرِيدَةٍ ... غَدَا حَظَّهَا(٣) مِمَّنْ بَغَتْ نَصْرَهَا ٱلطَّرْدُ

فَلَا تَحْسَبُوا مَاءَ ٱلْفُرَاتِ كَعَهْدِهِمْ ... فَقَدْ حَالَ دُونَ ٱلْوِرْدِ ذَا ٱلْأَسَدُ ٱلْوَرْدُ

لَقَدْ ضَاقَ ذُو ٱلْقَرْنَيْنِ ذَرْعًا بِسَدِّهِ ... فَقَالَ أَعِينُونِي فَقَدْ نَفِدَ ٱلْجُهْدُ

وَأَنْتَ ٱلَّذِي لَمْ يَسْتَعِنْ غَيْرَ عَزْمِهِ ... وَكَمْ دُونَ(٤) مَا قَدْ بِتَّ تَكْلَؤُهُ سَدُّ

بِإِقْدَامِكَ ٱلْإِسْلَامُ بِٱلْعِزِّ مُرْتَدٍ ... وَجَاحِدُ مَا أَوْلَيْتَهُ عَنْهُ مُرْتَدُّ

وُقِيتَ(٥) بِرَغْمِ ٱلْحَاسِدِينَ فَمَا زَكَا ... لِقَائِلِهِمْ قَوْلٌ وَلَا كَانَ مَا وَدُّوا

فَلَا كَهُمُ(٦) ٱلسَّيْفُ ٱلَّذِي ٱلْحَقُّ ضَارِبٌ ... بِهِ مَنْ طَغَى بَغْيًا وَلَا خَوَرَ(٦) ٱلْعَضْدُ

فَهُمْ بَيْنَ مَيْتٍ ظَلَّ يَلْفِظُهُ ٱلثَّرَى ... وَحَيٍّ لَهُ مِنْ بَيْتِهِ أَبَدًا لَحْدُ(٧)

وَإِنَّ رِجَالًا فِيكَ شَكَّتْ قُلُوبُهُمْ ... أُولَئِكَ قَوْمٌ عَنْ سَبِيلِ(٨) ٱلْهُدَى صَدُّوا

---

(١) كذا فاشكروا رأيي لكم أكد العقد (ل)

(٢) عَزُّوا (ل)

(٣) حفظها (ل)

(٤) وكم دون ما أصبحت تملكه شد (ع) و (م)

(٥) وفيت ... (ل)

(٦) ولا كهم ... فلا خور ... (ل)

(٧) فحي كميت ظل يلفظه الثرى ... وحي له من بيته ما بقي لحد (ل)

(٨) عن طريق الهدى (ل)

وَلَسْتُ عَنِ ٱلنُّصْحِ ٱلصَّرِيحِ مُدَافِعاً إِذَا وَضَحَ[١] ٱلْإِحْسَانُ لَمْ يُمْكِنِ ٱلْجَحْدُ

كَفَيْتَ بِذَا ٱلسَّيْفِ[٢] ٱلْأَئِمَّةَ مَاعِرَا فَمِنْ[٣] كُلِّ شَيْءٍ مَا عَدَاكَ لَهُمْ بُدُّ

فَلَا غَرْوَ أَنْ شَدُّوا عَلَيْكَ أَكُفَّهُمْ بِذَلِكَ وَصَّى[٤] أَبْنَا أَبٌ وَأَبًا جَدُّ

وَمُذْ[٥] شَاعَ فِي مِصْرٍ وُصُولُكَ سَالِماً فَفِيهَا لِمَنْ يَحْتَلُّهَا عِيْشَةٌ[٦] رَغْدُ

وَقَدْ لَبِسَتْ أَبْهَى ٱلْكُسَى وَتَعَطَّرَتْ[٧] بِمَا حَمَلَتْ مِنْ طِيبِ أَخْبَارِكَ ٱلْبُرْدُ

بِكَ ٱنْذَعَرَتْ رُبْدُ ٱلْحَوَادِثِ رَهْبَةً كَمَا ٱنْذَعَرَتْ[٨] مِنْ خِيفَةِ ٱلْقَانِصِ ٱلرُّبْدُ

وَحَيْثُ ثَوَى هٰذَا ٱلْهُمَامُ فَقَصْرُهُ بِأَرْجَائِهِ مِنْ كُلِّ مَمْلَكَةٍ وَفْدُ

تَرُومُ[٩] لَدَيْهِ ٱلْجُودَ إِنْ أَخْلَفَ ٱلْحَيَا وَتَجْدِيدَ عَهْدِ ٱلسِّلْمِ إِنْ أَخْلَقَ ٱلْعَهْدُ

وَعَدْتَ ٱلْهُدَى عِزًّا بِإِبْعَادِكَ ٱلْعِدَى فَلَمَّا زَكَا فِيهَا ٱلْوَعِيدُ زَكَا ٱلْوَعْدُ[١٠]

---

(١) إذا اتصل الإحسان لم يكن الجحد (ل)

(٢) كفيت بذا العزم ... (ل)

(٣) ومن ... (م)

(٤) وصى ابن أباً ... ؟ (ل)

(٥) وقد شاع ... (ل)

(٦) عيشه (ل) و (م)

(٧) وقد لبست أبهى الكسى وتزينت بما لبست ... (ل)

(٨) عن خيفة ... (ع) و (م)

(٩) يروم ... (ل)

(١٠) فلما نكا فيها الوعيد نكا الوعد (ل)

وَجَمَعْتَ بِالْإِحْسَانِ شَتَّى قَبَائِلٍ … فَنَابَ عَنِ الْقُرْبَى التَّوَازُرُ (١) وَالْوُدُّ
وَلَوْ لَمْ تَزَلْ (٢) بِالْمَنْعِ غِلَّ صُدُورِهِمْ … وَبِالْبَذْلِ لَمْ يَرْكَنْ إِلَى ضِدِّهِ الضِّدُّ
صَنَائِعُ (٣) قَدْ عَمَّتْ نِزَاراً وَيَعْرُبَاً … فَكُلُّهُمُ أَسْرَاكَ وَالنِّعَمُ الْقِدُّ
سَأُثْنِي بِنُعْمَاكَ الَّتِي مَلَأَتْ يَدِي … وَإِنْ فَاتَ (٤) حَدَّ الْعَدِّ نَائِلُكَ الْعِدُّ (٥)
رُمِيتُ بِسَهْمِ الْعِيِّ إِنْ ظَلْتُ (٦) كَاتِماً … مَوَاهِبَ لِي مِنْهَا الطَّوَارِفُ وَالتُّلْدُ
سَقَتْنِي بِكَاسَاتِ الْمُنَى (٧) كُلَّ نَخْبَةٍ (٨) … فَهَا أَنَا بِالْأَشْعَارِ مِنْ طَرَبٍ أَشْدُو
عَزِيزُ الْقَوَافِي لِي ذَلِيلٌ وَصَعْبُهَا (٩) … ذَلُولٌ وَحُرُّ الْقَوْلِ مَا رُمْتُهُ عَبْدُ
أَمِيرَ الْجُيُوشِ اسْمَعْ لَهَا فَبِمِثْلِهَا … تَزِيدُ (١٠) الْعُلَى طَوْلاً وَيَفْتَخِرُ الْمَجْدُ
وَمَا أُنْشِدَتْ إِلَّا انْبَرَى كُلُّ عَالِمٍ … يَقُولُ لِهٰذَا الْجِيدِ يَصْلُحُ ذَا الْعِقْدُ

(١) النوازر ؟ (ع) النوارز ؟ (م)
(٢) ولو لم يزل ... (ع) و (م)
(٣) مكارم .... (ل)
(٤) وإن جاز ... (ل)
(٥) العِدُّ : الكثرة في الشيء ومنه المثل (هذا بَرْضٌ من عِد)
(٦) إن كنت كاتماً (ل)
(٧) بكاسات الغنى (ل)
(٨) النُّخْبَةُ : الشربة العظيمة .
(٩) وصحبها ؟ (ع) و (م)
(١٠) يزيد العلى ... (ع) و (م)

تَجِلُّ إذَا ما جِلَّةُ ٱلْقَوْمِ أَنْصَتُوا ... وَتَلْغَى إذَا أَنْضَى لِيَ ٱلنَّقْدُ وَٱلنَّقْدُ(١)
أَذَا ٱلْعُرْفِ ما شَرْوَاهُ مُنْهَمِرُ ٱلْحَيا ... وَذَا ٱلْعَرْفِ ما ٱلنَّدُّ ٱلذَّكِيُّ لَهُ نِدُّ
شُهِرْتَ بِإِرْغَامِ ٱلْخُطُوبِ وَكَبْتِهَا ... فَما لَكَ إلاَّ حِفْظُ ما ضَيَّعَتْ(٢) وَكْدُ
وَمِنْهُ(٣) ٱلنَّدَى يَعْتادُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ... وَغَيْرُكَ بِٱلْأَدْنَى مِنَ ٱلْجُودِ يَعْتَدُّ
فَضَائِلُ يُطْوَى ٱلدَّهْرُ مِنْ قَبْلِ طَيِّهَا ... وَتَنْعَدُ(٤) أَنْفَاسُ ٱلْوَرَى قَبْلَ تَنْعَدُّ
كَبا كُلُّ مَنْ يَبْغِي(٥) مَدَاكَ فَلَا كَبا(٦) ... لِذَا ٱلْمُلْكِ فِي أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ(٧) زَنْدُ
لِتَحْتَازَ(٨) آفَاقَ ٱلْدُّنَى دُونَ أَهْلِهَا ... كَمَا لَكَ فِيهَا دُونَهُمْ وَحْدَكَ ٱلْحَمْدُ

*
* *

---

(١) ... إذا أفضى إلى النقد النقد (ل)
(٢) ما صنعت ؟ (ل)
(٣) وستر الندى يعتاد في كل ساعة ... (ل)
(٤) فتنعد ... (ل)
(٥) نداك ؟ (م)
(٦) ولا كبا (ل)
(٧) يحاوله (م)
(٨) لتختار آفاق الندى ... (ل)

٣٣

وقال (١) يمدح الوزير الناصر للدين أبا محمد اليازوري (٢)

لِيَهْنِكَ مَا أَنَالَتْكَ الْجُدُودُ وَأَنَّ الدَّهْرَ يَفْعَلُ مَا تُرِيدُ (٣)
مَرَامٌ شَطَّ مَرْمَى الْعَزْمِ فِيهِ فَدُونَ مَدَاهُ بِيدٌ لَا تَبِيدُ
وَأَمْرٌ قُمْتَ فِيهِ بِلَا ظَهِيرٍ وَأَهْلُ الْأَرْضِ مِنْ فَشَلٍ قُعُودُ
وَمِثْلُكَ لَا يَضِلُّ الْحَزْمُ عَنْهُ فَهَلْ أَنْبَاكَ بِالصَّدَرِ الْوُرُودُ

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدح الوزير الأجل الناصر للدين الأوحد المكين غياث المسلمين أبا محمد اليازوري ويذكر ظفره بطغرلبك وأصحابه ووقعة سنجار)

(٢) هو أبو محمد الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوي، ولد في يازور (من قرى الرملة بفلسطين) وإليها نسبته ، وسكن الرملة وولي الحكم فيها،واتصل بالمستنصر الفاطمي صاحب مصر فاستوزره سنة ٤٤٢ وجعله قاضي القضاةولقب بسيد الوزراء .وهو الذي دبّر فتنة البساسيري وأثاره على العباسيين.واستمر في الوزارة إلى أن قبض عليه المستنصر بوشاية وقتله سنة ٤٥٠ « الأعلام »

(٣) بنى ابن حيّوس مديح هذه القصيدة على تدبير اليازوري لفتنة البساسيري وإمدادها ، وتناول وصف حوادثها منذ شبوبها سنة ٤٤٧ إلى أن استولى البساسيري على الموصل سنة ٤٤٨ وكانت لم تنته بعد . وهاك حديث تلك الفتنة مجملاً : البساسيري هو أبو الحرث أرسلان بن عبد الله البساسيري التركي مقدّم الأتراك ببغداد ، خرج على الخليفة العباسي القائم بأمر الله سنة ٤٤٧ فاستنجد الخليفة بطغرل بك السلجوقي ، فدخل بغداد ومعه جيش عظيم سنة ٤٤٧ وكان البساسيري قد فارقها متمرداً ، وانضم إليه دبيس بن مزيد الأسدي صاحب الحلة ،وكانت بينهما وبين قريش بن بدران العُقيلي صاحب الموصل ←

أَبَيْتَ فَلَمْ تَنَمْ نَوْمَ ٱبْنِ هِنْدٍ(١) عَلَى حَنَقٍ فَنَبَّهَهُ وَلِيدُ
وَأَعْفَيْتَ ٱلْمَسَامِعَ مِنْ حَدِيثٍ(٢) يَعِنُّ فَتَقْشَعِرُّ لَهُ ٱلْجُلُودُ
نَبَا(٣) ضَاقَتْ بِنِسْوَانٍ خُدُورٌ لَهُ وَنَبَتْ بِأَطْفَالٍ مُهُودُ
فَكَذَّبَ ظَنَّ مَنْ عَادَاكَ صِدْقٌ تَسَاوَى فِيهِ وَعْدُكَ وَٱلْوَعِيدُ
وَعِيدٌ غَادَرَ ٱلْمُرَّاقَ صَرْعَى وَعِيدٌ مَا أَتَى مَأْتَاهُ عِيدُ
فَلَوْلَا كَوْنُهُ مَعَ يَوْمِ بَدْرٍ(٤) لَقُلْنَا إِنَّهُ ٱلْيَوْمُ ٱلْوَحِيدُ

← ونصيبين ومعه قطلمش ابن عم طغرل بك وقعة عند سنجار سنة ٤٤٨ انتصر فيها البساسيري ، فانحاز إليه قريش بن بدران وساروا جميعاً إلى الموصل وخطبوا الخليفة مصر المستنصر الفاطمي . فسار طغرل بك من بغداد في أواخر سنة ٤٤٨ بعد أن مكث بها ثلاثة عشر شهراً ، واستولى على عدة مدن واسترد الموصل وأعمالها وسلمها إلى أخيه إبراهيم ينال وعاد إلى بغداد سنة ٤٤٩ . وحدث في سنة ٤٥٠ أن فارق إبراهيم ينال الموصل إلى همذان بتحريض البساسيري وإغرائه ، فاعتبر طغرل بك ذلك عصياناً وسار خلفه ، فاغتنم البساسيري هذه الفرصة وعاد إلى الموصل ودخل بغداد سنة ٤٥٠ واضطر الخليفة إلى الخروج من بغداد إلى حديثة عانة ، حيث بقي هناك مدة سنة كاملة. وخطب في بغداد ومدن العراق لصاحب مصر المستنصر الفاطمي . وانتهى أمر الفتنة بعودة طغرل بك إلى بغداد ومقتل البساسيري سنة ٤٥١ .

(١) فلم تنم نحو ابن هند (ل) .

(٢) وأغنيت المسامع عن حديث (ل)

(٣) ذاك الحديث الذي تقشعرله الجلود وذلك النبأ الذي ريعت له النساء والأطفال هو ما أعلنه طغرل بك السلجوقي من أنه عازم على المسير إلى الشام ومصر لإزالة الفاطميين منهما وإعادتها إلى بني العباس . انظر ابن الأثير ج ٩ ص ٢١١ .

(٤) بدر : ماء مشهور بين مكة والمدينة وعنده كانت الوقعة المشهورة التي سميت به وأظهر الله بها الإسلام في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة « معجم البلدان »

مَقَامُ آزَرَتْ أَسَداً نُمَيْرٌ ... لَدَيْهِ وَظَافَرَتْ كَلْباً عَتُودُ(١)
وَأَيُّ(٢) حِمىً أَبَاحُوا يَوْمَ بَاحُوا ... بِمَا كَتَمَتْهُ فِي السِّلْمِ الْغُمُودُ
لَقَدْ طَاحَ الرَّجَاءُ بِطُغْلُبُكٍ(٣) ... وَكَمْ أَمَلٍ إِلَى أَجَلٍ يَقُودُ
كَأَشْدَقِ عَبْدِ شَمْسٍ إِذْ تَبَغَّى ... تُرَاثاً لَمْ يُخَلِّفْهُ سَعِيدُ(٤)
وَجَاوَرَ(٥) أَهْلَ تِلْكَ الْأَرْضِ مِنْهُ ... مَرِيدٌ لِاجْتِيَاحِهِمُ مُرِيدُ
عَجِبْتُ لِمُدَّعِي الْآفَاقِ مُلْكاً ... وَغَايَتُهُ بِبَغْدَادَ الرُّكُودُ(٦)
يَصُولُ عَلَى رَعَايَاهَا اعْتِدَاءً ... وَيُحْجِمُ كُلَّمَا صَلَّ الْحَدِيدُ(٧)

(١) أسد ونمير وكلب وعتود قبائل عربية ظاهرت البساسيري في فتنته .

(٢) فأي حمى ... (ل)

(٣) بطلغبك (ع) و (م) والمراد بطغلبك : طغرل بك السلجوقي وهو أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق أول ملوك السلجوقية . استدعاه الخليفة العباسي القائم بأمر الله للقضاء على فتنة البساسيري انظر الحاشية رقم (٣) ص (١٧٩)

(٤) الأشدق : هو عمرو بن سعيد بن العاص الأموي ، دعا إلى نفسه في دمشق لما خرج عبد الملك بن مروان إلى الرحبة لقتال زفر بن الحرث الكلابي ، فبايعه أهلها بالخلافة ؛ فعاد عبد الملك إلى دمشق وتلطف في القبض عليه حتى تمكن منه فقتله سنة ٧٠ ولقب بالأشدق لفصاحته .

(٥) وجاوز ؟ (ع) و (م)

(٦) عجبت لمدعي ... يشير إلى طول مكوث طغرل بك في بغداد فقد دخلها سنة ٤٤٧ على سبيل المرور لقتال الخارجين والمسير إلى الشام ومصر فظل بها ثلاثة عشر شهراً ولم يبرحها حتى استولى البساسيري على الموصل .

(٧) ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٤٧ أن أهل بغداد ضجوا بالشكوى من سوء سيرة العسكر الذين أتوا مع طغرل بك وكانت تقع بين الفريقين وقائع دامية .

وَمِنْ مُسْتَخْلَفٍ بِالْهُونِ رَاضٍ يُذَادُ عَنِ الْحِيَاضِ وَلاَ يَذُودُ(١)
لَهُ حَرَمٌ هُنَالِكَ لَمْ يُحَرَّمْ بِهِ إِلاَّ السَّلاَمَةُ وَالْهُجُودُ(٢)
تَلاَهُ(٣) خَوْفُهُ بِأَشَدَّ مِنْهُ وَلَوْلاَ الْجَدْبُ مَا أُكِلَ الْهَبِيدُ(٣)
وَدَبَّرَهُ ابْنُ مُسْلِمَةٍ(٤) سَغَاهاً بِرَأْيٍ(٥) مَا أَشَارَ بِهِ رَشِيدُ

(١) يندد بالخليفة العباسي القائم بأمر الله ويعيب عليه ضعفه وأن ليس في يديه من السلطان شيء مع طغرل بك .

(٢) ذكر ابن الأثير أن دار الخلافة وترب الخلفاء انتهكت حرمتها بسبب الوقائع التي جرت بين أهل بغداد وعسكر طغرل بك ، حتى أن رسول تكين ابن عم طغرل بك وكان منابذاً له احتمى بدار الخلافة ، فأمر طغرل بك بتقييده ، فخرج توقيع الخليفة « لم تجر العادة بتقييد أحد في الدار العزيزة » قال ابن الأثير : « كانت دار الخلافة أيام بني بويه ملجأ لكل خائف منهم من وزير وعميد وغير ذلك ففي الأيام السلجوقية سلك غير ذلك وكان أول شيء فعلوه هذا » .

الكامل ٩/٢٢١

(٣) مُلاءَةُ خوفِهِ ... (ل) والهبيد الحنظل .

(٤) ابن مسلمة : هو رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن بن أحمد المعروف بابن المسلمة وزير القائم بأمر الله ، ولد سنة ٣٩٧ وكان عالماً بفنون كثيرة مع سداد رأي ووفور عقل . قتله البساسيري ومثّل به أقبح تمثيل لما استولى على بغداد سنة ٤٥٠ .

« تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١١ ص ٣٩١ »

(٥) بأمر ... (ل)

وَضَاعَفَ ضُعْفَهُ فَرْطُ ٱلتَّوَقِّي وَأَيَّدَ أَيْدَكَ ٱلْبَطْشُ ٱلشَّدِيدُ
وَمَا ٱلْبَطْشُ ٱلشَّدِيدُ مُفِيدُ عِزٍّ إِذَا لَمْ يُمْضِهِ ٱلرَّأْيُ ٱلسَّدِيدُ
وَأَعْجَبُ مِنْهُمَا سَيْفٌ بِمِصْرٍ تُقَامُ(١) بِهِ بِسِنْجَارَ ٱلْحُدُودُ
عَلَى مَنْ وَارَتِ ٱلدِّيرَانُ(٢) مِنْهُمْ جُسُومٌ لَيْسَ يَقْبَلُهَا ٱلصَّعِيدُ
أُزِيلُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ بِضَرْبٍ تَزُولُ بِهِ ٱلضَّغَائِنُ وَٱلْحُقُودُ
فَكَمْ غُلَلٍ شَفَاهَا(٣) حَرُّ ضَرْبٍ وَقَدْ أَعْيَا بِهَا ٱلْمَاءُ ٱلْبَرُودُ
لَقَدْ لَاقَوْا بِنُصْرَتِهِمْ قُرَيْشاً(٤) كَمَا لَاقَتْ بِأَشْقَاهَا ثَمُودُ

---

(١) تقام له . . . (ل) وسنجار : مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة . ويشير في البيت الى الوقعة التي انتصر بها البساسيري عند سنجار سنة ٤٤٨ . ورد في كتاب الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٤ (بعث طغرل بك الفين وخمسمائة فارس إلى سنجار فكانت الوقعة المشهورة التي ظفر بها البساسيري ولم يفلت من هذه العدة الا مائتا فارس أو دونها وعمل الشعراء في ذلك فمن مليح ما قيل قول ابن حيّوس :

عجبت لمدّعي الآفاق ملكاً وغايته ببغداد الركودُ
ومن مستخلَفٍ بالهون يرضى يُذاد عن الحياض ولا يذود
وأعجب منهما سيفٌ بمصرٍ تقام له بسنجار الحدود

(٢) الديران : جمع دار . وفي (ل) :

على من وارت الدوبان منهم جسوماً ليس يقتلها الصعيد

(٣) سقاها (ع) و (م) .

(٤) قريش بن بدران العُقَيْلي صاحب الموصل ونصيبين تردد في فتنة البساسيري حاربه في أول الأمر ثم انحاز إليه توفي سنة ٤٥٣ . وثمود قبيلة من العرب الأول ويقال إنهم من بقية عاد وهم قوم صالح عليه السلام .

وَقَدْ سَمِعَ ٱلظُّبَى فِيهِمْ تُغَنِّي ... وَلَمْ (١) تُغْنِ ٱلْمَوَاثِقُ وَٱلْعُهُودُ
وَلاَ ٱلْعِزُّ ٱلطَّرِيفُ حَمَاهُ مِمَّا ... أَرَدْتَ بِهِ وَلاَ ٱلْعِزُّ ٱلتَّلِيدُ
فَوَلَّى يَحْمَدُ ٱلْجُرْدَ ٱلْمَذَاكِي ... وَلَيْسَ لِسَيْفِهِ أَثَرٌ حَمِيدُ
وَغَرَّ ٱلْغِرَّ أَنَّ ٱلدِّينَ وَاهٍ ... هُنَاكَ وَأَنَّ نَاصِرَهُ بَعِيدُ
فَفَاتَهُمُ بِعَزْمِكَ مَا أَرَادُوا ... وَآلَ بِهِمْ إِلَى مَا لَمْ يُرِيدُوا
وَلَمْ تَزَلِ ٱلْأَمَانِي وَهْيَ بِيضٌ ... تُكَذِّبُهَا ٱلْمَنَايَا وَهْيَ سُودُ
فَمِنْ جَيْشٍ يَعُدُّ ٱلْعَوْدَ فَتْحاً ... وَمِنْ جَيْشٍ يَمُرُّ فَلاَ يَعُودُ
وَمَا إِقْدَامُ قُطْرُمُشٍ (٢) مُعَادٌ ... وَلاَ عُمَرٌ (٣) لَهُ عُمْرٌ جَدِيدُ
جَنَاحَا جَارِحٍ غَرْثَانَ هِيضَا ... فَأَصْبَحَ لاَ يَطِيرُ وَلاَ يَصِيدُ
وَطَوْدٌ (٤) أَذَّى وَهَتْ بِسُطَاكَ مِنْهُ ... قَوَاعِدُ جَمَّةٌ وَوَهَتْ رُيُودُ (٥)
سُطًى سَمِعَ ٱلْمُلُوكُ بِهَا فَظَلَّتْ ... أَسِرَّتُهُمْ بِهَا خَوْفاً تَمِيدُ
وَشَاعَ حَدِيثُهَا فَٱرْتَاعَ مِنْهَا ... عَمِيدٌ وَٱسْتَقَامَ بِهَا عَنِيدُ

---

(١) فلم .. (ل) .

(٢) قرطمش (ع) و (م) والمراد بقطرمش : قطلمش وهو ابن عم طغرل بك حارب البساسيري ومعه قريش بن بدران صاحب الموصل ونصيبين عند سنجار سنة ٤٤٨ فهزمها البساسيري فانحاز إليه قريش وعاد قطلمش يحرض ابن عمه طغرل بك على الأخذ بالثأر .

(٣) ولا عَمرو ... (ع) و (م) .

(٤) فطود ... (ل)

(٥) الرُّيُودُ : جمع رَيْد وهو الحرف الناتيء في عرض الجبل . وفي (ع) و (م) ربود . وفي (ل) زنود . وكلاهما تصحيف .

رَمَيْتَهُمُ بِكُلِّ سَلِيلِ غَـابٍ   يَعِيشُ بِفَرْسِـهِ ضَبُعٌ وَسِيدُ
يَرُوقُ فُؤَادَهُ نَأْيٌ وَعَوْدٌ   يَغُذُّ ٱلسَّيْرَ لاَ نَـايٌ وَعُودُ
وَيُعْجِبُهُ ٱلنُّهُودُ إِلَى ٱلْأَعَادِي   مُشِيحاً لاَ ٱلْقُدُودُ وَلاَ ٱلنُّهُودُ
وَيُطْرِبُهُ صَلِيلُ ٱلْبِيضِ فَوْقَ ٱلْـقَوَانِسِ لاَ ٱلْبَسِيطُ وَلاَ ٱلنَّشِيدُ
وَلَوْ أَنَّ ٱلنَّعَامَ بِكَ ٱسْتَجَارَتْ   لَخَافَتْ (١) مِنْ عَوَادِيهَا ٱلْأُسُودُ
فَكَيْفَ وَمُسْتَجِيرُكَ أَحْوَذِيٌّ   تَحَدَّاهُ ٱلْحُتُوفُ فَلاَ (٢) يَحِيدُ
تَفَرَّدَ وَهْوَ مُجْتَنَبٌ مَخُوفٌ   كَمَا (٣) يُتَجَنَّبُ ٱلْحَيُّ ٱلْحَرِيدُ
وَفَاضَ عَلَيْهِ بِٱلْإِحْسَانِ حَتَّى   تَخَلَّصَهُ مِنَ ٱلْعَدَمِ ٱلْوُجُودُ
كَرِيمٌ مِنْ عَطَايَاهُ ٱلْمَعَـالِي   عَظِيمٌ مِنْ تَحَـايَاهُ ٱلسُّجُودُ
مُؤَمِّلُهُ يُفِيـدُ غِنًى وَعِزّاً   وَشَـانِيهِ بِغُصَّتِهِ يَفِيدُ (٤)
غَمَـامٌ فِيهِ مِنْ بِشْرٍ بُرُوقٌ   وَلَمْ يَصْحَبْهُ مِنْ مَنٍّ رُعُودُ
مُلِثٌّ مَا يُبَـالِي حَيْثُ يَهْمِي   أُتِيحَ لَهُ شَكُورٌ أَمْ كَنُودُ (٥)

---

(١) لخافت في غواديها الأسود (ل)
(٢) ولا يحيد (ع) ولا تحيد (م)
(٣) به يتجنب ... (ل) . والحي الحريد : المنفرد .
(٤) يُفِيد : يأخذ ويستفيد . ويَفِيد : يموت .
(٥) أوْ كَنُودُ (ع) و (م)

وَأَعْطى ما وَهَبْتَ بِلا اكْتِراثٍ عَلَيْهِ أنَّ مُبْدِئَهُ مُعِيدُ (١)
وَكُلُّ نَدىً إلى جَدْواكَ يُعْزى كَما تُعْزى (٢) إلى الْغَيْثِ الْمُدُودُ
عَمَمْتَ الْقَوْمَ مِنْ عَجَمٍ وَعُرْبٍ (٣) مَواهِبَ ما خَلا مِنْهُنَّ جِيدُ
لُهىً كادَتْ عَدُوَّهُمُ وَكادَتْ تَضِيقُ بِهـا التَّهائِمُ وَالنُّجُودُ
تَخـالَفَتِ الرِّفاقُ بِها إلَيْهِمْ كَما اخْتَلَفَتْ عَلى التَّجْرِ النُّقُودُ
وَرُبَّ مَغانِمٍ أَدَّتْ إلَيْهـا مَغارِمُ حَمْلُ أَدْناها يَؤُدُ
وَأَرْسَلْتَ الْعِتـاقَ الْجُرْدَ قُبّاً يُعارِضُ مُمْتَطىً مِنْهـا مَقُودُ
وَمِنْ أُدَدٍ وَعَدْنانٍ (٤) عَلَيْها جُنُودٌ لا تُلاقِيها جُنُودُ
مِنَ الْأَسْرِ (٥) الَّتي أَلْوَتْ بِكِسْرى (٦) وَذاكَ وَمَنْ سِلاحُهُمُ الْجَرِيدُ
مَرَتْ خِلْفَ التِّلافِ (٧) بِكُلِّ مَرْتٍ تَنُوبُ عَنِ السُّرُوجِ بِهِ الْقُتُودُ (٨)

---

(١) يعيد (ل)
(٢) كما عُزِيَتْ (ل)
(٣) من عَرَبٍ وعُجْمٍ (ل)
(٤) أُدَدُ : أبو قبيلة من اليمن وهو أُدَدَ بن زيد بن كهلان بن سبأ ابن حِمْيَرَ . وعدنان أبو العرب العدنانية .
(٥) من الأسرى ... (ل)
(٦) ألوى به : أهلكه ، وكسرى اسم لكل ملك من الفرس .
(٧) التِّلاف : جمع تَلْعَة وهي الهضبة المنيعة . وفي (ل) مرت خلف البلاد ...
(٨) السروج للخيل ، والقُتُود وهي الرحال للابل . وفي (ع) و (م) بها القيود .

وَنَكَّبَتِ ٱلْجِبالَ بِهِمْ جِبالٌ ... ضَوامِرُ لَا تَجِفُّ لَهَا لُبُودُ
إِذَا قَدَحَتْ فَمَا يَدْجُو ظَلَامٌ ... وَإِنْ ضَبَحَتْ فَمَا يَنْجُو طَرِيدُ
أَبَتْ وَطْءَ ٱلثَّرَى تِيهاً فَصارَتْ ... مَوَاطِئَهَا ٱلنَّوَاظِرُ وَٱلْخُدُودُ
وَحَلَّ ٱلْمَوْصِلَ ٱلْمَنْصُورُ [1] يُثْنِي ... بِسَطْوَتِهِ وَنَخْوَتِهِ ٱلْوُفُودُ
وَقَدْ شَهِدَتْ مَنَابِرُهَا بِحَقٍّ ... مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاءِ بِهِ شُهُودُ
وَسَوْفَ تُضَافُ بَغْدَادُ إِلَيْهَا ... كَمَا ٱنْضَافَتْ إِلَى عَدَنٍ زَبِيدُ [2]
فَقَدْ ضَعُفَتْ زُنُودٌ عَنْ قِسِيٍّ [3] ... رَمَتْ عَنْهَا ٱلْعِدَى وَكَبَتْ زُنُودُ
وَلِلنَّارِ ٱلَّتِي شَبَّتْ خَفِيفَتْ ... خُمُودٌ سَوْفَ يَتْبَعُهُ هُمُودُ
لَكَ ٱلْفَتْحُ ٱلْمُبِينُ بِكُلِّ وَجْهٍ ... قَصَدْتَ وَلِلْعِدَى ٱلْحَتْفُ [4] ٱلْمُبِيدُ
لَقَدْ سُدْتَ ٱلْمُلُوكَ بِمَأْثُرَاتٍ ... بِهَا ٱلْوُزَرَاءُ أَيْسَرُ مَنْ تَسُودُ [5]

---

(١) هو منصور بن دبيس الأسدي كان هو وأبوه صاحب الحلة وأخواه بدران وحماد مناصرين للبساسيري في فتنته . « ابن الأثير ج ٩ ص ٢٢٨ »

(٢) عَدَن : مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند من اليمن ، وزبيد مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون . ورد في البداية والنهاية لابن كثير ج ١٢ ص ٦٧ أنه في سنة ٤٤٧ « استولى أبو كامل علي بن محمد الصليحي الهمداني على أكثر أعمال اليمن وخطب للفاطميين وقطع خطبة العباسيين » والى ذلك يشير ابن حيّوس في هذا البيت .

(٣) من قسي (ع) و (م)

(٤) وللعدى الفتح المبيد (ل)

(٥) أيسر من يسود (ل)

سَدَدْتَ (١) مِنَ ٱلهُدى ما لَمْ يَسُدُّوا وَشِدْتَ مِنَ ٱلعُلى ما لَمْ يَشِيدُوا
بِنــاؤكَ كُلُّهُ أَجْرٌ وَشُكْرٌ وَما يَبْنُونَ آجُرٌّ وَشِيدُ
جَمِيلٌ تُسْتَرَقُّ بِهِ ٱلْأَمانِي وَعَدْلٌ يُسْتَحَقُّ بِهِ ٱلْخُلُودُ
حَلَلْتَ (٢) مِنَ ٱلخِلافَةِ فِي مَكانٍ بِهِ عُدِمَ ٱلْمُبــاشِرُ وَٱلْحَسُودُ
وَلَمْ يَحْلُمْ (٣) بِشَرْواكَ ٱلتَّمَنِّي وَلا جادَ (٤) ٱلزَّمانُ وَلا يَجُودُ
بَقِيتَ وَمُشْبِهــاكَ تُقًى وَحِلْمٌ وَظِلُّكُمُ عَلَى ٱلدُّنْيــا مَدِيدُ
وَلا زالَتْ بِأُفْقِ ٱلْمُلْكِ مِنْكُمْ نُجُومٌ لا تَعَدَّاهــا (٥) السُّعُودُ
وَلا بَرِحَتْ كَذا ٱلْأَعْيادُ تَأْتِي وَجَدُّكَ قاهِرٌ فِيهــا سَعِيدُ
وَما أَبْقَى فَعالُكَ لِي مَقــالاً وَلٰكِنَّ ٱرْتِيــاحَكَ يَسْتَعِيدُ
مَدائِحُ طالَما أَبْدَعْتُ فِيهــــا وَأَيْنَ وُقُوعُهــا مِمَّــا أُرِيدُ
إِذا تُلِيَتْ عَلَى ٱلْحُسَّادِ قالُوا كَذا فَلْيُنْظَمِ ٱلدُّرُّ ٱلفَرِيدُ
وَلا إِحْســانَ إِلاَّ فِي مَجِيدٍ عَــلا هِمَمًا وَمادِحُهُ مُجِيدُ

---

(١) شددت من الهدى ما لم يشدوا ... (ل)
(٢) حللن ... (ع) و (م)
(٣) ولم يحكم ... (ع) و (م)
(٤) ولا حاد الزمان ولا يحود (م)
(٥) لا تُتعدّيها (ع) لا تُعدّ بها (م)

وَلَنْ نَخْشَى عَلَى فَخْرٍ شَرُوداً إِذَا عَقَلَتْهُ (١) قَافِيَةٌ شَرُودُ
فَسَيِّرْ بي حَدِيثَ ٱلْمَجْدِ إِنِّي لِمَا أَثَّلْتَ مِنْ شَرَفٍ مُشِيدُ
فَدُمْ عَلَماً لَهُ مَا أُخْضِلَ تُرْبٌ تَوَالَى سَقْيُهُ وَٱخْضَرَّ عُودُ

٣٤

وقال أيضاً يمدحه (٢)

مَسَاعِيكَ لَا تُحْصَى فَتُدْرَكَ بِٱلْعَدِّ وَمَجْدُكَ لَا يَرْضَى ٱلْوُقُوفَ عَلَى حَدِّ
وَمَا قَصَّرَتْ فِيكَ ٱلصِّفَاتُ تَعَمُّداً وَلَـٰكِنَّهَا جَازَتْ (٣) فَجَازَتْ عَنِ ٱلْقَصْدِ
وَإِنَّكَ إِنْ دَانَ ٱلْمَقَالُ وَإِنْ عَصَى بِغَيْرِ شَرِيكٍ فِي ٱلثَّنَاءِ ٱلَّذِي نُهْدِي (٤)
بِأَجْنِحَةِ ٱلْفُتْخِ ٱرْتَقَيْتَ مُحَلِّقاً وَأَحْسَبُهُمْ طَارُوا بِأَجْنِحَةِ ٱلرُّبْدِ (٥)
أَضَفْتَ إِلَى ٱلْجِدِّ ٱجْتِهَاداً وَلَمْ تَكُنْ كَمَنْ تَرَكَ ٱلْجِدَّ ٱتِّكَالاً عَلَى ٱلْجَدِّ

---

(١) إذا علقته ... (ع) و (م)

(٢) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي : « وقال يمدح الناصر لدين غياث المسلمين أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري ويهنيه بعيد » .

(٣) جارت (ع) و (م)

(٤) نُهدي (ع) و (م)

(٥) الفُتْخُ : جمع فَتْخاء وهي العقاب الليّنة الجناح . والرُّبْدُ هنا النعام كما في هامش (ع)

وَكُلٌّ إِلَى ٱلْعَلْيَاءِ ظَامٍ وَإِنَّمَا   تَعِزُّ بِأَسْبَابٍ حَمَتْ سُبُلَ ٱلْوِرْدِ
وَأَنْتَ أَخَفْتَ ٱلدَّهْرَ حَتَّى بَزَزْتَهُ   عَزَائِمَهُ (١) أَيَّامَ يَعْدُو وَلَا مُعْدِ
فَصَارَ يَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ رَشَادَهُ   وَكَمْ مَرَّ عَامٌ وَهْوَ عَامٍ عَنِ ٱلرُّشْدِ
فَلَا فَلَّتْ أَحْدَاثُهُ غَرْبَ صَارِمٍ   وَفَى ٱللهُ لِلْإِسْلَامِ مُذْ سُلَّ بِٱلْوَعْدِ
وَأَلْقَى (٢) إِمَامُ ٱلْعَصْرِ نُصْرَةَ جَدِّهِ   إِلَى ٱلْأَزْدِ تُعْزَى فَٱصْطَفَى أَشْرَفَ ٱلْأَزْدِ (٣)
وَمَا ٱجْتَابَ عِقْدًا مِنْ جَوَاهِرِ فِعْلِهِ   وَإِنْ جَلَّ إِلَّا كُنْتَ وَاسِطَةَ ٱلْعِقْدِ
أَمَا مِنْكُمُ أَنْصَارُ ذَا ٱلدِّينِ سَالِفًا   بِبِيضِ ٱلْمَوَاضِي وَٱلرُّدَيْنِيَّةِ ٱلْمُلْدِ
وَمِنْهُمْ رِجَالٌ قَارَعُوا عَنْ نَبِيِّهِمْ   بِبَدْرٍ وَمِنْهُمْ ذُو ٱلْعِصَابَةِ فِي أُحْدِ (٤)
مَضَى آخِذًا سَيْفَ ٱلرَّسُولِ بِحَقِّهِ   فَبَاءَ (٥) بِهِ مُحْدَوْدِبًا دَامِيَ ٱلْحَدِّ

---

(١) عُرامَتَهُ (ل)
(٢) وألقى ؟ (ل)
(٣) الأزْد قبيلة عظيمة من قبائل اليمن وهذا البيت يدل على أن الوزير اليازوري أزدي .
(٤) بدر : غزوة مشهورة تقدم شرحها في الحاشية رقم (٤) ص (١٨٠) وأحد : جبل في شمالي المدينة كانت عنده غزوة أحد سنة ثلاث للهجرة . وذو العصابة : هو ابو دُجانة سِماك بن خَرَشَة الأنصاري .
(٥) فناء به (ل) . وقد ورد في سيرة ابن هشام ج ٣ ص ١١ في حديث غزوة أحد أن النبي عليه الصلاة والسلام قال : « مَن يأخذ هذا السيف بحقه ، فتقدم إليه رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام إليه أبو دُجانة سِماك بن خَرَشَة أخو بني ساعدة ، فقال وما حقه يا رسول الله ، قال أن تضرب به العدو حتى ينحني ، قال أنا آخذه يا رسول ←

وَحَسْبُ ٱلْعَتِيكِ بِٱلْمُهَلَّبِ وَٱبْنِهِ ... يَزِيدَ مُعِزِّي دَوْلَةٍ بَاذِلَيْ رِفْدِ (١)

وَيَوْمَ ٱلْقُرَيْظِيِّينَ أَيَّامَ شَعَّبَتْ ... شُعُوبُ عَصَاهُمْ لَمْ يُحَكِّمْ سِوَى سَعْدِ (٢)

وَأَشْيَاخُكَ ٱلْمَاضُونَ فِي سَنَنِ ٱلْعُلَىٰ ... أَقَامُوا كِرَاماً وَٱسْتَقَامُوا عَلَى حَرْدِ (٣)

أُسُودُ وَغَىً تُرْدِي عِدَاهَا مَخَافَةً ... إِذَا أَصْبَحَتْ قُبُّ ٱلْعِتَاقِ بِهِمْ تَرْدِي (٤)

وَإِنْ عَرَّدَ ٱلْحَامُونَ فِي حَوْمَةِ ٱلْوَغَىٰ ... أَطَارُوا إِلَيْهَا كُلَّ ذَاتِ نَساً عَرْدِ (٥)

وَإِنْ شَحَّتِ ٱلْأَنْوَاءُ سَحَّتْ أَكُفُّهُمْ ... مَوَاهِبَ تُلْوِي بِٱلطَّوَارِفِ وَٱلتُّلْدِ

--- الله بحقه فأعطاه إياه ، وكان أبو دُجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا أعلم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل . فلما أخذ السيف من يد رسول الله ﷺ أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ثم جعل يتبختر بين الصفين ، فقال النبي عليه السلام حين رآه يتبختر إنها لمشية يبغضها الله إلا في مثل هذا الموطن » .

(١) العتيك بن الأزد ينتهي اليه نسب المهلّب بن أبي صفرة الأزدي وابنه يزيد القائدين العظيمين في العصر الأموي ، توفي الأول سنة ٨٣ وقتل الثاني سنة ١٠٢ وأخبارهما كثيرة . وهذا البيت غير موجود في (ل)

(٢) القُرَيظيّون : بنو قُرَيظة قبيلة من يهود خيبر . وفي البيت إشارة الى غزوة بني قريظة سنة خمس للهجرة وحكم سعد بن معاذ الأوسي الأنصاري فيهم بعد أن حكّمه النبي عليه السلام.

« انظر سيرة ابن هشام ٣ / ٢٥٧ »

(٣) الحرد : المنع والقصد .

(٤) قُبّ العِتاق : ضوامر الخيل . رَدَت الفرس تَردي : رجمت الأرض بحوافرها.

(٥) عَرَّد : ولّى هرباً . والنَّسا : عرق من الورك الى الحافر. والعرد : الصلب الشديد . وهذا البيت وثلاثة أبيات بعده غير موجودة في (ل)

وَإِنَّكَ أَعْفَاهُمْ عَنِ ٱلْجُرْمِ (١) قَادِراً وَأَوْفَاهُمُ فِي نُصْرَةِ ٱلْحَقِّ بِٱلْعَهْدِ
وَأَعْصَاهُمُ فِي ٱلْأَمْرِ وَٱلنَّهْيِ لِلْهَوَى وَأَطْوَعُهُمْ لِلّٰهِ فِي ٱلْحَلِّ وَٱلْعَقْدِ
فِدَاؤُكَ أَرْوَاحُ حَبِيبٍ (٢) بَقَاؤُهَا أَجَلْ وَنُفُوسٌ غَيْرُ مَكْرُوهَةِ ٱلْفَقْدِ
وَكُلُّ ثَقِيلِ ٱلسَّمْعِ عَنْ مُسْتَغِيثِهِ فَدَاعِيهِ مِنْ قُرْبٍ كَدَاعِيهِ مِنْ بُعْدِ
بِهِ صَمَمٌ عِنْدَ ٱلسُّؤَالِ فَإِنْ لَحَى عَلَى ٱلْجُودِ لَاحٍ كَانَ أَسْمَعَ مِنْ خُلْدِ (٣)
مَلَأْتَ قُلُوبَ ٱلْخَلْقِ خَوْفاً وَرَهْبَةً فَأَنْتَ مَصُونُ ٱلْجَارِ مُبْتَذَلُ ٱلضِّدِّ
فَذُو طَيْلَسَانٍ أَنْتَ أَمْ رَبُّ صَارِمٍ وَذَا لِبَدٍ أَمْطِيتَ أَمْ ظَهْرَ ذِي لِبْدِ (٤)
وَقُرَّةُ (٥) لَمَّا أَنْ عَصَتْكَ سَلَبْتَهَا مَوَارِيثَ إِقْدَامٍ عَنِ ٱلْأَبِ وَٱلْجَدِّ (٦)

---

(١) في الأصل : « من الحزم » وهو تصحيف .

(٢) خبيث (ل)

(٣) هذا البيت ساقط من (ل)

(٤) الطيلسان : كساء مدوّر لا أسفل له ، ويراد بصاحب الطيلسان الوزير ومن في معناه من كبار رجال الدولة من غير القوّاد . والصارم : السيف ويراد بصاحب السيف القائد . ذكر ابن الأثير في حوادث سنة ٤٥٠ ج ٩ ص ٢٢٤ أن رئيس الرؤساء علي بن الحسن المعروف بابن المسلمة وزير القائم بأمر الله قال وقد ظفر به خصمه البساسيري مقدّم الأتراك : العفو عند القدرة ، فقال البساسيري: قد قدرتَ فما عفوتَ وأنت صاحب طيلسان ، فكيف أعفو وأنا صاحب سيف . واللِّبَد : جمع لِبْدة قياساً وهي شعر زبرة الأسد . وأمطى وامتطى . ركب . واللِّبْد : ما يجعل على ظهر الفرس تحت السرج .

(٥) بنو قُرَّة : قبيلة من عرب البحيرة في مصر شقت عصا الطاعة سنة ٤٤٣ فجهز إليهم اليازوري جيشاً بقيادة ناصر الدولة الحسن بن حمدان فكسروا وفروا الى برقة . انظر أخبار مصر لابن ميسر ص ٦ . والإشارة إلى من نال الوزارة لابن الصيرفي ص ٤٢ .

(٦) وقرة لما أن عصتك أحلتها نعائم دوٍّ لا تمنّع من طرد (ل)

ضَرَاغِمُ (١) جَازَتْ طَوْرَهَا فَأَحَلْتَهَا ⁂ نَعَائِمَ دَوٍّ لَا تَمَنَّعُ مِنْ طَرْدِ
مُصَعْصَعَةَ الْأَعْوَانِ نَابِيَةَ الشَّبَا ⁂ مُضَعْضَعَةَ الْأَرْكَانِ كَابِيَةَ الزَّنْدِ (٢)
عَضَدْتَ (٣) السُّيُوفَ فَانْبَرَتْ شَفَرَاتُهَا ⁂ مُحَكَّمَةً فِي كُلِّ مُحْكَمَةِ السَّرْدِ
وَلَوْ لَمْ يُؤَيِّدْهَا اعْتِزَامُكَ فُضِّلَتْ ⁂ صِنَاعَةُ دَاوُدٍ عَلَى صَنْعَةِ الْهِنْدِ (٤)
وَمُنْذُ نَصَرْتَ الدِّينَ ظَلَّتْ جُيُوشُهُ ⁂ مُظَفَّرَةَ الرَّايَاتِ مَنْصُورَةَ الْجُنْدِ
وَلَوْ لَمْ (٥) تَدَعْ جُنْداً عَزَائِمُ لَوْ رَمَى ⁂ بِهَا سُدَّ يَأْجُوجٍ مَرَقْنَ مِنَ السَّدِّ ؟
بِعِزٍّ مَطُولٍ فِي عُلاً وَجَلَالَةٍ ⁂ وَغَيْرِ مَطُولٍ فِي وَعِيدٍ وَلَا وَعْدِ
لَهُ سُورَةٌ أَعْيَا الْمُلُوكَ ادِّعَاؤُهَا ⁂ وَسَوْرَةُ عِزٍّ دُونَهَا سَوْرَةُ الْأُسْدِ (٦)
وَعَزْمُكَ لَا يَنْبُو فَدُمْ قَاطِعاً بِهِ ⁂ يَداً حَمَلَتْ كَفَّ الْعُقُوقِ مِنَ الزَّنْدِ
تُبَالِغُ (٧) فِي بَسْطِ الرَّدَى غَيْرَ مُعْتَدٍ ⁂ وَتُسْرِفُ فِي بَذْلِ النَّدَى غَيْرَ مُعْتَدِّ

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)
(٢) مصعصعة : مفرّقة .
(٣) عصدت (ل)
(٤) يريد بصناعة داود : الدروع . وبصنعة الهند : السيوف .
(٥) وإن لم تدع حقداً عزائم لو رُمِي
بها سُدُّ يأجوج مرقن من السُّدِّ (ل)
(٦) السُّورة : بالضم المنزلة . وسَوْرة العز : أثره وعلامته وارتفاعه .
وسَوْرة الأسد : حدّتها .
(٧) يبالغ ... (ل) ومحله فيها قبل سابقه .

فَلاَ (١) تُمْهِلَنَّ مُظْهِراً لَكَ طاعَةً ... فَإِنِّي أَراهُ مُضْمِراً ضِدَّ ما يُبْدِي
يُقِرُّ بِها (٢) بِالْقَوْلِ إِقْرارَ مُسْلِمٍ ... وَيُنْكِرُها بِالْفِعْلِ إِنْكارَ مُرْتَدِّ
فَشَرِّقْ بِرَأْيٍ مَهَّدَ الْغَرْبَ مُوقِناً ... بِتَمْهِيدِ ما بَيْنَ الْعِراقَيْنِ وَالسِّنْدِ (٣)
لَعَمْرِي لَقَدْ حازَتْ يَداكَ فَضائِلاً ... تَسُدُّ عَلَى حُسّادِها طُرُقَ الْجَحْدِ (٤)
فَلاَ يَتَظَنَّوْا أَنَّها مُسْتَجَدَّةٌ ... فَإِنَّكَ مَهْدِيٌّ إِلَيْها مِنَ الْمَهْدِ
فَلِلَّهِ هٰذا السَّعْيُ كَمْ فاتَ طالِباً ... وَكَمْ فَلَّ مِنْ خَطْبٍ وَكَمْ فَتَّ في عَضْدِ (٥)
وَهَلْ لِلْمُعَنَّى (٦) ظَلَّ يَحْسُدُكَ الْعُلَى ... سِوَى الْأَمَلِ الْمَكْدُودِ وَالطَّلَبِ الْمُكْدِي
تَقاصَرُ أَعْلامُ الْبِلادِ لِأَيْنُقِي ... فَهَلْ عَلِمَتْ قَصْدِيكَ يا عَلَمَ الْمَجْدِ
وَهَلْ شَفَّ كُومَ الْعِيسِ شَوْقٌ مُبَرِّحٌ ... كَشَوْقِي فَلَجَّتْ فِي الذَّمِيلِ وَفِي الْوَخْدِ
إِلَى مَلِكٍ يَلْقاهُ عافِي نَوالِهِ ... بِعِزَّةِ مَجْدٍ لاَ بِذِلَّةِ مُسْتَجْدِي
وَأَرْوَعَ لاَ يَقْضِي عَلَى الْجُودِ لِلْغِنَى ... وَلٰكِنَّهُ (٧) يَقْضِي عَلَى الْوَفْرِ لِلْوَفْدِ
أَيا مَنْ نُفُوسُ الْخَلْقِ بَعْضُ هِباتِهِ ... تَعَذَّرَ (٨) مَنْ يُسْدِي النَّوالَ كَما تُسْدِي

(١) ولا تهملن ... (ل)
(٢) يُقِرُّ لها ... (ع) و (م)
(٣) والسد (ل)
(٤) طرق الحمد ؟ (ل)
(٥) من عضد (ع) و (م)
(٦) وهل لِلْمُعَنَّى (ل)
(٧) ولكننا ... (ل)
(٨) تعذَّر مَنْ يُسدي النوال الذي يُسدي (ل)

وَيا مَنْ يَرى بِالْقاصِدِيهِ كَما يَرى … أَخُو صَبْوَةٍ بِالْوَصْلِ فِي عَقِبِ الصَّدِّ
لَقَدْ مُدِحَ الْأَجْوادُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ … وَما وَجَدُوا بِالْمَكْرُماتِ كَذا الْوَجْدِ
وَشَبَّهَ عَنْ جَهْلٍ حَبِيبٌ (١) وَلَوْ رَأى … زَمانَكَ لَمْ يَعْدِلْ (٢) بِهِ زَمَنَ الْوَرْدِ
لَئِنْ صَحَّ أَنَّ الْعَدْلَ فِي الْعُمْرِ زائِدٌ … فَأَيْسَرُ ما تَأْتِيهِ يُفْضِي (٣) إِلى الْخُلْدِ
وَإِنْ سُدْتَ فِي الْأَيّامِ كُلَّ مُسَوَّدٍ … لَقَدْ ذُدْتَ مِنْ أَحْداثِها (٤) كُلَّ مُسْوَدِّ
لِيَهْنِكَ ما أَصْفَتْكَ أَلْسِنَةُ الْوَرى … مِنَ الشُّكْرِ عَفْواً وَالْقُلُوبُ مِنَ الْوُدِّ
قُلُوبٌ ذَعَرْتَ الْخَوْفَ عَنْها بِضِدِّهِ … فَأَنْتَ بِها أَحْلى مِنَ الْمالِ وَالْوُلْدِ
بَقِيتَ لِمَوْلانا فَأَهْلُ بِلادِهِ … بِذَبِّكَ وَالْإِحْسانِ فِي زَمَنٍ رَغْدِ
وَإِنَّ خَطِيرَ مُلْكِهِ (٥) وَصَفِيَّهُ … بِرَبْعِكَ نَوْءا رَحْمَةٍ كَوْكَبا سَعْدِ

---

(١) حبيب : هو أبو تمّام الطائي . ويريد بقوله (وشبّه عن جهلٍ حبيبٌ ...) قول أبي تمام في موسى بن إبراهيم الرافقي :

ومن زمنٍ ألبستَنيه كأنه … اذا ذُكرتْ أيامُه زمن الوردِ

« ديوان أبي تمام ص ١٢٩ »

(٢) لم يعدل إلى زمن الورد (ل)

(٣) مُفْضٍ . . . (ل)

(٤) من أخدانها (ع) و (م)

(٥) خطير الملك : ابن الوزير اليازوري واسمه محمد بن الحسن ناب عن والده في قضاء القضاة والوزارة وغير ذلك وسار إلى الشام سنة ٤٤٨ بعساكر جمة فأصلح أموره . (أخبار مصر لابن ميسر ص ٩) ولعل صفي الملك أخو خطير الملك .

هُمامانِ قَدْ سَنّا مِنَ ٱلْعَدْلِ سُنَّةً يُقَصِّرُ عَنْ تَعْدِيدِها[1] لَدَدُ ٱللُّدِّ

أَلا إِنَّني أَضْرَبْتُ عَنْ كُلِّ مَطْلَبٍ سِواكَ فَعَدَّيْتُ ٱلثِّمادَ إِلى ٱلْعِدِّ

تَرَكْتُ ظِلالاً يُسْتَظَلُّ بِغَيْرِها وَمِلْتُ إِلى ظِلٍّ عَلى[2] ٱلْخَلْقِ مُمْتَدِّ

وَقُلْتُ لِأَيّامي بَلَغْتُ مَدى ٱلْعُلى تَخَلِّي خِناقَ ٱلْحَظِّ إِنْ شِئْتِ أَوْ شُدِّي

وَقَدْتِهْتُ فِي طُرْقِ ٱلنَّباهَةِ[3] فَٱهْدِني إِلَيْها فَما يَخْشى ٱلضَّلالَةَ مَنْ تَهْدي

فَعِنْدي مِنَ ٱلْإِقْدامِ ما عِنْدَ أُسْرَتي وَماعِنْدَهُمْ مِنْ وَصْفِ مَجْدِكَ ماعِنْدي

وَأَيْسَرُ ما أَسْعى لَهُ ٱلْفِقَرُ ٱلَّتي تُعَجِّزُ مَنْ قَبْلي وَتُعْجِزُ مَنْ بَعْدي

أَشَفُّ مِنَ ٱلْبُرْدِ ٱلْمُحَبَّرِ مَلْبَساً وَأَسْرَعُ فِي قَطْعِ ٱلْبِلادِ مِنَ ٱلْبُرْدِ[4]

قَوافٍ إِذا أُنْشِدْنَ لَمْ يَدْرِ سامِعٌ رَقَتْ مِنْ دِمَشْقٍ أَوْ تَحَدَّرْنَ مِنْ نَجْدِ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فَضْلُ ٱلْمَحامِدِ باهِراً لَما ٱفْتُتِحَ ٱلذِّكْرُ ٱلْمُنَزَّلُ بِٱلْحَمْدِ

فَلا[5] زِلْتَ مِنْهُ لابِساً كُلَّ حُلَّةٍ يُفَضِّلُ رَيّاها عَلى أَرَجِ ٱلنَّدِّ

وَلا زالَتِ ٱلْأَعْيادُ تَأْتي وَتَنْكَفِي وَأَنْتَ عَلِيُّ ٱلذِّكْرِ وَٱلْقَدْرِ وَٱلْمَجْدِ

---

(١) يقصّر عن تعديدها ألسن العد (ل)

(٢) على الأرض ممتد (ل)

(٣) في طرق الضلالة ؟ (ل)

(٤) هذا البيت ساقط من (ل)

(٥) ولا زلتَ ... (ع) و (م)

٣٥

وقال (١) يمدح محمود بن صالح (٢) وقد ركب معه يرى المد (٣)

أرى الْأَرْضَ تُثْنِي بِالنَّبَاتِ عَلَى الْحَيَا ... وَلَوْ تَسْتَطِيعُ النُّطْقَ خَصَّتْكَ بِالْحَمْدِ

فَلَوْ لَمْ تُعَلِّمْ كَفُّكَ السُّحْبَ النَّدَى ... لَمَا أَنْجَدَتْ مِنْ قَحْطِ أَعْوَامِهَا الْجُرْدِ (٤)

بِكَ افْتَرَتِ الْأَيَّامُ عَنْ نَاجِذِ الْغِنَى ... وَغَرَّدَ طَيْرُ الْعَيْشِ فِي الزَّمَنِ الرَّغْدِ

وَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مُظْهِرُ آيَةٍ ... تَجِيءُ بِإِعْجَازٍ يَفُوتُ مَدَى الْحَدِّ (٥)

عَهِدْنَا مُدُودَ الْأَرْضِ تَأْتِي بِحَارَهَا (٦) ... وَلَمْ نَرَ بَحْراً قَطُّ سَارَ (٧) إِلَى مَدِّ

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك « وقال أيضاً » وقد وردت هناك بعد قصيدة أولها : « عليّ لها أن أحفظ العهد والودا » يمدح بها سابق بن محمود بن نصر بن صالح .

(٢) هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦) وفي زبدة الحلب لابن العديم – مخطوط – أن ابن حيُّوس قال هذه الأبيات بديهاً في نصر بن محمود بن نصر وقد خرج ينظر المد في قويق فأعطاه صلة جزيلة .

(٣) المدُّ : السيل وارتفاع الماء وامتداده .

(٤) فلو لم تعلم كفك الأفق الندى ... لما انجردت من قحط أعوامها الجرد (ل)

(٥) هذا البيت ساقط من (ل)

(٦) بحورها (زبدة الحلب)

(٧) صار (ل)

٣٦

وقال (١) يمدح الوزير البابلي (٢) بعد وزارته بعد الوزير ابن المغربي

أَمَّا الزَّمَانُ فَقَدْ أَلْزَمْتَهُ الْجُدُدَا وَالْمَكْرُمَاتُ فَقَدْ أَنْشَأْتَهَا جُدُدَا

فَعَاوَدَ الْخَوْفُ أَمْناً وَالْمُبَاحُ حِمىً وَالْجَدْبُ فِي الْأَرْضِ خِصْباً وَالضَّلَالُ هُدَى

وِزَارَةٌ لَوَتِ الْأَعْنَاقَ خَاضِعَةً لِعِزِّهَا وَعَهِدْنَا لِيتَهَا صِيَدَا

فَارَقْتَهَا لَا كَغَيْثٍ صَدَّ عَنْ بَلَدٍ يَشْكُو الظَّمَا (٣) بَلْ كَرُوحٍ فَارَقَتْ جَسَدَا

وَعُدْتَ وَالنَّوْمُ قَدْ أَلْوَتْ بِهِ فِتَنٌ لِأَجْلِهَا ذُمَّ عَيْشٌ طَالَمَا حُمِدَا

فَقُمْتَ فِي كَفِّ كَفِّ الْخَطْبِ حِينَ سَطَا وَنُبْتَ فِي صَرْفِ صَرْفِ الدَّهْرِ حِينَ عَدَا

وَهَلْ نَذُمُّ زَمَاناً مَا أَسَاءَ بِنَا إِلَّا لِيُحْسِنَ فِي إِنْجَازِ مَا وَعَدَا (٤)

(١) عنوان هذه القصيدة في (ل) كما يلي : « وقال أيضاً يمدح الوزير أبا الفرج البابلي »

(٢) هو أبو الفرج عبد الله بن محمد البابلي ، ولي وزارة المستنصر الفاطمي ثلاث دفعات الأولى في المحرم سنة ٤٥٠ بعد الوزير اليازوري وصرف بعد شهرين وأربعة عشر يوما . والثانية في شهر رمضان سنة ٤٥٢ بعد الوزير أبي الفرج ابن المغربي وأقام أربعة أشهر ، وفي هذه المدة نظمت هذه القصيدة . والثالثة في شهر ربيع الأول سنة ٤٥٤ فأقام خمسة أشهر واستقال .

« الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٦ وأخبار مصر لابن ميسر ص ٣٢ »

(٣) تشكو (ع) و (م)

(٤) هذا البيت ساقط من (ل)

يُثْني(١) عليْهِ وَإنْ أَضْحى يُعنِّفُهُ   مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ مَعْناهُ ٱلَّذي قَصَدا
فَكَمْ(٢) لَهُ عِنْدَنا مِنْ مِنَّةٍ عَظُمتْ   وَنِعْمَةٍ لاَ يُؤَدَّى شُكْرُهَا أَبَدا
خُطُوبُهُ(٣) لَكَ بِالْإِعْجابِ خاطِبَةٌ   وَجَوْرُهُ لَكَ بِالْإِعْجازِ قَدْ شَهِدا
إِنَّ ٱلْإِمامَ حَمَى ٱلْمُلْكَ ٱلْأَعَزَّ عَنْ   لاَ تَسْتَطِيعُ ٱللَّيَالِي حَلَّ مَا عَقَدا
تَصَفَّحَ ٱلنَّاسَ ثُمَّ ٱخْتَارَ أَحْسَنَهُمْ   فِيهِ وَفي بَيْتِهِ رَأْياً وَمُعْتَقَدا
أَعَدَّ لِلْبَعْثِ ذُخْراً مِنْ وَلاَئِهِمُ   يَبْقَى إِذَا كُلُّ ذُخْرٍ صَالِحٍ نَفِدا
وَلَمْ تَزَلْ(٤) فِي ٱجْتِياحِ ٱلْإِفْكِ مُنْصَلِتاً   وَفي جِهادِ عُداةِ ٱلدِّينِ مُجْتَهِدا
مُعَظَّماً قَبْلَ تَعْظِيمِ ٱلْإِمامِ لَهُ   وَٱلسَّيْفُ يُخْشَى وَيُرْجَى سُلَّ أَوْ غُمِدا
مَتَى تَزُرْهُ لِعِلْمٍ وَٱكْتِسَابِ غِنًى   فَاضَ ٱلنَّدِيُّ بَيَاناً وَٱلْبَنانُ نَدا
يُخَجِّلُ ٱلدِّيمَةَ ٱلْوَطْفَاءَ مُخْتَصِراً   وَيَسْبِقُ ٱلْحَرْجَفَ(٥) ٱلنَّكْبَاءَ مُتَّئِدا
وَمَاجِدٌ لِسِوَى ٱلْعَلْيَاءِ مَا خُلِقَتْ   أَخْلاَقُهُ وَلِغَيْرِ ٱلْفَضْلِ مَا وُلِدا
رَمَى ٱلْحَوادِثَ عَنْ بُعْدٍ فَأَقْصَدَها   بِعَزْمِهِ وَسَأَلْنَاهُ فَمَا ٱقْتَصَدا
وَهَلْ يُقارِعُ يَوْماً رَبُّ مَمْلَكَةٍ   عَلَى ٱلْمَكِينِ ٱلْحَفِيظِ ٱلْأَوْحَدِ ٱعْتَمَدا
وَكَيْفَ يَعْدُوكَ وَٱلْأَيَّامُ عادِيَةٌ   مَنْ رَامَ مِثْلَكَ فِي ٱلدُّنْيا فَمَا وَجَدا

(١) تثني (ل)
(٢) وكم ... (ل)
(٣) خطوبه لك بالإجلال قاطبه ... (ل) (٤) كذا ولعله (وَلَمْ يَزَلْ)
(٥) الحرجف : الريح الشديدة الهبوب .

إنَّ السَّعادَةَ عمّتْ مُذْ خُصِصْتَ بِها فَاُسْلَمْ عَلى رَغْمِ حُسَّادٍ وَكَبْتِ عِدا

أَخْفَوْا[١] ضِباباً كُداها[٢] في صُدورِهِمُ وَهُمْ ضِبابٌ لَها فَرْطُ الخُضُوعِ كُدا

فَلا تَرُعْهُمْ وَكُنْ مِنْهُمْ عَلى ثِقَةٍ أنَّ الحِمامَ إِلَيْهِمْ يَسْبِقُ الكَمَدا

وَجِلَّةُ القَوْمِ قاتِلُهُمْ بِسَعْيِهِمُ فِيما تُحِبُّ وَلا تَسْتَصْغِرِ النَّقَدا[٣]

فَلَنْ[٤] يَعُزَّ[٥] عَمُودُ البَيْتِ صاحِبَهُ وَرُبَّما عَزَّهُ أَنْ يَقْلَعَ الوَتِدا

وَذا مَقــالُ غَنِيٍّ عَنْ هِدايَتِهِ مَنْ مُذْ تَنَبَّهَ لِلْعَلْياءِ ما رَقَدا

إِنِّي بِذا النُّصْحِ لَمَّا عَنَّ في خَلَدي كَالْخُلْدِ دَلَّ عَلى حيس[٦] الفَلا الأَسَدا

رُقْتَ الإِمامَةَ في قَوْلٍ[٧] وَفي عَمَلٍ فَبُلِّغَتْ بِكَ هٰذا المُرْتَقى الصُّعُدا

فَاشْكُرْ خَلِيلَ أَميرِ المُؤْمِنينَ لِمَنْ أَعْطاكَ[٨] مَنْزِلَةً لَمْ يُعْطِها أَحَدا

---

(١) الضباب : جمع ضب والضب : حيوان بري يشبه الورل ، ومن معاني الضب الغيظ والحقد الخفي . والكُدى جمع كُدْيَة وهي الأرض الغليظة الصلبة يقال ضبُّ الكدية وضباب الكدى لولعها بحفرها . والكدى أيضاً المقابر .

(٢) كُداهُمْ (ع) و (م)

(٣) النَّقَد جنس من الغنم قبيح الشكل قصير الأرجل ، والسفل من الناس .

(٤) ولن ... (ل)

(٥) عَزَّ : غلب .

(٦) حسن الفلا (ل) جيش الفلا (ع) ولعل الصواب خُنَّس الفلا أي ظباء الفلا .

(٧) كان الوزير البابلي مذكوراً بالبلاغة (الاشارة إلى من نال الوزارة ص ٤٦)

(٨) أصفاك منزلة (ل)

وَاحْكُمْ عَلَى كُلِّ مَنْ رامَ الْعِنادَ لَهُ ... بِحُكْمِ (١) جَدِّكَ في النُّعْمانِ (٢) إذْ عَنَدا

كَذَبْتَ بِالْعَدْلِ إذْ أَصْبَحْتَ باسِطَهُ ... مَنْ قالَ كِسْرى (٣) أَنُوشِرْوانُ قَدْ فُقِدا

وَأَوْرَدَتْكَ سَجاياكَ الَّتي شَرُفَتْ ... مِنَ النَّباهَةِ بَحْراً قَطُّ ما وُرِدا

وَهِيَ الْفَضائِلُ مَنْ أَعْلَيْنَ رُتْبَتَهُ ... طالَ الْأَنامَ وَمَنْ أَفْرَدْنَهُ انْفَرَدا

آزَرْتَ (٤) أَرْبابَ هٰذا الْأَمْرِ آوِنَةً ... عِزّاً لِمَنْ ذَلَّ نَهّاضاً لِمَنْ (٤) قَعَدا

هَلْ كُنْتَ (٥) فِي الْقَوْمِ إلّا بانِياً شَرَفاً ... وَمُصْلِحاً فاسِداً أَوْ مُوضِحاً رَشَدا

تُبّاعُ رَأْيِكَ ما أَهْمَلْتَهُ اطَّرَحُوا ... فِيهِ (٦) الْكَلامَ وَما مَثَّلْتَهُ اعْتَمَدا

ضافَرْتَ (٧) أَرْبَعَةً مِنْهُمْ (٨) سَلَكْتَ بِهِمْ ... طَرائِقاً ضَلَّ عَنْها مَنْ تَرَكْتَ سُدى

(١) كحكم جدك ... (ل)

(٢) النعمان بن المنذر اللخمي ملك الحيرة ، غضب عليه كسرى أبرويز فعزله ونفاه الى خانقين فسجن فيها إلى أن مات . والبيت يدل على أن الوزير البابلي من أصل فارسي .

(٣) كسرى أنوشروان بن قباد من أشهر ملوك الفرس . وفي (ل) : شَرْوَى أنوشروان .

(٤) لَزُرْتَ (ل) كذا ولعله (بِمَنْ)

(٥) هل كنت إلاّ لقوم الأنبيا شرفاً أو مصلحاً ... (ل)

(٦) من الكلام ... (ل)

(٧) ظافرت ... (ع) و (م)

(٨) يريد أنه كتب لأربعة من الوزراء قبل أن يلي الوزارة عرفنا منهم ثلاثة . فقد ورد في كتاب الإشارة إلى من الوزارة ص ٤٦ أنه كان يكتب عن الوزير عميد الدولة الحسن بن صالح ، وكتب عن الوزير علي بن أحمد الجرجرائي ، وعن الوزير الحسن بن علي اليازوري .

وَما أَتىٰ مِنْكَ فِعْلٌ أَوْ أَمَرْتَ بِهِ يَسْتَصْحِبُ ٱللَّوْمَ أَوْ يَسْتَلْحِقُ ٱلْفَنَدا
أَبُوكَ تاجٌ بِهِ تَزْهُو ٱلْكِتابَةُ إِنْ باهَتْ وَجَدُّكَ ذُو ٱلتَّاجِ ٱلَّذِي عُقِدا
اَلْباعِثُ ٱلْخَيْلَ لا تُثْنىٰ أَعِنَّتُها إِذا ٱلنَّجِيعُ عَلَيْها خالَطَ ٱلنَّجَدا(١)
تَرْدِي(٢) بِأُسْدٍ إِذا ما حُورِبَتْ غَنِيَتْ بِصِدْقِ إِقْدامِها أَنْ تَطْلُبَ ٱلْمَدَدا
إِنْ قاتَلُوا أَلْزَمُوا ٱلْأَعْداءَ طاعَتَهُمْ قَهْراً وَإِنْ قَتَلُوا لَمْ يُلْزَمُوا قَوَدا(٣)
مآثِرٌ عُدِمَتْ أَشْباهُها وَعُلًى حَوَيْتَ مُطَّرَفاً مِنْها وَمُتَّلَدا
فِداءُ هٰذِي ٱلْمَساعِي(٤) كُلُّ مُنْتَحِلٍ عَنْ حَوْضِها ذِيدَ أَوْ عَنْ رَوْضِها طُرِدا
يَظُنُّ(٥) ظَنَّ أُناسٍ أَنَّهُمْ نَظَرُوا إِلىٰ ٱلسُّهىٰ بِعُيُونٍ تَشْتَكِي ٱلرَّمَدا
وَكَيْفَ يَرْجُو مُرَجٍّ نَيْلَ غايَتِها وَما(٦) جَعَلْتَ لَها حَدًّا وَلا أَمَدا
عَمَمْتَ بِٱلْجُودِ حَتَّىٰ لَمْ تَدَعْ أَمَلاً وَبِٱلتَّجاوُزِ حَتَّىٰ ما بَسَطْتَ يَدا(٧)
ما حِدْتَ عَنْ آيَةٍ فِي ٱلْعَفْوِ مُنْزَلَةٍ وَلا نَبَذْتَ حَدِيثاً فِيهِ قَدْ وَرَدا

---

(١) النجيع : الدم ، والنجد : العَرَق .
(٢) رَدَتِ الفرس : رجمت الأرض بحوافرها .
(٣) القَوَد : القصاص . وفي (ع) و (م) : قهراً وإن قوتلوا لم يلزموا القودا .
(٤) فداء هذي الموالي ... (ل)
(٥) تظن ...؟ (ل)
(٦) ولا جعلت . . (ل)
(٧) ما بسطت رِدا ؟ (ل)

إنِّي لأَعْجَبُ مِنْ مُثْرٍ مُؤَمَّلُهُ مُكْدٍ وَأَعْجَبُ مِنْهُ قادِرٌ حَقَدا
ضَلاَّ وَلَوْ هُدِيا سَدَّ الْمَفاقِرَ ذا وَأَجْمَلَ الصَّفْحَ ذا أَوْ قَوَّمَ (١) الْأَوَدا
فَكَمْ غَمَرْتَ أَكُفَّ الطَّالِبِينَ لُهًى مَلأْتَ (٢) أَلْفًا فَأَلْفًا لا يَدًا فَيَدا
كَفاكَ عَزْمُكَ إرْسالَ الْوَعِيدِ لَهُ طَلِيعَةً وَوَحِيُ (٣) الْجُودِ أَنْ تَعِدا
فَلَيْسَ (٤) يَلْقاكَ مَأْمُورٌ بِمَعْصِيَةٍ إلاَّ نَدًى (٥) طالَمَا أَخْفَيْتَهُ فَبَدا
بَدَدْتَ وَفْرَكَ فِي فَرْضٍ وَنافِلَةٍ وَسُنَّةٍ فَجَمَعْتَ السُّؤْدُدَ الْبَدَدا
وَالْمالُ كالرُّمْحِ لاَ يُرْجَى لِصائِنِهِ ثَناءُ جاعِلِهِ فِي أُسْرَةٍ قِصَدا (٦)
لِلّٰهِ (٧) جَدُّكَ ما أَعْلَى وَحَدُّكَ ما أَمْضَى وَجِدُّكَ ما وَطَّى وَما مَهَدا
مَناقِبٌ عَجْزُ مَنْ رامَ اللَّحاقَ بِها كَعَجْزِ مَنْ رامَ أَنْ يُحْصِيَ لَها عَدَدا

---

(١) أو قوّما الأودا (ل)

(٢) مَلأنَ ... (ل)

(٣) ورجاء الجود ... (ل)

(٤) فليس يلقاك مأثور بمعرفة (ل)

(٥) إلاّ بذي ...؟ (ع) و (م)

(٦) الأسرة : الدرع الحصينة . والقِصَدُ : جمع قِصْدة وهي القطعة مما يكسر من الرمح وفي (ل) ورد هكذا :
والمال كالرمح لا يرجى لصايبه ثناء عاجلة في اثره قصدا

(٧) لله حدك ما أمضى وجدك ما أعلى وجدك ما أوطى وما مهدا (ل)

يَسُومُها مُعْوِزٌ(١) مِمَّا يُنَالُ بِهِ   وَشَأْنُ مِثْلِ الْفَتَى تَقْرِيبُ ما بَعُدا
كَقائِلٍ بِلِسانٍ لَمْ يَحُطْهُ فَمٌ   وَصائِلٍ(٢) بِذِراعٍ زايَلَتْ عَضُدا
أَوْ عاشِقٍ وَصَلَ(٣) الْمَعْشُوقَ هِجْرَتَهُ   مُسْتَيْقِظاً وَهْوَ وَصَّالٌ إِذا هَجَدا
فَلْيَخْلُ ذُو الأَمَلِ الطَّمَّاحِ مِنْ تَعَبٍ(٤)   يُضِيمُهُ وَلْيُخَلِّ الْحاسِدُ الْحَسَدا
إِنِّي وَجَدْتُ لِطَرْفِ الْعَيْنِ مِنْكَ عُلىً   سَما لَها(٥) وَلِطَرْفِ الْمَدْحِ مُطَّرَدا
فَحازَ نَيْلاً لِراوِيهِ وَقائِلِهِ   وَحافِظِيهِ وَمَنْ غَنَّى بِهِ(٦) وَشَدا
إِلى الْمَواطِنِ(٧) سَيَّارٌ وَإِنْ بَعُدَتْ   وَفِي الْحَيازِمِ مَعْقُولٌ وَإِنْ شَرَدا
بَقِيتَ ما دامَتِ الأَعْيادُ عائِدَةً   وَطالَ عُمْرُكَ كَيْ تَسْتَنْفِدَ الأَبَدا

(١) يسومها معجزاً مما تنال به (ل)
(٢) وزايل بذراع فاته عضدا ؟ (ل)
(٣) لازم المعشوق هجرته (ل)
(٤) ... الطمّاح في أمل (ل)
(٥) سما بها (ع) و (م)
(٦) بها (م)
(٧) الى المواطن مشتاق ... (ع) و (م)

٣٧

وقال (١) يمدح نصر بن محمود (٢) ويهنيه بفتح حصن منبج (٣)

شَرَفُ الْمُلُوكِ عَدَتْ مَعَالِيكَ الْمَدَى فَبَقِيتَ مَحْرُوساً عَلَى (٤) رُغْمِ الْعِدَا
عَجَباً لِكَفِّكَ كَيْفَ (٥) تُمْطِرُهُمْ رَدًى يَوْمَ الْكَرِيهَةِ وَهْيَ مِنْ سُحُبِ النَّدَا
رُمْ (٦) مَا تَشَاءُ يَهُنْ عَلَيْكَ عَسِيرُهُ وَابْغِ الْبَعِيدَ فَإِنَّهُ لَنْ يَبْعُدَا
وَلْيَهْنِكَ الظَّفَرُ الَّذِي بِحُلُولِهِ رَدَّ الضَّلَالَ الْحَقُّ وَانْتَصَرَ الْهُدَا
وَطَرِيدَةٍ (٧) لِلدَّهْرِ أَنْتَ رَدَدْتَهَا قَسْراً فَكُنْتَ السَّيْفَ يَقْطَعُ مُغْمَدا

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدح نصر بن محمود بن صالح ويهنيه بفتح حصن منبج »

(٢) هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)

(٣) كان ذلك سنة ٤٦٨ كما ورد في الكامل لابن الأثير ج ١٠ ص ٣٥

(٤) ... وإن رَغمَ العدى (ل)

(٥) ... حين تمطرهم (ل)

(٦) من تشاء (ل)

(٧) قال ابن العديم في زبدة الحلب (مخطوط) : وجهّز نصر (بن محمود) عساكره إلى منبج صحبة أحمد شاه وكانت في أيدي الروم فحاصرها مدة وأيس والیها من نجدة ثانية فسلّمها في صفر سنة ثمان وستين وأربعماية فقال في ذلك ابن حيّوس من قصيدة :

« وطريدةٍ للدهر أنت رددتها قسراً فكنت السيف يقطع مغمدا »

عَجَزَ ٱلْأَنَامُ وَذُدْتَ عَنْهَا قَاهِراً … زَمَناً سَطَا فِي[1] عَصْرِ غَيْرِكَ وَٱعْتَدَا

فَتْحٌ تَقَدَّمَ كُلَّ فَتْحٍ قَبْلَهُ … لِيَكُونَ فِي ٱلْآفَاقِ مِثْلَكَ مُفْرَدَا

وَأَقَامَ لِلدِّينِ ٱلْحَنِيفِ عِمَادَهُ … فَأَقَامَ عُبَّادَ ٱلْمَسِيحِ وَأَقْعَدَا

وَلَوِ ٱنْتَحَاهُ سِوَاكَ لَاقَى دُونَهُ … بَاباً بِحَدِّ ٱلْمَشْرَفِيَّةِ مُوصَدَا

وَعَصَائِباً كَانُوا أُسُودَ خَفِيَّةٍ … فَأَحَلْتَهُمْ مِثْلَ النَّعَامِ مُشَرَّدَا

عَلِمُوا بِأَنَّ نُفُوسَهُمْ مَأْسُورَةٌ … فِي حِصْنِهِمْ وَبِغَيْرِهِ لَا تُفْتَدَا[2]

زَهَّدْتَهُمْ فِيهِ وَحَقَّ لِرَاغِبٍ … وَجَدَ ٱلْحِمَامَ مُزَهِّداً أَنْ يَزْهَدَا

خَافُوا ٱلْمُقَامَ بِمَنْبِجٍ فَتَيَمَّمُوا … غَيْثاً يُرَوِّي فِي ٱلْمُحُولِ وَيُجْتَدَا

وَغَمَامَةً سَحَّتْ هُنَاكَ صَوَاعِقاً … حَتَّىٰ إِذَا وَصَلُوكَ سَحَّتْ عَسْجَدَا

وَجَرَيْتَ فِي سَنَنِ ٱلْوَفَاءِ فَلَوْ جَرَىٰ … يَبْغِي مَحَجَّتَكَ ٱلسَّمَوْءَلُ[3] مَا ٱهْتَدَا

وَعَضَدْتَ بِٱسْمِكَ أَهْلَ دِينِكَ قَاهِراً … أَنْصَارَ عِيسَىٰ مُذْ نَصَرْتَ مُحَمَّدَا

وَلَقَدْ تَرَكْتَ ٱلرُّومَ مِمَّا نَالَهُمْ … مُتَعَوِّضِينَ مِنَ ٱلْمَعَاقِلِ بِٱلْكُدَا

خَنَعُوا فَمَا ٱمْتَنَعُوا فَكَيْفَ بِهِمْ إِذَا … زُرْتَ ٱلْخَلِيجَ بِكُلِّ أَسْمَرَ أَمْلَدَا

فَٱقْرَعْ بِهَا أَبْرَاجَ قُسْطَنْطِينَةٍ … فَٱلْمُنْتَهَى تَبَعٌ لِهَٰذَا ٱلْمُبْتَدَا

---

(١) في غير عصرك واعتدا (ل)

(٢) لا يفتدى (ل) لا يقتدى (ع) و (م) . وما أثبتناه هو الصواب .

(٣) السموأل بن عادياء الأزدي الغساني شاعر جاهلي يضرب به المثل في الوفاء .

وَأعْلَمْ بِأَنَّكَ ما تَمُرُّ (١) بِبِيعَةٍ | فِي أَرْضِهِمْ إِلاَّ وَصارَتْ مَسْجِدا
فِي كُلِّ أَرْوَعَ لاَ يُراعُ إِذَا ٱلْوَغَى | شُبَّتْ وَلاَ يُعْدَى عَلَيْهِ إِذا عَدَا
وَحَلِيفِ عِزٍّ لاَ يَلَذُّ لَهُ ٱلْكَرَى | إِنْ لَمْ (٢) يَبِتْ لِذِراعِهِ مُتَوَسِّدَا
يَنْفِي ٱلظُّلاَمَةَ بِٱلْحَدِيدِ مُذَلَّقَا | أَبَداً وَيَجْتابُ ٱلْحَدِيدَ مُسَرَّدَا (٣)
وَإِذَا عَزَمْتَ (٤) عَلَى قِراعِ مُخالِفٍ | فَٱسْلُلْ عَلَيْهِ مِنْ سُيُوفِكَ أَحْمَدا (٥)
سَيْفٌ تَخَيَّرَهُ أَبُوكَ فَراقَهُ | فِي حالَتَيْهِ مُغْمَداً وَمُجَرَّدَا
عَضُدٌ إِذَا عُدِمَ ٱلْمُعاضِدُ ناصِحٌ | إِذْ يُسْتَشارُ مُظَفَّرٌ إِنْ أَنْجَدَا
بِمَضاءِ عَزْمِكَ أَدْرَكَ ٱلْعِزَّ ٱلَّذِي | لاَ يُدَّعَى وَبِيُمْنِ جَدِّكَ أُيِّدَا
وَكَفاهُ عِلْمُكَ أَنَّهُ ٱلرَّجُلُ ٱلَّذِي | فاتَ ٱلْكُفاةَ تَشَدُّداً وَتَسَدُّدَا
إِنَّ ٱلْخِلاَفَةَ مُذْ دَعَتْكَ حُسامَها | وَرَدَتْ بِجَدِّكَ مَنْهَلاً لَنْ يُورَدَا
فَلْيَشْكُرَنَّكَ مَنْ تَعِبْتَ مُشَمِّراً | كَيْ يَسْتَرِيحَ وَمَنْ سَهِرْتَ لِيَرْقُدَا
يُبْدِي دُجَى تَحْيِيهِ مِنْكَ تَعَجُّباً | وَتَبِيتُ أَنْجُمُهُ لِسَعْيِكَ حُسَّدَا

---

(١) ... لا تمر ببيعةٍ (ل)
(٢) إن لم يكن ... (ل)
(٣) مسوّدا (ل)
(٤) وإذا قرعت ....؟ (ل)
(٥) هو أحمد شاه . انظر الحاشية رقم (٧) ص. (٢٠٥)

وَلَوَ اَنَّ أَيَّامَ ٱلزَّمانِ نَوَاطِقٌ شَهِدَتْ(١) بِفَضْلِكَ قَبْلَ أَنْ تُسْتَشْهَدا
دَانَتْ لَكَ ٱلدُّنيا وَأَذْعَنَ أَهْلُها فَعَنا ٱلقَرِيبُ لِما أَخافَ ٱلأَبْعَدا
لِمَ لا يُطِيعُكَ مَنْ رَآكَ لِنَفْعِهِ مُتَعَمِّداً وَلِجُرْمِهِ مُتَغَمِّدا
فَإِذَا شَكَا فَقْراً بَذَلْتَ لَهُ ٱلغِنىٰ وَإِذَا جَنىٰ(٢) خَطَأً صَفَحْتَ تَعَمُّدا
إِنَّ ٱلمُلُوكَ تَأَخَّرُوا عَنْ غَايَةٍ أَدْلَجْتَ تَطْلُبُها وَباتُوا هُجَّدا
تَرَكُوا لَكَ ٱلعَلْياءَ عَجْزاً لا رِضىً وَنَسُوا ٱلسِّيادَةَ مُذْ مَنَعْتَ(٣) ٱلسُّؤْدُدا
مَا زِلْتَ تَرْعاهُ بِعَيْنَيْ أَجْدَلٍ وَسِواكَ يَرْمُقُهُ بِعَيْنَيْ أَرْمَدا
لَمْ يَثْنِ عَزْمَكَ أَنْ وَجَدْتَ طَرِيقَةً مُسْتَبْعَداً وَمُحِبَّهُ مُسْتَعْبَدا
وَمَتىٰ يُشاطِرُكَ ٱلسُّمُوَّ مُشاطِرٌ وَٱلجُودُ(٤) وَٱلإِقْدَمُ مِنْكَ تَوَلَّدا
فَأَفَدْتَ حَتَّىٰ لا مُنىً وَأَبَدْتَ حَتَّىٰ لا عِدىً وَجَرَيْتَ حَتَّىٰ لا مَدا
بَلَغَتْ رَعاياكَ ٱلرِّضىٰ وَكُفُوا بِكَ ٱلْـعَدْوىٰ وَأَصْلَحَ دَهْرُهُمْ ما أَفْسَدا
وَحَمَيْتَ(٥) ما مَلَكُوا فَما بالِي أَرىٰ ما حُزْتَهُ فِي ٱلمَكْرُماتِ مُبَدَّدا
مالٌ نَداكَ عَدُوُّهُ لا يَحْتَمِي مُلْكٌ سُطاكَ عِقالُهُ لَنْ يَشْرُدا(٦)

(١) بمجدك (ل)
(٢) وإذا شكا خطأً ....؟ (ع) و (م)
(٣) مذ صنعت السؤددا (ل)
(٤) (فالجود) (ع) و (م) (٥) وحويت ؟ (ع) و (م)
(٦) مال بذاك عدوه لا يحتمي مال سطاك عقالهم لن يشردا ؟ (ل)

وَلطَالَمَا وَجَدتْ يَدَيْكَ عِطَاشُهُمْ ... أَنْدَى مِنَ الدِّيَمِ الْغِزَارِ وَأَجْوَدَا
لَوْ[١] أَنَّهُمْ جَحَدُوكَ مَا أَوْلَيْتَهُمْ ... لَأَبَى لِعُرْفِكَ عَرْفُهُ أَنْ يُجْحَدَا
أَنْتَ ابْتَدَعْتَ بِهٰذِهِ الشِّيَمِ الْعُلَى ... فَمَنِ اهْتَدَى فِي سُبْلِهَا فَبِكَ اقْتَدَى[٢]
مَلِكٌ إِذَا بَتَلَ[٣] الْمُلُوكُ هِبَاتِهِمْ ... كَانَتْ مَوَاهِبُهُ بَوَادِيَ عُوَّدَا
وَهِيَ الْمَآثِرُ لَنْ يَنَالَ بَعِيدَهَا ... مَنْ لَمْ يَطِبْ كَأَبِي الْمُظَفَّرِ مَوْلِدَا
وَإِذَا الْمُنَى أَمَّتْ نَدَاهُ[٤] عَوَانِساً[٥] ... عُونًا أَعَادَتْهَا عَذَارَى نُهَّدَا
أَغْنَاهُ أَنْ يَعِدَ ابْتِدَارُ نَوَالِهِ ... وَكَفَاهُ صَادِقُ عَزْمِهِ أَنْ يُوعِدَا
مَا أَدْرَكَتْ أَشْيَاخُهُ وَهُمُ الْأُلَى ... شَرُفُوا وَعَزُّوا مَا حَوَاهُ أَمْرَدَا
يَزْدَادُ قَدْرُكَ فِي النُّفُوسِ جَلَالَةً ... أَبَداً إِذَا مَا الْفِكْرُ[٦] فِيكَ تَرَدَّدَا
رَوَّيْتَ بِالْجَدْوَى رُسُوماً أَثْمَرَتْ ... هٰذَا الثَّنَاءَ وَكَمْ سَدًى[٧] يَمْضِي سُدَى
وَأَرَيْتَنِي طُرُقَاتِهِ فَوَجَدْتَنِي ... أُرْضِيكَ نَاظِمَ قِطْعَةٍ وَمُقَصِّدَا

(١) فلوانهم ... (ل)
(٢) فبك اهتدى (ل)
(٣) بَتَكَ (ل)
(٤) ... أمَّتْ لقاه (ع) و (م)
(٥) عوابساً ؟ (ل)
(٦) فيه (ل)
(٧) السَّدَى : ندى الليل .

لِمَ لا أُبالِغُ في مَدِيحِكَ مُطْنِباً ... وَإِذا غَلَوْتُ(١) أَمِنْتُ أَنْ أَتَزَيَّدا

وَرِياضُ شُكْرِي في ذَراكَ أَنِيقَةٌ ... عُنِيَ الغَمامُ(٢) بِها فَلَنْ تَشْكُو الصَّدا

لا راعَتِ الأَيّامُ دِيناً أَمْنُهُ ... مِمّا تَخَوَّفَ أَنْ تَعِيشَ(٣) مُخَلَّدا

وَعَدَتْكَ أَحْداثُ الزَّمانِ إِذا عَدَتْ ... وَفَدَتْكَ أَرْواحُ الأَنامِ مِنَ الرَّدا

٣٨

وقال (٤) يمدح أمير الجيوش الدِّزْبري (٥)

إِنْ لَمْ أَقُلْ فِيكَ ما يُرْدِي العِدى كَمَدا ... فَلا بَلَغْتُ مَدىً أَسْعى لَهُ أَبَدا

وَكَيْفَ أُصْبِحُ في الإِحْسانِ مُقْتَصِداً ... وَما وَجَدْتُكَ فِيهِ قَطُّ مُقْتَصِدا

لأُورِدَنَّكَ بِالنُّعْمى الَّتي غَمَرَتْ ... مِنَ المَحامِدِ بَحْراً قَطُّ ما وُرِدا

عَذْبَ المَشارِبِ مَمْنُوعَ المَشارِعِ لَوْ ... نَحاهُ(٦) غَيْرُكَ لَمْ يَظْفَرْ بِبِلِّ صَدا

---

(١) علوت (ل)

(٢) غَنَّى الحمام بها ... (ل)

(٣) أن يعيش (ع) و (م)

(٤) محل هذه القصيدة في (ل) أول قصائد قافية الدال وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً على قافية الدال يمدح الأمير الأجل أمير الجيوش المظفر مصطفى الملك عدة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدِّزْبري وأنشده إياها في عيد النحر سنه سبع وعشرين وأربع مئة »

(٥) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٦) يحباه (ع) و (م)

وَمُتْرَعاً (١) مِنْ مَعانٍ غَيْرِ ناضِبَةٍ ... أَنِّي وَمَجْدُكَ قَدْ أَضْحَى لَهَا مَدَدا
أَبْحَثْكَ الصَّفْوَ مِنْ أَمْوَاهِهِ فَسَقَى ... رِيَاضَ فَخْرِكَ لا نَزْراً وَلا ثَمَدا
وَلَوْ سِوَاكَ وَكَلاَّ (٢) كانَ وَارِدَهُ ... لَمَا عَدَوْتُ بِهِ الإِكْدَارَ وَالزَّبَدا
سَيْفَ الخِلافَةِ مَنْ يَرْجُو السُّمُوَّ وَقَدْ ... أَحْرَزْتَ مُطَّرِفاً مِنْهُ (٣) وَمُتَّلَدا
أَحْرَزْتَهُ بِالنَّدَى لَمْ تُبْقِ ذَا عَدَمٍ ... وَبِالحُرُوبِ الَّتِي أَلْوَتْ بِمَنْ عَنَدا (٤)
لَقَدْ تَرَكْتَ طَرِيقَ المَجْدِ شاطِنَةً ... فَلَوْ سَرَى النَّجْمُ فِيهَا اسْتَبْعَدَ الأَمَدا
فَقُلْ لِمَنْ رامَ جَرْياً فِي مَدَاكَ شَأَى ... مُسْتَبْعِداً القُرْبَ مَنْ يَسْتَقْرِبُ البُعُدا
دَعِ المَعالِي لِمَنْ أَضْحَى لَهَا شَرَفاً ... فَمَا وَجَدْتَ بِهَا مِعْشَارَ مَا وَجَدا
وَلَيْسَ يَبْلُغُهَا فَارْبَعْ عَلَى ظَلَعٍ (٥) ... مَنْ لا يَرَى صابَهَا مِنْ حُبِّهَا شُهُدا
بَلِ (٦) المَكارِمُ لَمْ تَكْثُرْ مَغارِمُهَا ... إِلاَّ لِتُلْحِقَ بِالدَّانِينَ مَنْ بَعُدا
كَمْ فِي الدُّنَا قَفْرَةٍ عَذْرَاءَ مَا سُلِكَتْ ... صارَتْ طَرَائِقَ مِنْ قُصَّادِها قِدَدا

(١) ومشرع ... (ل)
(٢) وكل (م)
(٣) منها (ع) و (م)
(٤) عقدا (ل)
(٥) ضلع (ل)
(٦) لك المكارم ... (ل)

تَرَكْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ٱلْآفَاقَ طَيِّبَةً وَلَنْ (١) يَطِيبَ ثَنَا مَنْ لَا يَعُمُّ جَدَا
وَمُذْ حَلَلْتَ بِهٰذَا ٱلشَّامِ تَكْلَؤُهُ فَقَدْ عَدَا ٱلدَّهْرُ فِيهِ أَنْ يُقَالَ عَدَا
مَلَأْتَ آفَاقَهُ مِنْ ذِي ٱلظُّبَىٰ شُهُبًا جَعَلْتَهَا لِشَيَاطِينِ ٱلْوَرَىٰ رَصَدَا
وَلَمْ تَزَلْ آخِذاً مَالاً نَفَادَ (٢) لَهُ وَمُعْطِياً مَا لَوِ ٱسْتَبْقَيْتَهُ نَفِدَا
فَمَا نَقَلْتَ إِلَىٰ غَيْرِ ٱلْعُلَى قَدَماً وَلَا شَدَدْتَ عَلَى (٣) غَيْرِ ٱلثَّنَاءِ يَدَا
كَفَىٰ ٱلْإِمَامَةَ عِزّاً أَنَّ عُدَّتَهَا لَا تَسْتَطِيعُ ٱللَّيَالِي حَلَّ مَا عَقَدَا
مَا زِلْتَ (٤) فِي نُصْحِهَا مُذْ كُنْتَ مُشْتَبِهاً (٥) قَوْلاً وَفِعْلاً وَإِظْهَاراً وَمُعْتَقَدَا
عَنْ رَأْفَةٍ مِنْكَ بِٱلْإِسْلَامِ قَدْ شُهِرَتْ لَمْ يُعْطِهَا وَالِدٌ مِنْ نَفْسِهِ وَلَدَا
ذُدْتَ ٱلْمَطَامِعَ عَنْهُ بَعْدَمَا شُرِعَتْ فِيهِ وَجَاهَدْتَ مَنْ عَادَاهُ مُجْتَهِدَا
وَكَانَ يَحْمَدُ أَنْصَاراً لَهُ ذَهَبُوا فَمُذْ رَآكَ نَصِيراً ذَمَّ مَنْ حَمِدَا
كَمْ فَتَّتِ ٱلدَّوْلَةُ ٱلزَّهْرَاءُ فِي (٦) عَضُدٍ لَمَّا دَعَتْكَ لَهَا دُونَ ٱلْوَرَىٰ عَضُدَا

(١) وأن يطيب ... (ع) و (م) ورواية البيت في (ل) هكذا :
تركت من ذكرها الآفاق قاطبةً من يطيب ثنا من لا يعم جدا ؟
والثَّنَا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء .
(٢) ما لا يُفاد له (ع) و (م)
(٣) إلى غير الثناء (ل)
(٤) لا زلت ... (ل)
(٥) كذا .
(٦) من عضد (ع) و (م)

أَنْتَ ٱلْحُسامُ ٱلَّذي لا يُنْتَضى أَبَداً ... إلاَّ لِذُلِّ ضَلالٍ أَوْ لِعِزِّ هُدا
لَمَّا ٱنْتَضاكَ لِمَنْعِ ٱلْحَقِّ صاحِبُهُ ... أَهْلَكْتَ بِٱلْجِدِّ مَنْ لَمْ يَرْكَبِ ٱلْجُدَدا
وَعَوْدَةُ ٱلْجَوْرِ قَصْداً غَيْرُ مُمْكِنَةٍ ... حَتّٰى يَعُودَ ٱلْقَنا عَنْ أَهْلِهِ قِصَدا
أَقْعَدْتَ مَنْ قامَ مِنْ أَعْداءِ دَوْلَتِهِ ... وَلَوْ بِغَيْرِكَ رِيعُوا قامَ مَنْ قَعَدا
أَهْبَطْتَ أَقْدارَهُمْ قَسْراً وَآنُفَهُمْ(١) ... فَما تَرَكْتَ سِوٰى أَنْفاسِهِمْ صُعُدا
كانَتْ عَوادِيهِمُ(٢) تُخْلِي صُدُورَهُمُ ... مِنَ ٱلْحُقُودِ فَصارَتْ لِلضِّبابِ(٣) كُدا
وَأَنْتَ مَنْ لَمْ تَزَلْ تُنْوِي إِخافَتُهُ ... عِداهُ حَتّٰى أَماتَتْ حِقْدَ مَنْ حَقَدا
حاكَمْتَهُمْ وَهُمُ لُدٌّ فَأَحْصَرَهُمْ ... عَنْ نُصْرَةِ ٱلْغَيِّ طَعْنٌ يَنْصُرُ ٱلرَّشَدا
وَفِي ٱلرُّدَيْنِيَّةِ ٱللاَّئِي حَشَوْتَ(٤) بِها ... تِلْكَ ٱلصُّدُورَ لَدُودٌ يُذْهِبُ ٱللَّدَدا
لَمْ تُغْنِ عَنْهُمْ رِماحٌ قَلَّ مانِعُها ... إِذا رَأَتْ ثُغَرَ ٱلْأَبْطالِ أَنْ تَرِدا
وَلا حَمَتْهُمْ دُرُوعٌ طالَما عَصَمَتْ ... وَٱلْقَعْضَبِيَّةُ فِيها تُكْثِرُ ٱلزَّرَدا
قَتَلْتَهُمْ بِصُنُوفِ ٱلْخَوْفِ تَبْعَثُهُ(٥) ... كَمْ مِنْ قَتِيلٍ وَلَمَّا يَدْنُ مِنْهُ رَدا

---

(١) وأنفسهم (ل)
(٢) غواديهم (ع) و (م)
(٣) للضلال (م)
(٤) حشون (م)
(٥) تتبعه (ع) و (م)

وَعُدْتَ تَطْلُبُ مِنْهُمْ قَوْدَ أَنْفُسِهِمْ ... وَمَا سَمِعْنَا بِقَتْلَى أُلْزِمُوا قَوَدَا

فَيَمَّمُوكَ رَجَاءَ أَنْ سَيَغْمُرُهُمْ ... عَفْوٌ يُحِيلُ الرَّدَى فِي رَاحَتَيْكَ نَدَا

فَأَحْمَدُوا الْعَيْشَ فِي أَفْنَاءِ مَمْلَكَةٍ ... مَنْ لَمْ يَعِشْ فِي ذَرَاهَا لَمْ يَعِشْ رَغَدَا

فَضْلٌ تَمَيَّزْتَ عَنْ كُلِّ[(١)] الْأَنَامِ بِهِ ... فَاشْكُرْ لِمُعْطِيكَ مَا لَمْ يُعْطِهِ أَحَدَا

أَيَّدْتَ بِالْجِدِّ وَالْجَدِّ الْمُلُوكَ فَعِشْ ... عُمْرَ الزَّمَانِ بِمُلْكِ الْأَرْضِ مُنْفَرِدَا

أَمَتَّ مِنْ حَسَدٍ مَنْ لَمْ يَمُتْ رَهَبًا ... مِنْهُمْ وَمِنْ رَهَبٍ مَنْ لَمْ يَمُتْ حَسَدَا

إِلَامَ يُمْطِلُ حَسَّانٌ بِبُغْيَتِهِ[(٢)] ... لَا يَنْفَدَنْ مَا بَقِي مِنْ عُمْرِهِ فَنَدَا

قَدْ كَانَ فِي سَالِفِ الْأَيَّامِ ذَا جَلَدٍ ... عَلَى الْخُطُوبِ فَلَمْ تَتْرُكْ لَهُ جَلَدَا

جَرَّعْتَهُ مَا يُذِيبُ الصَّخْرَ أَيْسَرُهُ ... وَمَا خَطَاهُ الرَّدَى لَوْ لَمْ يَكُنْ لُبَدَا[(٣)]

فَاعْطِفْ عَلَى مَلِكٍ لَجَّ الشَّقَاءُ بِهِ ... إِنْ فَازَ مِنْكَ بِأَدْنَى نَظْرَةٍ سَعِدَا[(٤)]

---

(١) عن شكر الأنام به (ع) و (م)

(٢) إلام تَمْطُلُ حَسَّاناً ببيعته

لا تُنْفِدَنْ ما بقي من عمره فَنَدا (ع) و (م)

وحَسَّان : هو حسَّان بن المفرّج بن دَغْفَل بن الجرّاح الطائي أمير بني طيء خرج على الفاطميين متحالفاً مع صالح بن مرداس الكلابي ، فجهز له الفاطميون جيشاً بقيادة أنوشتكين الدزبري ، فكانت وقعة الأقحوانة قرب طبرية وانجلت عن مقتل ابن مرداس وهزيمة حسَّان سنة ٤٢٠ انظر الحاشية رقم (٥) ص (٥٧)

(٣) لُبَد : آخر نسور لقمان ويكنى به عمن يعمّر طويلاً .

(٤) هذا البيت ساقط من (ل)

فَلَيْسَ يَعْصِيكَ فِي قَوْلٍ وَلا عَمَلٍ مَنْ مُذْحَظَرْتَ عَلَيْهِ النَّوْمَ مَارَقَدا
ذَلَّتْ لَكَ الْأُسْدُ فِي غَابَاتِهَا وَعَنَتْ خَوْفاً فَلَوْ شِئْتَ لَاسْتَرْعَيْتَهَا النَّقَدا
وَالْأَعْيُنُ الشُّوسُ قَدْ غُضَّتْ (١) فَلاشَوَسٌ وَالصِّيدُ قَدْتَرَكُوا فِي عَصْرِكَ الصَّيَدا
عَزَائِمٌ تَسْبِقُ الْأَقْدَارَ مَا خُلِقَتْ إلَّا لِكَفِّ عِدَاءٍ أَوْ لِقَتْلِ عِدا
فَكَمْ جَلَوْتَ بِهَا مِنْ فِتْنَةٍ غَسَقَتْ (٢) عَنَّا وَأَجْلَيْتَ عَنْ عِرِّيسِهِ أَسَدا
وَكَمْ أَتَحْتَ (٣) عَدِيًّا (٤) كُلَّهَا نِعَماً يَفْنَى الزَّمَانُ وَمَا أُحْصِي لَهَا عَدَدا
حَتَّى كَأَنَّ جَنَاباً قَبْلَ مَصْرَعِهِ وَصَّاكَ إِذْ بَايَنَ (٥) الدُّنْيَا بِمَنْ وَلَدا
فَلَوْ (٦) أَصَابَتْ قَدِيماً جَاهِلِيَّتُهُمْ مَلْكاً يُدَانِيكَ جُوداً عَفَّ مَنْ وَأَدا
فَلْيَلْتَمِسْ رَافِعٌ (٧) مَا عَزَّ مَطْلَبُهُ فَلَنْ يُدَافِعَ مَنْ تُضْحِي لَهُ سَنَدا

---

(١) مذ غضت (ل)
(٢) الكلمة ساقطة من (ل) . وفي (ع) و (م) غسقاً . وما أثبتناه هو الصواب .
(٣) وقد أبحتَ ... (ل)
(٤) بنو عدي بطن من كنانة عذرة من القحطانية وهم بنو عدي بن جناب بن هبل . « نهاية الأرب ص ٢٩١ »
(٥) إذ يئس الدنيا ... (ل)
(٦) ولو ... (ل)
(٧) هو رافع بن أبي الليل أمير الكلبيين دخل في طاعة الفاطميين وكان مع أنوشتكين الدزبري في وقعة الأقحوانة وفي فتح حلب .
« ابن القلانسي ص ٧٣ و ٧٥ »

وَلْيُفْرِعِ ٱلنَّجْمَ بِٱلْقُرْبَى ٱلَّتِي جَمَعَتْ[(١)] شَمْلَ ٱلْفَخَارِ لَهُ وَٱلسُّؤْدُدَ ٱلْبَدَدَا

تَقَطَّعَتْ أَنْفُسُ ٱلْأَعْدَاءِ مِنْ صِلَةٍ يَظَلُّ يَحْسُدُ عَدْنَانٌ بِهَا أُدَدَا[(٢)]

إِلَّا ٱعْتِرَافًا فَمَا ٱلْمَغْبُونُ مَنْ جُحِدَتْ آلَاؤُهُ إِنَّمَا ٱلْمَغْبُونُ مَنْ جَحَدَا

ضَاقَ ٱلزَّمَانُ بِمَا خَوَّلْتَ مِنْ نِعَمٍ خِيلَتْ طَوَارِفُهَا مِمَّا صَفَتْ تُلُدَا

قَضَتْ بِأَنْ أَجِدَ ٱلْإِيسَارَ فِي وَطَنِي فَمَا رَحَلْتُ إِلَيْهِ عِرْمِسًا أُجُدَا[(٣)]

وَكَيْفَ يُدْرِكُ بِٱلتَّقْصِيرِ غَايَتَهَا مَنْ لَا يَنَالُ قُصَارَاهَا إِذَا جَهَدَا

فَٱسْحَبْ ذُيُولَ بُرُودٍ لَا فَنَاءَ لَهَا مَنْسُوجَةٍ مِنْ مَدِيحٍ تَسْبِقُ[(٤)] ٱلْبُرُدَا

مُرَوَّضٍ جَادَ هٰذَا ٱلْغَيْثُ تُرْبَتَهُ فَرَاحَ فِي خِلَعٍ مِنْ نَوْرِهِ وَغَدَا

كَسَاهُ ذِكْرُكَ لَأْلَاءً فَغَادَرَهُ[(٥)] أَشَفَّ مَا يَقْتَضَاهُ[(٦)] مَنْ شَدَا وَحَدَا

لَا زِلْتَ زِينَةَ دُنْيَانَا وَلَا بَرِحَتْ أَيَّامُ مُلْكِكَ أَعْيَادًا لَنَا[(٧)] جُدُدَا

---

(١) إشارة إلى زواج أنوشتكين بأخت رافع .
« ابن القلانسي ص ٧٩ »

(٢) عدنان : جد العرب العدنانية وأُدَد : جد العرب القحطانية . وفي (ل) تظل تحسد عدنانُ بها أُدَدَا . أي بنو عدنان .

(٣) هذا البيت ساقط من (ل) . والعِرْمِسُ الأُجُد : الناقة الصلبة القوية .

(٤) يسبق . ابن عساكر ج ١٥ ورقة ١٩٢ (مخطوط)

(٥) تغادره (ع) و (م)

(٦) يحتضاه (ع) و (م) ينتضيه ، يقتضيه . « ابن عساكر »

(٧) لها (ع) و (م)

وَلا خَلَتْ مِنْكَ أَوْطَانٌ بِكَ اعْتَصَمَتْ لَوْلاكَ ما اسْتَوْطَنَتْ رُوحٌ بِهَا جَسَدا
يُسْتَكْثَرُ الْيَوْمَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ حَسَنٍ وَيُسْتَقَلُّ بِمَا تُفْضِي إِلَيْهِ غَدا
وَلاَ بَلَغَتْ مَدًى تَعْلُو[1] الْمُلُوكُ بِهِ إِلاَّ أَجَدَّ لَكَ الْجَدُّ السَّعِيدُ مَدا

٣٩

وقال أيضاً يمدحه [2]

فُتَّ الْوَرَى فَعَلامَ ذَا الْإِجْهَادُ وَبِبَعْضِ سَعْيِكَ تُحْرَزُ الْآمَادُ
قَدْ فُتَّ فِي الْأَعْضَادِ هٰذَا الْمُرْتَقَى وَتَفَتَّتَتْ مِنْ دُونِهِ الْأَكْبَادُ
فِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ بَالِغُ سُؤْدُدٍ لَمْ تَدْرِ كَيْفَ طَرِيقَهُ الْأَنْجَادُ[3]
تَزْدَادُ مَجْداً لَيْسَ يُعْرَفُ كُلَّمَا قَالَ الْوَرَى لَمْ يَبْقَ مَا تَزْدَادُ
وَمَنَاقِباً مِنْ دُونِهَا وَبِمِثْلِهَا تَكْبُو الْمُلُوكُ وَتُكْبَتُ الْحُسَّادُ

---

(١) يعلو . « ابن عساكر »

(٢) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وتنقص من أولها هناك مقدار ثلاثين بيتاً ؛ وجاء عنوانها هكذا : « وقال أيضاً يمدحه في المحرم من سنة خمس وعشرين وأربع مئة بقصيدة منها :

سكنتْ لصولتك الرياح مهابةً وتزعزعت من خوفك الأطوادُ ... »

(٣) الأنجاد : جمع نَجْد ونَجِد ونَجُد وهو الشجاع الماضي في ما يعجز غيره ، السريع الإجابة في ما دعي اليه . وفي الأصل الأمجاد. ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

جُمِعَتْ لِغَلَّابِ ٱلْيَدَيْنِ عَلَى ٱلْعُلىٰ تَعْنُو لِسَوْرَةِ عِزِّهِ ٱلْأَمْجَادُ
نَدْبٌ إِذَا مَا هَمَّ أَنْ يَلْقَىٰ عِدىً لَمْ يَثْنِهِ عَدَدٌ وَلاَ ٱسْتِعْدَادُ
مِنْ أُسْرَةٍ شُوسٍ إِذَا سُئِلُوا ٱلنَّدى جَادُوا وَإِنْ صَنَعُوا ٱلصَّنِيعَ أَجَادُوا
مِنْ كُلِّ صَعَّادٍ إِلىٰ رُتَبِ ٱلْعُلىٰ دَرَجَاتُهُ أَبَداً ظُبىً وَصِعَادُ
وَرَّادِ أَحْوَاضِ ٱلْمَنُونِ إِذَا طَغَتْ وَٱلدُّهْمُ مِنْ عَلَقِ ٱلنَّجِيعِ وِرَادُ
نَخَرُوا بِمَا شَادُوا فَمُنْذُ بَدَا لَهُمْ مَجْدُ ٱلْمُظَفَّرِ أَهْمَلُوا مَا شَادُوا
وَإِذَا ٱلْفَتىٰ هَبَطَتْ بِهِ أَفْعَالُهُ لَمْ تُعْلِهِ ٱلْآبَاءُ وَٱلْأَجْدَادُ
كَفَّ ٱلْعِدىٰ وَكَفَى ٱلْعِدَاءَ مُؤَيَّدٌ يَثْنِي ٱلْأُلُوفَ بِذِكْرِهِ ٱلْآحَادُ
لِجُيُوشِهِ مِنْ رَأْيِهِ وَمَضَائِهِ وَإِبَائِهِ يَوْمَ ٱلْوَغىٰ أَمْدَادُ
فَلْيَيْأَسِ ٱلْأَعْدَاءُ أَرْضاً ذَادَهُمْ عَنْهَا طِعَانٌ صَادِقٌ وَجِلاَدُ
فَعَلىٰ ٱلشَّآمِ سُرَادِقٌ أَوْتَادُهُ بِيضُ ٱلظُّبىٰ وَلَهُ ٱلْقَنِيُّ عِمَادُ
كَادُوا ٱلْهُدىٰ فَأَدَالَ خَوْفُكَ مِنْهُمُ حَتّىٰ لَقَدْ سَكَنُوا ٱلْكُدَا أَوْ كَادُوا[1]
كَانُوا جِبَالاً مَثَلاً وَكَأَنَّهُمْ فِي ذِي ٱلزَّعَازِعِ إِذْ عَصَفْنَ رَمَادُ
قَصُرَتْ رِمَاحُ ٱلْخَطِّ فِي أَيْدِيهِمُ وَنَبَتْ سُيُوفُ ٱلْهِنْدِ وَهْيَ حِدَادُ

(١) سكنوا الكداء وكادوا (م)

مُذْ جاشَ بَحْرُكَ وَاُعْتَلَى آذِيُّهُ … نَضَبَتْ بِحارُ اُلْإِفْكِ فَهْيَ ثِمادُ
لَوْلاكَ ما اُنْقَمَعَ اُلنِّفاقُ وَلاَ وَرَتْ … لِلدِّينِ مِنْ بَعْدِ اُلْكُبُوِّ زِنادُ
بِكَ عادَ سَيْفُ اُلشِّرْكِ مَفْلُولَ اُلشَّبا … وَغَدَتْ قُوى اُلْإِسْلامِ وَهْيَ شِدادُ
وَمَتَى دَهِمْتَ اُلرُّومَ فِي أَوْطانِهِمْ … صَبَّحْتَهُمُ اُلدَّهْماءَ وَهْيَ نَآدُ
بِحَوامِلٍ اُلْآسادَ آسـادُ اُلْوَغَى … لَمْ يُوهِهـا اُلتَّأْوِيبُ وَاُلْإِسْآدُ
وَلَهُمْ مَتَى لاَ قَوْكَ يَوْمٌ بَعْدَهُ … لاَ تَلْتَقِي اُلْأَرْوَاحُ وَاُلْأَجْسادُ
فَلْيَحْذَرُوا مَلِكاً تَخَلَّتْ عَنْوَةً … لِسُطاهُ عَنْ أَجماتِهـا اُلْآسادُ
هَلْ لِلْأَرَاوِي مَصْحَرٌ مِنْ بَعْدِما … سَمِعَتْ بِأُسْدِ اُلْغابِ كَيْفَ تُصادُ
سَيْفَ اُلْإِمامِ عَلَوْتَ مالَمْ يَرْقَهُ … أَمَلٌ وَشِئْتَ فَلَمْ يَفُتْكَ مُرادُ
وَلَكَ اُلْعَزائِمُ لاَ يُبِلُّ جَرِيحُهـا … وَلِغَيْرِكَ اُلْإِبْراقُ وَاُلْإِرْعادُ
ذُلُقًا إِذَا نَحَتِ اُلْعَدُوَّ فَإِنَّمـا … بَيْنَ اُلْحُتُوفِ وَبَيْنَهـا مِيعادُ
سَكَنَتْ لِصَوْلَتِكَ اُلرِّياحُ مَهابَةً … وَتَزَعْزَعَتْ مِنْ خَوْفِكَ اُلْأَطْوادُ
فَشِمِ اُلسُّيُوفَ فَطالَما جَرَّدْتَهـا … حَتَّى لَقُلْنَـا ما لَهَا أَغْمادُ
وَأَقِمْ فَقَدْ قامَتْ لِبَأْسِكَ هَيْبَةٌ … لَمْ يَخْلُ مِنْها فِي اُلْأَنامِ فُؤادُ
وَسَرَتْ هُمُومُكَ فَاُلْإِقامَةُ رِحْلَةٌ … وَاُلسِّلْمُ حَرْبٌ وَاُلرُّقادُ سُهـادُ
فَثَواءُ رَحْلِكَ عِصْمَةٌ أَنَّى ثَوَى … أَبَداً وَكَفُّكَ لِلْعَدُوِّ جِهـادُ

مَا أَحْرَقَتْ نِيرَانُهُمْ وَشَرَارُهَا عَالٍ فَكَيْفَ تَرُوعُ وَهْيَ رَمَادُ
رَكِبُوا سَبِيلَ ٱلْغَيِّ حِينَ بَدَتْ لَهُمْ وَلَقَدْ رَأَوْا سُبُلَ ٱلرَّشَادِ فَحَادُوا
وَعَلَى ٱلظُّبَى إِرْشَادُ مَنْ لَمْ يَثْنِهِ فِيمَا مَضَى عَنْ غَيِّهِ إِرْشَادُ
حَقَدُوا فَمُذْ أَسْكَنْتَ(١) بَيْنَ ضُلُوعِهِمْ خَوْفَ ٱنْتِقَامِكَ مَاتَتِ ٱلأَحْقَادُ
وَأَرَاكَ تَغْمُرُهُمْ بِصَفْحِكَ بَعْدَمَا كَثُرَتْ بِبَابِكَ مِنْهُمُ ٱلْقُصَّادُ
خَافُوا ٱلرَّدَى فَنَحَوْا(٢) هُمَامًا عِنْدَهُ يُجْدِي وَيُرْدِي ٱلْوَعْدُ وَٱلإِيعَادُ
وَهَدَتْهُمُ ٱلنَّكَبَاتُ مِنْ بَعْدِ ٱلْعَمَى يَا طَالَمَا جَرَّ ٱلصَّلَاحَ فَسَادُ
قَطَعُوا ٱلْقِفَارَ وَنُورُ وَجْهِكَ فِي ٱلدُّجَى هَادٍ لَهُمْ وَرَجَاءُ قُرْبِكَ(٣) زَادُ
أَرْهَبْتَهُمْ حَتَّى تَحَقَّقَ مَنْ نَأَى أَنْ لَيْسَ يُنْجِي مِنْ سُطَاكَ بِعَادُ
وَعَفَوْتَ حَتَّى لَوْ رَجَا غُيَّابُهُمْ ذَا ٱلْعَفْوِ وَدُّوا أَنَّهُمْ شُهَّادُ
هٰذَا ٱبْنُ جَرَّاحٍ(٤) أَتَاكَ وَهَلْ لِمَنْ أَقْصَيْتَهُ إِلَّا إِلَيْكَ عِوَادُ
فَأَجِبْ بِفَضْلِكَ مَنْ دَعَاكَ فَلَمْ يَزَلْ(٥) لِلْعَفْوِ(٦) عِنْدَكَ مَبْدَأٌ وَمَعَادُ

(١) سَكَّنْتَ (م)
(٢) ونحوا (ل)
(٣) ورحاب قربك زادُ (م)
(٤) هو حسّان بن المفرّج بن دغفل بن الجرّاح الطائي . انظر الحاشية رقم (٥) ص (٥٧)
(٥) فلم تزل (ل)
(٦) للعرف (ع) و (م)

قابِلْ (١) بِرأْفَتِكَ اعْتِذارَ مُساوِرٍ ... إنَّ الْمَعاذِرَ لِلذُّنُوبِ حَصادُ
قَدْ يَكْبُمُ الْعَضْبُ الْجُرازُ وَحَدُّهُ ... ماضٍ وَيَكْبُو الطِّرْفُ وَهْوَ جَوادُ
يا عُدَّةَ الْإِسْلامِ مَنْ ذا يَشْتَكِي ... ظَمَأً (٢) وَعِدُكَ لِلْعُفاةِ عَتادُ
كَمْ قُدْتَ في رِبْقِ (٣) الْجَمِيلِ مَصاعِباً ... لِسِواكَ لا تَعْنُو وَلا تَنْقادُ
عاذَتْ بِحَضْرَتِكَ الْمُلُوكُ وَلاذَتِ الْـ ... ـفُقَراءُ فَاجْتَمَعَتْ بِها الْأَضْدادُ
أَضْحَى مَحَلُّكَ جامِعاً وَمُفَرِّقاً ... فَالْحَمْدُ يُحْرَزُ وَالثَّراءُ (٤) يُبادُ
تَحْوِي الْعَلاءَ بِهِ فَتَمْنَعُ نَيْلَهُ ... وَالْمالُ ساعَةَ يُسْتَفادُ يُفادُ
يَفْدِيكَ أَهْلُ مَمالِكٍ هَضَباتُها ... في جَنْبِ ذا الْمُلْكِ الْأَشَمِّ وِهادُ
نُعْمانُ هٰذا الْعَصْرِ أَنْتَ وَإِنَّنِي ... في حَيْثُ يَنْتَسِبُ الْقَرِيضُ زِيادُ (٥)
لا يَدْفَعَنَّكَ عَنْ ثَنائِي لافِتٌ ... فَلِكُلِّ قَوْلٍ ما عَداهُ نَفادُ

(١) واقبل برأفتك ... (ل)

(٢) ظلماً وعدلك ... (ع) و (م)

(٣) الرِّبْقُ : حبل فيه عدة عرى .

(٤) والثناء ؟ (ل)

(٥) النعمان : هو أبو قابوس النعمان بن المنذر بن امريء القيس اللخمي من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية . وزياد : هو أبو أمامة زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني المعروف بالنابغة الذبياني الشاعر المشهور . مدح النعمان بن المنذر وكان مقدَّماً عنده .

وَأْسْمَعْ لِمُحْكَمَةِ ٱلنِّظَامِ حُلِيُّهَا دُرَرُ(١) ٱلثَّنَا وَجِلَاؤُهَا ٱلإِنْشَادُ
وَاُشْفَعْ(٢) بِهَا تِلْكَ ٱلقَلَائِدَ إِنَّهَا مِنْ خَيْرِ مَا تُزْهَىٰ بِهِ ٱلأَجْيَادُ
وَاُقْتَدْ بِمَا أَسْدَتْ يَدَاكَ مَدَائِحاً لَوْلَاكَ لَمْ يُمْلَكْ لَهُنَّ قِيَادُ
أَنَّىٰ أَمُدُّ يَداً إِلَىٰ طَلَبٍ وَلِي مِنْ جُودِ كَفِّكَ طَارِفٌ وَتِلَادُ
وَأْسْعَدْ(٣) بِهِ عَاماً سَحَائِبُ يُمْنِهِ هُطُلٌ وَكَوْكَبُ سَعْدِهِ وَقَّادُ
لَا زَالَ عَنَّا ظِلُّ مَنْ أَيَّامُنَا مِنْ حُسْنِهَا فِي ظِلِّهِ أَعْيَادُ
وَأَقَامَ هٰذَا ٱلمُلْكُ أَخْضَرَ لَائِذاً بِفِنَائِهِ ٱلْوُرَّادُ(٤) وَٱلرُّوَّادُ
وَحَيِيتَ لِلْأَدَبِ ٱلَّذِي أَحْيَيْتَهُ فَنَفَاقُهُ إِلَّا لَدَيْكَ(٥) كَسَادُ

* * *

(١) در الثنا (ع) و (م)
(٢) فاشفع ... (ع) و (م)
(٣) فاسعد ... (ع) و (م)
(٤) الرُّوَّادُ والوُرَّادُ (ل)
(٥) إلاّ اليك (ع) و (م)

٤٠

وقال يمدح ناصر الدولة بن حمدان (١)

أمَا(٢) وَمَسَاعٍ لاَ نُحِيطُ لَهَا(٣) عَدَّا ... وَتَأْثِيرِ مَجْدٍ لاَ نَقِيسُ بِهِ مَجْدَا
لَقَدْ قَصَّرَ الْمُثْنِي وطَالِبُ ذَا الْمَدَى ... وَمَا مُنْعِمٌ إِلاَّ مَنِ اسْتَفْرَغَ الْجُهْدَا
فَإِنْ شِئْتَ وَصْفاً بَالِغاً مَا بَلَغْتَهُ ... فَقِفْ حَيْثُ فُتَّ الْوَصْلَ(٤) نَجْعَلْ لَهُ حَدَّا
وَإِلاَّ فَلاَ لَوْمٌ عَلَى كُلِّ قَائِلٍ ... نَحَاهُ فَأَخْفَى جَهْدُهُ فَوْقَ مَا أَبْدَا
وَمَا كُنْتَ فَرْداً فِي ابْتِغَائِكَ غَايَةَ الْـ ... كَمَالِ وَلَكِنْ كُنْتَ فِي حَوْزِهَا فَرْدَا
وَنَاقَضَكَ الْأَمْلاَكُ فِيهَا فَكُلَّمَا ... عَلاَ بِكَ فِعْلٌ هَضْبَةً هَبَطُوا وَهْدَا
لَئِنْ كُنْتَ فِي الْعَلْيَاءِ أَبْعَدَهُمْ مَدًى ... فَإِنَّكَ بِالْإِنْعَامِ أَقْرَبُهُمْ عَهْدَا
وَإِنْ كُنْتَ أَسْلاَهُمْ عَنِ الْبِيضِ كَالدُّمَى ... فَإِنَّكَ بِالتَّقْوَى أَشَدُّهُمُ وَجْدَا
وَإِنْ كُنْتَ فِي الْفَحْشَاءِ أَنْبَاهُمُ شَبًا ... فَإِنَّكَ فِي الْهَيْجَاءِ أَمْضَاهُمُ حَدَّا
وَأَنَّى يَرُومُونَ الْمَحَامِدَ صِلَةً ... وَمَا صَدَقُوا فِيهَا وَعِيداً وَلاَ وَعْدَا

---

(١) هو ناصر الدولة وسيفها أبو محمد الحسن بن الحسين . انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

(٢) هذه القصيدة كلها ساقطة من (ل)

(٣) كذا في الأصل ولعل الأصوب : لا نحيط بها .

(٤) كذا في الأصل . وفي مختارات البارودي : « فتّ الوصف »

وَأَيْنَ هُمُ مِمَّنْ إِذَا غَدَرُوا وَفَى ... وَإِنْ مَنَعُوا أَعْطَى وَإِنْ هَزَلُوا جَدَّا
بَقِيتُمْ بَنِي حَمْدَانَ مَابَقِيَ ٱلْوَرَى ... لِبَاغِي نَدَىً يُحْيَا وَبَاغِي رَدَىً يُرْدَا
فَمَا كَانَتِ ٱلْأَقْمَارُ مِنْ قَبْلِ خَلْقِكُمْ ... تُخَافُ وَلَا زُهْرُ ٱلْكَوَاكِبِ تُسْتَجْدَا
سُيُوفُكُمُ تَدْمَى بِكُلِّ كَرِيهَةٍ ... وَأَيْدِيكُمُ فِي كُلِّ مَسْأَلَةٍ تَنْدَا
إِذَا أَضْمَرَ ٱلْأَمْلَاكُ حِقْداً لِمَنْ جَنَى ... كَفَاكُمْ وَحِيُّ ٱلْبَطْشِ أَنْ تُضْمِرُوا حِقْدَا
لَطَبَّقَتِ ٱلدُّنْيَا أَحَادِيثُ مَجْدِكُمْ ... فَمَا تَرَكَتْ فِي ٱلْأَرْضِ غَوْراً وَلَا نَجْدَا
وَقَبْلَكُمُ مَا أَبْصَرَ ٱلدَّهْرُ مِثْلَكُمْ ... فَبَادَ فَلَا يُبْصِرْ لِأَيَّامِكُمْ بُعْدَا ؟
وَلَمْ تَقْتَدُوا فِي ٱلْمَأْثُرَاتِ بِغَيْرِكُمْ ... وَمَنْ عَلَّمَ ٱلسَّبْقَ ٱلْمُطَهَّمَةَ ٱلْجُرْدَا
بِكُمْ حَصَرٌ عِنْدَ ٱلسِّبَابِ فَإِنْ جَرَتْ ... مُفَاخَرَةُ ٱلْأَمْجَادِ أُلْفِيتُمُ لُدَّا
تُهِينُونَ مِنْ أَلْغَى فَضَائِلَ نَفْسِهِ ... وَعَدَّ تَلِيدَ ٱلْفَخْرِ وَٱلْحَسَبَ ٱلْعِدَّا
وَتُقْصُونَ[1] مَنْ إِنْعَامُهُ يَغْمُرُ ٱلْمُنَى ... إِذَا لَمْ يَكُنْ إِقْدَامُهُ يَقْهَرُ ٱلْأُسْدَا
وَإِنَّكَ إِنْ عُدَّتْ فَضَائِلُ تَغْلِبٍ ... لَأَعْدَلُهَا حُكْماً وَأَجْزَلُهَا رِفْدَا
عَلَا بِكَ بَيْتٌ أَنْتَ أَعْلَى عِمَادِهِ ... وَكَمْ وَدَّ نَجْمٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَدَّا[2]
وَلِلدَّوْلَةِ ٱلْمُسْتَنْصِرِيَّةِ نَاصِرٌ ... بِهِ ٱشْتَدَّ زَنْداً عِزُّهَا وَوَرَتْ زَنْدَا

(١) وتقضون ؟ (م)

(٢) الوَدُّ : الوتد

وَسَيْفٌ حمى الآفاقَ وَهْوَ بِغِمْدِهِ ... فَكَيْفَ إذا صارَ النَّجيعُ لَهُ غِمْدا
وَأَرْسَلَهَا سَوْمَ الجَرادِ مُغيرةً ... تَخِرُّ جِبالُ الأَرْضِ مِنْ وَقْعِها هَدّا
حُسامٌ صُروفُ الدَّهْرِ مِنْ بَعْضِ ما كَفَتْ ... مَضارِبُهُ وَالأَمْنُ مِنْ بَعْضِ ما أَجْدا
قَضَى بِكِتابِ اللهِ فينا وَما اعْتَدَى ... وَوالَتْ يَداهُ المَكْرُماتِ وَما اعْتَدّا
فَلا عَدِمَتْ هٰذي النِّيابَةَ دَوْلَةٌ ... جَعَلْتَ لَها أَعْداءَها كُلَّهُمْ جُنْدا
وَما خِفْتَ إلاَّ اللهَ فيما وَلِيتَهُ ... وَلا حِفْتَ (١) في الأَفْعالِ سَهْواً وَلا عَمْدا
فَعَلْتَ فَعالَ الحُرِّ نَفْساً وَشيمَةً ... وَإِنْ كُنْتَ في مَحْضِ الوَلاءِ لَها العَبْدا
وَهَلْ تَرِدُ الأَطْماعُ ما عَنْهُ حُلِّئَتْ ... وَهٰذا الهِزَبْرُ الوَرْدُ يَمْنَعُها الوِرْدا
لَقَدْ مُنِعوا بِالبيضِ ما أَخَذوا بِها ... وَلَوْ أَمِنوا عَدْواكَ ما بَذَلوا الوُدّا
بَلَغْتَ بِحَدِّ الرَّأْيِ ما أَعْجَزَ الظُّبى ... تَناوُلُهُ فيما مَضى وَالقَنا المُلْدا
فَلَوْ سارَ ذو القَرْنَيْنِ في ظُلُماتِهِ ... بِرَأْيٍ كَذا لا بْيَضَّ مِنْها الَّذي اسْوَدّا
وَلَوْ أَنَّ يأْجوجَ اسْتَعانوكَ مُرْشِداً ... وَحوشيتَ مِنْ إرْشادِهِمْ حَرَقوا (٢) السَّدّا
وَلَوْ فَرَّقَتْ هٰذي العَزائِمُ في الوَرَى ... إذاً عَطَّلوا ما يَطْبَعُ الهِنْدُ وَالهِنْدا
وَكَمْ جاهِلٍ أَغْرَى بِمَجْدِكَ كَيْدُهُ ... وَلٰكِنَّهُ أَوْدَى وَما كانَ ما وَدّا

(١) حافَ : جار وظلم . وفي الأصل : ولا خفت ، وهو تصحيف .
(٢) لعله : خرقوا .

تُقِرُّ لكَ الأعداءُ بالفضلِ عَنْوَةً ... وما الفضلُ إلّا ما أقرّتْ بهِ الأعدا
وكانتْ دِمشقُ تُنبِتُ الذمَّ بُرهةً ... وأنتَ الذي صيّرتَها تُنبِتُ الحمدا
قطعتَ الأذى عنها وفضتَ مواهباً ... وما عرفتْ ذا الجزرِ قدْ ما ولا المدّا
فعشتَ بها خمسينَ عاماً ومثلَها ... لِعافٍ وعانٍ ذا يُفادُ وذا يُفدى
وما إنْ عدتْ هذي الأمانيُّ طورَها ... لأنّكَ بالإنصافِ تستوجبُ الخُلْدا
وهُنّيتَ أعيادَ الزمانِ ولا انطوى ... زمانٌ جنينا العيشَ في ظلِّهِ رَغْدا
أمامكَ في ذا النهجِ ما أحدٌ جرى ... ولولا بنوكَ قلتُ خلفكَ(١) قدْ سُدّا
وعُنوانُ فضلِ الأصغرينَ فضائلٌ ... مؤثّلةٌ نالَ الكبيرُ بها المجدا
لئنْ حازَ أقطارَ الشجاعةِ أمرداً ... فمنْ معشرٍ يُرْدونَ أُسْدَ الوغى مُرْدا
وإنْ حازَ مقدارَ البلاغةِ ناشئاً ... فما جارَ عنْ مسعى أبيهِ ولا صدّا
ومنْ عجبٍ أنْ أمَّ قصدكَ قافياً ... خِلافَكَ(٢) والأعلامُ تَهدي ولا تُهدى
تُفَضُّ(٣) الحُبا للطفلِ منكمْ وما حَبا ... ويشتدُّ في كسبِ الثناءِ وما اشتدّا
وهلْ فيكمُ منْ باشرَ الذمَّ مُذْ نشا ... ومنْ فارقَ الإحسانَ مُذْ فارقَ المهدا

(١) خلقك (م)
(٢) خلافك ؟ (م)
(٣) في الأصل : يُفَضُّ .

وَهَلْ وَخَدَتْ تِلْكَ الرِّكابُ بِمَهْمَهٍ لتقطعه (١) إلاَّ بِمَدْحِكُمْ تُحْدا
أَزَرْتُكَ حاجاتِي فَلَمْ أُنْزِلِ الْمُنَى بِمَنْ كُذِّبَتْ فِيهِ وَلَمْ أَعْدَمِ الرُّشْدا
وَأَعْطَى قَلِيلاً ثُمَّ أَكْدَى زَمانُنا فَيَمَّمْتُ مَنْ أَعْطَى كَثِيراً وَما أَكْدا
مَواهِبُ يَطْوِيها جَلالاً وَنَخْوَةً وَلَسْتُ أَرَى فِي النّاسِ مِنْ نَشْرِها بُدّا
بِمَدْحٍ إِذا ما ضاعَ فِي الْقَوْمِ نَشْرُهُ فَما النَّدُّ أَهْلٌ أَنْ يَكُونَ لَهُ نِدّا
وَكَمْ (٢) فِيكَ لِي عِقْدٌ يَحُوزُ جَواهِراً تُزَيِّنُ مِنْها كُلُّ جَوْهَرَةٍ عِقْدا
مِنَ اللهِ أَسْتَهْدِي بَقاءَكَ إِنَّهُ قَصِيَّةُ ما أَعْطَى وَنُخْبَةُ ما أَهْدا
فَلا خَلَتِ الْأَيّامُ مِنْها مَحاسِناً أَشَدَّ عَلَى الْأَحْداقِ مِنْ نَوْمِها فَقْدا

٤١

وقال (٣) يمدح أمير الجيوش الدزبري (٤)

قَصَّرَ عَنْ سَعْيِكَ الْأُلَى جَهَدُوا فَافْخَرْ بِمَجْدٍ ما نالَهُ (٥) أَحَدُ
طالَتْ بِكَ الْعالَمِينَ أَرْبَعَةٌ عَزْمٌ وَحَزْمٌ وَنائِلٌ وَيَدُ
وَأَنْزَلَتْكَ السُّيُوفُ مَنْزِلَةً طالَ عَلَى مَنْ يَرُومُها الْأَمَدُ

(١) في الأصل : ليقطعه .
(٢) وكم لي فيك من عقد يحوز جواهراً ؟ (م) وهو من سهو الناسخ .
(٣) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال ايضاً يمدحه (أمير الجيوش) رحمه الله »
(٤) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)
(٥) ما له أحد ؟ (م)

كُنْتَ أَبا عُذْرِها وَذاكَ بِما ... أَقْدَمْتَ وَالْمَوْتُ دُونَها رَصَدُ

فَما سَعَى نَحْوَها أَمامَكَ إِنْ ... سانٌ وَقَدْ سُدَّ خَلْفَكَ الْجُدَدُ

يَقْرُبُ مِنْ عَزْمِكَ (١) الْبَعِيدُ مِنَ الْ ... عِزِّ وَيَنْأَى عَنْ رَأْيِكَ الْفَنَدُ

فِي كُلِّ يَوْمٍ لَقِيتَ فِيهِ عِدىً ... دَمٌ مُراقٌ وَمُرْتَقىً صَعَدُ

وَمُنْذُ بَوَّأْتَهُمْ رِضاكَ نَسُوا ... مَنْ أَقْصَدَتْهُ (٢) الظُّبَى بِمَنْ قَصَدُوا

حَكَمْتَ حُكْمَ الْأَعَزِّ مُقْتَدِراً ... فَالْقَتْلُ فِيهِمْ وَمِنْهُمُ الْقَوَدُ

هَوَّنَ وِجْدانَهُمْ نَداكَ لَهُمْ ... عَوْناً عَلَى الدَّهْرِ فَقْدَ مَنْ فَقَدُوا

عَقَلْتَهُمْ بِالْجَمِيلِ فَانْعَقَلُوا ... رُبَّ عُناةٍ أَصْفادُها الصَّفَدُ

تَقارَبَ الْخَلْقُ فِي خَلائِقِهِمْ ... وَأَنْتَ بِالْمُعْجِزاتِ مُنْفَرِدُ

وَأَيْنَ مِنْكَ الْوَرَى وَما وَلَدَتْ ... لَكَ اللَّيالِي مِثْلاً وَلا تَلِدُ

إِنْ كانَ ذا الْمُلْكُ نِيلَ مُطَّرَفاً ... فَإِنَّ هٰذا الْعَلاءَ مُتَّلَدُ

قَعَدْتَ وَالْقَوْمُ قائِمُونَ كَما ... قُمْتَ بِصَرْفِ الْخُطُوبِ إِذْ قَعَدُوا

فَلْتَعْلُ بِيضُ السُّيُوفِ صاعِدَةً ... أَنَّكَ مِنْها وَتَفْخَرِ الْعُدَدُ

نَهَضْتَ يا عُدَّةَ الْخَلائِفِ (٣) بِالْأَعْ ... باءِ إِذْ خانَ غَيْرَكَ الْجَلَدُ

---

(١) من غيرك ؟ (ع) و (م)

(٢) قصدته (ل)

(٣) الخلافة (ع) و (م)

مُبَيِّنًا أَنَّ رَأْيَ حَاكِمِهِمْ (١) ... مِمَّا أَرَاهُ (٢) الْمُهَيْمِنُ الصَّمَدُ
أَيْقَنَ يَوْمَ اصْطَفَاكَ مُنْتَجَبًا ... أَنَّكَ لِابْنِ ابْنِهِ غَدًا عَضُدُ
بَايَعَ جَدًّا عَلَى هَوَاكَ أَبٌ ... وَقَدْ تَلَا الْآنَ وَالِدًا وَلَدُ
لَا تَخْشَ مِنْ حَاسِدِيكَ بَائِقَةً (٣) ... ذَلَّتْ أَعَادٍ (٤) سِلَاحُهَا الْحَسَدُ
فَلَنْ (٥) يَحُلَّ الْأَنَامُ مَا عَقَدَتْ ... يَدَاكَ مَا دَامَ فِي الْقَنَا عُقَدُ
أَضْحَتْ مَطَايَا الْمُنَى بِأَجْمَعِهَا ... إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ وِجْهَةٍ تَخِدُ
حَيْثُ يَحُطُّ الرَّجَاءُ أَرْحُلَهُ (٦) ... مَكَارِمٌ لَمْ يُحِطْ بِهَا عَدَدُ
وَلَوْ دَعَوْتَ (٧) الْمُلُوكَ قَاطِبَةً ... لَأَصْبَحَتْ دُونَ رُسْلِهَا تَفِدُ
أَمَالَ أَعْنَاقَهَا الْخُضُوعُ لِمَا ... تَعْرِفُهُ مِنْ سُطَاكَ لَا الصَّيَدُ
لَا يَدَّعُوا النُّصْحَ بِاعْتِرَافِهِمُ ... لَوْ وَجَدُوا الْجَحْدَ مُمْكِنًا جَحَدُوا
وَكَيْفَ يَعْصُونَ حِينَ يَأْمُرُهُمْ ... مَلْكٌ إِذَا عَنَّ ذِكْرُهُ سَجَدُوا

(١) إشارة إلى أن أنوشتكين الدِّزْبِري نشأ في قصر الحاكم بأمر الله وأن الحاكم كان يتفرس فيه النجابة .
(٢) رآه (ل)
(٣) نائبة (ل)
(٤) أُناس (ل)
(٥) فلن تحل الأيامُ ما عقدت (ل)
(٦) أرجله (ع) و (م)
(٧) ذعرت (ل)

يُرْبِي عَلَى ٱلْغَيْثِ حِينَ يَقْتَصِدُ   وَيَسْبِقُ ٱلرِّيحَ وَهْوَ مُتَّئِدُ
مَنِ ٱسْتَوَى فِي وَغًى وَفِي قَنَصٍ   بِنَاظِرَيْهِ (١) ٱلطِّرَادُ وَٱلطَّرَدُ
وَجَادَ حَتَّى أَنْبَرَتْ (٢) مَوَاهِبُهُ   تَطْلُبُ ذَا فَاقَةٍ فَمَا تَجِدُ
وَلَنْ (٣) يُسَاوُوهُ فِي ٱلْعُلَى أَبَداً   هَلْ يَتَسَاوَى ٱلصَّرِيحُ وَٱلزَّبَدُ
تِسْعَةُ أَعْشَارِهَا ٱسْتَبَدَّ بِهَا   وَعُشْرُهَا فِي بَنِي ٱلدُّنَى بَدَدُ
مُبَادِرُ ٱلْبَطْشِ وَٱلنَّوَالِ فَمَا   يُوعِدُ ذَا زَلَّةٍ وَلَا يَعِدُ
قَدْ قَطَبَ ٱلْبِشْرَ بِٱلْقُطُوبِ كَذَا ٱلصَّـ   ـارِمُ فِيهِ ٱلْفِرِنْدُ وَٱلرُّبَدُ (٤)
أَعْجِبْ بِنَفْسٍ ضَاقَ ٱلزَّمَانُ بِهَا   مِنْ عِظَمٍ كَيْفَ حَازَهَا (٥) ٱلْجَسَدُ
مَلَكْتَ رِقَّ ٱلْفَخَارِ مَا مَلَكَتْ   عَدْنَانُ مِعْشَارَهُ (٦) وَلَا أُدَدُ
خَلَفْتَ أَجْوَادَهُمْ كَمَا خَلَفَ ٱلنَّا   عِقَ بِٱلْبَيْنِ مُطْرِبٌ غَرِدُ
وَنُبْتَ عَمَّنْ فَشَتْ شَجَاعَتُهُ   نِيَابَةَ ٱلْبِيضِ وَٱلْقَنَا قِصَدُ
فَلَوْ رَآكَ ٱلْمُقَرِّظُونَ لَهُمْ   عَادُوا يَذُمُّونَ كُلَّ مَنْ حَمِدُوا

---

(١) لناظريه (ع) و (م)
(٢) سرت (م)
(٣) ولن تساويه في عُلىً أبداً (ع) و (م)
(٤) يقال : « سيف ذو رُبَدٍ » إذا كنت ترى فيه شبه غبار أو مَدَبّ نمل .
(٥) كيف ضمّها جسد (ل)
(٦) معشارها (ل) ويريد بعدنان العرب العدنانية ، وبأدد العرب القحطانية.

قَدْ نُصِرَتْ دَوْلَةٌ بِكَ اُعْتَضَدَتْ | وَعَزَّ دِينٌ عَلَيْكَ يَعْتَمِدُ
عَزْمُكَ سَيْفٌ لَدَيْهِ مُنْصَلِتٌ | وَأَنْتَ تَاجٌ عَلَيْهِ (١) مُنْعَقِدُ
وَقَدْ أَبَحْتَ اُلْمُلُوكَ أَمْنَهُمُ | مِنَ اُلرَّدَى مَا عَتَوْا (٢) وَمَا (٣) عَنَدُوا
فِي عِدَادِ اُلْجَرَادِ تَبْعَثُهَا | جُرْداً بِأُسْدِ اُللِّقَاءِ تَنْجَرِدُ
كَمْ وَارَدُوكَ اُلرَّدَى فَمَا صَدَرُوا | عَنْهُ وَلَكِنْ رُدُّوا كَمَا وَرَدُوا
ظُبًى تَقُدُّ اُلطُّلَى تُؤَيِّدُهَا | عَزَائِمٌ فِي دُجَى اُلْوَغَى تَقِدُ
وَهِمَّةٌ فِي اُلسَّمَاءِ مَسْكَنُهَا | لِذَاكَ سُكَّانُهَا لَهَا مَدَدُ
شَمِّرْ لِأَرْضِ اُلْعِرَاقِ إِنَّ بِهَا | جَمَائِمًا فِي اُلْحَيَاةِ قَدْ زَهِدُوا
تَلْقَ قُلُوبًا إِلَيْكَ طَائِرَةً | شَوْقًا وَأُخْرَى أَطَارَهَا اُلزَّأَدُ (٤)
وَاُنْدُبْ (٥) لَهَا فِتْيَةً عَمَائِمُهَا | بِيضٌ تَلَالَا وَقُمْصُهَا زَرَدُ
حَشْوَ (٦) جُيُوشٍ إِذَا اُنْتَحَتْ بَلَداً | فَقَائِدَاهَا اُلنَّجَاحُ وَاُلرَّشَدُ

(١) عليك ؟ (ع) و (م)
(٢) ما عنوا (ع) و (م)
(٣) وإن عندوا (ل)
(٤) في الأصل : الزؤد .
(٥) واندب لهم فتية عمائمهم (ع) و (م)
(٦) كذا في (ع) و (ل) . و « حشوا جيوش » في (م) . ولعل الصواب « حشر جيوشٍ » أو « حشد جيوشٍ » .

تَشْتَبِهُ ٱلدُّهْمُ وَٱلْوِرَادُ بِهَا   لَمَّا كَسَاهَا ٱلْعَجَاجُ وَٱلنَّجَدُ (١)
فَمَا بِبَغْدَادَ مَنْ يُرَوِّعُهَا   حَتَّى يَرُوعَ (٢) ٱلضَّرَاغِمَ ٱلنَّقَدُ
فَثَمَّ مُلْكٌ مَالَتْ دَعَائِمُهُ   وَعَنْ قَلِيلٍ إِلَيْكَ يَسْتَنِدُ
لَنَا بِذَا ٱلظِّلِّ لَا ٱنْطَوَى أَبَداً   دَرٌّ (٣) غَزِيرٌ وَعِيشَةٌ رَغَدُ
بَهْجَةُ أَعْيَادِنَا بَقَاؤُكَ مُحْـ   ـرُوساً فَبُقِّيتَ مَا بَقِي ٱلْأَبَدُ
بِذَا دَعَا ٱلْمُحْرِمُونَ مُذْ نَزَلُوا   مَكَّةَ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ شَهِدُوا
قَدْ سَمِعَ ٱللّٰهُ فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ   دُعَاءَهُمْ وَٱلْمَقَامُ مُحْتَشِدُ
مَا بَلَغَ ٱلْحَمْدُ كُنْهَ مَا أَنْتَ   مُولِيهِ مِنَ ٱلْعُرْفِ وَهْوَ مُجْتَهِدُ
أَعْيَيْتَنِي (٤) بِٱلنَّوَالِ عَنْهُ وَمَا   تُغِبُّنِي مِنْكَ أَنْعُمٌ جُدُدُ
جَادَتْ بِفَوْقِ ٱلْغِنَى وَهَا هِيَ لَا   تُقْلِعُ فَهْيَ ٱلطَّوَارِفُ ٱلتُّلُدُ
لَا يَحْسَبِ ٱلْحَاسِدِيَّ أَنَّهُمُ   بِأَنَّنِي عَنْكَ نَازِحٌ سَعِدُوا
بُعْدِي ذُنُوبٌ بِمَا أُحَبِّرُهُ   فِيكَ وَغَيْرِي ذُنُوبُهُ بُعُدُ
وَإِنَّمَا أَنْظِمُ ٱلْفَرِيدَ كَذَا   عِقْداً لِذَا ٱلْجِيدِ حِينَ أَنْفَرِدُ

(١) النَّجدُ : العَرَق .
(٢) تروع : (ع)
(٣) دهر عزيز (ل) وعلى هامش (ع) و (م)
(٤) أغنيتني ... (ع) أغنيتني عنه ... (م)

بَحْري مِنَ ٱلشِّعْرِ زَاخِرٌ وَبِهِ   جَوَاهِرٌ بِٱلْعُقُولِ تَنْتَقِدُ
فَٱسْمَعْ لِغُرٍّ مِنَ ٱلْمَحامِدِ لاَ   يَفُوتُها فِي مَسِيرِهـا بَلَدُ
مُقِيمَةٍ فِي ٱلْبِـلاَدِ ظاعِنَةٍ   مَعْقُولَةٍ وَهْيَ فِي ٱلدُّنا شُرُدُ
تَفْنَى ٱلْأَحادِيثُ وَهْيَ باقِيَةٌ   وَتَنْطَوِي قَبْلَ طَيِّها ٱلْمُدَدُ (١)
لاَ بَلَغَتْ سُؤْلَهـا عِداكَ وَلاَ   زَالَ (٢) بِها أَوْ يُعِيتَها ٱلْحَسَدُ (٣)
وَعِشْتَ ما أَعْقَبَ ٱلنَّهارُ دُجًى   وَدَامَ لِلْيَوْمِ فِي ٱلزَّمانِ غَدُ (٤)

(١) وينطوي قبل طيها الأَبَدُ (ل)
(٢) زالت ... (م)
(٣) الكَمَدُ (ل)
(٤) هذا البيت ساقط من (ل)

قافيـــة الـــرّاء

٤٢

وقال (١) يمدح الوزير أبا محمد اليازوري (٢)

سَبَقْتَ فَفُزْ بِعَظِيمِ ٱلْخَطَرْ   وَدَعْ لِعِدَاكَ ٱلْمُنَى وَٱلْخَطَرْ
فَدَتْكَ مُلُوكٌ عَلَتْ بِٱلْجُدُودِ   وَأَعْلَاكَ مَجْدُكَ لَمَّا ظَهَرْ
وَأَيْنَ ٱلْمُنِيفُ بِحَظٍّ أَعَا   نَ مِمَّنْ أَنَافَ بِفَضْلٍ بَهَرْ
بِطَاءٌ إِذَا سُئِلُوا نَجْدَةً   أَقَامُوا (٣) مَقَامَ ٱلنُّهُوضِ ٱلْعُذَرْ
غَدَا ٱلْمَالُ مُحْتَقِباً (٤) عِنْدَهُمْ   وَعِنْدَكَ لَمَّا يَزَلْ مُحْتَقَرْ
فَرَاهِبُ عَدْوَاهُمُ (٥) لَا يُسَاءُ   وَطَالِبُ جَدْوَاهُمُ لَا يُسَرّْ
لَقَدْ حَظَرَ ٱللهُ هٰذَا ٱلْجَلَالَ   عَلَى (٦) مَنْ مَضَى وَعَلَى مَنْ غَبَرْ

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح الوزير الناصر للدين اليازوري وأنفذها من دمشق الى القاهرة »

(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)

(٣) أقام ...؟ (ع) و (م) وموضع هذا البيت والأبيات الخمسة التي بعده يختلف في (ع) و (م)

(٤) محتقناً ...؟ (ع) و (م)

(٥) فراهب إقدامهم ... وطالب إنعامهم ... (ل)

(٦) ممّنْ مضى منهمُ أو غبر (ع) و (م)

أَتَقْعُدُ عَنْ مُرْتَقَاهُ ٱلنُّجُو ... مُ عَجْزاً وَيَطْمَعُ(١) فِيهِ ٱلْبَشَرْ
وَيَبْغِي(٢) تَنَاوُلَهُ ٱلْحَاسِدُونَ ... عَلَى مَا بِأَبْوَاعِهِمْ مِنْ قِصَرْ
وَإِنَّكَ مِنْ كَيْدِهِمْ آمِنٌ ... كَمَا أَمِنَ ٱلْبَازُ كَيْدَ ٱلنُّغَرْ(٣)
مَعَالٍ بَغَوْا حَطَّهَا فَٱعْتَلَتْ ... وَمَجْدٌ رَجَوْا طَيَّهُ فَٱنْتَشَرْ
وَإِنْ جَحَدُوهُ وَلَنْ يَقْدِرُوا ... فَإِنَّ ٱلْإِمَامَ(٤) بِهِ قَدْ أَقَرّْ
فَفَاهَ بِوَصْفِكَ مَنْ لَا يَمِينُ ... وَخَبَّرَ(٥) عَنْ سُؤْدُدٍ مِنْ خَبَرْ
وَرَقَّاكَ فِي قَوْلِهِ(٦) وَٱلْفَعَالِ ... ذُرَى شَرَفٍ لَمْ يَنَلْهَا بَشَرْ
رَأَى ٱللهَ مُتَّخِذاً فِي ٱلْوَرَى ... خَلِيلاً فَكُنْتَ(٧) ٱلْخَلِيلَ ٱلْأَبَرّْ
عَلَى أَلْسُنِ ٱلنَّاسِ طُرّاً تُقِرُّ ... بِهَا وَعُيُونُ ٱلْمَعَالِي(٨) تَقَرّْ
وَوَصْفٌ أَحَلَّكَ فَوْقَ ٱلسَّمَاءِ ... فَخَاطِبْ وَكَاتِبْ(٩) مِنَ ٱلْمُسْتَقَرّْ

---

(١) وتطمع (ع) و (م)
(٢) وتبغي ... (ل)
(٣) النُّغَر : فراخ العصافير . وفي (ع) و (م) النُّعَرْ .
(٤) الأنام (ع) و (م)
(٥) وحَبَّرَ عن سؤدد مِنْ حِبَر (ع) و (م)
(٦) في سؤدد والفعال (ع) و (م)
(٧) وكنت (ع) و (م)
(٨) المساعي (ل)
(٩) وكانت ؟ (ع) و (م)

وَكَمْ لِعُدَاتِكَ مِنْ عَثْرَةٍ تُقَالُ وَمِنْ زَلَّةٍ تُغْتَفَرْ[1]
لَدَيْكَ وَلَمْ يُعْمِلُوا حِيلَةً نَجَا ٱلْهُرْمُزَانُ[2] بِهَا مِنْ عُمَرْ
لِغَيْرِكَ عِنْدَ ٱحْتِيَالِ ٱلرِّجَالِ[3] يُدَبُّ ٱلضَّرَاءُ وَيُمْشَى ٱلْخَمَرْ
أَزِلْ مَا بِأَعْنَاقِهِمْ مِنْ صَغًى وَمَا بِخُدُودِهِمُ مِنْ صَعَرْ
فَمَا أَهْمَلَ ٱلسُّمُّ إِلَّا وَدَبَّ وَلَا أَهْمَلَ ٱلْكَلْبُ إِلَّا عَقَرْ[4]
وَعَاتِبْهُمُ بِصَلِيلِ ٱلَّتِي تُفَرِّقُ بَيْنَ ٱلطُّلَى وَٱلْقَصَرْ
فَأَوْعَظُ[5] مِنْ زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ لَدَى ٱلْكُفْرِ مَطْبُوعَةٌ مِنْ زُبَرْ
وَإِنَّ ٱلَّذِي شَايَعَ ٱلْمُرْجِفِيـ ـنَ أَعْمَى ٱلْبَصِيرَةِ أَعْمَى ٱلْبَصَرْ
حِمَى ٱلْحَقِّ مِنْكَ مَنِيعُ ٱلْجِوَارِ عَزِيزُ ٱلنَّفِيرِ كَرِيمُ ٱلنَّفَرْ
شُجَاعٌ إِذَا مَا قَضَى أَوْ سَطَا[6] مُطَاعٌ إِذَا مَا نَهَى أَوْ أَمَرْ

(١) هذا البيت ساقط من (ل)

(٢) الهرمزان من عظماء الفرس أُتي به أسيراً الى عمر رضي الله عنه بعد أن غدر بالمسلمين ، فاستسقى ماء ، فأُتي به ، فقال : إني أخاف أن أُقتل وأنا أشرب ، فقال عمر لا بأس عليك حتى تشربه ، فأكفأه وقال : لا حاجة لي بالماء إنما أردت أن أستأمن به . « ابن الأثير ٢/٢١٢ »

(٣) احتيال الأمور (ل)

(٤) موضع هذا البيت والأبيات الخمسة التي بعده يختلف في (ع) و (م)

(٥) وأوعظ ... (ع) و (م)

(٦) شجاع إذا ما سطا أو قضى (ع) و (م)

غَمَامٌ وَمَا هَدَرَ الرَّعْدُ فِيهِ ... أَرَانَا دَمَ الْمَحْلِ يَمْضِي هَدَرْ
كُنُوزُ الْمَعَالِي لَدَيْهِ تُزَارُ(١) ... وَثَوْبُ الثَّنَاءِ(٢) عَلَيْهِ يُزَرّْ
وَلِلْمَجْدِ رَاحَاتُهُ وَاللُّغُوبُ ... وَلِلْحَمْدِ رَوْحَاتُهُ(٣) وَالْبُكَرْ
مَضَاءٌ لِكُلِّ عَنِيدٍ أَبَارَ ... وَسَعْيٌ عَلَى كُلِّ سَعْيٍ أَبَرّْ
وَعَدْلٌ بِهِ يُسْتَدَامُ الْبَقَاءُ ... وَعَفْوٌ بِهِ يُسْتَتَمُّ الظَّفَرْ
وَتَفْعَلُ آلاؤُهُ(٤) فِي الْمُحُولِ ... فِعْلَ عَزَائِمِهِ فِي الْغِيَرْ
عَزَائِمُ مَنْ أَمَّنَتْ لَمْ يُجَرْ ... عَلَيْهِ وَمَنْ خَوَّفَتْ لَمْ يُجَرْ
فَيَا عَلَمَ الْمَجْدِ لَمَّا اسْتَطَالَ ... وَيَا نَاصِرَ الدِّينِ لَمَّا انْتَصَرْ
وَيَا دَاعِيَ الْجَفَلَى لِلْغِنَى ... إِذَا مَنْ(٥) دَعَا لِلطَّعَامِ(٦) انْتَقَرْ
وَيَا صَاحِبَ السِّيَرِ السَّائِرَا ... تِ تُتْلَى(٧) وَتَبْقَى بَقَاءَ السُّوَرْ

(١) نزار ؟ (ل)
(٢) وثوب العلاء ... (ل)
(٣) راحاته ؟ (ع) و (م)
(٤) راحته (ل)
(٥) إذا ما دعا ... (ع) و (م) . والجفلى : الدعوة العامة . والانتقار : دعاء بعض دون بعض .
(٦) للعظام انتصر ؟ (ل)
(٧) تبق وتتلى بقاء السور (ع) و (م)

رَأَى ٱللّٰهُ عَـدْلَكَ فِي خَلْقِـهِ فَأَجْرَى عَلَى مَـا تَشَاءُ ٱلْقَدَرْ
وَإِنَّ ٱلْمُغِيثَ بِكَ ٱلْمُسْلِمِيـ ـنَ أَحْسَنَ لِلْمُسْلِمِينَ ٱلنَّظَرْ
وَإِنَّـكَ مِنْ مَعْشَرٍ جَاوَزَتْ مَـدَى ٱلْحُسْنِ أَفْعَالُهُمْ وَٱلصُّوَرْ (١)
وُجُوهٌ تَلُوحُ فَتَخْفَى ٱلْبُدُورُ وَأَيْـدٍ تَسُحُّ فَتَتْرَى (٢) ٱلْبِـدَرْ
قُرُومٌ مَضَوْا فِي سَبِيلِ ٱلرَّدَى (٣) وَذِكْرُهُمُ مَاثِلٌ مَـا دَثَرْ
ذَوُو عِـتَرٍ نَشْرُ أَعْرَاقِهَـا هُوَ ٱلْمِسْكُ لَا مَا حَوَتْـهُ ٱلْعِتَرْ
أُصُولُـكُمُ شَامِخَـاتُ ٱلْفُرُوعِ وَأَيَّامُـكُمْ شَادِخَاتُ ٱلْغُرَرْ
وَمَحْضُ ٱلْإِبَاءِ وَحُسْنُ ٱلْوَفَاءِ غَرَائِزُ فِي بَـدْوِكُمْ وَٱلْحَضَرْ
وَمِنْـكُمْ رِجَالٌ أَقَامُوا ٱلْحُدُودَ بِحَـدِّ ٱلسُّيُوفِ عَلَى مَنْ كَفَرْ
وَكَانُوا لِذَا ٱلدِّينِ لَمَّـا نَبَتْ بِـهِ أَرْضُ مَـكَّةَ نِعْمَ ٱلْوَزَرْ
مَسَاعٍ لِقَوْمِكَ (٤) مَا غَادَرَتْ لِمُفْتَخِرٍ فِي ٱلْوَرَى مُفْتَخَرْ
تَغُضُّ رَبِيعَةُ مِنْهَا ٱلْعُيُونَ وَلَوْلَا ٱلرَّسُولُ لَغَضَّتْ مُضَرْ (٥)

(١) الأبيات الخمسة التي بعد هذا البيت يختلف ترتيبها في (ع) و (م)

(٢) فتتوى (ع) فتثوى (م)

(٣) في سبيل الورى (ل)

(٤) بقومك (ل)

(٥) ربيعة ومضر قبيلتان عظيمتان يتفرع منهما جميع العرب العدنانية ، وفي ذلك إشارة إلى أن الممدوح من العرب القحطانيه لا من العرب العدنانية .

وَإِنَّكَ إِذْ جِئْتَ مِنْ بَعْدِهِمْ سَنَا ٱلشَّمْسِ غَطَّى ضِيَاءَ ٱلْقَمَرْ
يَفِيضُ بِوَجْهِكَ مَاءُ ٱلْحَيَاءِ إِنْ شِئْتَ نَفْعاً وإِنْ شِئْتَ ضَرّْ
وَتُغْضِي [١] عَلَى ٱلذَّنْبِ لَا رَهْبَةً كَمَا ٱحْمَرَّتِ ٱلْبِيضُ لَا مِنْ خَفَرْ
وَتَهْتَزُّ عِنْدَ ٱسْتِمَاعِ ٱلْمَدِيحِ [٢] كَمَا ٱهْتَزَّ فِي ٱلرَّوْعِ عَضْبٌ ذَكَرْ
وَقَدْ أَيْقَنَ ٱبْنَاكَ [٣] فَلْيَسْلَمَا بِأَنَّ ٱلْعُلَى فُرَصٌ تُبْتَدَرْ
فَكُلٌّ بِهَا مُسْتَهَامُ ٱلْفُؤَادِ قَلِيلُ الرُّقَادِ كَثِيرُ ٱلسَّهَرْ
يَعِفُّ إِذَ مَا خَلَا مِثْلَمَا تَعِفُّ وَيَعْفُو إِذَا مَا قَدَرْ
يَفُوتَانِ فِيمَا أَفَادَ ٱلثَّنَاءَ لَمْعَ ٱلْبُرُوقِ وَلَمْحَ ٱلْبَصَرْ
فَهَلْ [٤] مِنْ مُجِيدٍ يُدَانِيهِمَا إِذَ ٱلْمَجْدُ [٥] عَنْ سَاعِدَيْهِ حَسَرْ
وَمَا ٱلْعِيدُ إِلَّا كَمَافٍ أَتَاكَ أَحْمَدْتَهُ وِرْدَهُ وَٱلصَّدَرْ
فَلَا زِلْتَ تَخْلُفُهُ مَا ٱسْتَقَلَّ فَغَابَ وَتُذْهِلُهُ مَا حَضَرْ
لَقَدْ ضَلَّ فِكْرِي وَضَاقَ ٱلْقَرِيضُ بِوَصْفِ نَدًى فَاضَ حَتَّى غَمَرْ

(١) عن الذنب (مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري ج ١٠) مخطوط
(٢) وتهتز للمدح عند السماع ... (مسالك الأبصار)
(٣) هما خطير الملك وصفي الملك . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٩٥)
(٤) وهل ... (ع) و (م) . والأبيات الأربعة التي بعد هذا البيت يختلف ترتيبها في (ع) و (م)
(٥) إذا الفخر ... (ع) و (م)

وَمَا خِلْتُ قَبْلَ بُلُوغِي إِلَيْكَ   أَنَّ ٱلْغِنَىٰ مِنْ دَوَاعِي ٱلْحَصَرْ
وَمَا أَعْرِفُ ٱلْفَقْرَ حَتَّىٰ أَقُولَ   عَلَى أَنَّنِي رَبُّ بَيْتِ ٱلْفِقْرْ
زَوَتْهَا [١] مَطَايَاكَ عَنْ مَعْشَرٍ   بِأَجْيَادِهِمْ لَا تَلِيقُ ٱلدُّرَرْ
وَحَلَّيْتَ [٢] حَالِيَ بَعْدَ ٱلْعُطُولِ   وَأَحْلَيْتَ مِنْ عِيشَتِي مَا أَمَرّْ
إِذَا مَا مَضَتْ زُمَرٌ مِنْ لُهَاكَ   تَلَتْهَا وَأَرْبَتْ عَلَيْهَا زُمَرْ
فَجُودٌ أَنَالَ جَمِيعَ ٱلْمُنَى [٣]   وَجُودٌ بِبَالِ [٤] ٱلْمُنَى [٣] مَا خَطَرْ
أَخُو ٱلْعُدْمِ [٥] مَنْ ظَلَّ يَرْجُو سِوَاكَ   وَرَبُّ ٱلْغِنَى مَنْ إِلَيْكَ ٱفْتَقَرْ [٦]
وَمَا طَالِبُ ٱلدُّرِّ مِنْ بَحْرِهِ   كَمَنْ ظَلَّ يَطْلُبُهُ مِنْ نَهَرْ
وَمُمْتَاصَةِ [٧] ٱلْمِثْلِ فِي ذَا ٱلزَّمَا   نِ مُمْتَاصَةٍ صُحُفًا مِنْ فِكَرْ [٨]
لَهَا أَرَجٌ كَنَسِيمِ ٱلرِّيَاضِ   وَافَى رَسِيلَ نَسِيمِ ٱلسَّحَرْ
تَحَلَّتْ [٩] مَنَاقِبَ لَمْ تَسْتَعِنْ   عَلَيْهَا سِوَاهَا وَلَمْ تَسْتَعِرْ

---

(١) زوتها ؟ (ع) و (م)
(٢) وحليت حالي من حيلتي (ع) و (م)
(٣) الورى (ل)
(٤) ينال ؟ (ع) و (م)
(٥) أخو العدم من يترجّى سواك (ل)
(٦) الأبيات التي تلي هذا البيت الى آخر القصيدة يختلف ترتيبها في (ع) و (م)
(٧) ومعتاضة (ع) و (م)
(٨) من زُبُر (ع) و (م)
(٩) تحلت (ع) و (م)

تُطَاوِلُ أَعْمَارَ زُهْرِ النُّجومِ وَيَبْقَى سِوَاهَا بَقَاءَ الزَّهَرْ

وَإِنَّ الَّذِي يَبْتَغِي عَدَّهَا لَكَالْمُبْتَغِي عَدَّ قَطْرِ الْمَطَرْ

لِذَاكَ (١) الْمُبَالِغُ فِي مَدْحِهَا إِذَا هُوَ أَكْثَرَ قِيلَ (٢) اخْتَصَرْ

وَإِنْ أَقْعَدَتْنِي عَنْكَ الْخُطُوبُ فَعِنْدِي ثَنَاءٌ يُدِيمُ السَّفَرْ

وَحَضُّ السَّقَامِ عَلَى ذَا الْمَقَامِ مُشِيرٌ (٣) لَعَمْرُكَ لَمْ يُسْتَشَرْ

رَأَى هِجْرَتِي فِي الزَّمَانِ الْبَهِيمِ وَوَاصَلَنِي (٤) فِي الزَّمَانِ الْأَغَرّْ

وَلَوْ أَنَّنِي أَسْتَطِيعُ النُّهُوضَ حَفِظْتُ الْوَفَا (٥) وَأَضَعْتُ الْحَذَرْ

لَقَدْ أَظْهَرَ الْغَدْرَ إِذْ غِبْتُ عَنْكَ زَمَانِي وَلَوْ لَمْ أَغِبْ مَا غَدَرْ

وَإِنْ أَمْهَلَتْنِي حَتَّى أَرَاكَ حَوَادِثُهُ فَعَلَيْهَا الْمَكَرّْ

*
* *

---

(١) كذاك (ع) و (م)

(٢) فيها (ل)

(٣) مشيراً (ع) و (م)

(٤) فواصلني (ع) و (م)

(٥) العلى (ع) و (م)

٤٣

وقال (١) يمدح نصر بن محمود (٢) ويرثي والده في سنة سبع وستين واربعمائة في عيد الفطر

كَفَى ٱلدِّينَ عِزّاً مَاقَضَاهُ لَكَ ٱلدَّهْرُ ... فَمَنْ كَانَ ذَا نَذْرٍ فَقَدْ وَجَبَ ٱلنَّذْرُ

لَقَدْ ظَلَّلَتْ هٰذِي ٱلْبِلَادَ سَحَابَةٌ ... بَوَارِقُهَا بِشْرٌ وَإِعْمَاضُهَا (٣) تِبْرُ

إِذَا مَا غَمَامٌ خَصَّ أَرْضاً بِغَيْثِهِ ... هَمَى هَاطِلاً فِي كُلِّ قُطْرٍ لَهَا (٤) قَطْرُ

ثَمَانِيَةٌ لَمْ تَفْتَرِقْ مُذْ جَمَعْتَهَا ... فَلَا ٱفْتَرَقَتْ مَا ذَبَّ (٥) عَنْ نَاظِرٍ شُفْرُ

يَقِينُكَ (٦) وَٱلتَّقْوَى وَجُودُكَ وَٱلْغِنَى ... وَلَفْظُكَ وَٱلْمَعْنَى وَعَزْمُكَ وَٱلنَّصْرُ

بِكَ (٧) ٱنْجَابَتِ ٱللَّأْوَاءُ وَٱمْتَدَّتِ ٱلْمُنَى ... وَضُوعِفَتِ ٱلْآلَاءُ وَٱفْتَخَرَ ٱلْعَصْرُ

---

(١) موضع هذه القصيدة في (ل) آخر قصيدة في قافية الراء وعنوانها هناك هكذا : « وقال أيضاً يمدح نصر بن محمود بن صالح » . ولهذه القصيدة قصة تراجع بترجمة ابن حَيُّوس في (ابن خلكان ٢ / ١٣) وابن العديم وغيرهما .

(٢) هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)

(٣) وأمطارها (ع) و (م)

(٤) له قطرُ (ل)

(٥) ما افترَّ عن ناظرٍ (تاريخ ابن الوردي ١/٣٧٩)

(٦) ضميرك (تاريخ ابن الوردي ١ / ٣٧٩)

(٧) بل ... (ل)

وردَّ إليكَ الأمرَ لُطفاً ورحمةً (١)   بدا الخلقُ طرّاً مَن له الخلقُ والأمرُ (٢)

فآمنتَهم غضَّ الجفونِ (٣) على قذى   فأقصى مُناهم أنْ يطولَ لكَ العمرُ

فلله مُلكٌ زيَّنَ الدستَ مُلكُهُ   وجادَ الحيا مَلْكاً تضمَّنهُ القبرُ

وكنّا نظنُّ الأرضَ تظلمُ بعدَهُ   فقمتَ مقامَ الشمسِ إذ غُيِّبَ البدرُ

لكُمْ في رسولِ اللهِ أعظمُ أسوةٍ   فلا تظهرِ الشكوى ولا يتعبِ الفكرُ

فقيدُكَ مَنْ لا يملكُ الهمُّ ردَّهُ   وخصمُكَ مَنْ لا يقتضي عندَهُ وترُ

مضى حيثُ لا تُغني (٤) الصوارمُ والقنا   ولا النسبُ الزاكي (٥) ولا النائلُ الغمرُ

ولو كانتِ الأقدارُ تُدنى بقوّةٍ   حماهُ (٦) الإباءُ المحضُ والجحفلُ المجرُ

وسارتْ على مثلِ النعامِ ضراغمٌ   عليها منَ الماذيِّ أوشحةٌ خضرُ

إذا أظهروا سرَّ الجفونِ فلا دُجى   وإنْ لفَّهمْ نقعُ المذاكي فلا فجرُ

ولكنّها تمضي على غُلوائها   سواءٌ عليها مُستعدٌّ ومغترُّ

صبرْنا على حُكمِ الزمانِ الذي سطا   على أنّهُ لولاكَ لمْ يُمكنِ (٧) الصبرُ

(١) ورأفةً (ل)
(٢) من له النهي والأمرُ (ل)
(٣) العيون (ع) و (م)
(٤) لم تغن (ع) و (م)
(٥) ولا الحسب الزاكي ولا النَّشبُ الدثْرُ (ع) و (م)
(٦) ثناه (ع) و (م)
(٧) لم يكن الصبر . (ابن خلكان ٢/١٣) و (مختارات البارودي) .

غَزَانا (١) بِبُؤْسَى لَا يُماثِلُها الأَسَى ... تقارَنُ نُعْمَى لا يَقُومُ بِها شُكْرُ
وَأَوْجَبَتِ (٢) الأَوْلَى المَلامَ فَلَمْ نَلُمْ ... وَأَنَّى لَهُ لَوْمٌ وَأَنْتَ لَهُ عُذْرُ
وَكادَ شِعارُ الخَوْفِ يَنْبَتُّ فِي الوَرَى ... فَنادَى شِعارُ الأَمْنِ يا نَصْرُ يا نَصْرُ
فَـرَّتْ بِكَ الشَّقْراءُ تَسْمُو تَحَلُّقاً ... كَما حَلَّقَتْ فَتْخاءُ (٣) يَجْذِبُها وَكْرُ
عَلَيْها هُمامٌ يَمْلأُ الأَرْضَ (٤) هَيْبَةً ... عَلَى الجَيْشِ كَرّارٌ إِذا حِزْبُهُ فَرُّوا
بِحَيْثُ حَمَى تِلْكَ الوُجُوهَ بِسَيْفِهِ ... وَقَدْ كُشِفَتْ عَنْها البَراقِعُ وَالخُمْرُ
حَبِيبٌ إِلَيْهِ (٥) العَدْلُ وَاللِّينُ وَالنَّدَى ... بَغِيضٌ إِلَيْهِ الجَوْرُ وَالبُخْلُ وَالكِبْرُ
أَرَى المَجْدَ عِقْداً أَنْتَ واسِطَةٌ لَهُ ... وَعَنْ (٦) جانِبَيْهِ صالِحٌ وَفَنا خُسْرُو (٧)

---

(١) عزانا ..... تقابل ..... الشكر (ع) و (م) و(مسالك الأبصار ج١٠) مخطوط.

(٢) فأوجبت ... وَلَمْ يُلَمْ (ع) و (م)

(٣) الفتخاء : العقاب اللينة الجناح .

(٤) يملأ الدرع هيبةً (ع) و (م)

(٥) حبيب اليه اللين ... (ل)

(٦) ومن جانبيه ... (ل)

(٧) صالح بن مرداس أول ملوك بني مرداس في حلب ملكها سنة ٤١٧ وقتل سنة ٤٢٠ وهو جد الممدوح الثالث لأبيه . انظر ابن خلكان ١/٢٨٦ وفناخسرو هو عضد الدولة بن بويه وهو جد الممدوح الرابع لأمه ، فأم نصر هي بنت الملك العزيز بن الملك جلال الدولة بن بهاء الدولة بن عضد الدولة .

« انظر بن الأثير ٩/٨٠ »

تَجِدُّ لَهُ دانَتْ نِزارٌ وَيَعْرُبٌ ... وَجِدٌّ رَعايا مُلْكِهِ ٱلْبَدْوُ وَٱلْحَضْرُ
وأَنْتَ ٱلَّذِي يُرْوَى بِسَحِّ بَنانِهِ ... فَكَيْفَ إِذَا فاضَتْ أَنامِلُهُ ٱلْعَشْرُ
وَما ٱلْمَرْءُ إِلاَّ مَنْ يُخافُ وَيُرْتَجَى ... لَدَيْهِ ٱلْعَطاءُ ٱلْحُلْوُ وَٱلْأَنَفُ ٱلْمُرُّ
سَعِدْنا بِمَوْلًى يُوجَدُ ٱلْخَيْرُ عِنْدَهُ ... وَيُعْدَمُ إِلاَّ فِي مَواضِعِهِ ٱلشَّرُّ
عَوادِيهِ مَدٌّ يُحْدِثُ ٱلْعَفْوُ جَزْرَهُ ... وَجَدْواهُ مَدٌّ لا يُعَقِّبُهُ جَزْرُ (١)
وَلَمَّا أَرادَ ٱللهُ إِظْهـــارَ حَقِّهِ ... وَجاهَرَ فِيهِ ٱلنَّاسُ إِذْ أَمْكَنَ ٱلْجَهْرُ
بَدا لا كَما يَبْدُو ٱلنَّباتُ مِنَ ٱلثَّرَى ... وَلٰكِنْ كَما يَبْدُو مِنَ ٱلصَّدَفِ ٱلدُّرُّ
فِداؤُكَ مَنْ هٰذِي ٱلصِّفاتُ وَذِكْرُها ... عَلَى ظَهْرِهِ وِقْرٌ وَفِي سَمْعِهِ (٢) وَقْرُ
أَعانَتْ عَلَى إِدْراكِ ما تَسْتَحِقُّهُ ... طَرِيقَتُكَ ٱلْمُثْلَى وَهِمَّتُكَ ٱلْبِكْرُ
وَلَمْ تَكُ فِيهِ كَٱبْنِ (٣) هِنْدٍ فَإِنَّهُ ... بَغَى فَبَغَى ما لَمْ يُخَلِّفْ لَهُ صَخْرُ (٣)
وَما ضَرَّ مَنْ فاقَ ٱلْمُلُوكَ بِرَأْيِهِ ... وَإِقْدامِهِ أَلاَّ يَكُونَ لَهُ عَمْرُو (٤)
وَخالُكَ مَنْ شادَتْ دَعائِمَ بَيْتِهِ ... سَجِيَّتُهُ ٱلْحُسْنَى وَنائِلُهُ (٥) ٱلْغَمْرُ

(١) هذا البيت ساقط من (ل)
(٢) وفي أذنه وقرُ (ع) و (م)
(٣) ابن هند : معاوية بن أبي سفيان صخر رضي الله عنهما .
(٤) عمرو بن العاص المشهور بدهائه رضي الله عنه .
(٥) وسؤدده الغمر (ل)

فَيا طِيبَ ما حَيَّتْ بِهِ مِصْرَ بابِلٌ ... وَيا حُسْنَ ما أَهْدَتْ إِلَى حَلَبٍ مِصْرُ (١)

فَجاءَ كَما يُهْدى إِلى الرَّوْضِ (٢) صَيِّبٌ ... حَيا لا كَما يُهْدى إِلى هَجَرَ التَّمْرُ (٣)

فَأَهْلاً بِمَنْ تَقْضِي فَضائِلُهُ لَهُ ... بِأَضْعافِ ما تَقْضِي الْقَرابَةُ وَالصِّهْرُ

وَلَمْ يَتْرِكْ تِلْكَ الْبِلادَ لِأَنَّهـا ... بَغَتْ بَدَلاً مِنْهُ وَلا أَنْ نَبا دَهْرُ

وَلٰكِنَّهُ كَالسَّيْفِ فارَقَ غِمْدَهُ ... لِيَشْهَدَ حَدّاهُ بِمـا خَبَّرَ الْأَثْرُ

وَإِخْوَتُكَ الرّاقُونَ (٤) يَبْغُونَ ذِرْوَةً ... تَقَيَّلَها مِنْ قَبْلُ آباؤُكَ الْغُرُّ

مَلَكْتَ فَما كانُوا كَإِخْوَةِ يُوسُفٍ ... تَوَدُّدُهُمْ مَكْرٌ وَمَحْصُولُهُ (٥) خَتْرُ

وَلٰكِنْ أَباحُوكَ الْمَوَدّاتِ أَخْلَصَتْ ... فَما فَوْقَها وُدٌّ وَلا تَحْتَهـا غِمْرُ

وَقَبْلَكَ ما راءَ الْأَنامُ وَلَنْ يَرَوْا (٦) ... مَدَى الدَّهْرِ شَمْساً حَوْلَها أَنْجُمٌ زُهْرُ

فَجاوَزْ (٧) بِهِمْ حَدَّ الْأُخُوَّةِ بالِغاً ... إِلى غايَةٍ فِيها لَكَ الْحَمْدُ وَالْأَجْرُ

---

(١) فيا طيب ما أهدتْ إلى مصر بابلٌ ويا طيب ما حيَّتْ به حلباً مصرُ (ع) و (م)
وفي البيت إشارة الى خبر زواج محمود بن نصر بينت الملك العزيز. قال ابن الأثير:
« ... وتزوجها عند دخولهم مصر لما ملك طغرلبك العراق »
« الكامل ج ٩ ص ٨١ »

(٢) الى الأرض ... (ل)

(٣) هَجَر: اسم لجميع أرض البحرين ومنه المثل « كمستبضع تمر الى هَجَر »

(٤) الباقون (ع) و (م)

(٥) ومحصولهم (ع) و (م)

(٦) ولا ترى (ع) و (م)

(٧) تجاوز ... (ع) و (م)

وَأَمَّا الْعِدَى خَابُوا فَإِنَّ غَنَاءَهُمْ ... غَنَاءُ دُخَانِ النَّارِ غَادَرَهُ الْجَمْرُ
وَحُوشِيتَ مِنْ قُرْبِ اللِّئَامِ فَإِنَّهُمْ ... إِذَا اسْتُنْصِحُوا غَرُّوا وَإِنْ صُحِبُوا عَرُّوا (١)
فَمَزِّقْهُمُ قَتْلاً وَنَفْياً فَإِنَّهُ ... نَهَى الدِّينُ أَنْ يَسْتَصْحِبَ الْفَاجِرَ الْبَرُّ
يُرِيدُ دُنُوَّ النَّارِ مَنْ يَصْطَلِي بِهَا ... وَيُبْعِدُهَا مَنْ لَيْسَ يَغْلِبُهُ الْقَرُّ
وَإِنَّ (٢) سَقِيمَ الْإِبْلِ يُعْدِي صَحِيحَهَا ... فَيُبْعَدُ عَنْ أَعْطَانِهَا (٢) مَنْ بِهِ عَرُّ
عُرِفْتَ بِإِقْدَامٍ بِهِ يُحْسَمُ الْأَذَى ... وَفَائِضِ إِنْعَامٍ بِهِ يُطْرَدُ الْفَقْرُ
وَأَنْشَرْتَ أَمْوَاتَ (٣) الْأَمَانِي مُكَذِّباً ... مَقَالَ أُنَاسٍ لَيْسَ بَعْدَ التَّوَى نَشْرُ
فَدَامَتْ وَعَزَّتْ دَوْلَةٌ نَبَوِيَّةٌ ... دَعَتْكَ بِمَا فِيهِ لَهَا الْعِزُّ وَالْفَخْرُ
فَإِنْ فَاخَرَتْ يَوْماً فَأَنْتَ جَلَالُهَا ... وَصَمْصَامُهَا (٤) فِي كُلِّ نَائِبَةٍ تَعْرُو
وَإِنْ عَدِمَتْ مَنْ كَانَ أَظْهَرَ حَقَّهَا ... بِمَحْضِ وَلَاءٍ (٥) لَا يُمَازِجُهُ غَدْرُ
وَأَلْوَتْ بِمَحْمُودِ بْنِ نَصْرٍ مُلِمَّةٌ ... عَوَائِدُهَا الْإِقْدَامُ وَالْقَسْرُ وَالْقَهْرُ
فَنَصْرُ بْنُ مَحْمُودِ بْنِ نَصْرِ بْنِ صَالِحٍ ... لَهَا عِوَضٌ نِعْمَ الْبَقِيَّةُ وَالذُّخْرُ

---

(١) إذا نصحوا غرُّوا وإن عوشروا عرُّوا (ل)

(٢) فإنّ ... أوطانها ... (ع) و (م)

(٣) آمال الأماني (ل)

(٤) جلال الدولة وصمصامها : من ألقاب الممدوح نصر بن محمود .
« ابن خلكان ج ٢ ص ١٣ »

(٥) وفاء (ل)

وَأَنتُمْ بِحارُ الْجُودِ وَالْبَأْسِ وَالْحِجى إِذا غاضَ بَحْرٌ فاضَ يَخْلُفُهُ بَحْرُ
فَكَمْ مِنْ بِلادٍ أَنْكَحَتْكُمْ (١) رِماحُكُمْ وَلَيْسَ سِوى طَعْنِ النُّحُورِ لَها مَهْرُ
ثُغُورُ الْعِدى إِنْ رُمْتُمُوهُنَّ كَالْفَلا وَكُلُّ فَلاةٍ رُمْتُمُ مَنْعَها ثَغْرُ
أَحاديثُ مَجْدٍ يُعْجِزُ الدَّهْرَ طَيُّها وَأَخْلَدُها (٢) ما كانَ يَحْفَظُهُ الشِّعْرُ
تَباعَدْتُ عَنْكُمْ حُرْفَةً لا زَهادَةً وَسِرْتُ إِلَيْكُمْ حِينَ مَسَّنِيَ الضُّرُّ
فَلاقَيْتُ بابَ (٣) الْأَمْنِ ما عَنْهُ حاجِزٌ يَصُدُّ وَبابَ الْعُرْفِ (٤) ما دُونَهُ سِتْرُ
وَطالَ مُقامي في إِسارِ جَمِيلِكُمْ فَدامَتْ مَعالِيكُمْ وَدامَ لِيَ الْأَسْرُ
وَأَنْجَزَ لِي رَبُّ السَّمٰواتِ وَعْدَهُ الْـ كَرِيمَ بِأَنَّ الْعُسْرَ مِنْ بَعْدِهِ (٥) يُسْرُ
وَجادَ (٦) ابْنُ نَصْرٍ لِي بِأَلْفٍ تَصَرَّمَتْ وَإِنِّي عَلِيمٌ أَنْ سَيُخْلِفُها (٧) نَصْرُ
لَقَدْ كُنْتَ مَأْمُوراً تُرَجّى لِمِثْلِها فَكَيْفَ (٨) وَطَوْعاً أَمْرِكَ النَّفْعُ وَالضُّرُّ

(١) وكم ... (ل)
(٢) وأسيرها ... (ع) و (م)
(٣) ظل الأمن ... (ل) و(ابن خلكان) و (مختارات البارودي) .
(٤) وباب العز (ابن خلكان)
(٥) يتبعه اليسر (ابن خلكان) و (ابن الوردي ١/٣٧٩)
(٦) فجاد (ل) و « « « «
(٧) قال ابن خلكان : (... لما فرغ ابن حَيُّوس من إنشادها قال الأمير نصر : والله لو قال عوض قوله « سيخلفها نصر » ، « سيضعفها نصر » لأضعفتها له ؛ وأعطاه ألف دينار في طبق فضة) « وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٣ »
(٨) فكيف وطوعا أمرك النهي والأمرُ (ابن خلكان)

وَما بي إلى ٱلإشْطاطِ في ٱلسَّوْمِ (١) حاجَةٌ ... وَقَدْ عُرِفَ ٱلْمُبْتاعُ وَٱنفَصَلَ (٢) ٱلسِّعْرُ
وَإِنّي بِآمالي لَدَيْكَ (٣) مُخَيِّمٌ ... وَكَمْ في ٱلْوَرى ثاوٍ وَآمالُهُ سَفْرُ
وَعِنْدَكَ (٤) لا أَبْغي بِقَوْلي تَصَنُّعاً ... بِأَيْسَرِ ما توليهِ يُسْتَعْبَدُ ٱلْحُرُّ
تَقَبَّلْ مِنَ ٱلْمُثْني عَلَيْكَ ٱعْتِذارَهُ ... فَقَدْ ضاقَ عَنْ أَوْصافِكَ ٱلنَّظْمُ وَٱلنَّثْرُ
وَهُنِّيتَ جِدّاً لا يُفَتَّرُ صاعِداً ... وَمُلِّيتَ أَيّاماً (٥) عَنِ ٱسْمِكَ تَفْتَرُّ

٤٤

وقال (٦) يمدح محمود (٧) بن نصر بن صالح

أَمّا وَظِلِّكَ مِمّاً خِفْتُهُ وَزَرُ ... يُجِنُّني فَلْتَدُمْ غاراتِها ٱلْغِيَرُ
إِذا ظَفِرْتُ بِأَنْ يَرْتاحَ جُودُكَ لي ... فَمـــا لِنائِبَةٍ نابٌ وَلا ظُفُرُ
إِنّي وَإِنْ لَمْ تَدَعْ لي في غِنًى أَرَباً ... إِلى عَواطِفَ تُدْنيني مِنْكَ مُفْتَقِرُ
نامَتْ عُيونُ ٱلْوَرى عَنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ... تَرْنو إِلَيْها بِعَيْنٍ دَأْبُها ٱلسَّهَرُ

---

(١) وما بي إلى الإلحاح والحرص حاجةٌ (ل) و (ابن خلكان) و (ابن الوردي)

(٢) وانقطع السعرُ (ل)

(٣) إليك (ل)

(٤) وحقك (مخطوطة ابن خلكان رقم ٣٣) (ما أبغي) (ابن خلكان)

(٥) أيام ؟ (ع) والبيت كله ساقط من (ل)

(٦) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال يمدح تاج الملوك أبا سلامة محمود بن نصر بن صالح »

(٧) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

سَلَوْا عَنِ ٱلْعِزِّ حُبًّا لِلْحَيَاةِ فَلَمْ ... يَجْنُوهُ أُقْعِسَ فِي حَيْثُ ٱلْقَنَا شَجِرُ (١)
وَهَوَّنَ ٱلْحَمْدَ عِزُّ ٱلْمَالِ عِنْدَهُمُ ... فَعَزَّ عِنْدَكَ حَتَّى هَانَتِ ٱلْبِدَرُ
فَمَا أَخَذْتَ مِنَ ٱلْإِحْمَادِ مَا تَرَكُوا ... حَتَّى وَصَلْتَ مِنَ ٱلْإِنْعَامِ مَا هَجَرُوا
خَافُوا وَمِنْ دُونِ إِدْرَاكِ ٱلْعُلَى (٢) خَطَرٌ ... يَذُودُ عَنْ نَيْلِهِ مَنْ مَالَهُ خَطَرُ
إِنَّ ٱلْعَوَاصِمَ مُذْ جَادَتْ يَدَاكَ بِهَا ... فِي كُلِّ يَوْمٍ إِلَيْهَا لِلْمُنَى سَفَرُ
مَحَلَّةُ ٱلْأَمْنِ لَا خَوْفٌ يُمَازِجُهَا ... وَمَوْطِنُ (٣) ٱلْعَيْشِ مَا فِي صَفْوِهِ كَدَرُ
أَمَّنْتَهَا بَعْدَ أَنْ (٤) مَرَّتْ لَهَا حِقَبٌ ... وَمَرْكَبَا أَهْلِهَا التَّغْرِيرُ وَٱلْخَطَرُ
وَجُدْتَ مَجْدَهَا حَتَّى لَقَدْ (٥) طَلَعَتْ ... بَعْدَ ٱلْأُفُولِ ٱلثُّرَيَّا وَٱلثَّرَى خَضِرُ (٦)
وَفَاحَ عَرْفُكَ فِيهَا فَٱكْتَسَتْ أَرَجًا ... نَسِيمُهَا أَبَدًا (٧) مِنْ نَشْرِهِ عَطِرُ
فَلَيْسَ يُدْرَى أَشَابَ ٱلْمِسْكُ تُرْبَتَهَا ... أَمْ بَاتَ يُوقَدُ فِي أَرْجَائِهَا ٱلْقُطُرُ
لِلْمَجْدِ كُلُّ سَبِيلٍ أَنْتَ سَالِكُهُ ... وَلِلْمَحَامِدِ مَا تَأْتِي وَمَا تَذَرُ

---

(١) الشَّجِر : المشتبك . وفي (ل) في جنب القنا شجر .
(٢) المنى (ل)
(٣) ومَعْطِن « مختارات البارودي »
(٤) بعد ما ... (ع) و (م)
(٥) حتى إذا طلعتْ (ل)
(٦) والثرى خَصِرُ (ل)
(٧) في نشره (ع) و (م)

وَفِي زَمَانِكَ خَلَّى ٱلدَّهْرُ عَادَتَهُ ... وَعَادَ مِنْ فِعْلِهِ ٱلْمَذْمُومِ يَعْتَذِرُ

وَمَا تَقَدَّمْتَ أَهْلَ ٱلْأَرْضِ (١) قَاطِبَةً ... حَتَّى نَهَضْتَ بِمَا أَعْيَا بِهِ ٱلْبَشَرُ

وَٱلْبِيضُ لَوْ لَمْ تُمَيِّزْهَا مَضَارِبُهَا ... بِٱلْقَطْعِ مَا قَصَّرَتْ عَنْ قَدْرِهَا ٱلزُّبَرُ

أَبُوكَ أَنْسَى بَنِي قَحْطَانَ حَاتِمَهُمْ ... جُوداً وَجَدُّكَ مَنْ عَزَّتْ بِهِ مُضَرُ

مَا لُمْتُ قَوْمَيْهِمَا إِلَّا لِأَنَّهُمُ ... إِذْ حَانَ يَوْمُهُمَا قَلُّوا وَإِنْ (٢) كَثُرُوا

لَمْ يَحْفَظُوا ٱلْحَقَّ مِنْ مَاضٍ وَمُقْتَبَلٍ ... حَتَّى كَأَنَّهُمُ غَابُوا وَإِنْ (٣) حَضَرُوا

قَوْمٌ رَقَوْا هَضَبَاتِ ٱلْبَغْيِ مِنْ حَسَدٍ ... وَمَصْعَدُ ٱلْبَغْيِ لَوْ (٤) يَدْرُونَ مُنْحَدَرُ

لَوْ أَنْصَفُوا تَبِعُوا (٥) غَيْثاً بِصَيِّبِهِ ... غَنُوا (٦) وَلَمْ يَخْذُلُوا مَلْكاً بِهِ نُصِرُوا

وَكَانَ لَمَّا ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ بَيْنَهُمَا (٧) ... ضَرْبٌ بِهِ حَلَقُ ٱلْمَاذِيِّ يَنْتَثِرُ

كَيَوْمِهِمْ بِعَزَازٍ (٨) إِذْ مَضَوْا قُدُماً ... حَتَّى ثَنَى كُلَّ أَلْفٍ مِنْهُمُ نَفَرُ

ذَاكَ ٱلْمَقَامُ لِنَصْرٍ آيَةٌ ظَهَرَتْ ... لَمْ يُؤْتَهَا قَبْلَهُ بَدْوٌ وَلَا حَضَرُ

---

(١) أهل العصر (ل)
(٢) وما كثروا (ع) و (م)
(٣) وما حضروا (ع) و (م)
(٤) لا يدرون (ل)
(٥) منعوا (ل)
(٦) عنوا (ل)
(٧) دونها (ل)
(٨) عزاز : بليدة شمالي حلب .

وَقَدْ تَضاعفَ عِزٌّ أَنْتَ وَارِثُهُ ... كَما تَضاعَفَ نَبْتٌ جادَهُ ٱلْمَطَرُ
وَقارَعَتْ عَنْ ثُغُورِ ٱلْمُسْلِمِينَ قَناً ... سُمْرٌ مَوارِدُها ٱللَّبَّاتُ وَٱلثُّغَرُ
أَطَعْتَ شارِعَ دِينٍ أَنْتَ ناصِرُهُ ... فَصارَ يَجْرِي بِما أَحْبَبْتَهُ ٱلْقَدَرُ
وَصانَعَتْكَ مُلُوكُ ٱلرُّومِ حاذِرَةً ... خَطْباً إِذا ماعَرا لَمْ يَنْفَعِ ٱلْحَذَرُ
وَعَزْمَةً لَكَ(١) لا تَنْبُو مَضارِبُها ... عَنِ ٱلْعِدا حِينَ يَنْبُو ٱلصَّارِمُ ٱلذَّكَرُ
أَلْوَتْ بِنَخْوَةِ مَنْ فِي طَرْفِهِ خَزَرٌ ... وَقَوَّمَتْ زَيْغَ مَنْ فِي خَدِّهِ صَعَرُ
مِنْ أَجْلِها سَلَّمُوا ما أُودِعُوا فَرَقاً ... وَلَوْ تَشاءُ أَباحُوكَ ٱلَّذِي ٱدَّخَرُوا
وَهَلْ يَحِيدُونَ عَنْ شَيْءٍ أَمَرْتَ بِهِ ... وَبَعْضُ أَنْصارِكَ ٱلتَّأْيِيدُ وَٱلظَّفَرُ
فَلْيَلْزَمُوا ٱللَّقَمَ(٢) ٱلْوَضَّاحَ إِنْ طَلَبُوا ... أَمْناً فَحَزْمُكَ لا يُمْشَى لَهُ ٱلْخَمَرُ
تَنْأَى ٱلْمَخاوِفُ عَنْ أَكْنافِ مَمْلَكَةٍ ... بِناصِرِ ٱلدِّينِ تَسْتَعْدِي(٣) وَتَنْتَصِرُ
وَيَسْكُنُ ٱلْخِصْبُ فِي أَرْضٍ يَحُلُّ بِها ... تاجُ ٱلْمُلُوكِ وَإِنْ لَمْ يَسْقِها ٱلْمَطَرُ
رَبُّ ٱلسَّماحَةِ لا يَعْتادُها(٤) مَلَلٌ ... وَذُو ٱلْفَصاحَةِ لا يَعْتاقُها(٤) حَصَرُ
ثَبْتُ ٱلْجَنانِ بِحَيْثُ ٱلصَّبْرُ يُلْجِئُهُ ... إِلَى مَوارِدَ يَحْلُو عِنْدَها ٱلصَّبِرُ

---

(١) منك (ع) و (م)
(٢) القمر (ع) و (م)
(٣) تستعلي وتنتصر (ع) يُستعلى ويُنتصر (ل)
(٤) ما يعتادها ... ما يعتاقها ... (ل)

إِنْ هَمَّ بِالْحَرْبِ صَدَّتْهُ عَزَائِمُهُ ... عَمَّا دَعَاهُ إِلَيْهِ الظُّلْمُ وَالْأَشَرُ

وَإِنْ دَعَاهُ النَّدَى لَبَّتْ مَوَاهِبُهُ ... وَلَمْ يَحُلْ دُونَهَا مَطْلٌ وَلَا عُذُرُ

مِنْ مَعْشَرٍ طَالَمَا شَبُّوا بِكُلِّ وَغًى ... نَاراً رُؤُوسُ أَعَادِيهِمْ لَهَا شَرَرُ

وَصَابَرُوا الْحَرْبَ(١) تَكْذِيباً لِقَائِلِهِمْ ... «وَقَيْسُ عَيْلَانَ مِنْ عَادَاتِهَا الضَّجَرُ»(٢)

مِنْ كُلِّ مَنْ(٣) تَنْتَضِي مِنْهُ حَفِيظَتُهُ ... سَيْفاً لَهُ الْأَثَرُ الْمَحْمُودُ وَالْأُثُرُ(٤)

مُعَظَّمُونَ يُطِيعُ النَّاسُ أَمْرَهُمُ ... وَلَا يُطِيعُونَ لِلْأَمْلَاكِ إِنْ أَمَرُوا

وَلَا يُخَوَّفُ مَنْ رَاعَوْا وَمَنْ مَنَعُوا ... وَلَا يُعَنَّفُ(٥) مَنْ رَاعُوا وَمَنْ قَهَرُوا

هُمْ قَارَنُوا الْحُسْنَ بِالْإِحْسَانِ عَنْ كَرَمٍ(٦) ... حَتَّى تَشَابَهَتِ الْأَفْعَالُ وَالصُّوَرُ

وَأَنْتَ أَمْنَعُهُمْ جَاراً وَأَبْعَدُهُمْ ... مَدًى وَأَطْيَبُهُمْ ذِكْراً إِذَا ذُكِرُوا

قَدْ شَاعَ ذِكْرُكَ فِي الدُّنْيَا بِرَغْمِ عِدًى ... يَطْوُونَهُ مَا اسْتَطَاعُوا وَهْوَ يَنْتَشِرُ

فَهَلْ رِيَاحُ سُلَيْمَانٍ تَجُوبُ بِهِ الْـ ... ـبِلَادَ أَمْ بَاتَ يَسْرِي بِاسْمِكَ الْخَضِرُ

---

(١) وصابروا الروع ... (ع) و (م)

(٢) عجز بيت للأخطل صدره « ضجّوا من الحرب إذ عضّتْ غواربهم » انظر ديوان الأخطل ص ١٠٧ .

(٣) ما ينتضي (ل)

(٤) الأَثَرُ : الحديث . والأُثُر : أَثَرَ الجرح يبقى بعد البرء .

(٥) ولا يعفّف (ع) و (م)

(٦) من كرم (ع) و (م)

أَيَّامُكَ (١) الْغُرُّ زَادَتْ بَهْجَةً فَبِهَا ... هٰذَا الزَّمَانُ عَلَى الأَزْمَانِ يَفْتَخِرُ
أَمْنٌ وَعَدْلٌ وَعَفْوٌ (٢) فَالْعِدَى حَرَضٌ ... وَالظُّلْمُ مُرْتَدِعٌ وَالذَّنْبُ مُغْتَفَرُ
وَقَدْ أَضَاءَتْ سَمَاءُ الْمَجْدِ إِذْ طَلَعَتْ (٣) ... مِنْ مُكْرُمَاتِكَ فِيهَا أَنْجُمٌ زُهُرُ
لاَ يَبْلُغُ الْغَيْثُ غِبَّ الْمَحْلِ غَايَتَهَا ... وَلاَ يَنَالُ مَدَاهَا وَهْوَ مُنْهَمِرُ
تُزْجِي سَحَائِبَ جُودٍ جُودُهَا (٤) مِنَنٌ ... تَسْقِي رِيَاضَ ثَنَاءٍ تُرْبُهَا الْفِكَرُ
مَحَوْتَ ذِكْرَ الْكِرَامِ الأَوَّلِينَ بِهَا ... وَالسَّيْلُ مَا غَرِقَتْ فِي فَيْضِهِ الْغُدُرُ
تَفْدِيكَ أَرْوَاحُ أَقْوَامٍ مَتَى بَخِلُوا ... أَنْ يَفْتَدُوكَ بِهَا لُؤْماً فَقَدْ كَفَرُوا (٥)
جَلَتْ سُيُوفُكَ عَنْهُمْ كُلَّ دَاجِيَةٍ ... لَمْ يَجْلُهَا عَنْهُمُ شَمْسٌ وَلاَ قَمَرُ (٦)
يُبْرِئُكَ أَنْجَابَتِ اللَّأْوَاءُ عَنْ أُمَمٍ ... لَوْلاَ حَيَاتُكَ لَمْ يَحْسُنْ لَهَا النَّظَرُ
وَهَلْ شِفَاؤُكَ إِلاَّ رَحْمَةٌ لَهُمُ ... فَلْيَشْكُرُوا اللهَ وَلْيُوفُوا بِمَا نَذَرُوا
إِذَا عَدَتْكَ اللَّيَالِي فِي تَصَرُّفِهَا ... فَكُلُّ حَادِثَةٍ جَاءَتْ بِهَا هَدَرُ
وَالْمُسْلِمُونَ بِخَيْرٍ مَا سَلِمْتَ لَهُمْ ... يُرْجَى وَيُخْشَى لَدَيْكَ النَّفْعُ وَالضَّرَرُ

---

(١) أيامك البيض ... (ل)
(٢) أمن وعفو وعدل ... (ع) و (م)
(٣) مذ طلعتْ (ع) و (م)
(٤) جوده (ل)
(٥) وقد كفروا (ل)
(٦) لم تجلها عنه شمسٌ لا ولا قمرُ (ل)

لاَ يَعْدَمُوا سَطَوَاتٍ طالما رَدَعَتْ مَنْ لَيْسَ يَرْدَعُهُ ٱلآياتُ وَٱلنُّذُرُ
أَهْلُ ٱلسَّلاَمَةِ فِي أَمْنٍ وَفي دَعَةٍ ما حُطْتَهُمْ ولِأَهْلِ ٱلظُّلْمِ (١) مُزْدَجَرُ
ذَلَّلتَ لِي ٱلْخَطْبَ حَتَّى صِرْتُ أُذْعِرُهُ وَحْدِي إِذَا عَجَزَتْ عَنْ حَرْبِهِ ٱلْأُسَرُ
وَأَثْمَرَتْ فِيكَ آمالِي وَلَوْ قَصَدَتْ سِوَاكَ كانَتْ غُصُونًا ما لَهَا ثَمَرُ
فَلْيَيْأَسِ ٱلطَّالِبُو مَدْحِي فَمَطْلَبُهُ إِلاَّ عَلَى مَنْ كَفَانِي بَذْلَهُ عَسِرُ
ظَنُّوا نَوَالَهُمُ قَصْدِي وَمُمْتَنِعٌ أَنْ يَأْكُلَ ٱلْبازُ ممَّا يَأْكُلُ ٱلنُّغَرُ (٢)
لَنْ أَجْعَلَ ٱلْحَمْدَ ذُخْرًا عِنْدَ غَيْرِكَ لِي مَنْ فازَ بِٱلْغَمْرِ لَمْ يَصْلُحْ لَهُ ٱلْغُمَرُ (٣)
وَلَنْ أَخِفَّ إِلى جَدْوَى وَإِنْ كَثُرَتْ أَنَّى وَظَهْرِي بِمَا حَمَّلْتَنِي وَقِرُ
حَسْبِي إِذَا أَنَا فاخَرْتُ ٱلْوَرَى حَسَبًا أَنِّي بِخِدْمَةِ هٰذَا ٱلْمَلْكِ أَفْتَخِرُ (٤)
بِكُلِّ عَذْرَاءَ يُطْغِيهَا (٥) تَبَرُّجُها وَمِنْ صِفَاتِ ٱلْحِسانِ ٱلْخُرَّدِ ٱلْخَفَرُ
مِنَ ٱلسَّوَائِرِ فِي ٱلْآفَاقِ قَدْ جَمَعَتْ مِنْ مَأْثُرَاتِكَ مالاَ تَجْمَعُ ٱلسِّيَرُ (٦)
تَحْوِي ٱلصَّحَائِفُ مِنْهَا كُلَّمَا كُتِبَتْ عَرْفًا هُوَ ٱلْمِسْكُ لاَ مَا تَضْمَنُ ٱلْعِتَرُ

---

(١) ولأهل البغي ... (ل)
(٢) النُّغَر : البلبل وفراخ العصافير .
(٣) الغَمْرُ : الماء الكثير . والغُمَر : قدح صغير وقيل أصغر الأقداح .
(٤) مفتخرُ (ل)
(٥) يطربها (ل)
(٦) السورُ ؟ (ل)

إنْ قَصَّرَتْ دُونَ مَا تُولِي فَلَيْسَ بِهَا ... وَأَنْتَ تَعْلَمُ عَنْ نَيْلِ السُّهَى قِصَرُ
فَاقَتْ هِبَاتُكَ أَوْفَى مَا أَقُولُ فَمَا ... أَسْرَفْتُ فِي الشُّكْرِ إلَّا قِيلَ مُخْتَصِرُ
مَتَى أُكَافِئُ مَا خَوَّلْتَ مِنْ نِعَمٍ ... وَالْمَدْحُ فِي جَنْبِ مَا خَوَّلْتَ مُحْتَقَرُ
بَقِيتَ مَا دَامَتِ الْأَعْيَادُ عَائِدَةً ... مُخَلَّدَ الْمُلْكِ مَمْدُوداً لَكَ (١) الْعُمُرُ
وَلَا عَدَاكَ ثَنَاءُ الْمَادِحِينَ فَكَمْ ... قَدَّتْ فِقَارَ حَسُودٍ هٰذِهِ الْفِقَرُ

٤٥

وقال (٢) يمدح ناصر الدولة بن حمدان (٣)

سَلْ عَنْ فَضَائِلِكَ الزَّمَانَ لِتُخْبَرَا (٤) ... فَنَظِيرُ مَجْدِكَ (٥) مَا رَآهُ وَلَا يَرَا (٦)
أَوْ لَا فَدَعْهُ وَادَّعِ الشَّرَفَ الَّذِي ... أَعْيَا الْأَنَامَ فَلَسْتَ تَلْقَى مُنْكِرَا
مَا احْتَاجَ يَوْماً أَنْ يُقَامَ بِشَاهِدٍ ... حَقٌّ أَزَالَ الشَّكَّ وَاجْتَاحَ الْمِرَا
وَلَقَدْ جَمَعْتَ مَنَاقِباً مَا اسْتَجْمَعَتْ ... مَشْهُورَةً مَا اسْتَعْجَمَتْ فَتُفَسَّرَا

---

(١) له (م)

(٢) موضع هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا . وعنوانها هناك كما يلي : « وقال يمدح الأمير ناصر الدولة بن حمدان وأنشده إياها في عيد الفطر سنة ست وثمانين وأربعماية » هكذا وهو من سهو الناسخ وصوابه « سنة ست وثلاثين وأربعماية »

(٣) هو ناصر الدولة أبو محمد الحسن بن الحسين بن ناصر الدولة . انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)

(٤) ليخبرا (م)

(٥) ملكك (ع) و (م)

(٦) ما أراه ولا يُرى (ل)

وَمَلَكْتَ أَهْوَاءَ النُّفُوسِ بِأَنْعُمٍ — عَمَّتْ فَأَيْسَرُ (١) حَقِّهَا أَنْ تُشْكَرَا
مِنَنٌ (٢) يَلُوحُ عَلَى الْجِبَاهِ مُسَطَّرًا (٣) — وَهَوًى يَظَلُّ عَلَى الْقُلُوبِ مُسَيْطِرًا
لَوْ لَمْ تُمَلِّكْكَ الْأُمُورُ قِيَادَهَا — ضَعُفَتْ قُوًى مِمَّا عَرَا وَوَهَتْ عُرَى
فَطِلِ الْكِرَامَ فَأَنْتَ أَثْبَتُهُمْ قَرًا — فِي حَمْلِ نَائِبَةٍ وَأَعْجَلُهُمْ قِرًى (٤)
لَسَهِرْتَ فِي حِفْظِ الذِّمَارِ (٥) وَإِنَّهُ — مَجْدٌ لَدُنْكَ (٦) أَنْ يَنَامَ وَتَسْهَرَا
فَالسِّلْمُ (٧) مِثْلُ الْحَرْبِ مُنْذُ تُخُوِّفَتْ — وَثَبَاتُ بَأْسِكَ وَالْإِقَامَةُ كَالسُّرَى
مَا كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مَظْنُونًا وَلَا — مُتَوَهَّمًا فَجَعَلْتَهُ مُسْتَشْعَرَا
قَدْ فَاقَ جَدَّكَ جَدُّ عَمِّكَ (٨) وَهْوَ مَنْ — ذَلَّتْ لِسَطْوَةِ عِزِّهِ أُسْدُ الشَّرَى
إِنْ كَانَ هَذَا الْجَدُّ أَرْدَى تُبَّعًا — خَوْفًا وَذَاكَ الْجَدُّ رَوَّعَ قَيْصَرَا
فَافْخَرْ فَأَنْتَ السَّيْفُ يَفْرِي (٩) مُغْمَدًا — قِمَمَ الْعِدَى وَاللَّيْثُ يَفْرِسُ (٩) مُخْدِرَا

---

(١) بأيسر (ل)
(٢) مَنّاً (ل)
(٣) مُسَطَّرٌ (م)
(٤) القَرا : الظهر . والقِرى : ما قُري به الضيف .
(٥) الزمان (ل)
(٦) كذا ولعله (لِدِينِكَ) وفي(ل)مجدٌ لربك أن تنام وتسهرا (ل)
(٧) فالسيل مثل الحرب منذ تحرقتْ
وثبات جأشك والإقامة كالسُّرى (ع) و (م)
(٨) عمه هو سيف الدولة بن حمدان .
(٩) تفري ... تفرس (ل)

جَرَّدْتَ رَأْيَكَ وَٱلسُّيُوفُ مُقَرَّةٌ بِغُمُودِها فَكَفَيْتَهَا أَنْ تُشْهَرا
وَلَوَ ٱلْوَغَى شُبَّتْ كَفَيْتَ مُصالِتاً كَيْدَ ٱلطُّغاةِ كَمَا كَفَيتَ مُدَبِّرا
لِمَ (١) لاَ تَعِزُّ وَأَنْتَ غُرَّةُ أُسْرَةٍ ضَمِنَتْ لَهَا ٱلنَّخَوَاتُ أَلاَّ تُقْهَرا
قَدْ أَصْبَحَ ٱسْمُكَ عَنْ قِراعِكَ نائِباً وَكَفَى ٱلْعَدُوَّ مُرَوَّعاً أَنْ تُذْكَرا (٢)
لِلدَّوْلَةِ ٱلْغَرَّاءِ (٣) مِنْكَ ذَخِيرَةٌ جَلَّتْ فَحُقَّ لِمِثْلِها أَنْ يُذْخَرا (٤)
يا سَيْفَهَا ٱلْمَاضِي وَنَاصِرَهَا ٱفْتَخِرْ بِمَكانِكَ ٱلْأَعْلَى عَلَى كُلِّ ٱلْوَرَى
إِنَّ ٱلْخَلاَئِفَ مُذْ بَلَوْكَ نَصاحَةً جَعَلُوا لَكَ ٱلشَّرَفَ ٱلرَّفِيعَ مُقَرَّرا (٥)
وَصَّى بِذَاكَ ٱلْحَاكِمُ ٱلْعَدْلُ ٱبْنَهُ قِدَماً وَأَوْصَى ٱلظَّاهِرُ ٱلْمُسْتَنْصِرا (٦)
ضَنّاً بِمَنْ يَغْشَى ٱلْوَغَى مُتَبَرِّجاً غِرّاً وَإِنْ (٧) وَهَبَ ٱلْجَزِيلَ تَسَتَّرا
مَحْضُ ٱلْإِباءِ مِنَ ٱلنَّزَاهَةِ كُوِّنَتْ أَفْعالُهُ وَمِنَ ٱلنَّباهَةِ (٨) صُوِّرا
قَلْبٌ لَهَا بِٱلنُّسْكِ عَنْ ذِكْرِ ٱلْخَنا وَلُهًى أَبَتْ (٩) لِلْوَفْرِ أَنْ تَتَوَفَّرا

(١) لو لم تعز ... (ع) و (م)
(٢) أن يذكرا (ل)
(٣) الزهراء (ل)
(٤) أن تذخرا (ل)
(٥) هذا البيت ساقط من (ل)
(٦) المستظهرا ؟ (ل) وانظر الحاشية رقم (١ و ٣ و ٤) ص (٧٣)
(٧) فان وهب الجميل (ل)
(٨) النزاهة (ع) و (م)
(٩) ... بالوفر أن يتوفرا (ع) و (م)

لَوْ لَمْ يَفِضْ (١) ذَهَبَ الثَّنَاءُ إِضاعَةً ... أَوْ لا فَكانَ بِضاعَةً لا تُشْتَرَى
يابْنَ الأُلَى قالَتْ لَهُمْ أَفْعالُهُمْ ... لا يَسْتَحِقُّ سِوَاكُمُ أَنْ يَفْخَرا
العارِضِينَ (٢) إِذَا الكَرِيهَةُ عارَضَتْ ... فَوْقَ المَعارِفِ (٣) كُلَّ لَدْنٍ أَسْمَرا
بَيْنَ الأَسِنَّةِ وَالأَعِنَّةِ ذُبَّلٌ ... لا تَكْسِرُ (٤) الأَعْدَاءَ حَتَّى تُكْسَرا
وَرَدُوا بِهِنَّ مِنَ الدُّرُوعِ غَدائِرًا ... يَأْبَى تَحَطُّمُها بِها أَنْ تَصْدُرا (٥)
ما ضَرَّ مَنْ أَصْبَحْتَ تَكْلَأُ شامَهُ ... بِمَضاءِ عَزْمِكَ أَنْ يَغِيبَ وَتَحْضُرا (٦)
ما خَصَّ خالِقُنا بِقُرْبِكَ بَلْدَةً ... إِلَّا أَتاحَ لَها الصَّلاحَ الأَكْبَرا
قَدْ (٧) كُنْتَ بِالإِسْكَنْدَرِيَّةِ مَرَّةً ... فَأَرَيْتَها مِنْ عَدْلِكَ الإِسْكَنْدَرا
يَبْغِي العِدَى إِطْفاءَ نارِكَ ضِلَّةً (٨) ... فَيَزِيدُها هٰذَا الفَعالُ تَسَعُّرا
فَتَقَدَّمِ الأُمَرَاءَ غَيْرَ مُنازَعٍ ... فَوَرَاءَ زَنْدِكَ كُلُّ زَنْدٍ قَدْ وَرَى

---

(١) لو لم تفض (ل) لو لم تهب (ع) بين السطرين .
(٢) القائلين ؟ (ل)
(٣) المعارف : جمع مَعْرَفَة وهي موضع العُرف من الفرس .
(٤) لا يكسر الاعداء (ع) و (م)
(٥) أن يصدرا (ل)
(٦) هذا البيت ساقط من (ل)
(٧) هذا البيت وخمسة وعشرون بيتاً بعده ساقطة من هذه القصيدة في (ل) وواردة فيها خطأ بعد البيت السابع من القصيدة التي تلي هذه القصيدة وأولها «ما ذى المساعي الغر في قدر الورى ... فلذاك نحن نظن يقظتنا كرى» انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢٦٤)
(٨) غلة (م)

إنْ حاوَلُوا إدْراكَ سَعْيِكَ خيِّبوا فَلْيُشبِهُوكَ تَصوُّنًا وتَصوُّرا
مَا بَيْنَ مَجْدِكَ وَالْمُحاوِلِ نَيْلَهُ إلاَّ كَما بَيْنَ الثُّريَّا وَالثَّرى
أَصْبحْتَ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ فَلَوْ جَرى وَهْمُ الْمُنافِسِ في مَداكَ تَقطَّرا[١]
أمَّا الصِّيامُ فَقَدْ قَضَيْتَ فُرُوضَهُ بِقَضِيَّةٍ[٢] مَا حُلْتَ عَنْها مُفْطِرا
لَمَّا أَقامَ لَدَيْكَ حَلَّ مُوَقَّرا وَقَدِ اسْتَقلَّ بِشُكْرِ صُنْعِكَ مُوقَرا
شَهْرٌ نَمَتْ بَرَكاتُهُ فَتَهَنَّهُ حَتَّى لَقَلَّدَ[٣] مِنَّةً لَنْ تُكْفَرا
شَهْرٌ بِهِ نَزَلَ الْكِتابُ وَجاءَنا فِيهِ الْكِتابُ بِمَا يَسُرُّكَ مُخْبِرا
خَبَرٌ تَقَدَّمَهُ إلَيْنا عَرْفُهُ حَتَّى أَتى قَبْلَ الْبَشِيرِ مُبَشِّرا
حَيَّاكَ قَبْلَ قُدُومِهِ بِنَسِيمِهِ فَكَأَنَّهُ إذْ جاءَ جاءَ مُكَرَّرا
لَوْ لَمْ يُفَضَّ عَنِ الْكِتابِ خِتامُهُ أَغْناهُ طِيبُ نَشْرِهِ أَنْ يُنْشَرا
قَدِمَتْ بِمَقْدَمِهِ سَعاداتُ الْمُنى وَبِهِ تَسالَمَتِ النَّواظِرُ وَالْكَرى
أَبَداً[٤] مَعَدٌّ[٥] عِنْدَ عَدِّ ثِقاتِهِ الْـ مُسْتَخْلَصِينَ لَهُ[٦] أَعَدَّ الْخِنْصَرا

(١) في الأصل : (تفطّرا) .
(٢) بتقيّةٍ ما خُلتَ ...؟ (ل)
(٣) تقلّد (ل)
(٤) أبدى (ل)
(٥) معد : هو المستنصر بالله الخليفة الفاطمي .
(٦) لمن أعدّ الخنصرا (ل)

وَٱخْتَارَ مِنْ تَاجِ ٱلرِّيَاسَةِ مَنْ بِهِ … فَاقَ ٱلْأَئِمَّةَ فِكْرَةً وَتَخَيُّرَا
مَنْ نَابَ(١) فَخْرُ ٱلْمُلْكِ عَنْهُ فَلَمْ يَزَلْ … لِلْمُلْكِ بِالْأَمْرِ ٱلْعَظِيمِ مُظَفَّرَا
إِنَّ ٱلْوِزَارَةَ مُذْ تَحَلَّتْ بِٱسْمِهِ … عَزَّتْ ذُرًى فِي ظِلِّهِ(٢) وَعَلَتْ ذُرَى
أَفْضَى إِلَى ٱلْمُتَهَلِّلِ ٱلْعَذْبِ ٱلْجَنَى … مَا فَارَقَ(٣) ٱلْمُتَجَبِّرَ ٱلْمُتَكَبِّرَا
شُكْرًا لِمَا فَعَلَ ٱلزَّمَانُ وَمَنْ لَنَا … لَوْ كَانَ قَدَّمَ مُجْمِلًا مَا أَخَّرَا
فَأَسْعَدْ بِعِيدٍ يَتْبَعُ ٱلنَّبَأَ ٱلَّذِي … أَطْرَا لَنَا فِعْلَ ٱللَّيَالِي إِذْ طَرَا
وَتَمَلَّ عُمْرَ أَبِي عَلِيٍّ(٤) إِنَّهُ … فَرْعٌ أَنَافَ فَجَاءَ يَحْكِي ٱلْعُنْصُرَا
قَدْ هَمَّ أَنْ يَرْقَى مَحَلَّكَ بَلْ رَقَا … وَسَمَى لِيُحْرِزَ(٥) مَأْثُرَاتِكَ بَلْ جَرَى
هَوِيَ ٱلْجَمِيلَ فَفَاقَ مِثْلَكَ مَخْبَرًا … وَحَوَى ٱلْجَمَالَ فَرَاقَ مِثْلَكَ مَنْظَرَا
وَمَضَتْ عَزَائِمُهُ وَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ … لِٱبْنِ ٱلْغَضَنْفَرِ أَنْ يَكُونَ غَضَنْفَرَا
فَلْيَلْحَقِ ٱلنُّعْمَانَ فِي سُلْطَانِهِ … بَلْ فَلْيَطُلْهُ فَقَدْ عَلَوْتَ ٱلْمُنْذِرَا(٦)
سَهَّلْتَ لِي نَهْجَ ٱلْغِنَى مَعَ أَنَّنِي … لَمْ أَلْقَهُ فِيمَا مَضَى مُتَوَعِّرَا(٧)

(١) لأناب ... (ع) و (م)
(٢) في فضله (ع) و (م) (٣) كذا ولعله (مُذْ فارق)
(٤) أبو علي : هو ابن الممدوح واسمه الحسين بن الحسن ولقبه ناصر الدولة كلقب ابيه . انظر الحاشية رقم (١) ص (١٧)
(٥) ليدرك ... (ل)
(٦) النعمان والمنذر من ملوك الحيرة في الجاهلية .
(٧) متعذّرا (ل)

لٰكِنْ أَنلتَ (١) وَدوحُ حالي مُزْهِرٌ فَسَقَيْتَهُ بِنَداكَ حَتّٰى أَثْمَرا
جُودٌ (٢) كَفى الآمالَ أَوَّلَ وَهْلَةٍ ما كانَ مُسْتَقْصىً وَلا مُسْتَقْصَرا (٢)
إِنْ رَاقَكَ الشُّكْرُ (٣) الحَلالُ فَإِنَّني سَأُدِيرُ كاساتِ الثَّناءِ لِتَسْكَرا
سُكْراً لَوَ أَنَّ أَبا نُواسٍ ذاقَهُ يَوْماً لَأَنْساهُ سُلافَةَ عُكْبَرا (٤)
مِنْ بَحْرِ فِكْرِي تقتني (٥) الدُّرَرُ الَّتي أَعْيَتْ نَظائِرُها عَلى مَنْ فَكَّرا
فَلَأَنْظِمَنَّ لِذا العَلاءِ (٦) قَلائِداً مُتَضَمِّناتٍ ذا الكَلامَ الأَسْيَرا (٧)
تَبْدُو لِرائِيها فَتُحْسَبُ جَوْهَرا وَتَفُوحُ (٨) رَيّاها فَتُحْسَبُ عَنْبَرا
شَرُفَتْ لَدَيْكَ مَطالِبِي وَمَكاسِبِي فَغَدَوْتُ (٩) مِنْ وَفْرٍ وَفَخْرٍ مُكْثِرا
وَهَجَرْتُ أَمْلاكَ الزَّمانِ مُواصِلاً هٰذا الجَنابَ وَحُقَّ لِي أَنْ أَهْجُرا
لَوْ رُمْتُ نَيْلَكَ عِنْدَهُمْ لَعَدِمْتُهُ أَوْ رُمْتُ مِثْلَكَ فِيهِمُ لَتَعَذَّرا

(١) لٰكن أتيت ... (ل)
(٢) جوداً ... متقصراً (ع) و (م)
(٣) الشكر الحلال (ل)
(٤) عُكْبَرا : بليدة من نواحي دُجَيل بينها وبين بغداد عشرة فراسخ .
(٥) يقتنى (ل)
(٦) له العلاء (ع) و (م)
(٧) الأيسرا (ل)
(٨) في الأصل : ويفوح ... فيحسب .
(٩) فغدوت ذا وفر ... (ل)

سَاجِلْ بِرَاحَتِكَ ٱلْبِحَارَ فَإِنَّهَا بَحْرٌ تَضَمَّنَ مِنْ بَنَانِكَ أَبْحُرَا
وَأَسْلَمْ لِمَعْرُوفٍ رَفَعْتَ مَنَارَهُ فَفَشَا بِأَرْضِكَ مُذْ قَمَعْتَ ٱلْمُنْكَرَا
وَٱبْجَحْ بِأَنَّكَ ذُو ٱلْأَحَادِيثِ ٱلَّتِي ظَلَّ ٱلزَّمَانُ بِنَشْرِهَا مُتَعَطِّرَا

٤٦

وقال (١) يمدح أمير الجيوش الدِّزْبري (٢)

مَاذِي (٣) ٱلْمَسَاعِي ٱلْغُرُّ فِي قَدْرِ ٱلْوَرَى فَلِذَاكَ نَحْنُ نَظُنُّ (٤) يَقْظَتَنَا كَرَى
تُبْدِي لِأَعْيُنِنَا فَضَائِلَ مَا رَأَتْ أَمْثَالَهَا فِي ٱلْعَالَمِينَ وَلَا تَرَى
وَضَحَتْ لَنَا فَعَلَاؤُهَا لَا يُمْتَرَى فِي صِدْقِهِ وَثَنَاؤُهَا (٥) لَا يُفْتَرَى
قَدْ كُنْتُ عَنْ مَكْنُونِهَا مُسْتَخْبِرًا فَغَدَوْتُ مُذْ قَرَّبْتَنِي مُسْتَخْبِرَا
فَوَدِدْتُ أَيَّامِي تَكُونُ لَدَيْكَ أَعْـ وَامًا وَسَاعَاتِي ٱلْقَصِيرَةَ أَشْهُرَا
لِأَرَى وَأَسْمَعَ كُلَّ لَحْظَةِ نَاظِرٍ مَا رَاقَ مُسْتَمِعًا وَأَذْهَلَ مَنْظَرَا

(١) عنوان هـذه القصيدة في (ل) كما يلي : « وقال أيضاً يمدح أمير الجيوش مصطفى الملك عدّة الإمام وسيفه منتجب الدولة أنوشتكين الدِّزْبري ويذكر القَوْد الذي أنفذه الى الحضرة — والقَوْد : الخيل التي تُقاد بمقاودها ولا تُركب — وأنشدها يوم عيد النحر سنة ست وعشرين وأربع مئة »

(٢) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) ما هذه الأفعال في قدر الورى (ل) وعلى هامش (ع) و (م)

(٤) نحن نعدُّ ... (ل)

(٥) ونباؤها ؟ (ع) و (م)

يا مَنْ إذا نَشَرَ ٱلْأنامُ حَدِيثَهُ ‏ مَلَأَ (١) ٱلدُّنا عَرْفاً يفوقُ ٱلْعَنْبَرا (٢)

إنْ فاحَ في أَقْصى ٱلْبِلادِ فَبَعْدَ أَنْ ‏ أَضْحَى ٱلشَّآمُ بِعَرْفِهِ مُتَعَطِّرا

حَتّى لَخِلْنا دَوْحَهُ وَتُرابَهُ ‏ عُوداً قَمارِياً (٣) وَمِسْكاً أَذْفَرا

مَنْ أَصْدَرَ ٱلرّاياتِ حُمْراً مِثْلَما ‏ أَصْدَرْتَها غِبَّ ٱلْحُرُوبِ تَصَدَّرا

وَمَلابِسُ ٱلتَّعْظِيمِ لائِقَةٌ بِمَنْ ‏ يعى (٤) إذا لَبِسَ ٱلْعَجاجَ ٱلْأَكْدَرا

لَوْلا ٱنْصِلاتُكَ وَٱلْحَوادِثُ (٥) جَمَّةٌ ‏ لَغَدَا ٱلْهُدى مِمّا عَرا واهِي ٱلْعُرى

بِكَ أَيَّدَ ٱلرَّحْمٰنُ ظاهِرَ دِينِهِ ‏ وَبِحَدِّ سَيْفِكَ يَنْصُرُ (٦) ٱلْمُسْتَنْصِرا

وَمَتى تُخِيفُ (٧) عَصائِبٌ قَسَّمْتَها ‏ بَيْنَ ٱلْمَنايا وَٱلرَّزايا أَشْطُرا

ذَلَّلْتَهُمْ فَلِذاكَ أَرْخى ذَيْلَهُ ‏ مَنْ كانَ قِدْماً لِلْحُرُوبِ مُشَمِّرا

---

(١) مَلَؤا .. (ع و (م)

(٢) ورد بعد هذا البيت في (ل) خمسة وعشرون بيتاً أولها :

« قد كنت بالإسكندرية مرةً ‏ فأريتها من عدلك الإسكندرا »

وهي مقتطعة خطأ من القصيدة التي قبل هذه القصيدة انظر الحاشية رقم (٧) ص (٢٥٩)

(٣) العود القماري : منسوب الى قمار وهو موضع بالهند ينسب اليه العود .

« معجم البلدان »

(٤) كذا في (ع) و (م) بلا نقط . وفي (ل) يعني . ولعلها يُـعْـيِي أو يُـغْـنِي .

(٥) والنوائب (ل)

(٦) تنصر (ل)

(٧) في (ل) تخيف . وفي (ع) و (م) تحف بلا نقط . ولعل ما أثبتناه هو الصواب .

وَمَنَيْتَهُمْ بِالْفَقْرِ حَتَّى أَشْبَهَتْ | في قِلَّةِ الْإِثْرَاءِ مَعْنَ بُحْتُرا (١)
وَلَوْ أَنَّ غَيْرَكَ رَامَ ذُعْرَ سَوَامِهِمْ | لَأَبَى (٢) لَهَا صُمُّ الْقَنَا أَنْ تُذْعَرَا
حَتَّى إِذَا مَا أَقْلَعَتْ ظُلَمُ الْوَغَى | عَنْهُمْ وَأَبْصَرَ رُشْدَهُ مَنْ أَبْصَرَا
عَاذُوا بِمُلْكِكَ خَاضِعِينَ لِيَأْمَنُوا | صَرْفَ الرَّدَى وَاسْتَغْفَرُوكَ لِتَغْفِرَا
فَمَنَعْتَ حَتَّى لَمْ تَجِدْ مُسْتَبْدِلاً | وَغَفَرْتَ حَتَّى لَمْ تَدَعْ (٣) مُسْتَغْفِرَا
وَلَّوْا وَقَدْ أَلْقَوْا أَعِنَّةَ خَيْلِهِمْ | وَأَتَوْا وَقَدْ سُلِبَتْ (٤) فَلَاصُهُمُ الْبُرَى (٥)
وَمَتَى جَنَوْا ثَمَرَاتِ وَعْدِكَ وَاعْتَدَوْا | أَلْفَوْا وَعِيدَكَ مِثْلَ وَعْدِكَ مُثْمِرَا
فَلْتَحْذَرِ (٦) الذُّؤْبَانُ فِي فَلَوَاتِهَا | أَسَداً تَحَامَتْ سُخْطَهُ أُسْدُ الشَّرَى
وَمُظَفَّراً كَفَلَتْ لَهُ عَزَمَاتُهُ | أَنْ لَا يُقَدِّمَ هَمَّهُ مَنْ أَخَّرَا
إِنَّ ابْنَ (٧) جَرَّاحٍ دَعَاكَ وَمَالَهُ | مِمَّا يُحَاذِرُ غَيْرَ عَفْوِكَ (٨) مُدَّرَا

---

(١) مَعْن : بطن من ربيعة . وبُحْتُر : بطن من طيء .
(٢) لأبت له صم القنا أن يذعرا (ع) و (م)
(٣) لم تجد (ل)
(٤) سلبوا (ل)
(٥) البُرى : جمع بُرَة وهي حلقة تجعل في أنف البعير تكون من صفر ونحوه .
(٦) فليحذر (ل)
(٧) هو حسّان بن مفرّج بن دغفل بن الجرّاح أمير طيء . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢١٤)
(٨) عزمك (ل)

فَأَجِبْ نِدَاءَ أَبِي ٱلنَّدَىٰ فَلَطَالَمَا نَادَاهُ غَيْرُكَ خَاضِعاً فَٱسْتَكْبَرا
وَٱمْنُنْ عَلَيْهِ مُحَقِّقاً آمَالَهُ كَرَماً فَكُلُّ ٱلصَّيْدِ فِي جَوْفِ ٱلْفَرا
مَا كَانَ أَثْقَبَ زَنْدَهُ لَوْ أَنَّهُ مُسْتَقْبِلٌ مِنْ أَمْرِهِ مَا ٱسْتَدْبَرا
خَلَّىٰ بِلاداً بَعْدَ ذَمِّ وُرُودِهَا وَلَسَوْفَ يَحْمَدُ إِنْ عَفَوْتَ ٱلْمَصْدَرا[1]
مُذْ رَاءَ أَفْنِيَةَ ٱلْمَمَالِكِ كُلَّهَا غُبْراً تَذَكَّرَ ذَا ٱلْجَنَابَ ٱلْأَخْضَرا
فَبَكَىٰ وَأَضْحَكَهُ ٱلرَّجَاءُ فَمَا رَأَتْ عَيْنٌ سِوَاهُ ضَاحِكاً مُسْتَعْبِرا[2]
قَرَّتْ[3] جِيَادُ ٱلْخَيْلِ مُنْذُ كَفَيْتَهَا طَلَبَ ٱلْعَدُوِّ مُغَلِّساً وَمُهَجِّرا
فَأَرَاحَهَا مَنْ لَا يُرِيحُ جِيَادَهُ حَتَّىٰ تُثِيرَ بِكُلِّ أَرْضٍ عِثْيَرا
حَتَّىٰ لَقِيدَتْ بُدَّناً وَلَوَ ٱنَّهَا قِيدَتْ لِيَوْمِ وَغىً لَقِيدَتْ ضُمَّرا
مِنْ كُلِّ أَشْقَرَ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْشَىٰ بِهِ وَخْزَ ٱلْأَسِنَّةِ أَشْقَرا
يَتْلُوهُ أَدْهَمُ كَانَ وَرْداً بُرْهَةً مِمَّا تُسَرْبِلُهُ ٱلنَّجِيعَ ٱلْأَحْمَرا
دَاجٍ وَيُشْرِقُ مِنْ ضِيَاءِ حُجُولِهِ فَيَخَالُهُ رَائِيهِ لَيْلاً مُقْمِرا
وَوَرَاءَهُ خَيْلٌ كَأَنَّ جُلُودَهَا مِنْ نَسْجِ قُسْطَنْطِينَةٍ أَوْ عَبْقَرا[4]

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)
(٢) في الأصل (مستبشرا) ولعل ما أثبتناه هو الصواب . وهذا البيت ساقط من (ع) و (م)
(٣) قرّتْ عِتاقُ الخيلِ حين غَنِيتَ عن طلب الأعادي معتما ومهجّرا (ل)
(٤) عبقر : موضع تزعم العرب أنه كثير الجن نسبوا اليه كل شيء تعجبوا من حذقه أو جودة صنعته وقوته .

لَقَدِ انْتَحَيْتَ[١] لِمُصْطَفِيكَ مَنَائِحاً تُعْيِي الْمُلُوكَ مُقَدَّماً وَمُؤَخَّرا

مِنْ بَعْضِ[٢] مَا سَلَبَتْ قَنَاكَ[٣] مِنَ الْعِدَى مَا هٰذِهِ مِمَّا يُبَاعُ[٤] وَيُشْتَرَى

وَالْجَاهِلِيَّةُ كُلُّهَا كَانَتْ تَرَى عَقْرَ الْقَلُوصِ نَدًى إِذَا الْمَحْلُ اعْتَرَى

إِذْ لَمْ تَكُنْ فِي عَصْرِهِمْ[٥] وَلَوَ انَّهُمْ شَهِدُوا زَمَانَكَ مَا اسْتَحَلُّوا الْمَيْسِرا

وَكَفَاهُمُ عَقْرَ الْقَلُوصِ مُمَلِّكٌ بِعَطِيَّةِ الدُّرَرِ الثَّمِينَةِ مُوفِرا[٦]

وَنَشَرْتَ مِنْ كَشْفِ الْمَظَالِمِ مَيْتَةً مَا كَانَ يَأْمُلُ آمِلٌ أَنْ تُنْشَرا[٧]

فَوَرَى[٨] بِحُكْمِكَ زَنْدُ عَدْلٍ قَدْ كَبَا وَكَبَا الْخَوْفُكَ[٩] زَنْدُ جَوْرٍ قَدْ وَرَى

وَحَسَمْتَ[١٠] ظُلْمَ الظَّالِمِينَ فَمَا دَمَنْ يَمْشِي الْعِرَضْنَةَ[١١] وَهْوَ يَمْشِي الْقَهْقَرَى

(١) كذا ولعله (لقد انتخبتَ) وفي (ل) لقد انتحتك ...

(٢) من بعد (ع) و (م)

(٣) ظباك (ل)

(٤) مما تباع فتشترى (ل)

(٥) عصرنا (ل)

(٦) بعطية الدر الثمين موفرا (هامش ع) يعطيه بالدرر الثمينة مقترا (ل)

(٧) ولقد نشرت ببعض عدلك سنةً ما كان يرجو آمل أن تنشرا (ل)

(٨) بعدلك (ع) و (م)

(٩) بخوفك (ع) و (م)

(١٠) وجشمت (ل)

(١١) العِرَضْنَةُ: البغي في المشي من النشاط .

فَٱلْجَوْرُ قَدْ أَلْغَاهُ مَنْ لَمْ يُلْغِهِ وَٱلْحَقُّ مُعْتَرِفٌ بِهِ مَنْ أَنْكَرا (١)
خُلقَ ٱلْمُظَفَّرُ بِٱلْفَضَائِلِ وَٱلنُّهَى وَٱلْمَجْدِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْجَمِيلِ مُظَفَّرا
جَدٌّ يُشَايِعُهُ عَلَى حَوْزِ ٱلْعُلَى جِدٌّ إِذَا طَلَبَ ٱلْعَسِيرَ تَيَسَّرا
وَهِيَ ٱلْعُلَى وَأَبِيكَ لَيْسَ يَحُوزُهَا مَنْ لَمْ يَطِبْ أَصْلاً وَيَكْرُمْ عُنْصُرا
وَٱلتُّرْكُ بَعْضُ ٱلنَّاسِ إِلاَّ أَنَّهُمْ أَقْوَى وَأَصْلَبُ فِي ٱلْكَرِيهَةِ مَكْسِرا (٢)
وَٱلنَّبْعُ كَٱلشِّرْيَانِ (٣) إِلاَّ أَنَّ ذَا نَبْتُ ٱلْوِهَادِ وَذَاكَ نَبْتٌ فِي ٱلذُّرَى
بَاغِي نَظِيرِكَ فَائِزٌ بِمُرَادِهِ لٰكِنْ إِذَا ٱلْتَقَتِ ٱلثُّرَيَّا وَٱلثَّرَى
فَلأَنْتَ (٤) عِيدُ ٱلْمُسْلِمِينَ فَلاَ رَأَوْا رَبْعَ ٱلْمَعَالِي مِنْكَ يَوْماً مُقْفِرا
وَنَدَاكَ رَوَّى رَوْضَ شِعْرِي بَارِضاً (٥) حَتَّى لَصَارَ كَمَا تَرَاهُ مُنَوِّرا
فَلْيَرْعَ مَجْدُكَ مِنْهُ كُلَّ خَمِيلَةٍ كَفَلَتْ لَهَا نُعْمَاكَ أَلاَّ تُمْعِرا (٦)
وَٱلرَّوْضُ (٧) لَسْتَ تَرَاهُ أَبْلَجَ نَاضِراً إِلاَّ بِحَيْثُ تَرَى ٱلْحَيَا مُثْعَنْجِرا (٨)

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)
(٢) المكسِر : المَخْبَر
(٣) النَّبع : شجر تتخذ منه القسي ومن أغصانه السهام ينبت في قلة الجبل ، والنابت منه في السفح الشَّرْيان .
(٤) ولأنتَ ... (ل)
(٥) البارض : أول ما تخرج الأرض من نبت .
(٦) أمعرت الأرض : لم يكن فيها نبات أو قلَّ نباتها .
(٧) والروض ليس تراه اخضر يانعاً (ع) و (م)
(٨) المثعنجر : السائل .

إِنِّي وَجَدْتُكَ تاجَ كُلِّ مُمَلَّكٍ فَكَسَوْتُ هٰذا ٱلتّاجَ هٰذا ٱلْجَوْهَرا
وَلَوَ انَّنِي أُجْرِي وَلَسْتُ بِفاعِلٍ قَلَماً بِمَدْحٍ فِي سِواكَ لَما جَرَى
أَوْ كُنْتُ[1] غائِصَ غَيْرِ بَحْرِكَ لَمْ أَكُنْ مُسْتَخْرِجاً ذا ٱللُّؤْلُؤَ ٱلْمُتَخَيَّرا

٤٧

وقال[2] يمدح نصر بن محمود[3]

هَلِ ٱلْعَدْلُ إِلاَّ دُونَ ما أَنْتَ مُظْهِرُ أَوِ ٱلْخَيْرُ إِلاَّ ما تُذِيعُ وَتُضْمِرُ
قَضَى لَكَ بِٱلْعَلْياءِ عَزْمٌ وَهِمَّةٌ وَجُودٌ وَإِقْدامٌ وَفَرْعٌ وَعُنْصُرُ
وَرَأْيٌ كَفَى كَيْدَ ٱلْخُطُوبِ وَقَبْلَهُ عَدَتْ غِيَرُ ٱلْأَيّامِ إِذْ لا مُغَيِّرُ[4]
بَلَغْتَ بِأَدْناهُ إِلَى ٱلْغايَةِ ٱلَّتِي كَبا دُونَها كِسْرَى وَقَصَّرَ قَيْصَرُ
وَأَنَّى يُجارِيكَ ٱلْعَلاءَ مُعَظَّمٌ يُعَظِّمُ مِنْ شَأْنِ ٱلْعُلَى ما تُصَغِّرُ
يَخافُ مِنَ ٱلْإِقْدامِ ما لا تَخافُهُ وَيَرْقُدُ عَنْ مَنْعِ ٱلذِّمارِ وَتَسْهَرُ
فَضَلْتَ ٱلْحَيا ٱلسَّحّاحَ وَٱلْعامُ مُمْرِعٌ وَأَسْرَفْتَ فِي ٱلتَّهْطالِ وَٱلْعامُ مُمْعِرُ

(١) لو كنت (ل)
(٢) هذه القصيدة كلها ساقطة من (ل)
(٣) هو نصر بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس. انظر الحاشية رقم (٢) ص (٩١)
(٤) إذ لا معيّرُ (ع)

وَدَانَتْ لكَ ٱلأَيَّامُ فَٱنْجَابَ ظُلْمُهَا   كَمَا ٱنْجَابَتِ ٱلظَّلْمَاءُ وَٱلصُّبْحُ مُسْفِرُ (١)
وَكَانَ وَقَارُ ٱلشَّيْبِ فِي ٱلنَّاسِ فَاشِياً   فَأَعْلَمْتَهُمْ أَنَّ ٱلشَّبِيبَةَ أَوْقَرُ
صَفَتْ (٢) نِعْمَتَانِ خَصَّتَاكَ وَعَمَّتَا   حَدِيثُهُمَا حَتَّى ٱلْقِيَامَةِ يُؤْثَرُ
وُجُودُكَ وَٱلدُّنْيَا إِلَيْكَ فَقِيرَةٌ   وَجُودُكَ وَٱلْمَعْرُوفُ فِي ٱلْخَلْقِ مُنْكَرُ

(١) والليل مسفر ؟ (م)

(٢) قال ابن العديم في زبدة الحلب من تاريخ حلب - مخطوط - : « وفي يوم عيد الفطر من سنة ثمان وستين وأربعماية عيّد نصر بن محمود في أحسن زي ، وكان الزمان ربيعاً والأرض نضرة ، واحتفل الناس في عيدهم وتجملوا بأفخر ملابسهم ، ودخل عليه ابن حيّوس فأنشده قصيدة منها :

صفت نعمتان خصّتاك وعمّتا   حديثهما حتى القيامة يؤثرُ

فشرب إلى العصر وحمله السكر على الخروج إلى الأتراك وسكناهم في الحاضرة ، وأراد أن ينهبهم وحمل عليهم ، فرماه تركي بسهم في حلقه فقتله ، وذلك يوم الأحد مستهل شوال من سنة ثمان وستين وأربعماية »

وذكر ابن رجب في ذيل طبقات الحنابلة بترجمة الوزير عون الدين أبي المظفر يحي بن محمد بن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ أن المستنجد بالله أمير المؤمنين أنشد وزيره أبا المظفر ، وقد مثل بين يدي سدته في أثناء مفاوضة جرت بينهما ، فأعجب الخليفة به فأنشده يمدحه أربعة أبيات الأخيرين منها للخليفة والأولين لابن حيّوس وهي :

صفت نعمتان خصّتاك وعمّتا   فذكرهما حتى القيامة يذكرُ
وجودك والدنيا إليك فقيرةٌ   وجودك والمعروف في الناس منكر
فلو رام يا يحي مكانك جعفرٌ   ويحي لكفّا عنه يحي وجعفر
ولم أر من ينوي لك السوء يا أبا ال   مظفر إلاّ كنت أنت المظفر

« ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب ورقة $\frac{٢٠٩}{٢}$ مخطوط في دار الكتب الظاهرية

وانظر المنتظم لابن الجوزي ج ١٠ س ٢١٤ »

بعارفةٍ لَوْ عارضَتْ آلَ بَرْمكٍ لأكْبَرَها يحْيى وفضْلٌ وجَعْفرُ(١)
ولَوْ عايَنَتْكَ الْجاهِلِيَّةُ لَمْ يَئِدْ فقيرٌ ولاَ ضَمَّ الْجماعَةَ مَيْسِرُ
وأَبْطَلَ عقْرَ الْعوْدِ فيهِمْ مُبيحُهُ لِمَنْ يعْتَفيهِ وَهْوَ بِالدَّبْرِ مُوقَرُ
إذا عزَمَتْ كَعْبٌ(٢) علَى حوْزِ سُؤْدُدٍ قضَى بالَّذي تهْوَى الْقضاءُ الْمُقدَّرُ
وهَلْ عدِمَتْ أعْداؤُها مِنْ سُيوفِها رُسُوماً تُعَفَّى أَوْ قُرُوماً تُعفَّرُ
إذا لاقَتِ الْأَبْطالَ يوْمَ كَريهةٍ فكَمْ أَبْطَلَتْ ما يدَّعيهِ السَّنَوَّرُ(٣)
لَها مِنْكَ يوْمَ السِّلْمِ تاجٌ وحُلَّةٌ تَزِينُ ويوْمَ الرَّوْعِ دِرْعٌ ومِغْفَرُ
وإنَّكَ أَوْفاهـا بعَهْدٍ وذِمَّةٍ وأَثْبَتُهـا والْخَيْلُ بِالْهامِ تَعْثُرُ
وفارِسُها والْبِيضُ تَقْطُرُ مِنْ دمِ الْـ كُماةِ وفُرْسانُ الْوَغَى تَتَقَطَّرُ
كَفِعْلِكَ بِالرُّومِيِّ إذْ رامَ خُطَّةً تَكادُ سَماءُ الْعِزِّ فيهـا تَفَطَّرُ
نَهَضْتَ إليْهِ نَهْضَـةً شَرَفِيَّةً بِها الدِّينُ يُحْمَى والْخِلافَةُ تُنْصَرُ
رَفيقُكَ مِمَّا تَطْبَعُ الْهِنْدُ أَبْيَضٌ وَهادِيكَ مِمَّا تُنْبِتُ الْخطُّ أَسْمَرُ
وقَدْ كانَتِ الرِّيحُ الرُّخاءُ تَغُرُّهُ إلَى أنْ أَتَتْهُ وَهْيَ نَكْباءُ صَرْصَرُ

---

(١) يحي بن خالد البرمكي وابناه جعفر والفضل مشهورون بالكرم يضرب بجودهم المثل .

(٢) بنو كعب : بطن من كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٣) السَّنَوَّر : جملة السلاح ولبوس من قِدٍّ كالدرع .

فَوَلّى وَلَوْلا حُسْنُ عَفْوِكَ لَمْ يَنَلْ ... وَلا عادَ عَنْهُ بِالنَّجاةِ مُبَشِّرُ

وَقَدْ عايَنُوا شَزْراً مِنَ الطَّعْنِ كافِلاً ... لِدِينِكَ أَلّا تَمْنَعَ الرُّومَ شَيْزَرُ (١)

بِعِزِّكَ سَرْحُ المُسْلِمِينَ مُمَنَّعٌ ... وَكانَ بِأَطْرافِ الأَسِنَّةِ يُذْعَرُ

وَلَمّا تَعَدّى التُّرْكُمانِيُّ (٢) طَوْرَهُ ... وَأَضْمَرَ بَغْياً ضِدَّ ما كانَ يُظْهِرُ (٣)

بَعَثْتَ إِلَيْهِ المُقْرَباتِ حَوامِلاً ... أُسُودَ وَغىً عَنْ ناجِذِ النَّصْرِ تَفْغَرُ

فَوَلَّتْ بِأَمْرِ اللهِ لا عَنْ مَخافَةٍ ... وَقَدْ يَحْضُرُ الرَّوْعَ الذَّلِيلُ فَيُنْصَرُ

فَفازَ بِكَسْرٍ (٤) عَجَّلَ اللهُ جَبْرَهُ ... وَأَعْقَبَهُ الكَسْرُ الَّذِي لَيْسَ يُجْبَرُ

وَرَجّى سَفاها أُخْتَها وَهْوَ صائِمٌ ... فَأَدْرَكَهُ ما ساءَهُ وَهْوَ مُفْطِرُ

وَلَوْ لَمْ يُجِرْهُ اللَّيْلُ خامِسَ خَمْسَةٍ ... لَما عادَ مِنْ تِلْكَ الجُمُوعِ مُخَبِّرُ

وَأَخَّرَتِ الطُّلّابَ عَنْهُ عَصائِبٌ ... تُحَكِّمُ فِيها المُرْهَفاتُ وَتَأْسِرُ (٥)

فَإِنْ تَكُ أَسْرى عَفَّتِ البِيضُ عَنْهُمُ ... فَمِنْ بَعْدِ أَنْ عافَتْ ضِباعٌ وَأَنْسُرُ

---

(١) شَيْزَر : قلعة تشتمل على كورة قرب المعرّة بينها وبين حماة يوم .
« معجم البلدان »

(٢) يريد بالتركماني : تركمان الغُزّي . انظر الحاشية رقم (٣) ص (٥٠)

(٣) في الأصل : « ضد ما كان يضمر » وهو من سهو النساخ .

(٤) بجبرٍ (م) ولعله : (ففاز بجبرٍ عجّل اللهُ كسرَهُ)

(٥) في الأصل : (وتوسرُ)

تَوَغَّلَ مُجْتاباً مِنَ ٱللَّيْلِ جُنَّةً ... وَعادَ وَأُخْرى لِلْكَرامَةِ تُذْخَرُ(١)
وَخُبْرُ أَخيهِ رَدَّهُ عَنْكَ سالِماً ... وَباءَ بِمَحْضِ ٱلذُّلِ مَنْ لَيْسَ يَخْبُرُ
مَلَكْتَ مِنَ ٱلدَّهْرِ ٱلْعَصِيِّ قِيادَهُ ... فَما قَدَّمَتْ أَحْداثُهُ مَنْ تُؤَخِّرُ
وَلَيْسَتْ تَرُدُّ ما أَمَرْتَ خُطوبُهُ ... وَلا تَرِدُ ٱلْأَمْلاكُ مِنْ حَيْثُ تَصْدُرُ
هُديتَ إِلى طُرْقِ ٱلْمَعالي وَما ٱهْتَدَوْا ... وَأَنْجَدْتَ في كَسْبِ ٱلثَّناءِ وَغَوَّروا
تَوَقَّلْتَ في تِلْكَ ٱلْهِضابِ فَحُزْتَها ... عَلى أَنَّها لَوْلاكَ لَمْ تَكُ تُعْبَرُ
فَإِنْ طاوَلوا أَوْ صاوَلوا بِقَديمِهِمْ ... فَأَنْتَ بِما تَأْتي عَلى ٱلطَّوْلِ أَقْدَرُ
وَإِنْ كُنْتَ ذا ٱلْجَدَّيْنِ جَلاً(٢) وَأَعْظَما ... فَكُلٌّ بِهِ يَسْمو ٱلزَّمانُ وَيَفْخَرُ
فَجَدٌّ بِهِ يَسْمو جَوادٌ وَصارِمٌ ... وَجَدٌّ بِهِ يَعْلو سَريرٌ وَمِنْبَرُ
بِنَصْرِ بْنِ مَحْمودِ بْنِ نَصْرٍ تَسَهَّلَتْ ... مَطالِبُ كانَتْ قَبْلَهُ تَتَوَعَّرُ
بِأَرْوَعَ أَعْمارُ ٱلْمَكارِمِ عِنْدَهُ ... تَطولُ وَأَعْمارُ ٱلْمَواعيدِ تَقْصُرُ
لَجوجٌ إِذا قادَ ٱللَّجاجُ إِلى ٱلْوَغى ... وَلوجٌ وَنيرانُ ٱلْوَغى تَتَسَعَّرُ
إِذا عُدَّ صِدْقُ ٱلنّاسِ أَوْ ذِكْرُ ٱلنَّدى ... فَما يَتَعَدّاهُ لِسانٌ وَخِنْصَرُ
رُوَيْداً ٱلْمَساعي تَعْرِفِ ٱلْقَوْلَ مُقْصِداً ... فَما ٱلْقَوْلُ عَنْ هٰذا ٱلْفَعالِ مُعَبِّرُ
وَهَلْ بِٱلَّذي تَأْتي إِلى ٱلْوَصْفِ حاجَةٌ ... وَأَخْبارُهُ بِٱلشَّرْقِ وَٱلْغَرْبِ تُشْهَرُ

(١) تدخر (م)
(٢) في الأصل (حلاً).

وَلَـكِنَّهُ بِالشِّعْرِ يَزْدَادُ بَهْجَةً ... كَمَا أُزْدَادَ حُسْنُ الرَّوْضِ وَهْوَ مُنَوَّرُ
لَقَدْ مَاتَتِ الآمَالُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ ... وَلَوْلَا نَدَاكَ الْغَمْرُ لَمْ تَكُ تُنْشَرُ
فَيَالَيْتَ أَيَّامِي بِظِلِّكَ لَا انْطَوَى ... سِنُونَ وَسَاعَاتِي الْقَصِيرَةَ أَشْهُرُ
بِحَيْثُ اللُّهَى تَنْهَلُّ وَالْحَمْدُ يُقْتَنَى ... وَصِدْقُ الْمُنَى قَدْ شَاعَ وَالذَّنْبُ يُغْفَرُ
فَقُرْبُكَ أَنْسَانِي عَطَايَا بَلَوْتُهَا ... مِنَ الْمَطْلِ تُجْنَى بَلْ مِنَ اللُّؤْمِ تُعْصَرُ
مَنَاظِرُ رَاقَتْ لَمْ تُعِنْهَا مَخَابِرٌ ... وَمَا كُلُّ دَوْحٍ رَاقَ رَائِيهِ مُثْمِرُ
إِذَا عَذَرَ الْمَأْمُولُ فِي الْبُخْلِ نَفْسَهُ ... فَآمِلُهُ فِي مَنْعِهِ الشُّكْرَ أَعْذَرُ
وَعِنْدِي لِمَا خَوَّلْتَنِيهِ مَحَامِدٌ ... تَسِيرُ مَسِيرَ الشَّمْسِ بَلْ هِيَ أَسْيَرُ
غَرَائِبُ إِنْ لَاحَتْ فَدُرٌّ وَجَوْهَرٌ ... ثَمِينٌ وَإِنْ فَاحَتْ فَمِسْكٌ وَعَنْبَرُ
وَمَا أَضْعَفَتْ عَشْرُ الثَّمَانِينَ مُنَّتِي ... كَمَا تُضْعِفُ الضِّرْغَامَ وَهْوَ غَضَنْفَرُ
أَرَى خَبَرَ الْبُخَّالِ يَهْلِكُ عَبْطَةً ... فَيُنْسَى وَأَخْبَارُ الْكِرَامِ تُعَمَّرُ
وَلَوْ(١) لَمْ يَكُنْ هٰذَا كَذَا مَاتَ حَاتِمٌ ... مَمَاتَ رِجَالٍ عَنْ مَدَى الْجُودِ قَصَّرُوا
فَلِلّٰهِ مَوْلًى أَصْبَحَ الْحَمْدُ دَأْبَهُ ... فَلَمْ يَعْدُهُ هٰذَا الثَّنَاءُ الْمُحَبَّرُ
مِنَ الذَّمِّ(٢) مَعْصُومٌ كَأَنَّ مَغِيبَهُ ... وَلَوْ جُمِعَتْ فِيهِ أَعَادِيهِ مَحْضَرُ
وَمُعْتَرِفٌ لِلطَّالِبِينَ بِمَا ادَّعَوْا ... وَلَـكِنَّهُ بَعْدَ الْمَوَاهِبِ مُنْكِرُ

---

(١) وإن لم يكن ... (م) . وحاتم الطائي يضرب بجوده المثل .
(٢) في الأصل : (من الدم) وهو تصحيف .

تحوزُ الغِنى جدواهُ أولَ وهلةٍ ... ويحسبها لم تُغنِ فهو يُكرِّرُ

كصوبِ حياً عمَّ البلادَ بغيثهِ ... ففازتْ بأقصى ريِّها وهو مُمطِرُ

بقيتَ بقاءَ الفرقدينِ مُلازماً ... جوارَهُما ما جاورَ العينَ محجِرُ

ولا زالتِ الأعيادُ تقدمُ هكذا ... ومُلكُكَ محروسٌ ومَغناكَ أخضرُ

٤٨

وقال (١) يمدح الوزير اليازوري (٢)

تَعَنَّى العُلى سهلٌ ومنهجُها (٣) وعْرُ ... وشيمتُها إلاَّ إذا سُمتها (٤) الغدْرُ

أبتْ كلَّ منْ أنضى (٥) إليها ركابَهُ ... فلا حازمٌ أفضى إليها ولا غمْرُ

وأغليتَ بالإقدامِ والجودِ مهرَها ... فأحجمتِ الخُطَّابُ لمَّا غلا المهْرُ

فمذْ سُدْتَ لم تطمحْ بذي همَّةٍ مُنًى ... ومذْ جُدْتَ لم يسنحْ لذي منَّةٍ ذِكْرُ

فضحتَ الأُلى حنَّتْ إليها قلوبهمْ ... فما لهُمُ فيها قلوصٌ ولا بكْرُ (٦)

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي : « وقال أيضاً يمدح الناصر للدين أبا محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري ويهنيه بعيد وأنفذها إليه من دمشق »

(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)

(٣) ومسلكها (ل)

(٤) إلاَّ إذا شئتها (ل)

(٥) أنضتْ (ل)

(٦) أي ما لهم فيها ناقة ولا جمل .

هُمُ اعْتَذَرُوا قِدْماً بِإِشْكالِ طُرْقِها عَلَيْهِمْ(١) فَمُذْ أَوْضَحْتَها لَمْ يَضِحْ عُذْرُ
عَلَوْتَ بِحُكْمٍ لا يُقارِنُهُ هَوىً وَمَحْضِ وَفاءٍ لا يُقارِبُهُ خَتْرُ(٢)
وَعَدْلٍ سَواءٌ فِيهِ سُخْطُكَ وَالرِّضى وَدِينٍ سَواءٌ فِيهِ سِرُّكَ وَالجَهْرُ
وَطَبَّقَتِ الآفاقَ أَخْبارُكَ الَّتي إِذا نُشِرَتْ(٣) في بَلْدَةٍ كَسَدَ العِطْرُ
فَهَلْ وُلِّيَتْ رِيحُ ابْنِ داوُدَ حَمْلَها فَغُدْوَتُها شَهْرٌ وَرَوْحَتُها شَهْرُ
أَحَلَّكَ فَوْقَ الخَلْقِ قَدْراً وَرُتْبَةً وَدِيناً وَدُنْيا مَنْ لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ
وَمُنْذُ أَخَفْتَ الدَّهْرَ لَمْ يَعْدُ حادِثٌ وَلَمْ يَدْمَ لِلأَيّامِ نابٌ وَلا ظُفْرُ
وَمِنْكَ اسْتَفادَتْ كُلَّ أَمْرٍ يَزِينُها فَلا عَجَبٌ أَنْ طاوَعَتْكَ وَلا نُكْرُ
وَما زالَ لِلرّاجي(٤) لُهى كَفِّكَ الغِنى وَما زالَ لِلْجاني التَّجاوُزُ وَالغَفْرُ
وَيا رُبَّ جَبّارٍ أَرَدْتَ اجْتِياحَهُ فَلَمْ يُنْجِهِ بَرٌّ وَلَمْ يُنْجِهِ(٥) بَحْرُ
وَأَيُّ خِلالِ المَجْدِ ما مَلَكْتَهُ وَإِنْ رَغِمَ الحُسّادُ هَمُّكَ البِكْرُ
تَباعَدَ عَنْ إِنْعامِكَ المَنُّ وَالأَذى وَلَمْ تَنْفَصِلْ عَنْهُ الطَّلاقَةُ وَالبِشْرُ(٦)

(١) عليها (ع) و (م)
(٢) غدرُ (ع) و (م)
(٣) نشدت (م)
(٤) ومازال للجاني لهى كفك الغنى لديك وللجاني ... (ل)
(٥) ولم يحمه بحرُ (ل)
(٦) وقارنه منك الطلاقة والبشرُ (ل)

فِداؤكَ أملاكٌ ثَوابُ عُفاتِها ... لَدَيْها العُبُوسُ الجَمُّ وَالنَّظَرُ الشَّزْرُ
إذا ما رُقُوا بالحَمْدِ لم تَنْفَعِ الرُّقى ... وإنْ سُحِرُوا بالمَدْحِ لم يَنْفُذِ السِّحْرُ
ذَوُو عَزَماتٍ لا يُفَلُّ بها عِدًى ... وأرْبابُ وَفْرٍ لا يُفَكُّ له أسْرُ
وَعَزْمُكَ يأبى أنْ تَقُومَ مَقامَهُ ... مُهَنَّدَةٌ بِيضٌ وَخَطِّيَّةٌ سُمْرُ (١)
وَلَوْ أنَّ أُسْدَ الغابِ رِيعَتْ بِحَدِّهِ ... عَلَى عِزِّها لَمْ يَخْشَها الغِفْرُ وَالغُفْرُ (٢)
أما قَوْمُكَ القَوْمُ الَّذِينَ إذا جَنَوْا ... أبَى عِزُّهُمْ أنْ يُقْتَضَى عِنْدَهُمْ وِتْرُ
حَمِيَّةُ بأسٍ قَدْ تَلَتْهُ (٣) تَقِيَّةٌ ... فطالُوا وَهُمْ بَدْوٌ وَطابُوا وَهُمْ حَضْرُ
أُسُودٌ (٤) عَلَى أُسْدِ الكَرائِهِ (٥) قَدْ ضَرُوا ... إذا حُوسِنُوا سَرُّوا وَإنْ خُوشِنُوا ضَرُّوا
وَلَوْ أنَّهُمْ أصْلُ الخُمُولِ وَفَرْعُهُ ... وَحُوشُوا وَأنَّى تَهْبِطُ (٦) الأنْجُمُ الزُّهْرُ
لَبَلَّغْتَهُمْ ما لَمْ تَنَلْهُ بِكَعْبِها ... إيادٌ وَلَمْ تَبْلُغْ بِخالِدِها قَسْرُ (٧)

---

(١) هذا البيت ساقط من (ل)
(٢) الغِفر : ولد البقرة ، والغُفر : ولد الأرويّة . وفي (ع) و (م) « لم يخشها العفو والغفرُ » وهو تصحيف .
(٣) تلتها (ل)
(٤) ليوث ... (ل)
(٥) الكرائه : جمع كريهة وهي الحرب .
(٦) وأنّى تدرك ... (ع) و (م)
(٧) كعب بن مامة الإيادي مشهور بالكرم والإيثار . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩) وخالد بن عبد الله القسري من أهل دمشق ، كان من خطباء العرب وأجوادهم ، ولاه هشام بن عبد الملك العراقين .

فَضَلْتُمْ كِرامَ ٱلنَّاسِ في كُلِّ سُؤْدُدٍ ... وَلاَ عَجَبٌ أَنْ يَفْضُلَ ٱلْيَرْمَعَ(١) ٱلدُّرُّ
إذَا فاخَرَتْ(٢) بِٱلْجُودِ عُرْبٌ سِواكُمُ ... فَفَخْرُهُمُ ما تَمْنَحُ ٱلْجَفْنَةَ ٱلْقِدْرُ
وَعِنْدَكُمُ خَيْرُ ٱلْقِرٰى وَوَراءَهُ ... وَلَوْ قَصُرَ ٱلْإِمْكانُ جُودُكُمُ ٱلْغَمْرُ
فَإِنْ(٣) نَعَمٌ بِٱلشَّلِّ بادَتْ فَلَمْ يُبِدْ ... عُرُوجَكُمُ إِلاَّ ٱلْمَواهِبُ وَٱلْعَقْرُ(٤)
وَقَدْ أَيَّدَ ٱلْإِسْلامُ مِنْكَ بِأُسْرَةٍ ... فَكانَ لَها ٱلْإِيواءُ مِنْ قَبْلُ وَٱلنَّصْرُ(٥)
بِكُلِّ مَنِيعِ ٱلْجارِ ما سَلَّ سَيْفَهُ ... وَلَمْ يَكُ مِنْ أَضْيافِهِ ٱلذِّئْبُ وَٱلنَّسْرُ
إذا طَلَبَ ٱلْغاياتِ لَمْ يَهْنِهِ ٱلْكَرىٰ ... وَإِنْ قارَعَ ٱلْأَعْداءَ لَمْ يَنْهَهُ ٱلزَّجْرُ
تَفَرَّدَ تاجُ ٱلْأَصْفِياءِ بِحَوْزِها(٦) ... مَكارِمُ جَمُّ ٱلْوَصْفِ في جَنْبِها نَزْرُ
تَلاَ رَهْطَهُ في كُلِّ فَخْرٍ(٧) سَمْوَأَلُهُ ... فَأَرْبىٰ كَما أَرْبىٰ عَلَى ٱلْأَنْجُمِ ٱلْبَدْرُ
وَلَمْ يَكُ مِثْلَ ٱلصُّبْحِ يَقْدُمُهُ ٱلدُّجىٰ ... وَلٰكِنَّها شَمْسٌ تَقَدَّمَهـا فَجْرُ
هُمامٌ يُغِصُّ ٱلْحاسِدِيهِ بِبابِهِ(٨) ... بِما لَمْ يَغُصْ يَوْماً عَلَى مِثْلِهِ ٱلْفِكْرُ

---

(١) اليَرْمَعُ : حصى بيض رخوة تلمع .
(٢) إذا فخرت ... (ل)
(٣) وإن ... (ل)
(٤) الشَّلُّ الطرد . والعُروج : جمع عَرْج وهو القطيع من الإبل .
(٥) إشارة إلى أن الممدوح ينتسب الى الأنصار .
(٦) بحوزة ؟ (ل)
(٧) مجد (ل)
(٨) ... الحاسدون بيانه ... فكرُ (ل)

وَيَحْكُمُ فِي أَهْلِ ٱلنِّفَاقِ وَعِيدُهُ ... بِأَضْعافِ مايَقْضِي بِهِ ٱلْعَسْكَرُ ٱلْمَجْرُ (١)
وَمُلْكٌ تَوالَى (٢) ذَبُّهُ (٣) وَعَطاؤُهُ ... فَمَا (٤) خافَ (٥) مُعْتَرٌّ وَلا خابَ مُعْتَرُّ (٦)
إِذَا ظَلَّ يَحْمِي قِيلَ عَوْدٌ مُجَرَّبٌ ... وَإِنْ ظَلَّ يَهْمِي قِيلَ بِالدَّهْرِ مُقْتِرُ
وَما هِيَ إِلَّا غُرَّةٌ سَنَّهَا ٱلنَّدَى ... عَلَى (٧) غارَةٍ فِي مالِهِ شَنَّها ٱلشِّعْرُ
وَنَشْوَانُ مِنْ خَمْرِ ٱلْمَكارِمِ لَمْ يُفِقْ ... فُواقاً (٨) وَلَوْلاهُنَّ لَمْ يَدْرِ ما ٱلسُّكْرُ
فَلا يَطْمَعِ ٱلْعُذَّالُ مِنْهُ بِسَلْوَةٍ ... لِغَيْرِ ٱلنَّدَى مِنْهُ ٱلْقَطِيعَةُ وَٱلْهَجْرُ
وَكَمْ (٩) قَدْ نَهَاهُ ٱلنَّاصِحُونَ بِزَعْمِهِمْ ... فَمَرَّ كَأَنَّ ٱلنَّهْيَ فِي سَمْعِهِ أَمْرُ
فَكُلٌّ حَيَاً يَحْيَا ٱلتُّرابُ بِمائِهِ ... فِداءُ غَمامٍ مِنْ مَواطِرِهِ ٱلتِّبْرُ
يُحَجَّبُ إِعْظاماً وَما دُونَ عَدْلِهِ ... وَفائِضِ جَدْوَاهُ حِجابٌ وَلا سِتْرُ

(١) الجحفل المجرُ (ل)
(٢) تولى ؟ (ل)
(٣) في جميع الأصول « دبه » وهو تصحيف .
(٤) فلا ... (ل)
(٥) كذا في جميع الأصول ولعله مصحف عن (خان)
(٦) المُعْتَرُّ : المعترض للمعروف من غير أن يسأل .
(٧) على سمعه في غارة شنّها الشعرُ (مسالك الأبصار ج ١٠) مخطوط
(٨) الفُواق : ما بين الحلبتين من الوقت .
(٩) فكم ... (ل)

وَيطفُو عَلَى ماءِ ٱلْجَمالِ بِوَجْهِهِ حياءٌ تَظَنَّى جاهِلٌ أَنَّهُ كِبْرُ (١)

وما (٢) ثَبَتَتْ إِلاَّ لَهُ حُجَجُ ٱلْعُلَى وَلاَ أَقْلَعَتْ إِلاَّ بِهِ ٱلْحِجَجُ ٱلْغُبْرُ

وَلاَ هُوَ عِنْدَ ٱلْفَخْرِ (٣) ذُو ٱلسُّؤْدُدِ ٱلَّذِي يُقِرُّ بِهِ زَيْدٌ وَيَجْحَدُهُ عَمْرُو

خَلِيلَ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِكَ ٱنْجَلَتْ حَنادِسُ لاَ شَمْسٌ جَلَتْها وَلاَ بَدْرُ

وَأَمَّنْتَنا كَيْدَ ٱلْخُطُوبِ ٱلَّتِي عَرَتْ فَبانَتْ عَلَيْنا كُلُّ حادِثَةٍ (٤) تَعْرُو

مِنَ ٱللهِ نَسْتَهْدِي لَكَ ٱلْعُمْرَ ٱلَّذِي يَطُولُ إِلَى أَنْ لاَ يُعاثِلَهُ عُمْرُ

وَنَسْأَلُهُ إِيزاعَنا شُكْرَهُ ٱلَّذِي تَوَخِّيهِ إِيمانٌ وَإِلْغـــاؤُهُ كُفْرُ

فَجـــاحِدُ ما تُولِي عَلَى ٱللهِ مُفْتَرٍ وَكاتِمُهُ عَنْ ناجِذِ ٱلْكُفْرِ مُفْتَرُّ

لَقَدْ أَشْكَلَتْ أَعْيادُنا مُنْذُ أَصْبَحَتْ تُشاكِلُها فِي ٱلْحُسْنِ أَيّامُكَ ٱلْغُرُّ

فَلَوْلاَ مَواقِيتٌ تَعالَمَهـــا ٱلْوَرَى لَما عُرِفَ ٱلْأَضْحَى لَدَيْنا وَلاَ ٱلْفِطْرُ (٥)

كَفاكَ ٱلرَّدَى مَنْ أَنْتَ ناصِرُ دِينِهِ فَلَمْ يَفْتَخِرْ إِلاَّ بِأَفْعالِكَ (٦) ٱلدَّهْرُ

---

(١) كان الوزير اليازوري معروفاً بالحياء . وورد في ص ٤٥ من كتاب الإشارة الى من نال الوزارة لابن الصيرفي ما نصه « . . وكان كثير الحياء، وقيل إن تغميض عينيه إذا ركب لفرط حيائه ».

(٢) فما .. (ل)

(٣) ذي السؤدد ... (م)

(٤) نائبة (ل)

(٥) لما عرف الأضحى هناك ولا الفطرُ (ل)

(٦) إلا بأيامك الدهرُ (ل)

وَلاَ غاضَ مِنْ بَحْرِ الْأَجَلَّيْنِ(١) زاخِرٌ   عَلاَ طامِياً آذِيُّهُ وَنَأَىٰ الْقَعْرُ
فَقَدْ حازَ هٰذَا الْعَصْرُ مِنْكَ وَمِنْهُما   فَضائِلَ لَمْ يَظْفَرْ بِأَيْسَرِها عَصْرُ
وَكَمْ مِنَّةٍ أَسْدَيْتَها وَشَكَرْتُها(٢)   فَأَسْدَيْتَ أُخْرَىٰ لاَيَقُومُ بِها(٣) شُكْرُ
وَإِنْ طالَمَا أَرْسَلْتُ(٤) غَيْرَ مُدافَعٍ   عُقُودَ ثَناءٍ دُرُّها الْكَلِمُ الْحُرُّ
وَأَهْدَتْ إِلىٰ مِصْرٍ دِمَشْقُ عَلَى النَّوىٰ   نَظائِرَ ما تُهْدِيهِ دارِينُ(٥) وَالشِّحْرُ
قَرِيضاً(٦) كَأَحْوَى الرَّوْضِ صافَحَهُ النَّدىٰ   نَدَى اللَّيْلِ لَمْ يُقْلِعْ وَصابَحَهُ(٧) الْقَطْرُ
يَخِفُّ عَلَى الْأَفْواهِ فِي الْأَرْضِ كُلِّها   فَيَشْدُو بِهِ شَرْبٌ وَيَحْدُو بِهِ سَفْرُ
وَيُعْرِبُ عَنْهُ حِينَ يُنْشَدُ(٨) نَشْرُهُ   وَماطِيبُ(٩) مِسْكٍ لاَيَضُوعُ لَهُ نَشْرُ
وَيَقْبُحُ إِدْلاَلِي بِنَظْمِ مَدائِحٍ   لِمَجْدِكَ أَدْنىٰ قُلِّها وَلِيَ الْكُثْرُ

---

(١) لعله يريد بالأجلّين ولدي الممدوح خطير الملك وصفي الملك . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٩٥)
(٢) فشكرتها (ل)
(٣) لها (ل)
(٤) أسديت (ع) و (م)
(٥) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك . والشّحر ما بين عدن وعُمان وإليه ينسب العنبر الشّحري.
(٦) قريضٌ (ع) و (م)
(٧) وصافحه القطرُ (ل)
(٨) ينشر (ل)
(٩) ويا طيب ... (ع) و (م)

فَحظُّكَ مِنْها ما يُغاظُ(١) بِهِ العِدى ... وَحَظِّي الغِنى(٢) وَالعِزُّ وَالجاهُ وَالفَخْرُ

ثَناءٌ تَعالَى الوُصافِ(٣) أَوْصافُكَ الَّتي ... يُقَصِّرُ عَنْ إِدْراكِها النَّظْمُ وَالنَّثْرُ

وَلَيْسَ لِقَوْلي عِنْدَما أَنْتَ فاعِلٌ ... وَإِنْ جَلَّ عَنْ قَوْلٍ يُماثِلُهُ قَدْرُ

وَلٰكِنَّ شِعْري لِارْتِياحِكَ عاشِقٌ ... وَما بَعُدَتْ يَوْماً عَلَى عاشِقٍ مِصْرُ

* * *

(١) ما يغاض (ل)

(٢) وحظي الغنى والجاه والعز والفخرُ (ل)

(٣) على الأوصاف (ل)

٤٩

وقال (١) يمدح أمير الجيوش (٢) ويعزّيه بوفاة الظاهر لدين الله (٣) ويهنيه بجلوس المستنصر بالله (٤) ولده أنشده إياها في شعبان سنة ٤٢٧ .

لَوْ أَنَّ شَامِخَ قَدْرٍ دَافِعٌ قَدَرَا ... لَمْ يُخْتَرَمْ مَنْ لإِعْزَازِ الْهُدَى ظَهَرَا

---

(١) وردت هذه القصيدة في (ل) أولى قصائد قافية الراء ، وعنوانها هناك كما يلي : « وقال يمدح الأمير الأجل المظفّر أمير الجيوش ويعزّيه بوفاة مولانا الظاهر لإعزاز دين الله قدس الله روحه ويهنيه بجلوس الإمام المستظهر بالله ولده وأنشده إياها في شعبان سنة سبع وعشرين وأربعماية » — كذا المستظهر وهو من سهو الناسخ والصواب المستنصر —

(٢) انظر ترجمته في الحاشية رقم (١) ص (٣)

(٣) هو الظاهر لإعزاز دين الله علي بن الحاكم الفاطمي العُبيدي . ولد بالقاهرة سنة (٣٩٥) وتولى بعد أبيه الحاكم سنة (٤١١) وكانت مملكته الديار المصرية وإفريقية وبلاد الشام . وفي أيامه استولى صالح بن مرداس الكلابي على حلب وحسّان بن مفرّج الطائي صاحب الرملة على أكثر بلاد الشام . وتوفي الظاهر بالقاهرة سنة (٤٢٧) « وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٦٣/١ »

(٤) هو المستنصر بالله معد بن الظاهر لإعزاز دين الله الفاطمي العُبيدي . ولد سنة (٤٢٠) وتولّى بعد موت والده سنة (٤٢٧) وجرى في أيامه ما لم يجر في أيام أحد من أهل بيته . خطب باسمه في بغداد مدة سنة ودعي له على منابر اليمن . وأقام في الأمر ستين سنة وهذا أمر لم يبلغه أحد من أهل بيته ولا من بني العباس . وفي أيامه انقطعت دعوة الفاطميين من المغرب ومن الحرمين الشريفين ، وتوفي سنة (٤٨٧) . « وفيات الأعيان لابن خلكان ١٣٥/٢ » ، أقول وفي أيامه خرجت بلاد الشام من حكم الفاطميين .

وَلَيْسَ يَعْلُو قَرا (١) الْغَبْرَاءِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَكُونَ (٢) لِأَضْيَافِ الْمَنُونِ قِرىٰ
حَوادِثٌ لَمْ تُمَيِّزْ فِي تَصَرُّفِهَا مَنْ ضَيَّعَ الْحَزْمَ مِمَّنْ أَكْثَرَ الْحَذَرَا
وَلَوْ مَشَتْ غَيْرُ الدَّهْرِ الْبَرَاحَ لَهُ لَحَاوَلَتْ مِنْ رَدَاهُ مَطْلَباً عَسِرا
وَرَدَّهَا سَيْفُهُ الْمَاضِي مُفَلَّلَةً عَنْهُ وَلٰكِنَّهَا دَبَّتْ لَهُ الْخَمَرا
حَتَّىٰ قَضَىٰ مَا قَضَىٰ مِنْ لَذَّةٍ وَطَراً وَكَمْ قَضَتْ مِنْهُ آمَالُ الْوَرَىٰ وَطَرا
وَرَاغِبٍ عَنْ سَرِيرِ الْمُلْكِ فَارَقَهُ فَعَاضَهُ اللّٰهُ فِي (٣) جَنَّاتِهِ سُرُرا
أَعْظِمْ بِهِ حَدَثاً أَفْضَىٰ إِلَىٰ جَدَثٍ (٤) عَرَّى الْقُلُوبَ مِنَ الْأَوْجَالِ حِينَ عَرَا
دَمْعٌ تَرَقْرَقَ فِي الْأَجْفَانِ ثُمَّ رَقَا وَلَوْ تَأَخَّرَتِ الْبُشْرَىٰ إِذاً اجَرىٰ
لَوْ لَمْ تَكُنْ لِدُمُوعِ الْعَيْنِ عَاقِلَةً لَأَطْلَقَ الْحُزْنُ دَمْعاً طَالَمَا أُسِرا
فَلْيُرْغَمِ الدَّهْرُ أَنْفاً أَنَّ حَادِثَهُ أَرَادَنَا بِسُهَادٍ فَاسْتَحَالَ كَرَىٰ
رَزِيَّةٌ جَلَبَتْ نُعْمَىٰ وَزَنْدُ هُدىً لَمْ يَكْبُ إِلَّا كَرَجْعِ الطَّرْفِ ثُمَّ وَرَىٰ
وَصَارِمٌ حَمَتِ الدُّنْيَا مَضَارِبُهُ مَا قِيلَ أُغْمِدَ حَتَّىٰ قِيلَ قَدْ شُهِرا
إِنَّ الزَّمَانَ جَنَىٰ لَمَّا جَنَىٰ نَدَماً فَقَامَ مِنْ فِعْلِهِ فِي الْحَالِ مُعْتَذِرا

---

(١) القَرا : الظهر . والقِرى : ما قُري به الضيف .
(٢) فلا يكون ... (ل)
(٣) من جناته (ع) و (م)
(٤) إلى حدثٍ (ل)

وَهَلْ يُبَاحُ حِمَى ٱلدِّينِ ٱلْحَنِيفِ وَقَدْ ... أَلْفَى[1] مَعَدّاً مُعَدّاً لِلْهُدَى وَزَرا
فَقَامَ مِنْ دُونِ دِينِ ٱللهِ يَكْلَؤُهُ ... بِٱللهِ مُسْتَنْصِراً لِلْحَقِّ مُنْتَصِرا[2]
وَقَدْ جَرَى ٱلْقَلَمُ ٱلْأَعْلَى بِنُصْرَتِهِ ... فَقَبْلَ يُدْعَى بِهِ مُسْتَنْصِراً نُصِرا
أَمَّتْ خِلَافَتَهُ رِيحُ ٱلنَّدَى يَسَراً ... وَظَلَّ نَشْرُ ٱلدُّنَا مِنْ نَشْرِهَا عَطِرا[3]
عُرْفاً وَعَرْفاً فَمَا يَنْفَكُّ آمِلُهُ ... يَسْتَنْزِلُ ٱلْقَطْرَ أَوْ يَسْتَنْشِقُ ٱلْقُطُرا[4]
وَخُصَّ بِٱلشَّرَفِ ٱلْمَحْضِ ٱلَّذِي ٱرْتَفَعَتْ ... لَهُ ٱلنَّوَاظِرُ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِي بَهَرا
نُورِ ٱلنَّبِيِّ ٱلَّذِي مَا زَالَ مُنْتَقِلاً ... فِيمَنْ دَعَا ظَاهِراً مِنْهُمْ وَمُسْتَتِرا
أَهْلُ ٱلصَّفَا كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُمْ وَزَكَتْ ... فَكُلُّ صَفْوٍ سِوَاهُمْ عَائِدٌ كَدَرا
وَمَا بَقِي خَلَفٌ مِنْهُمْ فَمَا تَقَضَتْ ... مِنَ ٱلْهُدَى وَٱلنَّدَى أَيْدِي ٱلرَّدَى مِرَرا[5]
هُمُ ٱلْأُلَى أَخَذَ ٱللهُ ٱلْعُهُودَ لَهُمْ ... وَٱلنَّاسُ ذَرٌّ عَلَى مَنْ بَرَّ أَوْ فَجَرا
لِأَجْلِهِمْ خَلَقَ ٱلدُّنْيَا وَأَسْكَنَهَا ... وَذَنْبُ آدَمَ لَوْلَاهُمْ لَمَا غُفِرا
أَئِمَّةٌ لَمْ يَغِبْ عَنَّا[6] لَهُمْ قَمَرٌ ... إِلَّا وَأَعْقَبَنَا مِنْ سِنْخِهِ[7] قَمَرا

(١) لقى (ل)
(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٣) أمّت خلافته ريحُ الندى نشرا ... فظل نشر الربى من نشرها عطرا (ل)
(٤) القَطْر : المطر . والقُطُر : العود الذي يتبخر به .
(٥) من الهدى والردى أيدي الورى المِرَرا ؟ (ل)
(٦) فينا (ع) و (م)
(٧) سنخهم (ل)

وَخَيْرُهُمْ وَأَنَا الْمَسْؤُولُ ثَامِنُهُمْ كَمَا صَفِيُّ أَبِيهِ خَيْرُ مَنْ وَزَرا
مَنْ مَا يَزَالُ يُرِينَا مِنْ عَزَائِمِهِ فِي كُلِّ ظَلْمَاءَ تَدْجُو أَنْجُماً زُهُرا
عَوْدٌ إِذَا دَوْلَةٌ أَلْقَتْ مَقَالِدَهَا لِرَأْيِهِ لَمْ يَدَعْ فِي عُودِهَا خَوَرا
مَا زَالَ بِالْجِدِّ يَنْفِي كُلَّ نَائِبَةٍ حَتَّى اسْتَقَامَ بِهِ الْجَدُّ الَّذِي عَثَرا
رَدَّ الْوَزِيرُ الْأَجَلُّ الْعِزَّ مُقْتَبَلاً وَالْأَمْنَ مُنْبَسِطاً وَالْعَدْلَ مُنْتَشِرا
مُبَرِّحٌ بِالْعِدَى يَأْبَى الْإِبَاءُ لَهُ أَنْ يُبْتَغَى (١) عِنْدَهُ وِتْرٌ إِذَا وَتَرا
ظُبَاكَ لَا شَكَّ مِنْ آرَائِهِ طُبِعَتْ فَمَا أَرَاقَتْ دَماً إِلَّا مَضَى هَدَرا
يَا أَوْضَحَ (٢) الْبِيضِ عِنْدَ الْمُجْتَلَى أُثُرا (٣) أَجَلْ وَأَشْهَرَهَا يَوْمَ الْوَغَى أَثَرا
اقْهَرْ (٤) أَسَاكَ بِمَا قَدْ جَرَّ مِنْ فَرَحٍ فَكَمْ قَهَرْتَ عَزِيزاً قَطُّ مَا قُهِرا
فَهْوَ الْأَسَى كُلَّمَا سَكَّنْتَهُ سَكَنَتْ نِيرَانُهُ وَإِذَا (٥) سَعَّرْتَهُ اسْتَعَرا
كَأَنَّ (٦) حَظَّكَ مِمَّنْ غَابَ مُحْتَضَرا يَزِيدُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عِنْدَ مَنْ حَضَرا
سَارَعْتَ مُنْصَلِتاً فِي أَخْذِ بَيْعَتِهِ حَتَّى جَمَعْتَ عَلَيْهَا الْبَدْوَ وَالْحَضَرا

---

(١) أن يبتغي غيره وتراً إذا وترا (ل)
(٢) بأوضح ... (ع) و (م)
(٣) الأثُر : الماء والرونق .
(٤) اسأل تَسَلَّ بما قد جاء من فرحٍ (ع) ... بما قد جرّ ... (م)
وعلى هامش (ع)
(٥) أسعرته (ع) و (م)
(٦) لأن ... (ع) و (م)

مُبادرِينَ (١) لها مُسْتَعْصِمِينَ بها ... مِنَ الحَوادِثِ والحُسْنى لِمَنْ بَدَرا

لَمَّا دَعَوْتَهُمُ عِزّاً لها الجَفَلى ... وَلَوْ سِواكَ دَعا ذُلاًّ لها النَّقَرى (٢)

وَما تَمَيَّزَ فيها مُذْ أَمَرْتَ بِها ... مَنْ يَنْزِلُ القاعَ مِمَّنْ يَسْكُنُ المَدَرا

جاؤوكَ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ قاطِعِينَ فَلاً ... تَلْقى العَرامِسُ نَصّاً دُونَها وَسُرى (٣)

يُصافِحُونَ يَداً تَنْفي بِسَوْرَتِها ... كَيْدَ الخُطُوبِ وَنَسْتَسْقي بِها المَطَرا

تَحْمي وَتَهْمي فَلا زالَتْ مُؤَمَّلَةً ... تُرْجى لِمَنْعٍ ثَراءٍ أَوْ لِرِيٍّ ثَرى

لَوْ لَمْ تُمَدَّ لَكَ الأَيْدي مَدَدْتَ قَناً (٤) ... عَوَّدْتَها تَرِدُ اللَّبّاتِ والثُّغَرا

مَرى سَدادُكَ خِلْفَ الرَّأْيِ مُجْتَهِداً ... حَتّى لَقَدْ قَلَّ خُلْفٌ وَاسْتَقَلَّ مِرا

وَأَيُّ سَعْيِكَ لِلإِسْلامِ ما حَمِدَتْ ... لَكَ الخَلائِفُ فيهِ الوِرْدَ والصَّدَرا

تَقَدَّسَتْ (٥) رُوحُ مَنْ سَمّاكَ عُدَّتَهُ ... فَنِعْمَ ما وَرَّثَ الباقي وَما ذَخَرا

وَمُنْتَضِيكَ وَقَدْ لَجَّ الجِماحُ بِمَنْ ... بَغى عَلَيْهِ (٦) فَكُنْتَ الصّارِمَ الذَّكَرا

---

(١) مبادرين بها ... (ل)

(٢) الجَفَلى : الدعوة العامة . والنَّقَرى : الدعوة الخاصة .

(٣) يلقى العرامس نبضاً دونها وترا (ع) و (م) . والعَرامِس : جمع عِرْمِس وهي الناقة الصلبة . والسير النَّص : الجِدُّ الرفيع.

(٤) تمد قناً (م)

(٥) فقدَّست ... (ل)

(٦) بغى عليك وكنت ... (ع) و (م)

عَضْباً إِذَا شَهِدَ الْهَيْجاءَ مُضْرَمَةً أَفْرَى(١) وَإِنْ شاءَ إِصْلاحَ الْأُمُورِ فَرَى
وَكَيْفَ يُصْبِحُ هٰذا الْحَقُّ مُهْتَضَماً وَقَدْ غَدَا دُونَهُ ذَا اللَّيْثُ مُهْتَصِرا
مُظَفَّراً لَمْ يَزَلْ فِي مَنْعِ حَوْزَتِهِ يَسْتَخْدِمُ الْعِزَّ وَالتَّأْيِيدَ وَالظَّفَرا
مُذِ اصْطَفاكَ لَهُ الْمُلْكُ الرَّفِيعُ ذُرىً وَذُدْتَ عَنْهُ الْعِدى أَضْحى الْمَنِيعَ ذُرى
فَإِنْ يُفَوِّضْ إِلَيْكَ الْأَمْرَ أَجْمَعَهُ فَبَعْدَما (٢) رُقْتَهُ مَرْأَىً وَمُخْتَبَرا
لَا يَطْلُبَنَّ(٣) الْوَرى ما أَنْتَ مُحْرِزُهُ أَجَلُّهُمْ خَطَراً مَنْ باشَرَ الْخَطَرا
فَماوَدَ الْخَوْفُ أَمْناً وَالْمُباحُ حِمىً لِبَأْسِهِ وَوَفَى الدَّهْرُ الَّذِي غَدَرا
ما عادَ صَرْفُ اللَّيالِي فِي إِساءَتِهِ مُذْ أَحْسَنَ اللّٰهُ لِلدُّنْيا بِكَ النَّظَرا
فَأَنْتَ يا عُدَّةَ الْإِيمانِ(٤) أَوَّلُ مَنْ يَعُدُّ ذَا الدَّهْرُ مِنْ فَخْرٍ إِذَا فَخَرا
إِذَا جَحَدْناكَ ما أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ فَقَدْ كَفَرْناكَ وَالْمَغْبُونُ مَنْ كَفَرا
نُثْنِي بِآلاءِ مَنْ وَلَّاكَ نُصْرَتَنا فَشادَ إِقْدامُكَ الْعِزَّ الَّذِي دَثَرا
وَإِنَّ آلاءَهُ(٥) ما لَا يُحِيطُ بِها وَصْفٌ عَلَى أَنَّها تَسْتَنْطِقُ الْحَجَرا
مَدْحُ الْأَئِمَّةِ شَيْءٌ لَيْسَ يَبْلُغُهُ جُهْدُ الْبَلِيغِ وَإِنْ أَنْضَى لَهُ الْفِكَرا

(١) أفرى : قطع على جهة الإفساد ، وفرى : قطع على جهة الإصلاح .
(٢) فعندما ... (ع) و (م)
(٣) لا تطلبن الورى ما أنت تحرزه (ع) و (م)
(٤) يا عدة الأيام (ل)
(٥) وإنَّ آلاه مما لا يحيط بها (ل) وإنَّ آلاءهم ما لا يحيط بها (ع) و (م)

مناقبٌ عددَ الأنفاسِ ما تركتْ   لِفاخرٍ مِنْ جميعِ النَّاسِ مُفتخَرا
وكيفَ نُدرِكُ بالأشعارِ وصفَ عُلىً   نعُدُّ إغراقَنا في وصفِها حصَرا (١)
لا تسألَنَّ القوافي عَنْ فضائلِهِمْ   إنْ شِئْتَ تعرِفُها فاسْألْ بها السُّوَرا

٥٠

وقال (٢) يمدحه وأنشدها في السَّدِلِيّ (٣)

سَمـــــا بِكَ دَهْرُكَ فَلْيَفْتَخِرْ   عَلَى كُلِّ دَهْرٍ مَضَى أوْ غَبَرْ
فَلَوْ أَنَّ أَيَّامَـــــهُ أَوْجُهٌ   لَكانَتْ مَساعِيكَ فِيهـــا غُرَرْ
وَكَمْ جَدَّ مُجْتَهِدٌ في طِـــلابِ   عُـــلاكَ فَلَمْ يَكْتَحِلْ بِالأَثَرْ

(١) قصرا (ع) و (م)

(٢) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي : « وقال أيضاً يمدحه وأنشده إياها عند جلوسه في السَّدِلِيّ يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وأربع مئة »

(٣) السَّدِلِيّ : على فِعِلِيّ معرَّب وأصله بالفارسية سِهْدِلَهْ كأنه ثلاثة بيوت في بيت كالحاري بكُمَّين (لسان العرب) والحاري المنسوب الى الحِيرة كالحِيري. هذا تعريف السَّدِلِيّ في كتب اللغة ولم تفسر المراد من الحاري والكُمَّين في هذا المقام . وشرحه المسعودي في كتابه مروج الذهب ج ٢ ص ٢٦١ بقوله : « وأحدث المتوكل في أيامه بناء لم يكن الناس يعرفونه وهو المعروف بالحِيري والكُمَّين والأروقة ، وذلك أن بعض سمَّاره حدَّثه في بعض الليالي أن بعض ملوك الحِيرة من النعمانية من بني نصر ، أحدث بنياناً في دار قراره وهي الحِيرة ، على صورة الحرب وهيئتها ، للهجه بها وميله اليها لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر أحواله . فكان الرواق ـــ

وَأَيْنَ ٱلثِّمَادُ مِنَ ٱلرَّافِدَيْنِ وَأَيْنَ مِنَ ٱلْفَرْقَدَيْنِ ٱلسَّمَرْ (١)
كَأَنَّكَ أَحْكَمْتَ رَيْبَ ٱلزَّمَانِ وَسُقْتَ إِلَى مَا تَشَاءُ ٱلْقَدَرْ
بِصَرْفِ ٱعْتِزَامِكَ صَرْفُ ٱلْخُطُوبِ وَكَفِّ ٱنْتِقَامِكَ كَفُّ ٱلْغِيَرْ
وَطَاوَعَكَ (٢) ٱلدَّهْرُ فِيمَنْ تُرِيدُ فَمَنْ شِئْتَ سَاءَ وَمَنْ شِئْتَ سَرّْ
هُنَاكَ ٱنْفِرَادُكَ بِٱلْمُعْجِزَاتِ وَيَوْمُكَ ذَا فَهْوَ يَوْمٌ أَغَرّْ
وَهٰذَا ٱلسِّدِلِّيُّ ٱلَّذِي مَا سَمَا لَهُ مَلِكٌ فِي قَدِيمِ ٱلْعُصُرْ
رَفَعْتَ لَهُ قُبَّةً أَصْبَحَتْ تَطُولُ عَلَى مَا عَلَا وَٱشْمَخَرّْ
إِذَا مَا بَدَتْ فِي ٱلدُّجَى خِلْتَهَا مُرَصَّعَةً بِٱلنُّجُومِ ٱلزُّهُرْ (٣)

← فيه مجلس الملك وهو الصدر ، والكُمَّان ميمنة وميسرة ،ويكون في البيتين اللذين هما الكُمَّان من يقرّب إليه من خواصه ، وفي اليمين منها خزانة الكسوة ، وفي الشمال ما احتيج إليه من الشراب . والرواق قد عمّ فضاؤه الصدر والكُمَّين،والأبواب الثلاثة على الرواق ، فسمّي هذا البنيان الى هذا الوقت بالحِيري والكُمَّين إضافة الى الحِيرة ، واتبع الناس المتوكل في ذلك ائتماماً بفعله واشتهر الى هذه الغاية » . وقال ابن خلكان في وفيات الأعيان ج ١ ص ٧١ بترجمة نصر الدولة أحمد بن مروان « ... وقيل دفن في القصر بالسِّدِّلي ... والسِّدِلّي بكسر السين المهملة والدال المهملة وبعدها لام مشددة مكسورة أيضاً قبة في القصر مبنية على ثلاث دعائم وهو لفظ عجمي معناه ثلاث قوائم » وتعريف المسعودي أوضح .

(١) السَّمر : ظل القمر .

(٢) فطاوعك ... (ل)

(٣) هذا البيت والأبيات الأربعة بعده يختلف ترتيبها في (ع) و (م)

وَفِي ٱلدَّجْنِ تَحْسِبُهَا كَاعِباً (١) عَلَيْهَا ٱلسَّحَائِبُ (٢) مِثْلُ ٱلْأُزُرْ
تُرَاعُ لَهَا ٱلشَّمْسُ عِنْدَ ٱلطُّلُوعِ فَلَوْ مَلَكَتْ نَفْسَهَا لَمْ تُنِرْ
وَلَوْ رَاءَهَا (٣) ٱلْبَدْرُ فِي تِمِّهِ وَكَانَتْ لَهُ قُدْرَةٌ لَٱسْتَتَرْ
فَصَارَ لَهَا (٤) عَلَماً فِي ٱلْبِنَاءِ كَسِيرَةِ صَاحِبِهَا فِي ٱلسِّيَرْ
فَإِيوَانُ كِسْرَىٰ وَإِنْ أَعْجَزَ ٱلْـ بَرِيَّةَ فِي جَنْبِهِ مُحْتَقَرْ
وَكُلُّ بِنَاءٍ بَنَتْهُ ٱلْمُلُوكُ حَدِيثُ عُلاً وَقَدِيمٌ دَثَرْ
وَقَلَّ ٱمْقَرّاً عَلَى ذِي ٱلصِّفَاتِ لِمَنْ نَصَرَ ٱلدِّينَ لَمَّا ٱنْتَصَرْ
فَأَضْحَتْ عُرَى ٱلْحَقِّ فِي ظِلِّهِ بِرَغْمِ ٱلْعِدَىٰ مُحْكَمَاتِ ٱلْمِرَرْ
لِمُنْتَجَبِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْمُصْطَفَىٰ ٱلْـ مُظَفَّرِ سَيْفِ إِمَامِ ٱلْبَشَرْ
مَآثِرُ تُخْبِرُ عَنْ أَصْلِهِ وَمَا نَسَبَ ٱلسَّيْفَ مِثْلُ ٱلْأَثَرْ
وَكَمْ قَدْ بَغَاهَا ٱلْمُلُوكُ ٱلْأُلَىٰ فَأَعْيَتْ عَلَى بَدْوِهِمْ (٥) وَٱلْحَضَرْ
وَلَوْ يَظْفَرُونَ لَعَمْرِي بِهَا لَكَانَتْ لِتِيجَانِهِمْ (٦) كَٱلدُّرَرْ

(١) داعياً ؟ (ع) و (م)
(٢) عليها السحائب مثل الدرر (ل)
(٣) ولو زارها ... (ع) و (م)
(٤) بها (ع) و (م)
(٥) بدوها (ل)
(٦) بتيجانهم (ع) و (م)

شَآهُمْ إِلَى ٱلْمَجْدِ ذُو هِمَّةٍ بِبَاعِ ٱلْمَجَرَّةِ عَنْهَا قِصَرْ
تَضِلُّ[١] مَنَاقِبُهُمْ فِي عُلَاهُ كَمَا ضَلَّ فِي ٱلرِّيحِ سَافِي ٱلْعَفَرْ
وَيَغْرَقُ جُودُهُمُ فِي نَدَاهُ كَمَا غَرِقَتْ فِي ٱلْأَتِيِّ ٱلْغُدُرْ
وَأَنَّى[٢] يُسَامِي سَحَابَ ٱلسَّمَاءِ فِي ٱلْأَرْضِ مِنْهُ ٱلْحَيَا ٱلْمُنْهَمِرْ
وَيُزْجِي[٣] ٱلظَّعَائِنَ صَوْبُ ٱلْبُرُوقِ وَبِشْرُكَ ذَا بَارِقٌ لَا يَغُرْ
أَمَرَّ ٱرْتِيَاحُكَ حَبْلَ ٱلرَّجَا إِلَى أَنْ حَلَا لِلْمُنَى مَا أَمَرْ[٤]
وَغَادَرْتَ فِي كُلِّ أَرْضٍ مَرَرْتَ بِهَا أَثَرًا يَا لَهُ مِنْ أَثَرْ
أَبَانِي[٥] بِٱلسَّيْفِ أَعْلَيْتَهَا وَلَوْلَاكَ مَا قَامَ مِنْهَا حَجَرْ
مَحَوْتَ بِهَا أَثَرَ ٱلْمُفْسِدِينَ وَمَا لَيْسَ تَجْبُرُ لَا يَنْجَبِرْ
كَذَا يَبْلُغُ ٱلْعِزَّ مَنْ رَامَهُ وَيَعْمُرُ أَوْطَانَهُ مَنْ عَمَرْ
لَئِنْ حَمَلَ ٱلْوِزْرَ فِيهَا ٱلْعِدَى فَإِنَّكَ مِمَّا جَنَوْهُ ٱلْوَزَرْ[٦]

(١) تظل (ل)
(٢) فأنَّى يُشامُ سحابُ السماءِ وفي الأرْض مثل الحيا المنهمرْ (ل)
(٣) ويرجى الظمائن صوب البروق ونشرك ذا بارق لا يغرْ (ع) و (م)
(٤) أمرَّ الحبلَ : فتله فتلاً شديداً . وأمرَّ الشيء : صار مُراً . وهذا البيت وبعده أربعة أبيات يختلف ترتيبها في (ع) و (م)
(٥) كذا في جميع النسخ ولعله (مباني)
(٦) الوِزْر : الإثم والثقل . والوَزَر : الملجأ والمعتصم .

أَحَلُّوا مَحارِمَ مِنْ دُونِهـــا تَكادُ ٱلسَّمٰوَاتُ أَنْ تَنفَطِرْ
وَقَدْ وَارَدُوكَ [١] بِحارَ ٱلرَّدى وَكَمْ وَارِدٍ مِنهُمُ ما صَـدَرْ
رَضُوا بِٱلْفِرَارِ حِـذَارَ ٱلْبَوَارِ وَلَوْ شِئْتَ لَمْ يُنْجِ مِنْها [٢] ٱلْمَفَرّْ
فَأَذْهَلْتَهُمْ عَنْ طِلَابِ ٱلتِّرَاتِ فَكَمْ مِنْ دَمٍ مَرَّ مِنْهُمْ هَدَرْ
وَما [٣] يَقْتَضُونَكَ تِلْكَ ٱلدُّيُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ فِي عِدادِ ٱلشَّجَرْ
مَنِيَّتُهُمْ [٤] بِجِوَارِ ٱلصَّلِيبِ وَمَنْ لَمْ تُجِرْ مِنْهُمُ لَمْ يُجَرْ
وَقَدْ ذَلَّ مَنْ حاوَلُوا نَصْرَهُ فَكَيْفَ [٥] يَعِزُّ بِهِ ٱلْمُنْتَصِرْ
وَعَزَّ عَلَى ٱلرُّومِ مـا كُلِّفُوا حِمَى ثَغْرَ ٱلدِّينِ طَعْنُ ٱلثُّغَرْ
وَفِيما جَرَى مِنْ طَرِيدَيْ ظُبـاكَ عَلَى مُلْكِهِمْ لَهُمُ مُعْتَبَرْ
وَبَعْضُ كِلَابٍ وَهُمْ بَعْضُ مَنْ قَهَرْتَ رَماهُمْ بِإِحْدَى ٱلْكُبَرْ [٦]
وَقَدْ يَمَّمُوا ٱلشَّامَ فِي قُوَّةٍ [٧] يَخِرُّ لَهـا ٱلْجَبَلُ ٱلْمُشْمَخِرّْ

---

(١) وقد أوردوك ... (ع) و (م)
(٢) منك (ل)
(٣) وما يقبضونك (ع) و (م)
(٤) مبيتهم (ع) و (م)
(٥) وكيف (ع) و (م)
(٦) ببعض كلابٍ وهم بعض من قهرت وما هم بإحدى الكبرْ (ع) و (م)
(٧) في عزةٍ (ل)

مِئِينَ أُلُوفٍ (١) غزَوْا فِي مِئِينَ ... فَلَمْ يَلْبَثُوا غَيْرَ لَمْحِ ٱلْبَصَرْ
وَوَلَّوْا هزِيعاً حِذارَ ٱلرَّدى ... وَهلْ حَذَرٌ عاصِمٌ (٢) مِنْ قدَرْ
بِيَوْمٍ تَكَنَّتْ (٣) كِلَابٌ بِهِ ... عَلى كُلِّ ذِي نَخْوَةٍ مِنْ (٤) مُضَرْ
فَأَلَّا ثَنَوْها حِيالَ ٱلْقُصَيْرِ (٥) ... وَعَزْمُكَ يَقْدُمُ تِلْكَ ٱلزُّمَرْ
وَقَدْ كَلَّ بَأْسُهُمُ وَٱلْحَدِيـ ... ـدُ خَوْفاً مِنَ ٱلْأَسَدِ ٱلْمُهْتَصِرْ
وَوَقْعُ (٦) ٱلظُّبَى دُونَ قَرْعِ ٱلْعَصا ... وَوَخْزُ ٱلْقَنا دُونَ نَخْسِ ٱلْإِبَرْ
وَما يَدْفَعُ ٱلْكَرُّ عَنْ أَهْلِهِ ... إِذَا ضَاقَ بِٱلدَّارِعِينَ ٱلْمَكَرّْ
ذُعِرْتَ حُماةَ ٱلْوَغَى مِنْهُمُ ... كَما ٱنْذَعَرَتْ (٧) لِلْهِزَبْرِ ٱلْحُمُرْ
وَفِي أَيِّ يَوْمٍ شَهِدْتَ ٱلْوَغَى ... وَما (٨) عُدْتَ تَسْحَبُ ذَيْلَ ٱلظَّفَرْ
تَجَنَّبَ ذُو ٱلْخُبْرِ (٩) هٰذَا ٱلنِّزالَ ... وَرَوَّعَ غَيْرَ ٱلْخَبِيرِ ٱلْخَبَرْ
وَلَوْ شاجَرُوكَ ٱلْقَنا ضَلَّةً ... لَطَمَّ عَلَى ٱلْخَبَرِ ٱلْمُخْتَبَرْ

(١) مئين ألوفاً ... (ل)
(٢) نافع (ل) هذا البيت وخمسة أبيات بعده يختلف ترتيبها في (ع) و (م)
(٣) تنكت (م)
(٤) في مضر (ع) و (م)
(٥) وألا ثنوها جبال القَصير ؟ (ل)
(٦) فوقع الظبا ... (ل)
(٧) كما اندفعت (ل)
(٨) فما (ل)
(٩) ذو الخير (ل)

يَقِرُ (١) بِبَأْسِكَ أُسْدُ الشَّرَى ... إذَا ٱلْمَوْتُ عَنْ نَاجِذَيْهِ فَغَرْ
فَقَدْ (٢) أَحْجَمَ ٱلنَّاسُ عَنكَ ٱلغَدَا ... ةَ أَهْلُ ٱلفيافِي وَأَهْلُ ٱلْمَدَرْ
وَقَائِعُ جَلَّى دَيَاجِيرَهَا ... إبَاؤُكَ ثُمَّ ٱلْحُسَامُ ٱلذَّكَرْ
بِهَا بَانَ فَضْلُكَ لِلْعَالَمِينَ ... وَبِٱللَّيْلِ يُعْرَفُ فَضْلُ ٱلْقَمَرْ
صَفَتْ فِي جَنَابِكَ أَيَّامُنَا ... فَحَاشَى لَهَا أَبَداً مِنْ كَدَرْ
وَحَسَّنْتَ بِٱلْعَدْلِ أَوْطَانَنَا ... وَلَوْلاكَ مَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّ
فَشَيَّدَ رَبُّ ٱلْعُلَى مَا بَنَيْتَ ... وَلا أَعْدَمَ ٱلشَّامَ هٰذَا ٱلنَّظَرْ (٣)
وَكَمْ (٤) حَرَمٍ لَوْ نَأَيْتَ ٱسْتُبِيحَ ... وَكَمْ ثَغْرٍ لَوْ بَعُدْتَ ٱنْثَغَرْ
وَلَوْلا قِرَاعُكَ وَٱلْمَكْرُمَاتُ ... لَمَاتَ بِهِ ٱلنَّاسُ (٥) خَوْفاً وَضُرّْ
جَزَيْتَ ٱلْمُنِيبِينَ وَٱلْمَارِقِيـ ... ـنَ بِٱلْخَيْرِ خَيْراً وَبِٱلشَّرِّ شَرّْ
فَلَسْنَا نُفَكِّرُ (٦) بِٱلْحَادِثَاتِ ... طَوَى جَوْرَهَا عَدْلُكَ ٱلْمُنْتَشِرْ
وَإِنَّكَ أَكْرَمُ ذِي قُدْرَةٍ ... عَفَا وَتَجَاوَزَ لَمَّا قَدَرْ

(١) يعز ببأسك (ل)
(٢) وقد ... (ل)
(٣) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٤) فكم ... (ل)
(٥) به الخلق (ل) وهذا البيت والأبيات الأربعة بعده يختلف ترتيبها في (ع) و (م)
(٦) فلسنا نذكر ... (ع) و (م)

وَلِلْعُذْرِ (١) عِنْدَكَ إِيسَاعَهُ قَبُولاً وَلِلذَّنْبِ أَنْ يُغْتَفَرْ
فَفَخْراً بِنَيْلِكَ هٰذِي ٱلْخِلَالَ فَفِي عُشْرِ مِعْشَارِهَا مُفْتَخَرْ
فَضَائِلُ لَمْ تَجْتَمِعْ (٢) فِي ٱلْوَرَىٰ فَسُبْحَانَ جَامِعِهَا فِي بَشَرْ
وَلَوْ (٣) خُلِقَتْ قَبْلَ أَنْ يَنْزِلَ ٱلْـ كِتَابُ أَتَىٰ ذِكْرُهَا فِي ٱلسُّوَرْ
فَلَا يَرْجُ ذُو شَرَفٍ نَيْلَهَا فَإِنَّ ٱلطَّرِيقَ إِلَيْهَا خَطِرْ
وَمَا يَرْكَبُ ٱلْخَطَرَ ٱلْمُسْتَهَالَ مِنَ ٱلْقَوْمِ إِلَّا ٱلْعَظِيمُ ٱلْخَطَرْ
وَمَا يَكْمُلُ ٱلْمَرْءُ حَتَّىٰ يَكُونَ لَدَى ٱلسِّلْمِ حُلْواً وَفِي ٱلْحَرْبِ مُرّْ
وَعَذْرَاءَ لَمَّا تَلِدْهَا ٱلنِّسَاءُ وَلٰكِنَّهَا مِنْ بَنَاتِ ٱلْفِكَرْ
إِذَا رَفَعَ ٱلْخَفَرُ ٱلْغَانِيَاتِ سَمَتْ بِٱلتَّبَرُّجِ لَا بِٱلْخَفَرْ
تَحَلَّتْ بَدَائِعَ حُرِّ ٱلْكَلَامِ كَمَا يَتَحَلَّى ٱلْقَضِيبُ ٱلزَّهَرْ
وَجَاءَتْكَ تُثْنِي بِمَا قَدْ أَنَلْتَ وَلِلْغَارِسِينَ (٤) ٱجْتِنَاءُ ٱلثَّمَرْ
وَلَمْ آلُ جُهْداً كَمَا قَدْ تَرَىٰ وَإِنِّي بِتَقْصِيرِ جَرْيِي (٥) مُقِرّْ

(١) فللعذر (ع) و (م)
(٢) لم تفتخر ؟ (ل)
(٣) فلو ... (ل)
(٤) وللغاسلين ؟ (ل)
(٥) جهدي (ل)

وَمَا أَنَا مُثْنٍ عَلَى مَنْ عَدَاكَ رَجَاءَ لَـهُ مَا تَمَادَى (١) ٱلْعُمُرْ
نَهَانِي عَنِ ٱلضَّيْحِ (٢) قُرْبُ ٱلصَّرِيحِ وَأَنْسَانِيَ ٱلْغَمْرَ شُرْبُ ٱلْغُمَرْ
وَجَادَتْ أَمَانِيَّ مِنْ رَاحَتَيْكَ فَلَمْ يَبْقَ لِي عِنْدَ خَلْقٍ وَطَرْ (٣)
أَيَادِيَ (٤) يَغْمُرُنِي جُودُهَا كَمَا غَمَرَ ٱلْأَرْضَ جَوْدُ ٱلْمَطَرْ (٥)
بِهَا أَقْلَعَ ٱلدَّهْرُ عَنْ جُرْمِهِ وَلَوْ لَمْ أَصِرْ فِي حِمَاهَا أَصِرّْ
فَلِي بِٱلْجَمِيلِ ٱلَّذِي خَوَّلَتْ لِسَانٌ يُقِرُّ وَعَيْنٌ تَقَرّْ
لَقَدْ سَارَ فِعْلُكَ بِي فِي ٱلْأَنَامِ وَلَا عُذْرَ لِلْحَمْدِ إِنْ لَمْ يَسِرْ

٥١

وقال (٦) أيضاً (٧)

لَقَدْ دُفِعْنَا إِلَىٰ حَالَيْنِ لَسْتُ أَرَى مَا بَيْنَ ذَاكَ وَهٰـذَا حَظَّ مُخْتَارِ

(١) في تمادي العمر (ع) و (م)
(٢) الصبح ؟ (ل) وهو تحريف .
والضَّيْحُ : اللبن الرقيق الممزوج . واللبن الصريح : الخالص الذي ذهبت رغوته . والغَمْرُ : الماء الكثير . والغُمَر : أصغر الأقداح .
(٣) من هنا إلى آخر القصيدة يختلف ترتيب الأبيات في (ع) و (م)
(٤) أنادي ندٍ عمّتني نفعها (ل)
(٥) الجَوْد : المطر الغزير .
(٦) لم ترد هذه الأبيات في (ل)
(٧) لعل الشاعر قال هذه الأبيات قبيل هجرته من دمشق الى طرابلس الشام فحلب سنة ٤٦٤ بعد أن تعذر المقام في دمشق لتوالي الفتن وخراب البلد .

إِمَّا ٱلْمُقَامِ عَلَى خَوْفٍ وَمَسْغَبَةٍ أَوِ ٱلرَّحِيلِ عَنِ ٱلْأَوْطَانِ وَٱلدَّارِ
وَٱلْمَوْتُ أَيْسَرُ مِنْ هٰذَا وَذَاكَ وَمَا كَرْبُ ٱلْمَمَاتِ وَلَا فِي ٱلْمَوْتِ مِنْ عَارِ
مَنْ جَاوَرَ ٱلْأُسْدَ لَمْ يَأْمَنْ بَوَائِقَهَا وَلَيْسَ لِلْأُسْدِ إِبْقَاءٌ عَلَى ٱلْجَارِ

٥٢

وقال (١) يمدح ناصر الدولة بن حمدان (٢)

طَاوِلْ بِقَدْرِكَ مَنْ عَلَا مِقْدَارُهُ فَأَرَى ٱلْعُلَا فَلَكاً عَلَيْكَ مَدَارُهُ
مَنْ يَدْفَعُ ٱلشَّرَفَ ٱلَّذِي أُوتِيتَهُ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَعْيَا ٱلْوَرَى إِنْكَارُهُ
نَطَقَ ٱلْوَلِيُّ بِهِ وَأَسْكَتَ حَاسِدٌ عَنْ وَصْفِهِ وَسُكُوتُهُ إِقْرَارُهُ
فَلْيَعْلَمِ (٣) ٱلسَّاعِي لِيُدْرِكَ ذَا ٱلْمَدَى أَنَّ ٱلطَّرِيقَ كَثِيرَةٌ أَخْطَارُهُ
وَهِيَ ٱلرِّيَاسَةُ لَنْ تَبُوحَ (٤) بِسِرِّهَا إِلَّا لِأَرْوَعَ لَا يُبَاحُ ذِمَارُهُ
يَحْمِي حِمَاهُ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ وَتَذُودُ (٥) عَنْهُ يَمِينُهُ وَيَسَارُهُ

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يأتي :
« وقال أيضاً يمدح الأمير ناصر الدولة وسيفها أبا محمد الحسن بن الحسين بن حمدان »
(٢) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٢)
(٣) فليبلغ الساعي ليبلغ ذا المدى « شرح نهج البلاغة ١ / ٣١٧ »
(٤) لا تبوح « شرح النهج ».
(٥) ويذود (ل)

لا ٱلْعَذْلُ(١) ناهيهِ ولا ٱلْحِرْصُ ٱلَّذي ... أَمَرَ ٱلنُّفُوسَ بِشُحِّهـــا أَمّارُهُ
لَكَ في ٱلشَّجاعَةِ وَٱلسَّماحَةِ رُتْبَةٌ ... تَرَكَتْ عَدُوَّكَ لا يَقِرُّ قَرارُهُ
لَمْ يُعْطِها عَمْرُو(٢) ٱلْقَنا إِقْدامُهُ ... قِدَماً وَلا كَعْبُ ٱلنَّدى(٣) إِيثارُهُ
تُفْني(٤) ٱلْعِدى قَتْلاً بِكُلِّ كَرِيهَةٍ ... لَكَ فَخْرُهُ وَعَلَيْهِمُ أَوْزارُهُ
فَلَطالَما أَضْرَمْتَ(٥) في إِحْرازِها ... لَهَباً رُؤُوسُ ٱلدّارِعِينَ شَرارُهُ
بِوَغًى يَضِلُّ عَنِ ٱلْمُثَقَّفِ قَصْدُهُ(٦) ... في ضَنْكِها وَعَنِ ٱلْكَمِيِّ شِعارُهُ
لِيَدُمْ لَكَ ٱلْعِزُّ ٱلْمُؤَثَّلُ وَلْيَدُمْ ... لِمُرِيدِ كَيْدِكَ ذُلُّهُ وَصَغارُهُ
ما فازَ عِنْدَكَ مَنْ وَتَرْتَ بِبُغْيَةٍ ... بَلْ ضاعَ في تَيّارِ عِزِّكَ ثارُهُ
فَفَداكَ(٧) ذُو مُلْكٍ يُصِيخُ لِبَرْبَطٍ ... شَغَلَتْهُ عَنْ أَوْتارِهِ أَوْتارُهُ

(١) لا العدل ؟ (ع) و (م)

(٢) عمرو القنا : من بني سعد بن زيد مناة كان من فرسان الخوارج الصفرية وإياه عنى الشاعر :

« حتى تلاقي في الكتيبة معلما ... عمرو القنا وعبيدة بن هلال »

(الاشتقاق ص ٢٠٧ ، والكامل للمبرد ج ٢ ص ٦٨٢)

ورواية (ل) « زيد القنا »

(٣) كعب الندى : هو كعب بن مامة الإيادي الذي يضرب المثل بجوده وإيثاره . انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩)

(٤) يفني (ع) و (م)

(٥) أحرزت ؟ (ع) و (م)

(٦) بوغى يكل عن المثقف قصدها (ع) و (م)

(٧) وفداك ... (ع) و (م) . والبَرْبَط : العود معرّب من الفارسية ومعناه صدر الإوز . وأوتار الأولى : جمع وِتْر وهو الذَّحل أو الظلم فيه . والثانية جمع وَتَر .

وَقَضَى ٱلْمُسِرُّ لَكَ ٱلْعَدَاوَةَ نَحْبَهُ غَيْظاً عَلَيْكَ(١) وَلاَ ٱنْقَضَتْ أَوْطَارُهُ
يَابْنَ ٱلأُلَى لاَ يُعْظِمُونَ عَظِيمَهُمْ حَتَّى يُجَارَ(٢) مِنَ ٱلنَّوَائِبِ جَارُهُ
قَوْمٌ إِذَا حَمَلُوا ٱلْوَشِيجَ تَطَاوَلَتْ أَطْرَافُهُ وَتَقَاصَرَتْ أَعْمَارُهُ
وَنَحَتْ أَسِنَّتَهُ ٱلصَّرِيخَ كَأَنَّهَا طَيْرٌ وَأَفْئِدَةُ ٱلْعِدَى أَوْكَارُهُ
كَثُرَتْ مُنَى قُصَّادِكُمْ آلاَؤُكُمْ كَرَماً كَمَا كَثُرَ ٱلْحَجِيجَ جِمَارُهُ
وَأَبَيْتُمُ أَنْ تَنْتَمُوا إِلاَّ كَمَا نَسَبَتْ لَدَى ٱلرَّوْعِ ٱلصَّفِيحَ شِفَارُهُ
وَأَعَدْتُمُ عُودَ ٱلْمَكَارِمِ أَخْضَراً لِلّهِ عُودٌ أَنْتُمُ أَثْمَارُهُ
شِيَمٌ حَوَتْ مِنْ كُلِّ فَخْرٍ صَفْوَهُ وَتَعَقَّبَتْ مِنْ بَعْدِهَا أَكْدَارُهُ
فَلِذَا تَعُمُّ(٣) ذَوِي ٱلنَّبَاهَةِ عُونُهُ إِنْ سَامَحَتْ وَتَخُصُّكُمْ أَبْكَارُهُ
إِنَّ ٱلإِمَامَ سَطَا بِسَيْفٍ وَقَائِعٍ مُذْ سُلَّ مَاعَرَفَ ٱلنُّبُوَّ غِرَارُهُ
شَيَّدْتَ حِينَ نَصَرْتَ دَوْلَتَهُ لَهُ عِزّاً بَنَتْهُ لِجَدِّهِ أَنْصَارُهُ
وَنَصَحْتَ مُلْكَ بَنِي عَلِيٍّ نُصْحَ مَنْ أَرْبَى عَلَى إِعْلاَنِهِ إِسْرَارُهُ
أَثْنَى بِهِ مَنْصُورُهُ وَعَلِيُّهُ وَمَعَدُّهُ وَأَبَانَ عَنْهُ نِزَارُهُ(٤)

---

(١) فلا انقضت (ل)

(٢) حتى يجير (ل)

(٣) يعم (ع) و (م)

(٤) منصور : هو الحاكم بأمر الله الخليفة الفاطمي ولد سنة (٣٧٥) وبويع سنة (٣٨٦) واغتيل سنة (٤١١) . وعلي : هو الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم ←

شَهِدَ ٱلْمُشاهِدُ ذا ٱلفعالَ بما رأى ... فيهِ (١) وَصَحَّ لِمُخْبِرٍ إخبارُهُ
مَهَّدْتَ هذا ٱلشَّامَ حتَّى لاسْتوتْ ... في أمْنِها بُلْدانُهُ وَقِفارُهُ
لا أنْتَ مُتْبِعُ ما صَنَعْتَ بأهْلِهِ ... مَنًّا ٱلْمُنيلِ ولا هُمُ كُفَّارُهُ
نُوَبٌ تَطيشُ سِهامُها وَمُنًى يَعيـ ... شُ يَقينُها وَنَدًى تجيشُ بِحارُهُ
ما كانَتِ ٱلْغَبْراءُ تَحمِلُ باخلاً ... لَوْ فُضَّ في سُكَّانِها مِعْشارُهُ
في ظِلِّ أرْوَعَ أعْجَزَتْ أفْعالُهُ ... هذا ٱلأنامَ وَأعْوَزَتْ أنْظارُهُ
وَمُؤَيَّدِ ٱلعَزَماتِ لا إيرادُهُ ... يُدْنيهِ مِنْ ذامٍ (٢) وَلا إصْدارُهُ
يُغْني غَناءَ سُيُوفِهِ إيعادُهُ ... وَتَنُوبُ عَنْ نَظَراتِهِ أفْكارُهُ
مَلِكٌ مُقيمٌ في دِمَشْقَ وَذِكْرُهُ ... في ٱلْخافِقَيْنِ بَعيدَةٌ أسْفارُهُ
لَمْ يَحْتَجِبْ عَنْ رَبِّ مَسْألَةٍ وَلا ... سُدِلَتْ عَلى غَيْرِ ٱلتُّقى أسْتارُهُ
جَعْدٌ عَنِ ٱلآثامِ (٣) إلاَّ أنَّهُ ... مُتَتابِعٌ مَعَ فَقْدِها ٱسْتِغْفارُهُ

← بأمر الله ولد سنة (٣٩٥) وبويع سنة (٤١١) وتوفي سنة (٤٢٧) ومعد: هو المستنصر بالله بن الظاهر لإعزاز دين الله ولد سنة (٤٢٠) وبويع سنة (٤٢٧) وتوفي سنة (٤٨٧) ونزار: هو العزيز بالله بن المعز لدين الله ووالد الحاكم بأمر الله ولد سنة (٣٤٤) وبويع سنة (٣٦٥) وتوفي سنة (٣٨٦).

(١) منها (ع). منها فصح ... (م)

(٢) رام (ل)

(٣) على الآثام (ع) و (م)

أَخْبارُ مَجْدٍ كادَ يَحْفَظُها الدُّجى مِمّا يُكَرِّرُ ذِكْرَها سُمّارُهُ
لَوْ عاصَرَتْ كِسْرى لَكانَ بِوِدِّهِ لَوْ صِيغَ مِنْها تاجُهُ وَسِوارُهُ
فَلْيَيْأَسِ الْمُتَمَحِّلُونَ (١) مَحَلَّ مَنْ هٰذي مَناقِبُهُ وَذاكَ نِجارُهُ
خَيْرُ الْبُيُوتِ إِذا عَدَوْنا (٢) هاشِماً بَيْتٌ حَلَلْتَ بِهِ وَأَنْتَ خِيارُهُ
بَيْتٌ يَحِنُّ إِلى الْفَضائِلِ طِفْلُهُ (٣) الْـ حابِي فَتَحْسَبُ أَنَّها أَظْآرُهُ
مازالَ (٤) بِالْحَسَناتِ مُرْتَقِياً فَهَلْ فَوْقَ الْمَجَرَّةِ مَنْزِلٌ يَخْتارُهُ (٤)
وَأَبُو عَلِيٍّ (٥) مُعْرِبٌ عَنْ مِثْلِها في كُلِّ فَضْلٍ تُقْتَفى آثارُهُ
ماحادَ (٦) عَنْ شَرَفٍ عَلَوْتَ بِهِ الْوَرى فَيَقُولَ مادِحُهُ إِلَيْكَ مَحارُهُ (٦)
أَعْطى فَبَخَّلَ كُلَّ جَوْدٍ (٧) أَنْجَمَتْ أَنْواؤُهُ وَتَتابَعَتْ أَمْطارُهُ
وَسَطا فَما جَرَّ اغْتِرارُ وَلِيِّهِ ضَرَراً وَلا نَفَعَ الْعَدُوَّ حِذارُهُ
عَلَمٌ يَدُلُّ عَلَيْهِ ساطِعُ نُورِهِ مِنْ (٨) قَبْلِ أَنْ تَلِيَ الْهِدايَةَ نارُهُ

---

(١) المتحملون (ل)
(٢) عددنا (ل) وهو تصحيف .
(٣) قطره ؟ (ع) و (م)
(٤) مازلتَ ... تختاره (ل)
(٥) أبو علي : هو ابن الممدوح انظر الحاشية رقم (١) ص (١٧)
(٦) ما جار ... مجاره (ع) و (م)
(٧) كُلَّ جَوِّ (ع) و (م)
(٨) فتلوح من قبل الهداية ناره (ل)

مُتَأَلِّقُ ٱلْبِشْرِ ٱلْمُبَشِّرِ بِٱلْغِنَى وَٱلدَّوحُ قَبْلَ ثِمَارِهِ نُوَّارُهُ
يُرْضِيكَ إِنْ رَكِبَ ٱلْجِيادَ (١) عُرَامُهُ عِزّاً وَإِنْ حَضَرَ ٱلنَّدِيَّ وَقارُهُ
تَأْبَى لَهُ ٱلنَّشَوَاتِ نَفْسٌ مُرَّةٌ حَتَّى يَكُونَ مِنَ ٱلثَّناءِ عُقارُهُ
فَرَأَيْتَ (٢) إِخْوَتَهُ بِمَرْآهُ ٱلَّذِي أَقْذَتْ عُيُونَ عَدُوِّكُمْ (٣) أَنْوارُهُ
أُفُقُ ٱلْمَعالِي مُشْرِقٌ بِهِمُ (٤) فَلَا أَفَلَتْ أَهِلَّتُهُ وَلَا أَقْمارُهُ
وَأَسيرُ أَنْعُمِكَ ٱلثَّناءِ فَلَا قَضَى رَبُّ ٱلْخَلَائِقِ أَنْ يُفَكَّ إِسارُهُ
لَمْ تُلْفَ فِيهِ (٥) وَهْوَ مُلْكُكَ شامِخاً وَسِواكَ يَسْتَعْلِي أَوَانَ يُعارُهُ
وَإِذَا أَرَدْتُكَ بِٱلْمَدِيحِ تَفَتَّحَتْ أَغْلَاقُهُ وَتَسَهَّلَتْ أَوْعارُهُ
وَإِذَا زَفَفْتُ (٦) إِلَى نَدِيِّكَ كاعِباً أَثْنَى عَلَيَّ بِحُسْنِهَا (٧) حُضَّارُهُ
وَٱلْمِسْكُ أَوَّلُ مَنْ يَفُوزُ بِعَرْفِهِ فِي وَقْتِ فَضِّ خِتامِهِ عَطَّارُهُ
لَوْلَاكَ كانَ ٱلشِّعْرُ شَيْئاً ذَاهِباً أَوْ مَذْهَباً مُتَجَنَّباً إِظْهارُهُ

---

(١) الجواد (م)
(٢) ورأيت من أخويه مرآهُ الذي (ل)
(٣) عداتكم (ل)
(٤) بكم (ل)
(٥) فيها (ل)
(٦) رفعت (م)
(٧) عليه (ل)

أَكْرَمْتَ مَثْواهُ عَلِيماً أَنَّهُ ضَيْفٌ يَشُقُّ عَلَى اللِّئَامِ مَزَارُهُ
فَسَلِمْتَ لِلزَّمَنِ الْفَقِيرِ إِلَيْكَ مَا كَرَّتْ(١) عَلَى آصَالِهِ أَسْحَارُهُ
وَبَقِيتَ مَا شِئْتَ الْبَقَاءَ لِمُنْكِرٍ تَمْتَازُ عَنْهُ وَسُؤْدُدٍ تَمْتَارُهُ

٥٣

وقال (٢) يمدح صدقة بن يوسف الفلاحي (٣)

مَا ضَرَّ طَيْفَكَ وَالْكَرَى لَوْ زَارَا فَعَسَى اللَّيَالِي أَنْ يَعُدْنَ قِصَارَا
يَاعَادِلاً فِي حُكْمِهِ وَمَزَارُهُ(٤) نَاءٍ فَلَمَّا صَارَ جَاراً جَارَا
لَا أَبْتَغِي فَوْقَ الْخَيَالِ زِيَارَةً(٥) حَسْبِي خَيَالُكَ لَوْ أَنَالَ مَزَارَا

---

(١) بكرت (ل)

(٢) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي : « وقال يمدح صدقة بن يوسف الفلاحي وهو ناظر دمشق »

(٣) هو أبو منصور صدقة بن يوسف بن علي الفلاحي ، كان يهودياً فأسلم ، وكان موصوفاً بالبراعة في ضروب الكتابة . ولما ولي أنوشتكين الدزبري دمشق سنة (٤١٩) أتى معه ناظراً في الأموال . ثم حدث ما أوجب خوفه من الدزبري فهرب الى القاهرة . وتولى الوزارة سنة (٤٣٦) وقبض عليه واعتقل وقتل سنة (٤٣٩ . « الإشارة إلى من نال الوزارة ص ٣٧ وأخبار مصر لابن ميسر ص ٢ وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧٣ وص ٨٤ »

(٤) وقضائه ؟ (ل) (٥) في جميع النسخ (زيادة) والأظهر ما أثبتناه .

أأكونُ مَنْ يُهْدِي[١] إِلَيْكَ حياتَهُ ... وَأَرُومُ مَا يُهْدِي إِلَيْكَ ٱلْعَارا
وَأَمَا وَشُعْثٍ فَوْقَ شُعْثٍ رُزَّحٍ ... جَعَلُوا بُلُوغَ ٱلْمَشْعَرَيْنِ شِعَارا
تَرَكُوا ٱلدِّيَارَ مُعَوِّلِينَ بِمَنْ لَهُمْ ... فِيهَا عَلَى مَنْ يَعْلَمُ ٱلْأَسْرَارا
مَا أَحْدَثَ ٱلْعُذَّالُ عِنْدِي[٢] سَلْوَةً ... بَلْ زَادَنِي مَنْ لَامَنِي ٱسْتِهْتَارا
فَعَلَى ٱلتَّسَلِّي أَنْ يَغِيضَ جَمِيعُهُ ... وَعَلَى ٱلْمَدَامِعِ أَنْ تَفِيضَ[٣] غِزَارا
مَا كُلُّ مَا أَلْقَى[٤] وَإِنْ هَدَّ ٱلْقُوَى ... كُفُؤاً لِخَوْفِي أَنْ أَرَى غَدَّارا
يَا حَبَّذَا ذَاتُ ٱلْأَجَارِعِ مَنْزِلاً ... وَجِوَارُنَا قِبَلَ ٱلْعَقِيقِ جِوَارا
وَأَغَنَّ تَحْكِيهِ ٱلْغَزَالَةُ مُقْلَةً ... وَمُقَلَّداً وَتَعَرُّضاً وَنِفَارا
يَفْتَرُّ عَنْ بَرَدٍ يُعَلُّ بِبَارِدٍ[٥] ... مِنْ رِيقِهِ تَرَكَ ٱلْقُلُوبَ حِرَارا
لَمْ أَدْرِ حِينَ رَنَا إِلَيَّ بِطَرْفِهِ ... أَأَدَارَ لَحْظاً أَمْ أَدَارَ عُقَارا
نَظَرٌ نَظِيرُ ٱلْخَمْرِ فِي إِسْكَارِهَا ... لٰكِنَّهُ مِنْهَا أَشَدُّ خُمَارا
قَالَ ٱسْلُ عَنْ قَصْدِ ٱلْمُلُوكِ وَمَدْحِهِمْ ... وَٱسْأَلْ حَوَائِجَكَ ٱلْقَنَا ٱلْخَطَّارا
وَأَلَحَّ يَلْحَى فِي ٱلْفِرَاقِ أَخَا هَوًى ... لَمْ يَقْضِ مِنْ أَحْبَابِهِ أَوْطَارا

(١) أأكون من يُهدي إليه حياتَهُ (ع) و (م)
(٢) عني (ع) و (م)
(٣) أن تغيض (ل)
(٤) من ألقى (ل)
(٥) يعل رضابها (ع) و (م)

فَأَجَبْتُهُ لاَ تَلْحَ رَبَّ عَزَائِمٍ هَجَرَ الثَّوَاءَ وَوَاصَلَ الأَسْفَارا
فَبِهٰذِهِ الأَسْفارِ أَسْفَرَ لِي غِنًى لَوْلا ٱبْنُ يُوسُفَ جانَبَ الإِسْفارا(١)
أَسْدَى وَما أَكْدَى أَيادِيَ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفُهـا يَسْتَعْبِدُ الأَحْرَارا
وَصَنائِعـاً غُرّاً أَفَدْنَ مَنائِحاً عُونَا(٢) وَلَدْنَ مَدائِحاً أَبْكارا
وَلَكَمْ دَعا مِدَحِي نَوالُ مُمَلَّكٍ فَأَبَتْ عُتُوّاً عَنْهُ وَٱسْتِكْبارا
حَتَّى وَجَدْتُ لَها هُماماً لَمْ تَزَلْ أَوْصافُهُ(٣) تَسْتَغْرِقُ الأَشْعارا
فَوَسَمْتُ أَوْجُهَهـا بِمُسْتَوْلٍ عَلَى رُتَبِ العَلاءِ مَناقِباً وَنِجارا
وَأَغَرَّ فِي إِجْمالِهِ وَجَمـالِهِ ما يَمْلأُ الأَسْماعَ وَالأَبْصارا
مَلِكٌ غَدَتْ يُمْناهُ يُمْناً لِٱمْرِئٍ يَبْغِي نَوالاً وَاليَسارُ يَسارا(٤)
حَلَّى الزَّمانَ وَكانَ قِدْماً عاطِلاً وَأَعادَ لَيْلَ الآمِلِينَ نَهـارا
بِعُلًى أَقامَتْ لا تَرِيمُ فِنـاءَهُ وَحَدِيثُها بَيْنَ الوَرَى قَدْ سارا
بَلَغَتْ بِهِ رُتَباً(٥) فَرَعْنَ مَحَلَّةً أَمْسَتْ نُجُومُ سَمائِهـا أَقْمارا

---

(١) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٢) عُرْفاً (ع) و (م) أي متتابعة .
(٣) معروفها (ل)
(٤) هذا البيت والأبيات الأربعة التي تليه يختلف ترتيبها في (ع) و (م)
(٥) رتبُ (م)

زانَتْ فضائِلُهُ بَدائِعَ نَظْمِها ... كَمْ مِعْصَمٍ أَضْحى يَزِينُ سِوارا
وَلَقَدْ جَزَيْتُ الْحادِثاتِ بِما جَنَتْ ... فَسَلَبْتُها الأَنْيابَ وَالأَظْفارا
مُذْ شِمْتُ أَوْضَحَ مِنْ حُسامٍ صارِمٍ ... أَثَراً وَأَحْمَدَ فِي الْوَرى آثارا
وَأَعَمَّ مِنْ كَعْبِ بْنِ[1] مامَةَ نائِلاً ... وَأَعَزَّ مِنْ زَيْدِ الْفَوارِسِ[1] جارا
وَمُظَفَّرَ الأَقْلامِ كَمْ أَرْدَى بِها ... مَلِكاً وَرَوَّعَ جَحْفَلاً جَرّارا
عَجَباً لَها تَجْرِي بِأَسْوَدَ فاحِمٍ ... يَكْسُو الطُّرُوسَ ظَلامُهُ أَنْوارا
تَمْضِي بِحَيْثُ تُرى السُّيُوفُ كَلِيلَةً ... وَتَطُولُ حَيْثُ[2] تُرى الرِّماحُ قِصارا
وَتَخالُها بِالظَّنِّ أَغْماراً[3] وَقَدْ ... مَلَأَتْ صُدُورَ عُداتِهِ أَغْمارا[3]
تَجْرِي بِواحِدِها ثَلاثُ[4] سَحائِبٍ ... تَهْمِي الصَّواعِقَ وَالْحَيا[5] الْمِدْرارا
وَيَمُدُّهُ بِالْوَصْلِ حِينَ يَمُدُّهُ[6] ... بِبَدِيهَةٍ لا تُتْعِبُ الأَفْكارا
إِنْ رامَ نائِلَهُ الْعُفاةُ أَمَدَّهُ ... كَرَماً وَإِنْ رامَ الْخَمِيسُ مُغارا

(١) كعب بن مامة : انظر الحاشية رقم (٥) ص (١٤٩) وزيد الفوارس : هو زيد بن حصين بن ضرار الضبي من الفرسان المشهورين انظر الحاشية رقم (١) ص (١٤)

(٢) حين (ع) و (م)

(٣) أغمار : جمع غُمْر وهو الجاهل ، وأغمار الثانية جمع غِمْر : وهو الحقد والغل والعطش .

(٤) ورد على هامش (ل) ما نصه : « المراد بها ثلاث أنامل الممدوح الكاتب »

(٥) ورد على هامش (ل) ما نصه : « يراد به العطاء »

(٦) وتمده بالفضل حين تمده (ل)

مَلأَ ٱلْكِتابَ تَهَدُّداً فَكَأَنَّما مَلأَ ٱلْكِتابَ أَسِنَّةً وَشِفارا
تَجْني ٱلنَّواظِرُ مِنْ مَحاسِنِ خَطِّهِ رَوْضاً وَمِنْ أَلْفاظِهِ أَزْهارا
خَطٌّ رِماحُ ٱلْخَطِّ مِنْ خُدّامِهِ إِنْ رامَ ذَمْراً أَوْ أَعَزَّ ذِمارا
وَبَلاغَةٌ تُضْحي بِأَدْنى فِقْرَةٍ تُغْني فَقِيراً أَوْ تَقُدُّ فَقارا
وَيَشِيمُ رُوّادُ ٱلنَّدى مِنْ بِشْرِهِ بَرْقاً وَمِنْ إِحْسانِهِ أَمْطارا
بِشْرٌ يُبَشِّرُ بِٱلْجَمِيلِ وَعادَةُ ٱلْأَ زْهارِ أَنْ تَتَقَدَّمَ ٱلْأَثْمارا
وَنَدىً يَعُمُّ وَلا يَخُصُّ كَأَنَّهُ هامِي قِطارٍ طَبَّقَ ٱلْأَقْطارا
يَسْتَصْغِرُ ٱلْأَمْرَ ٱلْعَظِيمَ إِذا عَرا (١) بِعَزِيمَةٍ تَسْتَسْهِلُ ٱلْأَوْعارا
وَيَرُدُّ غَرْبَ ٱلْحادِثاتِ مُفَلَّلاً بِسَعادَةٍ تَسْتَخْدِمُ ٱلْأَقْدارا
كَمْ ذَلَّلَتْ صَعْباً وَرَدَّتْ ذاهِباً وَحَمَتْ أَذَلَّ وَذَلَّلَتْ جَبّارا
وَيَخِفُّ نَحْوَ ٱلْجُودِ إِلّا أَنَّهُ يُوفي عَلى شُمِّ ٱلْجِبالِ وَقارا
وَلَهُ وَجُرْدُ ٱلْخَيْلِ تَعْثُرُ بِالْقَنا وَٱلْهامِ رَأْيٌ لا يَخافُ عِثارا
وَلَقَدْ عَرَفْتُ ٱلنّاسَ مِنْ أَطْوارِهِمْ (٢) سُبْحانَ مَنْ خَلَقَ ٱلْوَرى أَطْوارا
فَوَجَدْتُهُمْ يَتَبايَنُونَ وَإِنْ غَدَوْا في خَلْقِهِمْ وَفَنائِهِمْ أَنْظارا

---

(١) إذ أتى (ع) و (م)
(٢) أوطارهم (ل)

يا مَنْ عَرَفْتُ بِجُودِهِ وَجْهَ ٱلْغِنَى حَقًّا وَكُنْتُ جَهِلْتُهُ إِنْكارا[1]
أَمَا وَقَدْ وَسَّعْتَ لِي طُرُقَ ٱلْمُنَى وَجَعَلْتَ لِلْآمالِ أَنْ تَخْتارا
وَغَمَرْتَنِي بِمَواهِبٍ مَوْصُولَةٍ لَمْ تُبْقِ لِي عِنْدَ ٱلْحَوادِثِ ثارا
فَلَأُبْقِيَنَّ مِنَ ٱلثَّناءِ عَلَيْكَ ما يَتَعَقَّبُ ٱلْآثارَ وَٱلْأَخْبارا[2]
كَمْ ذاهِبٍ عَمَرَتْ لَهُ أَخْبارُهُ لَمَّا تَقَضَّى عُمْرُهُ أَعْمارا
إِنَّ ٱلْوَزِيرَ رَأَى ٱلنَّوائِبَ جَمَّةً فَٱخْتارَ مِنْكَ لِدَفْعِها مُخْتارا
فَصَرَفْتَها قَسْراً بِهِمَّتِكَ ٱلَّتِي لَمْ تَرْضَ مادُونَ ٱلْمَجَرَّةِ دارا
وَعَدَى ٱلْأَعادِي أَنْ تُثِيرَ[3] جِيادُهُمْ خَوْفَ ٱنْتِقامِكَ بِالشَّامِ غُبارا[4]
وَسَلَبْتَهُمْ بِٱلْعَزْمِ[5] تالِدَ عِزِّهِمْ فَكَأَنَّ ذاكَ ٱلْعِزَّ كانَ مُعارا
وَعَمَرْتَ هٰذا ٱلشَّامَ[6] بَعْدَ دُثُورِهِ حَتّىٰ غَدَتْ أَطْرافُهُ أَمْصارا
لَمْ تَدْفَعِ[7] ٱلْغَمَراتِ عَنْ سُكّانِهِ حَتّىٰ لَقِيتَ أَذًى وَخُضْتَ غِمارا

(١) سقط من (ل) عجز هذا البيت وصدر البيت الذي يليه فكان مما بقي بيت ملفّق .
(٢) والأخيارا (ل)
(٣) أن يثير (ع) و (م)
(٤) عثارا ؟ (ل)
(٥) بالحزم (ل)
(٦) هذا الدهر ؟ (ل)
(٧) لم ترفع (ع) و (م)

وَسَمحْتَ بِالنَّفْسِ النَّفِيسَةِ فِي الْعُلٰى ... تَسْتَحْمِدُ الْإِيرَادَ وَالْإِصْدَارا

يَا رَاكِبَ الْأَخْطَارِ عَنْ عِلْمٍ بِهَا ... أَدْرَكْتَ أَعْلَىٰ رُتْبَةٍ (١) أَخْطَارا

لَا تَطْلُبَنَّ مِنَ الْعَزَائِمِ جَهْدَهَا ... قَدْ سِرْتَ حَتّىٰ مَا وَجَدْتَ مَسَارا (٢)

عُدْ (٣) آهِلَ الْأَرْجَاءِ مَمْنُوعَ الْحِمىٰ ... جَمَّ الْمَسَاعِي نَافِعاً ضَرَّارا

وَاسْلَمْ عَلَى الْأَيَّامِ أَزْكَىٰ صَائِمٍ ... صَوْماً وَأَسْعَدَ مُفْطِرٍ إِفْطَارا

(١) أعظم رتبة (ل)

(٢) المَسار : مصدر من سار يسير قياساً ، مثل عاش يعيش معاشاً .

(٣) عش (مختارات البارودي)

قافيــة السّين

٥٤

وقال (١) يهجو رجلاً يلقب بخزرون (٢) لبنان دخل عليه فلم يقم له

أَرَى لَكَ يَا خَزْرُونَ لُبْنَانَ فِي ٱلْوَرَى   أَحَادِيثَ صِدْقٍ لَا تُشَابُ بِإِلْبَاسِ
مَقَابِحُ شَاعَتْ فِي ٱلْبِلَادِ بِأَسْرِهَا   أَبَنْتَ بِهَا فَضْلَ ٱلْكِلَابِ عَلَى ٱلنَّاسِ
مَرَرْتُ بِهِ مُسْتَعْجِلاً لَا لِحَاجَةٍ   كَمَا مَرَّ مَخْمُورٌ بِدُكَّانِ هَرَّاسِ (٣)
فَأَحْسَنَ بِي إِذْ لَمْ يَقُمْ لِي مُؤَخَّراً   مِنَ ٱلنَّتْنِ مَا ٱسْتَنْشَقْتُهُ عِنْدَ جُلَّاسِي
وَجَعْمَسَنِي (٤) مُسْتَخْبِراً فَصَفَعْتُهُ   فَقُمْتُ بِلَا أَنْفٍ وَقَامَ بِلَا رَاسِ

---

(١) لم ترد هذه الأبيات في (ل) بل جاء في آخر قصيدة من قافية الراءفيها ما نصه : « ولم يوجد له على حرف الزاي والسين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء شعر »

(٢) خزرون : من أسماء البربر مثل خزرون الزناتي الذي ورد ذكره في الكامل لابن الأثير (ج ٩ ص ١٢ و ١٦ و ٢٣) .

(٣) الهرّاس : صانع الهريسة وبائعها ، والهريسة طعام يعمل من الحب المدقوق واللحم .

(٤) جعمس : لفظة عامية استعملها ابن عُنين بمعنى التيه قال :

« تجعمسٌ قـلّ من يناظره   في الـناس إلاّ تعنفق الرحي »

« ديوان ابن عنين ص ١٧٩ »

قافيــة العيـن

٥٥

وقال (١) يمدح الشريف فخر الدولة (٢)

هُوَ ذَاكَ رَبْعُ ٱلْمَالِكِيَّةِ (٣) فَارْبَعِ وَٱسْأَلْ مَصِيفاً عَافِياً عَنْ مَرْبَعِ (٤)

وَٱسْتَنْشِقِ (٥) لِلدِّمَنِ ٱلْخَوَالِي بِٱلْحِمَى غُرَّ ٱلسَّحَائِبِ وَٱعْتَذِرْ عَنْ أَدْمُعِي

فَلَقَدْ فَنِينَ أَمَامَ دَانٍ هَاجِرٍ فِي قُرْبِهِ وَوَرَاءَ نَاءٍ مُزْمِعِ

لَوْ يُخْبِرُ (٦) ٱلرُّكْبَانُ عَنِّي حَدَّثُوا عَنْ مُقْلَةٍ عَبْرَى وَقَلْبٍ مُوجَعِ

رُدِّي لَنَا زَمَنَ ٱلْكَثِيبِ فَإِنَّهُ زَمَنٌ مَتَى يَرْجِعْ وِفَاؤُكِ (٧) يَرْجِعِ

---

(١) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدح فخر الدولة نقيب نقباء الطالبيين »

(٢) انظر الحاشية رقم (٤) ص (١٥١)

(٣) العامرية (ل)

(٤) وصف ابن خلكان هذه القصيدة بقوله « من غرر قصائده السائرة » ونقل منها على سبيل المثال أحد عشر بيتاً . « انظر وفيات الأعيان ج ٢ ص ١٤ »

(٥) واستنشق ؟ (ل)

(٦) لو تخبر ... (ع) و (م)

(٧) وصالكِ (ابن خلكان ١٤/٢)

لَوْ كُنْتِ عالمةً بأدْنى لَوْعَتِي — لرددْتِ أقْصى نَيْلِكِ المُسْترجَعِ
بَلْ لَوْ قنعتِ منَ الغَرامِ بمُظْهَرٍ — عَنْ مُضْمَرٍ بَيْنَ الحَشا والأضْلُعِ
أعْتَبْتِ إثْرَ تعَتُّبٍ ووَصَلْتِ غِـــبَّ تجَنُّبٍ وبَذَلْتِ بَعْدَ تَمَنُّعِ
وَلَوْ انَّني أنْصَفْتُ نَفْسي صُنْتُها — عَنْ أنْ أكُونَ كطالِبٍ لَمْ يَنْجَعِ
ولَقَدْ بَغَيْتُ العِزَّ مِنْ أوْطانِهِ (١) — وتَرَكْتُ أهْلَ الشَّامِ تَرْكَ مُوَدِّعِ
بالمُقْرَباتِ مُقَرَّباتٍ ما نأى — لَمْ يُعْيِها بَلَدٌ بَعيدُ المَنْزِعِ
مَرَّتْ تُجاذِبُنا الأعِنَّةَ بَعْدَ أنْ (٢) — مَرَتِ البِلادَ بِكُلِّ مَرْتٍ بَلْقَعِ
شَوْقاً إلى المَجْدِ الَّذي لا يُرْتَقى — في (٣) مَنْصِبِ الشَّرَفِ الأعَزِّ الأمْنَعِ
وَمَحَلِّ فَخْرِ الدَّوْلَةِ السَّامِي الذُّرى — أمْنُ المَخُوفِ وَمَفْزَعُ المُسْتَفْزِعِ
سَبَقَ السُّؤالَ نَدًى وَعَفَّ سَريرةً — فَظَفِرْتُ بالمُتَبَرِّعِ المُتَوَرِّعِ
فَرْعٌ نَمى بَيْنَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ — خَيْرِ البَرِيَّةِ وَالبَطينِ الأنْزَعِ (٤)
وَمُهَذَّبُ الأتْباعِ مَمْنُوعُ الحِمى — صافي أديمِ العِرْضِ صافي التُّبَّعِ (٥)

---

(١) ولقد طلبت العز في أوطانه (ل)

(٢) ... بعد ما مَرَتِ التِّلاف ... (ل) والتِّلاف جمع تَلْفَة وهي الهضبة المنيعة مثل تلعة وتلاع .

(٣) في ذروة الشرف ... (ل)

(٤) البطين الأنزع : علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٥) التُّبَّعُ : الظل . وفي (ع) و (م) صافي المتبع . وهو تصحيف .

فَالْمَنُّ غيرُ مُكدَّرٍ وَالشِّربُ غَيْـ ... رُ مُصرَّدٍ وَالسِّربُ غيرُ مروَّعِ (١)

علَتِ الدُّسوتُ بهِ وَقِدْماً شُرِّفتْ (٢) ... منْهُ الْمَنابرُ بِالْخطيبِ الْمِصْقَعِ

فَليهْنِ آمالَ الْخلائقِ أنَّها ... عَلِقتْ بأروَعَ بِالْمكارِمِ مُولَعِ

يُعْطي وَلَوْ وَهبَ الشَّبيبةَ في اللُّهى ... وَحَبا الْحَياةَ مَعَ الْغِنى لَمْ يَقْنَعِ

يَفْديكَ صاحِبُ ثَرْوَةٍ لكنَّهُ ... بِجَزيلِ ما يَحْويهِ (٣) غَيْرُ مُمَتَّعِ

وَمُؤَمَّلٌ سَبَقَ الْمَديحُ نَوالَهُ ... فَكَأَنَّهُ ما جادَ لَوْ لَمْ يُخْدَعِ (٤)

جاراكَ مَغْرُورٌ (٥) فَخانَتْهُ الْمُنى ... هلْ يَلْحَقُ الْمَسْؤولُ بِالْمُتَبَرِّعِ

وَلَقَدْ سَلَكْتَ وَما اتَّخَذْتَ مُرافِقاً ... نَهْجاً إلى الْعَلْياءِ لَيْسَ بِمَهْيَعِ

عادَ الْوَرى مِنْهُ حِذاراً (٦) مِثْلَما ... عادَ الدَّليلُ (٧) عَنِ الطَّريقِ الْمُسْبِعِ

ما إنْ تُزاحَمُ في اقْتِناءِ فَضيلَةٍ ... ذَهَبَ الصَّناعُ بِبُغْيَةِ الْمُتَصَنِّعِ

وَإذا مُحِقُّ الْقَوْمِ (٨) أوْضَحَ حَقَّهُ ... فَوُضُوحُهُ بُطْلانُ قَوْلِ الْمُدَّعي

---

(١) مكان هذا البيت في (ع) و (م) بعد الذي يليه .

(٢) أشرقت (م) و (ع)

(٣) ما تحويه (ل)

(٤) لو لم تخدع (ل)

(٥) مغروراً (ل)

(٦) حذار مثاله (ل)

(٧) الدليل (ع) و (م)

(٨) القول (ل)

وَٱلْهِمَّةُ ٱلْبِكْرُ ٱلَّتِي لَمْ تُفْتَرَعْ … خُصَّتْكَ بِٱلشَّرَفِ ٱلَّذِي لَمْ يُفْرَعِ
وَٱلْمَجْدُ كُلٌّ يَدَّعِي مَا لَمْ يَنَلْ … مِنْهُ وَأَنْتَ تَحُوزُ مَا لَا تَدَّعِي (١)
لَكُمُ ٱلصَّوَارِمُ لَمْ تَزَلْ آثَارُهَا … يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ دُرَّعًا (٢) فِي ٱلْأَدْرُعِ
بِوَغًى إِذَا ضَاقَتْ مَسَالِكُكُمْ بِهَا (٣) … قُلْتُمْ لِأَطْرَافِ ٱلْأَسِنَّةِ وَسِّعِي
وَسَوَابِقٌ يَأْبَى لَهَا طَلَبُ ٱلْعِدَى … فِي كُلِّ أَرْضٍ أَنْ تَقَرَّ بِمَوْضِعِ
وَسَوَائِمٌ وَلِيتْ ظُبَاكُمْ نَحْرَهَا … عِنْدَ ٱلرَّوَاحِ وَمَنْعَهَا فِي ٱلْمَرْتَعِ
وَلَكُمْ غَدًا فِي ٱلْحَشْرِ كُلُّ مُؤَمَّلٍ … تُرْجَى ٱلنَّجَاةُ بِهِ وَكُلُّ مُشَفَّعِ
هٰذِي مَنَاقِبُكُمْ فَهَلْ مِنْ طَامِعٍ … وَصِفَاتُ مَجْدِكُمُ فَهَلْ مِنْ مَطْمَعِ
إِنِّي دَعَوْتُ نَدَى ٱلْكِرَامِ فَلَمْ يُجِبْ (٤) … فَلَأَشْكُرَنَّ نَدًى أَجَابَ وَمَا دُعِي
فَحَوَيْتُ مَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلَدِ ٱلْمُنَى … مِنْ سَيْبِهِ وَحَصَدْتُ مَا لَمْ أَزْرَعِ
مِنَنٌ وَصَلْنَ عَلَى (٥) ٱلتَّدَانِي وَٱلنَّوَى … فَجَمَعْنَ شَمْلَ رَجَائِيَ ٱلْمُتَوَزِّعِ
إِنْ أَقْتَرِبْ فَنَوَالُ كَفِّكَ مَوْطِنِي (٦) … أَوْ أَغْتَرِبْ فَإِلَى جَمِيلِكَ مَرْجِعِي
مَعَ أَنَّ جُودَكَ لَا يُرَاقِبُ مَقْدَمِي … إِنْ سِرْتُ (٧) عَنْهُ بَلْ يَسِيرُ مُتَبِّعِي

---

(١) ما لم تدّع (ل)
(٢) أذرعاً في الأذرع (ل)
(٣) به (ع) و (م)
(٤) ولم يجب « مسالك الأبصار ج ١٠ » مخطوط
(٥) إلى التداني (ع) و (م)
(٦) مطلبي (ع) و (م)
(٧) لو سرت (ل)

بِمَوَاهِبٍ لَوْلَا ٱتِّصَالُ دَوَامِهَا لَظَنَنْتُهَا بَعْضَ ٱلْغُيُوثِ ٱلْهُمَّعِ
تَخْفَى أَحَادِيثُ ٱلْكِرَامِ بِهَا كَمَا تَخْفَى ٱلْوَقَائِعُ فِي ٱلسُّيُولِ ٱلدُّفَّعِ
شَغَلَتْ لَعَمْرِي[1] خَاطِرِي وَتَعَاظَمَتْ فِي نَاظِرِي وَتَكَرَّرَتْ فِي مَسْمَعِي
تَعْتَادُنِي طُولَ ٱلنَّهَارِ مُغِذَّةً فَإِذَا ٱدْلَهَمَّ ٱللَّيْلُ زَارَتْ مَضْجَعِي
وَمِنَ ٱلْعَجَائِبِ وَٱلْعَجَائِبُ جَمَّةٌ شُكْرُ بَطِيءٍ عَنْ نَدًى مُتَسَرِّعِ
إِنِّي وَقَفْتُ وُقُوفَ مَنْ قَصَرَ ٱلْخُطَى عَنْ حَيْرَةٍ لَا وَقْفَةَ ٱلْمُتَمَنِّعِ
أَذْهَلْتَنِي[2] عَنْ أَنْ أَقُولَ وَإِنَّمَا نَابَتْ هِبَاتُكَ عَنْ لِسَانِي فَٱسْمَعِ
عُرْفٌ وَثِقْتَ بِصَمْتِهِ فَكَتَمْتَهُ كَرَمًا فَفَاهَ بِعَرْفِهِ ٱلْمُتَضَوِّعِ
سَبَقَتْ مَوَارِنُنَا[3] إِلَى عِرْفَانِهِ أَسْمَاعَنَا فَوَعَاهُ مَنْ لَمْ يَسْمَعِ
قُلْ لِلْهَى كُفِّي فَآثَارُ ٱلْحَيَا لَيْسَتْ بِظَاهِرَةٍ إِذَا لَمْ تُقْلِعِ[4]
يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِٱلْعُلَى فَصِفَاتُهُ لَا تُدَّعَى وَصَفَاتُهُ لَمْ تُقْرَعِ
أَنَا قَائِلٌ بِفِنَاءِ[5] عِزِّكَ قَائِلٌ لِلنَّائِبَاتِ خُذِي بِحُكْمِكِ أَوْ دَعِي

---

(١) لعمرك (ل)
(٢) أفحمتني ... (ل)
(٣) تواترنا (ل)
(٤) إذا لم يقلع (ع) و (م)
(٥) مائل (م) و (ع)

مَنْ كَانَ جَارَكَ لاَ يَخَافُ[١] إِذَا عَدَتْ ... مِنْ وَاقِعٍ مِنْهَا وَلاَ مُتَوَقَّعِ[٢]
فَلْيَدْرِ قَوْمِي أَنَّنِي فِي ذَا الْحِمَى ... أَلْقَى الْخُطُوبَ بِمَارِنٍ لَمْ يُجْدَعِ
لِي عَنْكَ إِنْ شَطَّ الْمَزَارُ غَداً غِنىً ... إِنْ كَانَ يُغْنِي مُمْعِرٌ عَنْ مُمْرِعِ
فَاسْلَمْ وَلاَ بَرِحَ الْحَسُودُ بِغَيْظِهِ ... حَتَّى يَمُوتَ بِغُلَّةٍ[٣] لَمْ تُنْقَعِ

٥٦

وقال[٤] يمدح تاج الملوك محمود[٥] بن صالح بعد وصول التشريف ويصف داراً عمرها

هَلْ لِلأَمَانِي عَنْ جَنَابِكَ مَدْفَعُ ... أَمْ هَلْ لَهَا مِنْ دُونِ بَابِكَ مَشْرَعُ
لَكَ فِي الْعَلاَءِ مَحَجَّةٌ لاَ يَهْتَدِي ... فِيهَا الْمُلُوكُ وَحُجَّةٌ لاَ تُدْفَعُ
رَكِبُوا بُنَيَّاتِ[٦] الطَّرِيقِ فَضَلَّ سَا ... لِكُهَا وَمَنْهَجُكَ الطَّرِيقُ الْمَهْيَعُ
وَرَعَيْتَ حَقَّ الْقَاصِدِينَ وَمَا رَعَوْا ... وَوَعَيْتَ قَوْلَ الْمَادِحِينَ وَلَمْ يَعُوا
فَرَجَاؤُهُمْ إِلاَّ لِفَضْلِكَ[٧] كَاذِبٌ ... وَمُنَاخُهُمْ إِلاَّ بِظِلِّكَ جَعْجَعُ

---

(١) لن يخاف (ل).
(٢) ومن متوقّع (ل)
(٣) بعلة (ل)
(٤) عنوان هذه القصيدة في (ل) كما يلي : « وقال أيضاً يمدح محمود بن نصر بن صالح ويذكر الدار التي عمرها »
(٥) هو محمود بن نصر بن صالح بن مرداس. انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦).
(٦) بُنَيّاتُ الطريق : الطرق الصغار تتشعب من الجادة وهي التُرّهات.
(٧) بفضلك (ل)

فَافْخَرْ فَإِنَّكَ وَاحِدٌ مِنْ مَعْشَرٍ (١) بِهِمُ تُذَادُ النَّائِبَاتُ وَتُدْفَعُ
فَرَعُوا هِضَابَ الْعِزِّ وَهْيَ مَنِيعَةٌ فَرَعَوْا رِيَاضَ الْفَخْرِ وَهْوَ مُمَنَّعُ
قَوْمٌ إِذَا رَامُوا مَمَالِكَ غَيْرِهِمْ حَصَدُوا بِبِيضِ الْهِنْدِ مَالَمْ يَزْرَعُوا
وَرَأَى الْمُعَايِنُ مِنْكَ مَا يُرْبِي عَلَى (٢) أَخْبَارِ مَجْدٍ عَنْ سِوَاكُمْ تُوضَعُ
مَعَ أَنَّكُمْ مَا عَزَّ مِنْكُمْ وَاحِدٌ إِلَّا وَتَالِيهِ (٣) أَعَزُّ وَأَمْنَعُ
لَوْ أَنَّ يَرْبُوعًا رَأَتْكَ بِمَأْزِقٍ عَلِمَتْ بِأَنَّكَ مِنْ عُتَيْبَةَ أَشْجَعُ (٤)
أَبَتِ الظُّلَامَةَ هِمَّةٌ كَعْبِيَّةٌ (٥) نَامَ الْأَنَامُ وَرَبُّهَا لَا يَهْجَعُ
وَعَزَائِمٌ مِثْلُ السُّيُوفِ وَطَالَمَا قَطَعَتْ غَدَاةَ الرَّوْعِ مَا لَا يُقْطَعُ (٦)
وَصَوَارِمٌ ذُلُقٌ سَوَاءٌ عِنْدَهَا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ حَاسِرٌ وَمُقَنَّعُ (٧)
وَقَنًا تُرَوِّعُ فِي مَرَاكِزِهَا (٨) الْعِدَى رَهَبًا فَمَاذَا ظَنُّهُمْ إِذْ تُشْرَعُ

(١) في معشر (ل)
(٢) وأرى المعاين منكم يربي على (ل)
(٣) وتاليكم (ل)
(٤) بنو يربوع: من تميم من العرب العدنانية، وعتيبة بن الحارث بن شهاب: فارس بني تميم في الجاهلية غير مدافع. (الاشتقاق ص ١٣٨) ورواية (ل): «علمتْ بأنْ عتيبةً لا يشجعُ»
(٥) كعبية: منسوبة إلى كعب بن عبد الله الكلابي من أجداد الممدوح المذكورين في عمود نسب جده صالح بن مرداس الكلابي.
(٦) ما لا تقطع (ع) و (م)
(٧) ومُدرَّع (ل)
(٨) من مراكزها (ل)

لَزِمُوا الْمَنازِلَ وَاكْتَفَوْا بِقَعاقِعٍ مَسْمُوعَةٍ (١) لٰكِنَّهـا لا تَنْجَعُ
مَنْ بِالسِّنانِ يَصُولُ مُنْذُ فِطامِهِ لَمْ يَخْشَ آخَرَ بِالشِّنانِ يُقَعْقِعُ
لَمَّا تَرَكْتَ ظِلالَ قَصْرِكَ ناهِضاً أَضْحَى يُظَلِّلُكَ الْقَنا الْمُتَزَعْزِعُ
وَغَمامَةٌ لَمْ تَحْوِ غَيْثاً يُرْتَجَى وَتُظِلُّ (٢) غَيْثَ غَمامَةٍ لا تُقْلِعُ
خَضْراءُ حَمْراءُ الْأَسافِلِ تارَةً تَبْدُو وَطَوْراً بِالْعَجاجِ تَلَفَّعُ
وَتَخالُها تَسْعَى بِقائِمَةٍ وَإِنْ سارَتْ بِحامِلِها قَوائِمُ أَرْبَعُ
أَبَداً تَضِيقُ إِذا السَّماءُ تَغَيَّمَتْ وَتَعُودُ إِنْ ظَهَرَتْ ذُكاءُ تَوَسَّعُ
فَكَأَنَّها إِبَّانَ تُنْشَرُ (٣) هالَةٌ لٰكِنَّها عَنْ بَدْرِها تَتَرَفَّعُ (٤)
قُدْتَ الْجَحافِلَ لَمْ يَقُدْ مِشارَها كِسْرَى الْمُلُوكِ وَلا رَآها تُبَّعُ
لَوْ أَبْصَرَتْ فِهْرٌ فَرِيقاً مِنْهُمُ ما قِيلَ لِلْفِهْرِيِّ أَنْتَ مُجَمِّعٌ (٥)
وَعَصائِباً مَلَؤُا الْفُراتَ سَفائِناً لَمَّا نَبا بِهِمُ الْفَضاءُ الْأَوْسَعُ

---

(١) مسمومة ؟ (ل)
(٢) ويظل (ع) و (م)
(٣) ينشر (ع) و (م)
(٤) تتبرقع (ل)
(٥) يريد بالفهري قُصَي بن كلاب وكان يلقّب مجمّعاً لانه جمع قريشاً بمكة من أقطارها قال الشاعر :

أبونا قُصَيٌّ كان يدعى مجمّعاً به جمع الله القبائل من فهر

« الاشتقاق لابن دريد ص ٩٧ »

فِي حَيْثُ لاَ تَسَعُ ٱلْفَيَافِي جَمْعَهُمْ إِلاَّ كَمَا يَسَعُ ٱلْإِنَاءُ ٱلْمُتْرَعُ
طُوفَانُ عَزْمٍ لاَ يَشُقُّ عُبَابَهُ فُلْكٌ وَلاَ ٱلْجُودِيُّ(١) مِنْهُ يَمْنَعُ
مَا عَايَنَتْ صِفِّينُ(٢) عِنْدَ تَقَارُعِ ٱلصَّفَّيْنِ جَيْشاً جَامِعاً مَا تَجْمَعُ
خِلْطَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَعُجْمٍ طَالَمَا نُدِبُوا لِصَرْفِ ٱلنَّائِبَاتِ فَأَسْرَعُوا
فِرَقٌ تَخَالَفُ أَلْسُنًا وَعَنَاصِراً لَـٰكِنْ تَشَابَهَ مَا ٱنْتَضَوْا وَتَدَرَّعُوا
لَيْسُوا إِذَا شُبَّتْ وَغىً كَجَمَائِعٍ بِخِلاَفِهِمْ عُصِيَ ٱلْبَطِينُ ٱلْأَنْزَعُ(٣)
تَبِعُوا رِضَاكَ فَسِرْتَ فِيهِمْ آمِناً مِنْ حِيلَةٍ فِيهَا ٱلْمَصَاحِفُ تُرْفَعُ
حَكَمَاكَ لَدْنٌ ذَابِلٌ وَمُهَنَّدٌ مَا فِيهِمَا إِنْ حُكِّمَا مَنْ(٤) يُخْدَعُ
مَا إِنْ رَأَى مَنْ حَلَّ رَحْبَةَ مَالِكٍ(٥) شَمْساً سِوَاكَ مِنَ ٱلْمَغَارِبِ تَطْلُعُ
كَلاَّ وَلاَ نَظَرُوا جُيُوشاً قَبْلَهَا فِي ضِمْنِهَا عَضَدَ ٱللِّئَامِ ٱلْبُرْقُعُ
وَلِذَاكَ مَا ظَنُّوا نُفُوسُهُمُ لَهُمْ إِلاَّ وَأَنْتَ عَلَى(٦) ٱلتَّرَحُّلِ مُزْمِعُ

(١) الجُوديُّ : جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل عليه استوت سفينة نوح عليه السلام . « معجم البلدان »

(٢) صِفِّين : موضع بقرب الرقة على شاطىء الفرات من الجانب الغربي وكانت وقعة صفين بين علي ومعاوية رضي الله عنهما في سنة ٣٧ .

(٣) البطين الأنزع : علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) ما يخدع (ل)

(٥) رحبة مالك : مدينة على الفرات بين الرقة وبين عانة .
« تقويم البلدان لأبي الفداء ص ٢٨١ »

(٦) عن (ع) و (م)

عَمْرِي لَقَدْ أَوْدَعْتَهَا أَجْسَامَهُمْ وَعَلَيْهِمُ أَنْ يَحْفَظُوا مَا أُودِعُوا
وَلَقَدْ تَضَمَّنَهَا لَكَ ٱلْعَزْمُ ٱلَّذِي لَوْ كَانَ شَخْصاً لَمْ يَسَعْهُ مَوْضِعُ
فَرَحَلْتَ عَنْهَا عَنْ يَقِينٍ أَنَّهَا مِنْ بَعْدِ قَتْلِكَ أَهْلَهَا لَا تَنْفَعُ
وَتَرَكْتَهَا ضَنّاً بِهَا عَنْ أَنْ تُرَى وَمِنَ ٱلْبِلَى فِيهَا خَطِيبٌ مِصْقَعُ
ذُدْتَ ٱلْحَمِيَّةَ بِٱلتَّقِيَّةِ رَاغِباً فِي ٱلْأَجْرِ تُغْرِبُ فِي ٱلْجَمِيلِ وَتُبْدِعُ
طَاعَ ٱلزَّمَانُ لِصَالِحٍ[1] فَٱبْتَزَّهَا بِيَدِ ٱلْخُطُوبِ وَإِنَّهَا لَكَ أَطْوَعُ
وَبِحُكْمِ جَدِّكَ سِرْتَ فِيهِمْ إِذْ بَغَى إِحْرَازَهَا مِنْ قَبْلُ وَهْيَ تَمَنَّعُ
كَفَّ ٱلصَّوَارِمَ وَٱسْتَنَابَ نَوَائِباً فِي ٱلْقَوْمِ وَاحِدَةٌ بِأُخْرَى تَشْفَعُ[2]
فَمَضَتْ ثَلَاثٌ مِنْ سِنِينَ أَبَتْ لَهُمْ أَنْ يَنْزِعُوا وَنَهَتْهُمُ أَنْ يَهْجَعُوا
حَتَّى أَنَابُوا وَٱلنُّفُوسُ سَلِيمَةٌ وَقِيَادُ مَنْ مَنَعَ ٱلْمَقَادَةَ[3] طَيِّعُ
وَلِذَا قَصَدْتَ فَلَا بَرِحْتَ مُوَفَّقاً[4] فِيمَا تَجُودُ بِهِ وَفِيمَا تَمْنَعُ
فَرَّقْتَ جَمْعاً لَوْ رَمَيْتَ بِبَعْضِهِ أَرْكَانَ رَضْوَى[5] لَٱنْبَرَتْ تَتَضَعْضَعُ

(١) هو صالح بن مرداس جد الممدوح . انظر الحاشية رقم (٤) ص (٦٢)
(٢) وأخرى تسفع (ع) و (م)
(٣) القيادة (ل)
(٤) مؤيّداً (ل) وعلى هامش (ع) و (م)
(٥) رضوى : جبل بالمدينة .

وَحَوَيْتَ صِرْفَ ٱلْمَأْثُرَاتِ مُغادِراً أَكْدارَها بَيْنَ ٱلْوَرَى تَتَوَزَّعُ
فَٱلظِّلُّ ضافٍ وَٱلْهِباتُ جَزِيلَةٌ وَٱلْوِرْدُ صافٍ وَٱلْعَطاءُ (١) تَبَرُّعُ
وَخُصِصْتَ فِي زَمَنِ ٱلْحَياةِ بِجَنَّةٍ حَسُنَ ٱلْمَصِيفُ بِها وَطابَ ٱلْمَرْبَعُ
دارٌ بِها ٱكْتَسَتِ ٱلْبَسِيطَةُ زِينَةً (٢) وَيَزِينُها مِنْكَ ٱلْهُمامُ (٣) ٱلْأَرْوَعُ
ما زالَ مُبْصِرُها يَعُودُ بِخـاطِرٍ يَشْكُو ٱلْكَلالَ وَناظِرٍ لا يَشْبَعُ
وَتَرَى طُيُورَ ٱلْجَوِّ فِي جَنَباتِهـا بَعْضٌ مُحَلِّقَةٌ وَبَعْضٌ وُقَّـعُ
وَسَوابِقاً لَيْسَتْ تُفارِقُ أَرْضَهـا وَكَأَنَّها تَحْتَ ٱلْفَوارِسِ تَمْزَعُ
بِٱلْمُصْلَتِينَ صَواعِقاً (٤) لا تَعْتَدِي (٥) وَٱللَّابِسِينَ يَلامِقـاً لا تُنْزَعُ
رَهْطٌ نَضَوْا بِيضَ ٱلسُّيُوفِ وَآخَرٌ قَدْ جَرَّ قَوْساً لَيْسَ فِيها مَنْزَعُ
وَسِهامُهُ لا تَسْتَطِيعُ فِراقَهـا وَحِبالُهُ (٦) أَبَداً لِطَيْرٍ مَصْرَعُ
وَٱلْأَيْمُ يُؤْخَذُ وَٱلْحُرُوبُ لِدُودَةٍ (٧) طُولَ ٱلزَّمانِ وَما أَراهُ يَجْزَعُ

---

(١) والعطا يلبسرع ؟ (ل)
(٢) رتبةً (ل)
(٣) الإمام (مختارات البارودي)
(٤) صوارماً (مختارات البارودي)
(٥) لا تغتدي (ع) و (م)
(٦) وحياله (ع) و (م)
(٧) والأيم يوحز والحرور لدوذه ؟ طول النهار وما أراه يجرع (ل)

وَمِنَ ٱلصُّيُودِ مُحَلَّلٌ وَمُحَرَّمٌ وَلُحُومُها حُرُمٌ فَما تَتَبَضَّعُ (١)
بِٱلْجانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ (٢) فِيها نَخْلَةٌ ناءٍ جَناها وَهْوَ آنٍ مُونِعُ
وَتَرُوقُ عَيْنَكَ دَوْحَةٌ مِنْ غَرْبِها فِيها جَنًى يَحْمِيهِ ظِلٌّ مُسْبِعُ
وَزَرافَتانِ أُقِيمَتا كِلْتاهُما رانٍ (٣) إِلَيْكَ بِمُقْلَةٍ لا تَهْجَعُ
وَكَأَنَّ مِصْراً أَتْحَفَتْ حَلَباً بِها مِنْ قَبْلُ إِذْ هِيَ لِلْمَحاسِنِ مَجْمَعُ (٤)
وَٱلْفِيلُ يَقْرَعُ جِلْدَهُ سُوّاسُهُ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ وَهْوَ لا يَتَزَعْزَعُ
وَظَعائِنٌ تَخْشَى ٱلْعُيُونَ وَتَتَّقِي نَظَرَ ٱلْمُرِيبِ (٥) فَدَهْرَها تَتَبَرْقَعُ
أَبَداً يُقادُ بِها وَتَخْدِي (٦) عِيسُها وَخْداً حَثِيثاً لِلنَّواظِرِ يَخْدَعُ
هَلْ عاقَها ما عايَنَتْهُ فَلَمْ تَسِرْ أَمْ راقَها هٰذا ٱلْجَنابُ ٱلْمُمْرِعُ
وَٱلْبَحْرُ عائِمَةٌ بِهِ حِيتانُهُ وَمِنَ ٱلشِّباكِ لَها سِمامٌ مُنْقَعُ (٧)
طامٍ وَما يُخْشَى عَلَى رُكّابِهِ غَرَقٌ وَمَرْكَبُهُ مُقِيمٌ مُقْلِعُ

---

(١) تتبقع (ل)
(٢) القبلي (ل)
(٣) ترنو (مختارات البارودي)
(٤) تجمع (ل)
(٥) المغيب ؟ (ل)
(٦) في النسخ الثلاث (وتبدي) ولعل ما أثبتناه هو الصواب .
(٧) هذا البيت وثلاثة بعده لم ترد في (ل)

وَابْنُ الْمُلَوَّحِ (١) قَائِمٌ وَسَقامُهُ الْ ... بَادِي طَلِيعَةُ مَا تُجِنُّ الْأَضْلُعُ
يَشْكُو إلى لَيْلَى الْغَرامَ إشَارَةً ... شَكْوَى لَعَمْرُكَ لَمْ تُعِنْهَا أَدْمُعُ
وَمَوَاضِعٌ فِيهَا كَعِرْضِكَ وُضَّحٌ ... ثَلْجِيَّةُ الْأَلْوَانِ بَلْ هِيَ أَنْصَعُ
وَمِنَ الرُّخَامِ مُقَابَلٌ وَمُؤَلَّفٌ ... وَمُفَوَّفٌ وَمُضَلَّعٌ وَمُجَزَّعُ
وَمِنَ النُّضَارِ بِهَا سَحَائِبُ جَمَّةٌ ... لَزِمَتْ أَمَاكِنَهَا فَمَا تَتَقَشَّعُ
سُحُبٌ جَوَامِدُ قَدْ أَظَلَّتْ (٢) عَارِضًا ... تَحْيَا بِصَيِّبِهِ الْبِلَادُ وَتُمْرِعُ
كَرَمٌ أَهَانَ التِّبْرَ حَتَّى أَنَّهُ ... مِنْ نَاطِقٍ أَوْ صَامِتٍ لَا يُمْنَعُ
أَطْلَعْتَ مِنْ جُدْرَانِهَا وَسُقُوفِهَا ... شَمْسًا لَهَا مِنْ كُلِّ أُفْقٍ مَطْلَعُ (٣)
تَعْلُو ضِيَاءَ الشَّمْسِ عِنْدَ شُرُوقِهَا ... وَيَعُمُّهَا الْإِظْلَامُ وَهْيَ تَشَعْشَعُ
مَنْ حَلَّهَا وَهْنًا تَوَهَّمَ لَيْلَهَا ... صُبْحًا وَصِبْغُ (٤) اللَّيْلِ فِيهَا مُشْبَعُ
وَبَدَتْ بِأَعْلَاهَا رِيَاضٌ حَاكَهَا ... حُسْنُ اقْتِرَاحِكَ لَا الْغُيُوثُ الْهُمَّعُ
رَوْضٌ عَلَى الْأَفْوَاهِ يَعْسُرُ رَعْيُهُ ... لَكِنَّ لِلْأَبْصَارِ فِيهِ مَرْتَعُ ؟
يَا مُعْجِزَ الْأَمْلَاكِ فِيمَا يَبْتَنِي (٥) ... وَمُعَجِّبَ الْأَفْلَاكِ مِمَّا يَصْنَعُ

(١) قيس بن الملوّح : هو مجنون ليلى المشهور .
(٢) أطلت (ع) و (م)
(٣) تطلع (ل)
(٤) وطبع ؟ (ل)
(٥) تبتني (ع) و (م)

نَظَرُ الْخَلِيفَةِ لِلْمُلُوكِ كَسَاهُمُ تَاجاً بِهِ تَسْمُو وَطَوْراً تَخْضَعُ
فَوْقَ الْمَفَارِقِ مِنْهُ سَيْفٌ حَدُّهُ مَاضٍ وَتَاجٌ بِالثَّنَاءِ مُرَصَّعُ
نَاقَضْتَهُمْ فَوَهَبْتَ مَا ضَنُّوا بِهِ وَحَفِظْتَ غَيْرَ مُنَازِعٍ مَا ضَيَّعُوا
فَبَذَلْتَ فِي الْأَزَمَاتِ[1] مَا لَمْ يَبْذُلُوا وَمَنَعْتَ بِالْعَزَمَاتِ مَا لَمْ يَمْنَعُوا
فَابْجَحْ فَإِنَّكَ أَوْحَدُ الزَّمَنِ الَّذِي لَمْ يَفْتَرِقْ فِي أَهْلِهِ مَا تَجْمَعُ
لَا زِلْتَ تَكْسُو كُلَّ عِيدٍ قَادِمٍ حُسْناً وَمُلْكُكَ بِالْبَقَاءِ مُمَتَّعُ
أَمَّنْتَنِي الْحَدَثَانَ حَتَّى أَنَّنِي لَا وَاقِعٌ أَخْشَى وَلَا مُتَوَقَّعُ
وَأَفَدْتَ مَا لَمْ يَجْرِ فِي خَلَدِ الْمُنَى يَوْماً وَلَمْ يَطْمَحْ إِلَيْهِ مَطْمَعُ
وَوَهَبْتَ لِي قُرْبَى أَنَالَتْ رِفْعَةً وَالدَّهْرُ لَيْسَ بِخَافِضٍ مَنْ تَرْفَعُ[2]
وَعَطِيَّةً مَا فَازَ مَرْوَانٌ بِهَا عِنْدَ الرَّشِيدِ وَلَمْ يَنَلْهَا أَشْجَعُ[3]
لَكِنَّ عَبْدَكَ عَاشَ فِيهَا مُوقِناً أَنْ سَوْفَ يُرْزَقُ بَعْدَهَا أَوْ يُقْطَعُ
وَعَلَى ارْتِيَاحِكَ مَا يُؤَمِّلُهُ وَإِنْ عَزَّ الْأَخِيرُ فَفِي الْمُقَدَّمِ مَقْنَعُ

---

(١) بالأزمات (ع) و (م)

(٢) يرفع ؟ (ل)

(٣) مروان بن أبي حفصة : من فحول الشعراء كان يعطيه هرون الرشيد بكل بيت يمدحه به ألف درهم . ولد سنة ١٠٥ وتوفي ببغداد سنة ١٨١ . وأشجع ابن عمرو السلمي : شاعر فحل أعجب به الرشيد فأثرى وحسنت حاله . توفي سنة ١٩٥ .

٥٧

وقال (١) يمدح مبارك بن الشبل بن جامع (٢)

مَحَلٌّ لَهُمْ بَيْنَ النَّقَا وَالأَجارِعِ عَدَتْهُ الغَوادِي فَاسْتَنابَ مَدامِعِي
وَلَوْ أَنَّنِي نَهْنَهْتُها خَوْفَ كاشِحٍ فَشَتْ زَفَراتٌ لَمْ تَسَعْها أَضالِعِي
وَفِي الجِيرَةِ المُسْتَنْفِدِي الصَّبْرِ عُصْبَةٌ لَوِ اكْتَنَفُونِي ما مُنِيتُ بِرائِعِ
عَجَزْتُ عَنِ الأَعْداءِ بَعْدَ فِراقِهِمْ كَعَجْزِ بَنانٍ لَمْ يُنَطْ (٣) بِأَشاجِعِ
وَمَنْ لِي بِأَيّامٍ مَضَتْ لا عَزائِمِي (٤) مُقَلَّلَةٌ فِيها وَلا اللَّوْمُ رادِعِي
لَيالِيَ لا اللّاحِي عَلَى الوَجْدِ قادِعِي (٥) بِما سَرَّ أَعْدائِي وَلا الشَّيْبُ وازِعِي

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك : « وقال أيضاً يمدح مبارك بن شبل بن جامع »

(٢) مبارك بن شبل بن جامع بن زائدة ، من رؤساء بني كلاب ، وهو ابن خال سابق بن محمود المرداسي أمير حلب وزوج أخته . وأبوه شبل صاحب حصن بُزاعا بين منبج وحلب . كان لمبارك يد في الفتنة التي وقعت بين سابق وبين أخويه وثّاب وشبيب وانتهت باستيلاء شرف الدولة مسلم بن قريش العُقيلي على حلب سنة ٤٧٣ وانقراض دولة بني مرداس .

« عدة مواضع من زبدة الحلب » مخطوط

(٣) لم تحط (ل) لم يطر (هامش ع و م)

(٤) ما عزائمي (ل)

(٥) قاذعي (ل) و (م)

فَبُدِّلْتُ مِنْ شَرْخِ ٱلشَّبَابِ وَعِشْرَةِ ٱلْأَ حِبَّةِ تَسْآلَ ٱلدِّيَارِ (١) ٱلْبَلَاقِعِ
وَقَائِلَةٍ حَتَّامَ يَخْدَعُكَ ٱلْمُنَى وَتُوسِعُهَا عَتْبًا وَلَيْسَ بِنَافِعِ
فَيأْسًا فَمَا عَهْدُ ٱلْكَئِيبِ بِعَائِدٍ إِلَيْكَ (٢) وَلَا أَيَّامُهُ بِرَوَاجِعِ
وَلَا وُدٌّ مَنْ أَبْدَى لَكَ ٱلْوُدَّ صَادِقٌ وَمَا هُوَ إِلَّا خُدْعَةٌ مِنْ مُخَادِعِ
ذَرِ ٱلْخَلْقَ لَا تَتْبَعْهُمُ (٣) مُتَفَرِّدًا بِنَفْسِكَ وَٱتْبَعْ رَأْيَ أَهْلِ ٱلصَّوَامِعِ
فَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا ضَاحِكٌ وَهْوَ عَابِسٌ سَرِيرَتُهُ أَوْ وَاصِلٌ وَصْلَ قَاطِعِ
فَبَعْضٌ سَرَابٌ غَرَّ بِٱللَّمْعِ ظَامِئًا وَبَعْضٌ شَرَابٌ (٤) لَا يَسُوغُ لِجَارِعِ
مُخَالِفَةٌ أَقْوَالُهُمْ وَفِعَالُهُمْ كَمَا خَالَفَ ٱلصَّهْبَاءَ لَوْنُ ٱلْفَوَاقِعِ (٥)
عَرَتْنِي صُرُوفُ ٱلنَّائِبَاتِ فَقَصَّرَتْ ذِرَاعِي وَرَدَّتْ خَائِبَاتٍ ذَرَائِعِي
يُصِيبُ ٱلْفَتَى مَا لَمْ (٦) يَكُنْ فِي حِسَابِهِ وَيَحْذَرُ مِنْ شَيْءٍ وَلَيْسَ بِوَاقِعِ
وَمَا خِلْتُ أَنَّ ٱلدَّهْرَ يُلْجِئُنِي إِلَى زَمَانٍ يَبِيتُ (٧) ٱلْعَجْزُ فِيهِ مُضَاجِعِي
صَحِبْتُ أُنَاسًا بُرْهَةً مَا مَرَامُهُمْ مَرَامِي وَلَا أَطْمَاعُهُمْ مِنْ مَطَامِعِي

(١) الرسوم (هامش ع و م)
(٢) عليك ولا أيامها برواجع (ع) و (م)
(٣) لا يتبعهم (ل)
(٤) سراب (ل)
(٥) لم يرد هذا البيت في (ل) على أنه بيت القصيد .
(٦) من لم (ع) و (م)
(٧) يكون (ل)

وَلَوْ لَمْ يُدانِ الضِّدُّ ضِدًا لَمَا دَنا ... مَحَلُّ الْأَفاعِي مِنْ مَحَلِّ الْأَسارِعِ
وَغَيْرُ قَرِيبٍ مِنْ فُؤادٍ (١) وَمَسْمَعٍ ... زَئِيرُ الْأُسُودِ مِنْ نَقِيقِ الضَّفادِعِ (٢)
إِلى أَنْ أَبَتْ (٣) لِي عَزْمَةٌ أَعْصُرِيَّةٌ (٤) ... صَرَعْتُ بِها الْخَطْبَ الَّذِي كانَ صارِعِي
فَنابَ ضِياءُ الْفَجْرِ عَنْ ظُلْمَةِ الدُّجى ... وَأَنْسى الْفُراتُ ناضِباتِ الْوَقائِعِ (٥)
وَعُوِّضْتُ مِنْ (٦) رَعْيِ الْبُرُوقِ وَشَيْمِها ... غَمامًا تَجَلَّى عَنْ سُيُولٍ دَوافِعِ
وَوَسْمِيُّهُ جُودُ ابْنِ نَصْرِ (٧) بْنِ صالِحٍ ... وَكانَ (٨) الْوَلِيُّ لِابْنِ شِبْلِ بْنِ جامِعِ
هُما أَنْعَما قَبْلَ السُّؤالِ وَأَجْزَلا ... فَأَعْظِمْ بِمَتْبُوعٍ وَأَكْرِمْ بِتابِعِ
لِتَكْذِيبِ مَنْ ظَنَّ الْمَعِيشَةَ ضَنْكَةً ... وَمَنْ قالَ إِنَّ الرِّزْقَ لَيْسَ بِواسِعِ
لَقَدْ أَغْنَيا عَنْ أُمَّةٍ (٩) طالِبُ النَّدى ... لَدَيْهِمْ كَباغِي الرِّسْلِ (١٠) مِنْ يَدِ راضِعِ

(١) في فؤاد (مسالك الأبصار ج ١٠) مخطوط
(٢) لم يرد هذا البيت في (ل)
(٣) أتت (ع) و (م)
(٤) نسبة الى أعصُر بن سعد أبو قبيلة غني التي ينتسب إليها ابن حيُّوس .
(٥) الوقائع جمع وقيعة : وهي نقرة في جبل أو سهل يستنقع فيها الماء .
(٦) عن (ل)
(٧) هو محمود بن نصر بن صالح صاحب حلب . انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)
(٨) فكان (ع) و (م)
(٩) أمه (ع) و (م)
(١٠) الرِّسل : اللبن .

يُرَاوِحُ مَنْ نالَ(١) ٱلنَّوالَ أَوِ ٱلقِرى بِأَدْهى ٱلدَّواهِي أَوْ بِأَنْكى ٱلفَجائِعِ
وَإِنّي وَإِنْ أَكْثَرْتُ وَصْفَ مُبارَكٍ وَأَطْنَبْتُ ما خَبَّرْتُ إِلاَّ بِشائِعِ
هُمامٌ حَوى فِي أُولياتِ شَبابِهِ مَـآثِرَ(٢) أَعْيَتْ كُلَّ كَهْلٍ وَيافِعِ
إِذا بَذَلُوا(٣) خَوْفاً أَتَتْ مَكْرُماتُهُ عَطايا كَرِيمٍ لا عَطايا مُصانِعِ
نَصِيَّةُ أَنْجـادٍ تُخافُ وَتُتَّقى وَنُخْبَةُ أَمْجادٍ ضِخامِ ٱلدَّسائِعِ
وَأَسْرَعُ فِي(٤) مَنْعِ ٱلذِّمارِ إِجابَةً إِذا نادَتِ ٱلأَبْطالُ هَلْ مِنْ مُقارِعِ
يُلاقِيهِ مَنْ يَرْجُو جَزِيلَ نَوالِهِ بِإِذْلالِ خَفْضٍ(٥) لا بِذِلَّةِ طامِعِ
كَفى كُلَّ راجٍ سَوْمَهُ ٱلعُرْفَ ضارِعاً لَهُ وَخَلَتْ أَفْعالُهُ مِنْ مُضارِعِ
وَدَرَّتْ(٦) لَهُ فِي كُلِّ أُفْقٍ غَمامَةٌ تَدُلُّ عَلى بُخْلِ ٱلغُيُوثِ ٱلهَوامِعِ
أَلاَئِمَهُ فِي ٱلجُودِ مَهْلاً فَإِنَّهـا نَصائِحُ تُهْدِيها إِلى غَيْرِ سامِعِ
وَهَلْ خَرَجَتْ أَفْعالُهُ عَنْ مَحاسِنٍ تُخَبِّرُ أَوْ أَقْوالُهُ عَنْ شَوافِعِ(٧)

(١) باغى (ع) و (م)
(٢) مكارم (ع) وهامش (م)
(٣) بدلوا (ع) و (م)
(٤) من (ع) و (م)
(٥) حفظ (ع) و (م)
(٦) وجادت ... (ل)
(٧) شفايع (ل)

مِنَ ٱلْقَوْمِ لا يَسْتَنْصِرُونَ سِوى ٱلظُّبى ... إِذَا ٱلْمانِعُونَ ٱسْتَنْصَرُوا بِٱلْمَقانِعِ
وَما ٱسْتَأْثَرُوا(١) عَنْ كُلِّ عافٍ وَزائِرٍ ... بِما كَسَبُوهُ بِٱلرِّماحِ ٱلشَّوارِعِ
يَرُوقُكَ مَرْآهُمْ مَضاءً وَرَوْنَقاً ... وَتِلْكَ سَجِيَّاتُ ٱلسُّيُوفِ ٱلْقَواطِعِ
وَتَلْقاهُمُ فِي نائِلٍ وَحَمِيَّةٍ ... غُيُوثَ ٱلْعَطايا أَوْ لُيُوثَ ٱلْوَقائِعِ
عَتادُهُمُ خَطِّيَّةٌ قَدْ تَكَفَّلَتْ ... بِرِزْقِ نُسُورٍ حُوَّمٍ وَخَوامِعِ (٢)
وَهِنْدِيَّةٌ فِي كُلِّ يَوْمِ كَرِيهَةٍ ... تُفَرِّقُ ما بَيْنَ ٱللَّهى وَٱلْأَخادِعِ (٣)
وَمُقْرَبَةٌ عَزَّتْ شِراءً فَكُلُّها ... قَلائِعُ حِيزَتْ أَوْ بَناتُ قَلائِعِ
وَمَهْرِيَّةٌ يَحْمُونَها ٱلدَّهْرَ نَخْوَةً ... وَيَبْذُلُها عِنْدَ ٱلْقِرى كُلُّ مانِعِ (٤)
تَبِيتُ حِداداً ٱلْبِيضِ أَوْفى(٥) حُتُوفِها ... وَتُضْحِي حِجازاً(٦) دُونَها فِي ٱلْمَراتِعِ
وَكَمْ مَأْزِقٍ سَدَّ ٱلْفَضاءَ جُيُوشُهُ ... ثَنَوْها عَلَى أَعْقابِها بِٱلطَّلائِعِ
وَلِلْعارِ كَشَّافُونَ إِنْ غَشِيَتْهُمُ (٧) ... وَغىً كَشَفَتْ عَمَّا وَراءَ ٱلْبَراقِعِ
وَلَوْ مُنِيَتْ عَوْفُ بْنُ عَبْدٍ بِفَقْدِهِمْ ... لَكانَتْ أَكُفّاً لَمْ تُعَنْ بِأَصابِعِ

---

(١) وما استكثروا (م)
(٢) الخوامع : الضباع . وفي (ع) و (م) وجوامع . وهو تصحيف .
(٣) فالأخادع (ع) و (م)
(٤) هذا البيت ساقط من (م)
(٥) كذا ولعله (أدنى)
(٦) مجاراً (ع) و (م)
(٧) غشمتهم (ل)

لَقَدْ أَسَّسَتْ أَبْنَاءُ زَائِدَةٍ لَهَا قَوَاعِدَ أَرْسَى مِنْ هِضَابِ مُتَالِعِ (١)
وَهُمْ خَلَفُوا النُّعْمَانَ فِي صَوْنِ بَيْتِهِ وَمَا ظَفِرَتْ لَوْلَاهُمُ بِمُمَانِعِ
فَنَكَّبَهَا كِسْرَى عَلَى عِزِّ مُلْكِهِ وَمَاشَاعَ مِنْهُ (٢) مُكْرَهًا غَيْرَ طَائِعِ
وَقَدْ سَارَ شِبْلٌ (٣) فِيهِمُ وَمُبَارَكٌ بِمَا لَمْ يَسِرْ عَنْ نَهْشَلٍ وَمُجَاشِعِ (٤)
وَلَوْ أَنَّ هَمَّامًا (٥) رَأَى مَا رَأَيْتُهُ لَكَانَ عَلَى هٰذَا الْمَقَالِ مُشَايِعِي
وَمَا خُلِقَا إِلَّا لِإِفْنَاءِ قَاسِطٍ يُخَافُ وَيُرْجَى أَوْ لِإِغْنَاءِ قَانِعِ
أَبَا تَرْجَمٍ (٦) جَادَتْ يَدَاكَ تَبَرُّعًا فَعَالَ كَرِيمِ الصُّنْعِ جَمِّ الصَّنَائِعِ
مَوَاهِبُ إِنْ أَوْدَعْتَهَا النَّاسَ سَالِفًا فَإِنِّي أَوْلَاهُمْ بِحِفْظِ الْوَدَائِعِ
أَبَيْتَ فَلَمْ تَنْكُثْ وَلَا أَنْتَ نَاكِبٌ (٧) طَرِيقًا إِلَى الْعَلْيَاءِ لَيْسَ بِشَاسِعِ
وَرَاءَكَ أَهْلُ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ النَّدَى إِذَا مَا سَعَيْتَ مِنْ حَسِيرٍ وَظَالِعِ
إِقَامَةَ عَدْلٍ لِلْأُلَى اسْتَبْعَدُوا الْمَدَى (٨) فَهُمْ بَيْنَ مَاضٍ فِي الضَّلَالِ وَرَاجِعِ

(١) مُتالِع : جبل بنجد .
(٢) عنه (ل)
(٣) وقد سار سيل فيهم ومنازل ؟ (ع) و (م)
(٤) نهشل ومجاشع : ابنا دارم من بني تميم . وكان الفرزدق يفخر بهما لانه من أبناء مجاشع .
(٥) همّام بن غالب : هو الفرزدق الشاعر المشهور .
(٦) أبا رحم ؟ (ع) و (م) . أبا راحم (مختارات البارودي)
(٧) أبيت فلم تركب ولا أنت راكب (ل)
(٨) أقام بعذر للأولى استعبدوا المدى بهم ... (ل)

لَقَدْ جُزْتَ(١) أَقْصَاهُ بِغَيْرِ مُرَافِقٍ وَذُدْتَ الْوَرَى عَنْهُ بِغَيْرِ مُنَازِعِ
سَأَشْكُرُ مَا دَامَ الْكَلَامُ يُطِيعُنِي صُنُوفاً أَتَتْ مِنْ جُودِكَ الْمُتَتَابِعِ
تَوَالَتْ عَلَى مَنْ لَا يُدِلُّ بِخِدْمَةٍ عَلَيْكَ وَلَا يُدْلِي إِلَيْكَ بِشَافِعِ(٢)
فَأَجْنَتْكَ(٣) مِنْ مَحْضِ الْقَرِيضِ وَحُرِّهِ بَضَائِعَ لَيْسَ الْعُرْفُ فِيهَا بِضَائِعِ
سَتَطْرُقُ مِنْهَا كُلَّ أَرْضٍ غَرَائِبٌ حِسَانُ الْمَبَادِي رَائِعَاتٌ(٤) الْمَقَاطِعِ
إِذَا أُنْشِدَتْ كَادَتْ لِفَرْطِ بَيَانِهَا تَعِيهَا الْقُلُوبُ قَبْلَ وَعْيِ الْمَسَامِعِ

٥٨

وقال (٥) يمدحه (٦) ويهنيه بولده أبي منصور وأنشدها عقيب ألمٍ عرض له في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة .

مَنْ عَفَّ عَنْ ظُلْمِ الْعِبَادِ تَوَرُّعَا جَاءَتْهُ أَلْطَافُ الْإِلَهِ تَبَرُّعَا

---

(١) حزت (ع) و (م)
(٢) عليكم ولا يدلي إليكم بشافع (ع) و (م)
(٣) فأجبتك (ع) و (م)
(٤) رايقات (ل)
(٥) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا وعنوانها هناك : « وقال ايضاً يمدحه (أي أمير الجيوش) ويهنيه بولده أبي منصور عقيب ألم عرض له في سنة اثنتين وثلاثين وأربعماية »
(٦) الضمير راجع الى أمير الجيوش أنوشتكين الدِّزْبري .

إِنَّا تَوَقَّعْنَا ٱلسَّلَامَةَ وَحْدَهَا فَٱسْتَلْحَقَتْ(١) مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعا
مَا قِيلَ أَصْبَحَ مُفْرِقًا مِنْ دَائِهِ ذَا ٱللَّيْثُ حَتَّى قِيلَ أَصْبَحَ مُتْبِعا
خَبَرٌ تَضَوَّعَتِ ٱلْبِلَادُ بِنَشْرِهِ طِيبًا فَأَغْنَى سَائِفًا(٢) أَنْ يَسْمَعا
مَا إِنْ أَتَى فَهْمَ ٱلْقَرِيبِ عِبَارَةً حَتَّى لَقَدْ فَهِمَ ٱلْبَعِيدُ تَضَوُّعا
قَدِمَتْهُ قَبْلَ قُدُومِهِ ٱلنُّعْمَى ٱلَّتِي جَلَتِ ٱلْمَخَافَةَ وَٱلْمُحُولَ فَأَقْشَعا
يَوْمَ ٱمْتَطَيْتَ قَرَى جَوَادٍ وَقْعُهُ مِنْ وَقْعِ ذَاكَ ٱلْغَيْثِ أَحْسَنُ مَوْقِعا
اَلْغَيْثُ يَهْمِي ثُمَّ يُقْلِعُ صَوْبُهُ حِينًا(٣) وَلَيْسَ نَدَاكَ عَنَّا مُقْلِعا
إِنْ سُمِّيَ ٱلْإِثْنَيْنُ مَغْرِبَ هَمِّنَا فَٱلسَّبْتُ يُدْعَى لِلْمَسَرَّةِ مَطْلِعا
يَوْمَانِ إِنْ يَتَفَرَّقَا فَلَقَدْ غَدَا سَهْمُ ٱلسَّعَادَةِ فِيهِمَا مُسْتَجْمِعا
قَدْ أَدْرَكَ ٱلْإِسْلَامُ فِيكَ مُرَادَهُ فَلْيَهْنِكَ ٱلْفَرْعُ ٱلَّذِي لَنْ يَفْرَعا
سَبَقَتْهُ(٤) عَيْنُ ٱلشَّمْسِ عِلْمًا أَنَّهُ يُزْرِي بِبَهْجَتِهَا إِذَا طَلَعَا مَعا
لَوْ فَتَّرَتْ(٥) حَتَّى يَجِيءَ أَمَامَهَا فِتْرًا لَمَا أَمِنَ ٱلْوَرَى أَنْ تَرْجِعا

---

(١) فاستخلفت (ع) و (م)
(٢) شايفا ؟ (ع) و (م)
(٣) عنا (ع) و (م)
(٤) ستقيه (ع) و (م)
(٥) لو قرّبتْ حتى تجيء أمامها ؟ (ع) و (م)

ما غضَّ مِنهُ طُلوعُها مِنْ قَبلِهِ إذْ كانَ أَبهى في العُيونِ وَأَرفَعا
وَلَئِنْ سُقِينا الغَيثَ مِنْ بَركاتِهِ فَلَقَدْ سَقى الأَعْداءَ سُمّاً مُنْقَعا
وَهوَ ابْنُ أَرْوَعَ مُذْ رَأَيْنا وَجْهَهُ لَمْ نَلْقَ مِنْ صَرْفِ الزَّمانِ مُرَوِّعا
قَدْ ظَلَّ قَصْرُكَ مُشْبِلاً مِنْهُ فَعِشْ حَتّى تَراهُ مِنْ بَنِيهِ مُسْبِعا
فَهوَ الَّذي كَفَلَتْ لَهُ آلاؤُهُ أَلاَّ يُصِيبَ الحَمْدُ عَنْهُ مَدْفَعا
وَدَعا القُلُوبَ إِلى هَواهُ فَأَصْحَبَتْ(١) فَأَجابَ فِيهِ اللهُ دَعْوَةَ مَنْ دَعا
عَمَّتْ فَواضِلُهُ فَأَنْجَحَ سَعْيُ مَنْ يَبْغِي مَآرِبَهُ بِهِ مُسْتَشْفِعا
سَيَكُونُ في كَسْبِ(٢) المَعالي شافِعاً لَكَ مِثْلَما أَضْحى إِلَيْكَ مُشَفَّعا
رِيعَتْ لَهُ الأَمْلاكُ قَبْلَ رَضاعِهِ وَتَزَعْزَعَتْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَرَعْرَعا(٣)
سامٍ وَلَمّا يُسْمَ نَفّاعٌ(٤) وَلَمْ يَأْمُرْ وَساعٍ في العَلاءِ وَما سَعا
وَإِخالُهُ يَأْبى الثُّدِيَّ بِعِزَّةٍ حَتّى تَدُرَّ لَهُ الثَّناءَ(٥) فَيَرْضَعا
فَتَمَلَّ داراً بَلَّغَتْكَ سُعُودُها أَقْصى المُنى وَإِخالُها لَنْ تَقْنَعا(٦)

(١) فأصبحت (م)
(٢) كتب (ع) و (م)
(٣) ريعت به ... أن يتزعزعا (ع) و (م)
(٤) نفاعاً (ع) و (م)
(٥) السناء (ع) و (م)
(٦) لم تقفعا ؟ (ع) و (م)

حَتّىٰ تَرىٰ هٰذَا ٱلْهِلَالَ وَقَدْ بَدَا بَدْراً وَذَا ٱلْغُصْنَ ٱلْأَنِيقَ مُفَرَّعا
مُتِّعْتَ ما مَتَعَ ٱلنَّهـارُ بِقُرْبِهِ أَبَداً وَدَامَ بِكَ (١) ٱلزَّمانُ مُمَتَّعا
وَرَأَيْتَ مِنْهُ ما رَأىٰ مِنْكَ ٱلْوَرىٰ لِتَطِيبَ مَرْأىً فِي ٱلْبِلَادِ وَمَسْمَعا
وَلْيَهْنِ بَيْتاً (٢) نِعْمَةٌ وَهَبَتْ لَهُ شَرَفاً أَعَزَّ مِنَ ٱلسِّماكِ وَأَمْنَعا
أَزْرِي (٣) بِها إِنْ قُلْتُ خَصَّتْ عامِراً فَأَقُولُ بَلْ عَمَّتْ نِزاراً أَجْمَعا
خَضَعَتْ لِعِزَّتِكَ ٱلْقَبائِلُ رَهْبَةً وَمِنَ ٱلصَّوَابِ لِمُرْهِبٍ أَنْ يُخْضَعا
ظَلَّتْ تَخِرُّ مُلُوكُها لَكَ سُجَّداً وَيَعِزُّ أَنْ تُلْفىٰ لِغَيْرِكَ رُكَّعا
عَرَفُوا مَصالَكَ فِي ٱلْحُرُوبِ فَأَذْعَنُوا فَرَجَعْتَ بِٱلْفَضْلِ ٱلَّذِي لَنْ يُدْفَعا
وَكَسَوْتَهُمْ فِي ٱلسِّلْمِ غَيْرَ مُدافِعٍ أَضْعافَ ما سَلَبَتْ سُيُوفُكَ فِي ٱلْوَغا (٤)
فَأَبَدْتَهُمْ عِنْدَ ٱلتَّبارُزِ (٥) قاطِعاً وَأَفَدْتَهُمْ عِنْدَ ٱلتَّجاوُزِ مُقْطِعا
وَجَعَلْتَ شِقْوَتَهُمْ بِعَفْوِكَ نِعْمَةً وَأَحَلْتَ مَشْتاهُمْ بِفَضْلِكَ مَرْبَعا
تَرَكُوا ٱنْتِجاعَ ٱلْمُعْصِراتِ وَيَمَّمُوا ظِلّاً إِذَا ما ٱلْعامُ أَمْعَرَ أَمْرَعا
وَمَتىٰ يُشاطِرُكَ ٱلْعَلاءَ مُشاطِرٌ تَرَكَ ٱلْبَطِيءَ وَراءَهُ مَنْ أَسْرَعا

---

(١) لك (ل)
(٢) وهباً (ل)
(٣) أَنْزِرْ بها (ل)
(٤) الوغى : الجلبه والأصوات .
(٥) التنازر ؟ (ع) و (م)

تَرْقى [1] إليه كلَّ يومٍ فرسخاً وسواكَ يرْقى كلَّ يومٍ إصبعا
يا عُدَّةَ الخلفاء كَمْ لكَ مِنْ يدٍ قامَ الزّمانُ بها خطيباً مِصْقعا
خوّلْتَهُ النِّعمَ الجِسامَ فجاهلٌ مَنْ ظنَّهُ يُثني عليكَ تطوُّعا
بنداكَ واصلَ حمدَهُ مَنْ ذمَّهُ وسُطاكَ قدْ حفظتْ لهُ ما ضيَّعا
تتقاصرُ الآمالُ عمّا نلتَهُ ولو أنّها أمّتْهُ عادتْ ظُلَّعا
لأبيْتَ أنْ تجتابَ ثوبَ مناقبٍ حتّى تراهُ بالثّناءِ مُرصّعا
فأتاكَ أهلُ الأرضِ مِنْ آفاقِها رغباً لقدْ نادى نداكَ فأسمعا
يا بْنَ الّذين إذا تقاصرتِ الخُطى طالُوا خُطىً وظُبىً هناكَ وأذرُعا
أحللْتَ قومَكَ رُتبةً لا تُرتقى إنَّ المَجرّةَ روضةٌ لنْ تُرتعا
فليَعلُ قدرُ التُّركِ أنّكَ منهمُ فلهُمْ بكَ الشّرفُ الّذي لا يُدّعا [2]
قدْ دانتِ الدُّنيا لحُكمِكَ هيبةً فحكَمْتَ في أقطارِها مُتربِّعا [3]
مُذْ [4] سارَ في الآفاقِ ذكرُكَ مُوضِعاً لمْ يخْلُ مِنْ خوفِ انتقامِكَ مَوضعا
يفديكَ مُنكمِشٌ بعيدٌ شأوُهُ ومُضجَّعٌ جعلَ الهُوينا مضجعا

(١) يرقى ؟ (ع) و (م)
(٢) لن يُدّعى (ع) و (م)
(٣) مترفعا (ل)
(٤) قد ... (ع) و (م)

وَمُؤَمِّلٌ أَلْفَاكَ مُنْتَجِعاً لَهُ ... وَمُرَوَّعٌ لَمْ يَلْقَ غَيْرَكَ مَفْزَعا
غَمَرَتْ ثَنَائي (١) مِنْ لَدُنْكَ مَوَاهِبٌ ... ما غادَرَتْ فيهِ لِغَيْرِكَ مَطْمَعا
قَدْ كانَ أَشْكَلَ نَهْجُهُ فِيما مَضَى ... فَجَعَلْتَهُ بِنَدَاكَ نَهْجاً مَهْيَعا
وَالْحَمْدُ عَنْكَ مُقَصِّرٌ مَعَ أَنَّنِي ... لَمْ أُبْقِ فِي قَوْسِ الْمَحامِدِ مَنْزَعا

٥٩

وقال يمدحه ويذكر ظفره بشبل الدولة (٢) ووصول رأسه الى دمشق في شعبان من سنة تسع وعشرين واربعماية .

هَلْ بَعْدَ فَتْحِكَ ذا لِباغٍ مَطْمَعُ ... لِلّهِ هٰذَا الْعَزْمُ ماذا يَصْنَعُ
ما زالَ يَرْفَعُ لِلْخِلافَةِ سَيْفُها ... مُنْذُ انْتَضَتْهُ رايَةً لا تُوضَعُ
بِالْجِدِّ تُثْنِي الْحادِثاتِ فَتَنْثَنِي ... وَالْجِدُّ يَقْتادُ الْحُرُونَ فَيَتْبَعُ
لا يَأْمَنَنَّ سُطاكَ ذُو جَهْلٍ بِها ... ما لِلْقَضاءِ وَلا لِأَمْرِكَ مَدْفَعُ
باغِي النُّجُومِ مُبَيِّنٌ عَنْ عَجْزِهِ ... وَمُصارِعُ اللَّيْثِ الْغَضَنْفَرِ يُصْرَعُ
فِي قَتْلِكَ الْأَسَدَ (٣) الَّذِي راعَ الْوَرَى ... لَوْلا سَفاهَةُ شِبْلِهِ (٤) ما يَرْدَعُ

(١) بناني ؟ (ع) و (م) ولعل صوابه بياني .
(٢) هو نصر بن صالح بن مرداس . انظر الحاشية رقم (٣) ص (٧١)
(٣) يريد بالأسد : أسد الدولة صالح بن مرداس الكلابي والد شبل الدولة حاربه أمير الجيوش أنوشتكين الدزبري فانجلت المعركة عن مقتله في الأقحوانة قرب طبرية سنة (٤٢٠)
(٤) حلمه (ع) و (م)

وَأَرَى ٱبْنَ صالِحٍ (١) ٱسْتَغَرَّ بِجَهْلِهِ ... إِنَّ ٱلْجَهالَةَ فِي ٱلْمَكارِهِ تُوقِعُ
لَمْ يَلْقَ (٢) عَنْها وَازِعاً مِنْ رَأْيِهِ ... حَتَّى ٱنْبَرَتْ أَعْضاؤُهُ تَتَوَزَّعُ
فَلَئِنْ أَبَى أَنْ يَسْتَجِيرَكَ نَخْوَةً ... فَلَقَدْ أَتَى (٣) وَلَهُ قِيادٌ طَيِّعُ
رَأْسٌ تُراعُ لَهُ ٱلْعُيُونُ وَلَمْ تَزَلْ ... قَبْلَ ٱلْعُيُونِ (٤) بِهِ ٱلْقُلُوبُ تُرَوَّعُ
وَرَأَى ٱلتَّخَلِّي عَنْ حَماةَ (٥) شَناعَةً ... وَمُقامُ جُثَّتِهِ عَلَيْها أَشْنَعُ
مُتَخَطِّفٌ لَمْ يُغْنِ (٦) عَنْهُ قَوْمُهُ ... شَيْئاً بَلِ ٱنْدَفَعُوا وَقَدْ قِيلَ ٱدْفَعُوا
وَثَنَى شَبِيباً عَنْهُ صِهْرٌ خانَهُ (٧) ... فَإِذا ٱلصَّهارَةُ عِنْدَهُ لا تَنْفَعُ
مَنْ رامَ مُعْتَصَماً سِواكَ فَجَمْعُهُ ... مُتَصَعْصِعٌ وَبِناؤُهُ مُتَضَعْضِعُ (٨)
أَذْكَيْتَها بِٱلسُّمْرِ تَعْسِلُ شُرَّعاً ... وَٱلْبِيضِ تَلْمَعُ وَٱلْمَذاكِي تَمْزَعُ (٩)

---

(١) يريد بابن صالح : شبل الدولة .
(٢) لم تلق ... (ع) و (م)
(٣) أبي (ع) و (م)
(٤) المنون (ل)
(٥) حماه (ع) و (م)
(٦) لم تغن (ع) و (م)
(٧) وثنى شبيباً عنه طعنٌ صَيْهَدٌ (ل) والصيهد الحار . وشبيب بن وثّاب النميري صهر شبل الدولة أخو زوجه علوية « الكامل لابن الأثير ٩/٨٠ »
(٨) لم يرد هذا البيت في (ع) ولا في (م)
(٩) لم يرد هذا البيت (ل)

هَيْجاءَ لَمْ تُشْكِلْ عَجائِزَ عامِرٍ ... إلاَّ وَأُمُّ ٱلْمَوْتِ فِيها مُتْبِعُ

ما إِنْ تَخاذَلَتِ ٱلْجَماجِمُ وَٱلطُّلى ... حَتّى تَناصَرَتِ ٱلظُّبي وَٱلْأَذْرُعُ (١)

كانَتْ صَلاةً وَٱلشِّعارُ (٢) إِقامَةً ... وَٱلْهامُ تَسْجُدُ وَٱلصَّوارِمُ تَرْكَعُ

إِذْ هامُهُمْ كَٱلطَّيْرِ لاقَتْ مَشْرَعاً ... بَعْضٌ مُحَلِّقَةٌ وَبَعْضٌ وُقَّعُ

ظَنُّوا وَمِيضَ ٱلْبَرْقِ بارِقَ نُجْعَةٍ ... ما تَحْتَ كُلِّ وَمِيضِ بَرْقٍ مَرْتَعُ

قَدْ أَسْمَعَتْ هٰذِي ٱلظُّبي مَنْ لا يَرى ... آثارَها وَأَرَيْنَ مَنْ لا يَسْمَعُ

لَوْلا تَقادُمُها لَقُلْنا إِنَّهـا ... لا شَكَّ مِنْ عَزْمِ ٱلْمُظَفَّرِ تُطْبَعُ

لَمّا جَعَلْتَ صَلِيلَها عَذْلاً لَهُمْ ... إِنَّ ٱلْمَلامَ بِغَيْرِها (٣) لا يَنْجَعُ

وَلَّوْا وَأَكْثَرُ قَوْلِ مَنْ فاتَ ٱلْوَغى ... ما فِي ٱلْحَياةِ لِعامِرِيٍّ مَطْمَعُ (٤)

مِنْ كُلِّ مَسْلُوبِ ٱلْبَصِيرَةِ خانَهُ ... حُسْنُ ٱلْعَزاءِ وَلَمْ (٥) تَخُنْهُ ٱلْأَدْمُعُ

نَعَمٌ تَقَسَّمَها ٱلْفَيافِي وَٱلرَّدى ... نَفْياً وَعَقْراً وَٱلْعَوالِي شُرَّعُ

فَلِمَنْ مَضى زَجْرٌ بِأَلْسِنَةِ ٱلْقَنا ... مِنْهُمْ (٦) وَلِلثّاوِي مُناخٌ جَعْجَعُ

---

(١) والأذرع (ل)

(٢) والشفار (ع) و (م)

(٣) بغيره (ل)

(٤) على هامش (ل) ما مثاله (لعامرٍ مستمتَعُ)

(٥) فلم (ع) و (م)

(٦) فيهم (ع) و (م)

وَفَشَتْ جِراحٌ كانَ أَخْطَرَ مَوْقِعاً منْها وَأَنْكى ما تُجِنُّ الْأَضْلُعُ
كَفَلَتْ لِكُلِّ تَنُوفَةٍ مَرُّوا بِها أَلاَّ تَجُوعَ ذِئابُهـا وَالْأَضْبُعُ
سُلِبُوا بِهَبَّاتِ الْجَهالَةِ مُلْكَهُمْ إِنَّ الْهِباتِ بِكُفْرِها تُسْتَرْجَعُ
فَلْيَذْهَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ فَلْيَرْجِعُوا فَالْأَرْضُ واسِعَةٌ وَعَفْوُكَ أَوْسَعُ
ما أَزْمَعُوا هَرَباً وَلاَ فُلُّوا شَباً إِلاَّ وَأَنْتَ عَلَى التَّرَجُّلِ (١) مُزْمِعُ
وَالْعَزْمُ إِلاَّ ما عَزَمْتَ مُفَلَّلٌ وَالْمُلْكُ إِلاَّ ما حَفِظْتَ مُضَيَّعُ
أَبَنِي كِلابٍ إِنَّ عِزَّكُمُ وَهَى فَخُذُوا بِأَحْكامِ الْمَذَلَّةِ أَوْ دَعُوا
أَعَنِ الرَّشادِ تَلَوُّمٌ وَتَأَخُّرٌ (٢) وَإِلَى الْفَسادِ تَقَدُّمٌ وَتَسَرُّعُ
طالَ الْعُرامُ بِكُمْ أَلَمَّا تَعْلَمُوا أَنَّ الْعَرامَةَ بِالصَّرامَةِ تُقْدَعُ (٣)
وَنَحَتْ (٤) نُمَيْرُكُمُ فَأَلاَّ دافَعَتْ وَالْمَوْتُ فِيكُمْ طاعِمٌ لاَ يَشْبَعُ
مَنَعَتْهُمُ مِنْ وَصْلِهِمْ أَرْحامَكُمْ رُؤْياهُمُ أَوْصالَكُمْ (٥) تَتَقَطَّعُ
حَتَّى إِذا أَسَرَ الْخَمِيسُ رِجالَكُمْ (٦) وَمَضَى نَعامٌ فِي الْهَزائِمِ مُسْرِعُ (٧)

(١) الترحّل (ل) (٢) ... تأخر وتلوّم (ل)
(٣) تقذع (ع) و (م)
(٤) ونحت نمير لكم (ل) ونجت نميركم (مختارات البارودي)
(٥) أوصالهم (ل)
(٦) حماتهم (ل)
(٧) يسرع (ل)

أَخَذَ ٱلْوَثاقُ وَهُمْ بِهِ مِيثاقُهُمْ ... أَلاَّ يُجِيبُوا ٱلْمُسْتَغِيثَ إِذا دُعُوا

يَتَخَيَّلُ(١) ٱلْبَطَلُ ٱلْكَمِيُّ(٢) إِذا رَأَى ... إِقْدامَ جَيْشِكَ أَنَّهُ ما يَشْجُعُ

عَوَّدْتَهُمْ فَرْسَ ٱلْكُماةِ لَدَى ٱلْوَغَى ... فَأَقَلُّ مَنْ فِيهِمْ هُمامٌ أَرْوَعُ

وَبَنُو عَدِيٍّ حِينَ خالَطَتِ ٱلظُّبَى ... وَٱلْيَوْمُ مِنْ نَقْعِ(٣) ٱلْحَوافِرِ أَسْفَعُ

ضاقَتْ مَسالِكُها فَأَشْرَعَتِ ٱلْقَنا ... إِنَّ ٱلْوَشِيجَ لِمُشْرِعِيهِ مُوسَّعُ

وَبِبَعْضِ ما بَلَغَتْ مَساعِي رافِعٍ(٤) ... تُحْوَى ٱلنَّباهَةُ وَٱلْمَحَلُّ ٱلْأَرْفَعُ

مَنَعَ أَبْنُ جَوْشَنٍ ٱلذِّمارَ بِحَيْثُ لاَ ... يَحْوِي عِنانَ ٱلْعِزِّ مَنْ لاَ يَمْنَعُ

وَحَماهُ مِنْ كَلَبِ ٱلْعَدُوِّ وَقَدْ عَلاَ ... رَجُلٌ تَكادُ لَهُ ٱلْجِبالُ تَصَدَّعُ

وَثَباتُهُ وَٱلْخَوْفُ قَدْ قَصَرَ ٱلْخُطَى ... وَثَباتُهُ حِينَ(٥) ٱلذُّرَى تَتَزَعْزَعُ

جَرَّدْتَهُ عَضْباً سَواءٌ عِنْدَهُ ... يَوْمَ ٱلْكَرِيهَةِ حاسِرٌ وَمُدَرَّعُ

فَإِذا رَمَيْتَ بِهِ عِدًى فِي مَأْزِقٍ ... فَبِغَيْرِ رَأْسِ عَظِيمِهِمْ(٦) لاَ يَرْجِعُ

---

(١) يتخبّل (ع) و (م)

(٢) الجريء (ل)

(٣) وقع الحوافر (ل)

(٤) هو رافع بن أبي الليل أمير الكلابيين دخل في طاعة الفاطميين وكان مع أنوشتكين الدزبري في وقعة الأقحوانة وفي فتح حلب .

« ابن القلانسي ٧٣ و ٧٥ »

(٥) في هامش (ع) و (م) حق .

(٦) ما يرجع (ع) و (م)

أَوَ كيفَ لا يمضي[1] الحُسامُ بكفِّ مَنْ ما زالَ يَضربُ بالكِهامِ فيَقطعُ
نالَتْ جَنابٌ[2] في جَنابِكَ سُؤلَها فلها مَصيفٌ في ذَراكَ ومَرْبَعُ
لا تَشتكي جَدْباً ورَوضُكَ مُمْرِعٌ كلَّا ولا ظَمأً وحَوضُكَ مُترَعُ
ولَقَدْ أَبانتْ طَيِّئٌ عن رُشْدِها واليَومَ تَخفِضُ بالفَعالِ وتَرفَعُ
ما ضَرَّهُمْ لُقْيا القَنا بجُلودِهِمْ وعليهِمُ مِنْ حُسْنِ رأيِكَ أَدْرُعُ
إذْ ظَلَّ غَلَّابٌ[3] يَذودُ حُماتَهُمْ إنَّ التَّقرُّبَ مِنْ رِضاكَ يُشجِّعُ
وغَداً تَرى حَسَّانَ[4] يفعَلُ فِعْلَهُ إنْ كانَ فيهِمْ للأَسِنَّةِ مَشْرَعُ
فأَبٌ بعفوِكَ يقتَفي أَثَرَ ابْنِهِ وابْنٌ لوالِدِهِ بسيفِكَ يَتْبَعُ
هٰذا هُوَ الشَّرَفُ الذي لا يُرْتَقى أَبداً وذا المَجْدُ الذي لا يُفْرَعُ
ظَلِّلْ بسُحْبِكَ طَيِّئاً[5] لتَجُودَها مِنْ جُودِ كَفِّكَ دِيمَةٌ لا تُقْلِعُ
عَرَبٌ مَضَتْ أَحكامُ عِزِّكَ فيهِمُ طَوْراً تُفرِّقُهُمْ وأُخرى تَجمَعُ
مَرَنَتْ على خَطْمِ المَوارِنِ عِندَما رأَتِ الخَناجِرَ[6] في خِلافِكَ تُجْدَعُ

(١) أو كيف ما يمضي ... (ع) و (م)
(٢) بنو جناب . انظر الحاشية رقم (١) ص (١٦٩)
(٣) غلاّق (ل) ويظهر من سياق الكلام أن غلاّباً هو ابن حسّان الطائي.
(٤) هو حسّان بن المفرّج الطائي . انظر الحاشية رقم (٢) ص (٢١٤)
(٥) طيّباً (ع) و (م) وهو تصحيف .
(٦) كذا . وفي (ل) الحناجر . وكلاهما تصحيف والصواب (المناخر)

لَمْ يَخْلُ مِنْ فَرَحٍ بِنَصْرِكَ فَلْيَدُمْ قَلْبٌ وَلاَ مِنْ ذِكْرِ فَتْحِكَ مَوْضِعُ
فَتْحٌ جَلِيلٌ فِي ٱلنُّفُوسِ وَإِنَّهُ سَيَقِلُّ عِنْدَ وُقُوعِ مَا يُتَوَقَّعُ
فِي بَعْضِ مَا بَلَغَ ٱعْتِزَامُكَ مَقْنَعٌ لَوْ أَنَّ هِمَّتَكَ ٱلْعَلِيَّةَ تَقْنَعُ
لَكَ عَزْمَةٌ كَٱلسَّيْفِ بَلْ أَمْضَى شَباً مِنْ رُتْبَةٍ كَٱلشَّمْسِ بَلْ هِيَ أَرْفَعُ
حَاوِلْ بِهَا أَيَّ ٱلْمَمَالِكِ شِئْتَهُ إِنَّ ٱلطَّرِيقَ إِلَى ٱبْتِغَائِكَ مَهْيَعُ
وَٱنْظُرْ إِلَى حَلَبٍ بِنَاظِرِ رَحْمَةٍ فَشَفِيعُهَا عِنْدَ ٱلْمُلُوكِ مُشَفَّعُ
أَرْضٌ يُطِلُّ(١) عَلَى ٱلْمَمَالِكِ رَبُّهَا(٢) فَيَضُرُّ مِنْهَـا مَا يَشَاءُ وَيَنْفَعُ
فَٱنْهَضْ إِلَيْهَا نَهْضَةً عَضُدِيَّةً مَا مِثْلُ رَأْيِكَ بِٱلزَّخَارِفِ يُخْدَعُ
لَا تَتَّخِذْ رُسُلاً سِوَى بِيضِ ٱلظُّبَى فَشِفَارُهَا أَبَداً بِأَمْرِكَ تَصْدَعُ
فَهُنَاكَ أَبْصَارٌ تَظَلُّ شَوَاخِصاً شَوْقاً إِلَيْكَ وَأَنْفُسٌ تَتَطَلَّعُ
تَفْدِيكَ لَا مُمْتَنَّةً بِنُفُوسِهَا مِنْ كُلِّ حَادِثَةٍ تَجِلُّ وَتَفْظَعُ
أَمْ إِذَا رَغِبُوا فَأَنْتَ ٱلْمُجْتَدَى فِيهِمْ وَإِنْ رَهِبُوا فَأَنْتَ ٱلْمَفْزَعُ
أَمَّنْتَهُمْ وَقَتَلْتَ مَنْ رِيعُوا بِهِ فَلِذَاكَ مَا لَهُمُ ٱلْغَدَاةَ مُرَوِّعُ
مَلِكَ ٱلْمُلُوكِ وَمَنْ أَحَقُّ بِدَعْوَتِي مِمَّنْ تَذِلُّ(٣) لَهُ ٱلْمُلُوكُ وَتَخْضَعُ

---

(١) يظل (ل) و (م)
(٢) ربُّها (ع) و (م)
(٣) يذل (ل)

قَدْ ظَلَّ فِي الْآفَاقِ ذِكْرُكَ نَافِذاً ... فَوَاقِعُ الْأَقْدَارِ حِينَ تُوَقِّعُ
لَوْ كُنْتَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ وَإِنْشَاؤُ ... بِالْمُعْجِزَاتِ السَّابِقُ الْمُسْتَتْبِعُ(١)
لَأَقَمْتَ مِنْ حُجَّابِ قَصْرِكَ قَيْصَراً ... وَلَكَانَ مِنْ أَتْبَاعِ مُلْكِكَ تُبَّعُ
تَزْدَادُ(٢) مَجْداً كُلَّمَا قَالَ الْوَرَى ... لَمْ يَبْقَ فِي قَوْسِ السِّيَادَةِ مَنْزَعُ
وَعَلَى الْخِلَافَةِ مِنْ مَآثِرِ سَيْفِهَا ... تَاجٌ بِدُرِّ الْمَكْرُمَاتِ مُرَصَّعُ
مَنْ ذَا يُطَمِّعُ نَفْسَهُ بِفَضِيلَةٍ ... وَإِلَيْكَ تَنْتَسِبُ الْفَضَائِلُ أَجْمَعُ
وَالْهِمَّةُ الْبِكْرُ الَّتِي لَمْ تُفْتَرَعْ(٣) ... خَصَّتْكَ بِالشَّرَفِ الَّذِي لَا يُفْرَعُ
يَا مَنْ تَفَرَّدَ بِالْعُلَى فَصِفَاتُهُ ... لَا تُدَّعَى وَصَفَاتُهُ لَا تُقْرَعُ
إِنْ كَانَ فِي الدُّنْيَا ثَنَاءٌ خَالِدٌ ... يَبْقَى عَلَيْكَ فَمَا أَقُولُ وَتَسْمَعُ
فَبَقِيتَ تُبْدِعُ فِي الْفَعَالِ فَإِنَّنِي ... فِي الْقَوْلِ يَا شَرَفَ الْمَعَالِي أُبْدِعُ

* * *

(١) المتتبع (ع) و (م)
(٢) يزداد (ع) و (م)
(٣) لم تقترع (ل)

٦٠

وقال(١) يمدحه ويهنيه بعيد الفطر من سنة سبع وعشرين وأربع مائة

كَذَا فِي طِلَابِ ٱلْمَجْدِ فَلْيَسْعَ مَنْ سَعَى | بَلَغْتَ ٱلْمَدَى فَلْيَغْطْ فَخْرُكَ مَا ٱدَّعَى
مَدًى لَوْ تُجَارِيكَ ٱلرِّيَاحُ تَؤُمُّهُ | لَخَلَّفَهَا ٱلتَّقْصِيرُ حَسْرَى وَظُلَّمَا
فَلَسْتَ تَرَى طَرْفًا إِلَى ٱلْمَجْدِ طَامِحًا | سِلَا ٱلنَّاسُ عَمَّا لَمْ تَدَعْ(٢) فِيهِ مَطْمَعَا
إِذَا مَا مُلُوكُ ٱلْأَرْضِ تِيهًا تَرَفَّعُوا | كَفَاكَ عُلُوُّ ٱلْقَدْرِ أَنْ تَتَرَفَّعَا
وَإِنَّكَ إِنْ عَنَّتْ(٣) غِمَارٌ مِنَ ٱلرَّدَى | لَأَوْرَدُهُمْ مَا لَمْ تَرَ(٤) ٱلْعَارَ مَشْرَعَا
وَأَمْنَعُهُمْ حِزْبًا(٥) إِذَا ٱشْتَجَرَ ٱلْقَنَا | وَأَنْدَاهُمُ تُرْبًا إِذَا ٱلْغَيْثُ أَقْلَعَا
وَحَاشَاكَ أَنْ يَغْشَاكَ عَجْزُ أَبَاتِهِمْ(٦) | مَدَى ٱللَّيْلِ عَنْ سَارِي هُمُومِكَ هُجَّعَا
تَبِيتُ ٱلْعِتَاقُ ٱلْقُبُّ تَحْتَ سُرُوجِهَا | لِتُرْسِلَهَا فِي غُرَّةِ ٱلصُّبْحِ مُزَّعَا(٧)

---

(١) وردت هذه القصيدة في (ل) أولى قصائد قافية العين ، وعنوانها هناك كما يلي : «قال يمدح الأمير الأجل أمير الجيوش المظفر ويهنيه بعيد الفطر سنة سبع وعشرين وأربعماية»

(٢) يدع ؟ (ع) و (م)

(٣) عمّت (م)

(٤) ما لم ير (ع) و (م)

(٥) حرباً (ل)

(٦) عجزاً بأنهم ؟ (ل)

(٧) نُزّعا (مسالك الأبصار ج ١٠)

وَتَمْنَعُ مَا تَحْوِي لِتُعْطِيَهُ نَدىً ... وَغَيْرُكَ لَا يَنْفَكُّ[1] يُعْطي لِيَمْنَعا
وَلَمَّا تَعدَّى الدَّهْرُ بِالْأَمْسِ طَوْرَهُ ... فَأَحْدَثَ خَطْباً مَا أَجَلَّ وَأَفْظَعا[2]
وَقَدْ أَصْبَحتْ أُمُّ الْعَزاءِ لِمَا عَرا ... سَلُوباً وَأُمُّ الْهَمِّ وَالرُّعْبِ مُتْبِعا
أَحَلْتَ شَدِيدَ الْخَوْفِ أَمْناً لِوَقْتِهِ ... فَأَضْحَكَ مَنْ أَبْكَى[3] وَبَشَّرَ مَنْ نَعا
تَدارَكْتَ يَا سَيْفَ الْإِمَامَيْنِ دِينَنا ... وَقَدْ كَرَبَتْ أَرْكَانُهُ أَنْ تَضَعْضَعا
بِرَأْيٍ مَتَى أَعْمَلْتَهُ فِي مُلِمَّةٍ ... فَكَمْ[4] يَرْجِعُ الْعَاتِي بِهِ مُتَضَرِّعا
إِذَا خُدِعَتْ آرَاءُ قَوْمٍ أَبَى لَهُ ... مُهَذَّبُهُ[5] أَنْ يُسْتَزَلَّ فَيُخْدَعا
أَخَذْتَ عَلَى مَنْ ضَمَّ شَامُكَ بَيْعَةً ... بِها[6] أَمِنُوا الْأَمْرَ الَّذِي كَانَ أَجْزَعا
جَمَعْتَ بِهَا الْأَهْوَاءَ لَمَّا تَفَرَّقَتْ ... وَفَرَّقْتَ شَمْلَ الْغَيِّ[7] لَمَّا تَجَمَّعا
فَلَلْتَ ظُبَى الْأَيَّامِ لَمَّا جَعَلْتَهَا ... عَلَى الْهامِ وَالْأَجْسامِ بِيضاً وَأَدْرُعا
دَعاكَ لَهَا مُسْتَنْصِرُ اللّهِ دَعْوَةً ... فَلَبَّيْتَهُ قَبْلَ الْخَلائِقِ مُسْرِعا

---

(١) ما ينفك (ل) و (مسالك الأبصار)
(٢) وأقطعا ؟ (م)
(٣) ما أبكى (ل)
(٤) فلم يرجع العاني (ل)
(٥) مهذبة (ع) و (م)
(٦) لها (ع) و (م)
(٧) البغي (ل)

فَلَمْ تَأْلُ أَنْ أَوْقَعْتَ بِالْإِفْكِ كُلَّ ما يَخافُ (١) وَأَمَّنْتَ الْهُدى ما تَوَقَّعا
وَلَوْ أُمْهِلَتْ تِلْكَ الْأَباطِيلُ ساعَةً لَأَبْقى شَباها مارِنَ الْحَقِّ أَجْدَعا
وَقَدْ عَلَتِ الْأَصْواتُ حَتَّى رَدَدْتَها بِحَزْمِكَ مِنْ تَحْتِ الْحَيازِيمِ خُشَّعا
فَمُدَّتْ لَكَ الْأَيْدِي وَلَوْ أَنَّها أَبَتْ لَمُدَّتْ رِقابٌ (٢) لِلصَّوارِمِ خُضَّعا
وَلَوْ عَمِيَتْ عَمَّا أَرَيْتَ بَصائِرٌ لَبَصَّرْتَها بِالْقَعْضَبِيَّةِ لُمَّعا
مَساعٍ حَلَبْتَ الدَّهْرَ فِيها شُطُورَهُ وَلَمْ تُبْقِ فِي قَوْسِ السِّيادَةِ مَنْزَعا
وَما زِلْتَ عَنْ حَقِّ الْأَئِمَّةِ دافِعاً حَوادِثَ لَمْ يَعْرِفْ (٣) لَها النَّاسُ مَدْفَعا
فَإِنْ أَضْرَبُوا عَنْ ذِي الْفَقارِ فَبَعْدَما أَصابُوكَ أَجْرى مِنْهُ حَدّاً وَأَقْطَعا
وَإِنْ نِلْتَ هٰذا الْمُرْتَقى وَهْوَ لَمْ يَنَلْ فَلَمْ تَرْقَ حَتَّى رُقْتَ مَرْأًى وَمَسْمَعا
وَمُنْذُ اصْطَفاكَ الْمُلْكُ أَلْفاكَ مَوْئِلاً لَهُ وَلَنا فِيما أَلَمَّ وَمَفْزَعا
وَمُذْ ذُدْتَ عَنْ إِرْثِ الْإِمامَةِ (٤) مَنْ طَغى بِسَيْفِكَ أَضْحى رَوْضَةً لَيْسَ تُرْتَعا (٥)
تَحَدَّيْتَ (٦) أَهْلَ الْبَغْيِ حَتَّى أَصَرْتَهُمْ لِأَمْرِكَ مِمَّنْ (٧) ما بَغى قَطُّ أَطْوَعا

(١) تخاف (م)
(٢) رقاباً (ع) و (م)
(٣) لم تعرف (ع) و (م)
(٤) الخلافة (ل)
(٥) روضةٌ ليس يُرْتَعى (ل)
(٦) تخبت ؟ (ل) ولعلها تحيَّنت
(٧) لأمرك فيمن ما بغى .. (ل)

وَأَدْنَيْتَ بِالْجَدْوَى أَمَانِيَّ لَمْ تَزَلْ ... إِلَيْكَ عَلَى بُعْدِ الْمَسَافَةِ نُزَّعَا
فَدَانَتْ (١) لَكَ الدُّنْيَا وَأَعْطَاكَ أَهْلُهَا ... قِيَاداً عَلَى رَغْمِ الْمَعَاطِسِ طَيِّعَا
وَكَمْ مَازِقٍ (٢) رَدَّ النَّدَى لَكَ وَجْهَهُ ... وَقَدْ طَالَمَا وَلَّاكَ لِلْخَوْفِ أَخْدَعَا
وَلَوْ لَمْ تُمِيلْهُ إِلَى الْبِرِّ عَنْوَةً ... لَأَوْجَفَ فِي نَهْجِ الْعُقُوقِ وَأَوْضَعَا
لَقَدْ فَازَ مَنْ أَلْقَى إِلَيْكَ عِصِيَّهُ ... كَمَا خَابَ مَنْ لَمْ يُبْقِ لِلْعَفْوِ مَوْضِعَا
وَمَا زِلْتَ دُونَ الدِّينِ قِدْماً مُقَارِعاً ... نَوَائِبَ لَوْ قَارَعْنَ رَضْوَى تَصَدَّعَا
أَقَمْتَ لَهَا سُوقَ الطِّعَانِ وَلَمْ تُقِمْ ... دَعَائِمَ هٰذَا الدِّينِ (٣) كَالسُّمْرِ شُرَّعَا
وَلَوْ لَمْ تَذُدْ عَنْهُ الْخُطُوبَ بِقُوَّةٍ ... لَمَا أَمِنَتْ تِلْكَ الْقُوَى أَنْ تَقَطَّعَا
فَتَحْتَ مُلُوكِ الْخَافِقَيْنِ أَسِرَّةٌ ... تَزَعْزَعُ خَوْفاً إِنْ قَنَاكَ تَزَعْزَعَا
عَزَائِمُ لَمْ تُؤْمِنْ (٤) عَوَادِيهَا الْعِدَى ... وَتُؤْمِنُ (٤) مَا أَمْضَيْتَ أَنْ يَتَتَبَّعَا
لَئِنْ قَبُحَتْ فِي عَيْنِ شَانِيكَ مَنْظَراً ... لَقَدْ حَسُنَتْ عِنْدَ الْخِلَافَةِ مَوْقِعَا
وَإِنْ أَسِدَتْ ذُؤْبَانُ ذُبْيَانَ فَاحْتَمَتْ ... فَكَمْ رَوَّعَتْ (٥) مِنْ طَيِّئٍ رُوعَ أَرْوَعَا

(١) ودانت ... (ل)
(٢) كذا في (ع) و (م) ولعله : « وكم مارقٍ ... » والبيت كله لم يرد في (ل)
(٣) هذا الشرع (ل)
(٤) كذا والأظهر أن تكون (لَمْ تأمَنْ) و (وَتأمنُ)
(٥) طوّعت (م)

سَلَبْتَهُمُ فَخْراً تَلِيداً وَنَخْوَةً حَصَاناً مِنَ الْعَدْوَى وَعِزّاً مُمَنَّعا

وَمَا مَلَكُوا مِنْ عَهْدِ عَادٍ وَتُبَّعٍ بِحَدٍّ ظُبىً يَذْكُرْنَ عَاداً وَتُبَّعا

قَوَاطِعَ مَا تَنْفَكُّ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ تُمِيتُ لِتُحْيِي أَوْ تَضُرُّ لِتَنْفَعا

وَكَانُوا هُمُ الْحَيَّ اللَّقَاحَ(١) فَغُودِرُوا بِهَا لِلِقَاحِ الذُّلِّ وَالضَّيْمِ مَرْتَعا

وَلَا رَاحَةٌ لِلْقَوْمِ مِنْ فَتْكِ(٢) رَاحَةٍ يَطُولُ الْقَنَا فِيهَا وَإِنْ كَانَ أَذْرُعا

إِذَا الْعَزْمُ كَفَّ الدَّهْرَ عَنْ غُلَوَائِهِ فَلَمْ يُدْنِ مَنْ أَقْصَى وَلَا رَاعَ مَنْ رَعَا

أَقَلْتَ عِثَارِي لَا عَرَتْكَ مُلِمَّةٌ فَقَالَ لَعاً مَنْ قَالَ مِنْ قَبْلُ لَا لَعا

وَجُدْتَ بِإِدْنَائِي ابْتِدَاءً وَلَمْ تَزَلْ تَجُودُ إِذَا الْمَسْؤُولُ ضَنَّ تَبَرُّعا

وَلَمَّا أَبَيْتُ الشَّافِعِينَ لِمَنِّهِمْ وَجَدْتُ شَفِيعاً مِنْ عُلَاكَ مُشَفَّعا

فَعَاوَدَ إِعْدَامِي بِظِلِّكَ لَا انْطَوَى ثَرَاءً وَمُصْطَافِي بِرَبْعِكَ مَرْبَعا

وَأَصْبَحَ حَوْضِي فِي(٣) جَنَابِكَ مُتْرَعاً عَلَاءً وَرَوْضِي مِنْ سَحَابِكَ مُمْرِعا

فَجُدْ بِالْعَطَايَا عَنْ حِيَاضٍ مَلَأْتَهَا كَفَانِي نَوَالاً أَنْ أَقُولَ وَتَسْمَعا

فَمَا طَلَبِي الْمَعْرُوفَ إِلَّا غَنِيمَةٌ لَدَيْكَ وَقَدْ حُزْتُ الْعُلَى وَالْغِنَى مَعا

---

(١) اللَّقاح : بالفتح الحي الذين لا يدينون للملوك أو لم يصبهم في الجاهلية سباء . واللِّقاح بالكسر الإبل .

(٢) قبل (ع) و (م)

(٣) من (ل)

أَيادٍ تُبارِي ٱلْغَيْثَ إِبَّانَ هَطْلِهِ   وَتَخْلُفُهُ فِينا إِذا هُوَ أَقْلَعا (١)
وَزَعْتُ رَجائِي عَنْ سِواكَ بِبَعْضِها   وَلَوْلاكَ أَضْحَى فِي ٱلْوَرَى مُتَوَزَّعا
وَكَيْفَ يُؤَدِّي ٱلْحَمْدُ فَرْضَ جَمِيعِها   وَأَيْسَرُها يَسْتَغْرِقُ ٱلْحَمْدَ أَجْمَعا
وَمالِيَ لا أُثْنِي عَلَيْكَ بِبَعْضِ ما   أَنَلْتَ وَقَدْ أَثْنَى ٱلْجَمادُ تَطَوُّعا
فَدُمْتَ لِهٰذا ٱلْعِيدِ ما دامَ وَٱنْكَفَى   بِرَغْمِ ٱلْعِدَى مُسْتَقْبَلاً وَمُشَيَّعا
وَلا زالَ فِيهِ مُسْتَجاباً دُعاءُ مَنْ   دَعا لَكَ ما لَبَّى ٱلْحَجِيجُ وَما دَعا
فَكَمْ مُسْتَقِلٍّ عَنْكَ ما تَرَكَتْ لَهُ   إِلَيْكَ عَطاياكَ ٱلْجَسِيمَةُ (٢) مَرْجِعا
وَما أَحْسَنَ ٱلْعافِي بِعَيْنِكَ قادِماً   وَأَقْبَحَهُ فِيهـا إِذا هُوَ وَدَّعا
فَدُونَكَها ما أَطْلَعَتْها صَحِيفَةٌ   كَما (٣) ظَنَّها ذُو ٱلْفَضْلِ لِلْفَضْلِ مَطْلَعا
إِذا قَلَّ عَرْفُ ٱلْمِسْكِ مِنْ طُولِ لُبْثِهِ   أَجَدَّ لَها مَرُّ (٤) ٱللَّيالِي تَضَوُّعا
سَقَى رَوْضَها غَيْثُ ٱلْمَعالِي (٥) وَضُمِّنَتْ   حَدِيثاً إِذا ما سارَ فِي ٱلْأَرْضِ أَسْرَعا
وَصَيَّرَها تِبْرُ ٱلْكَلامِ وَدُرُّهُ   عَلَى هامَةِ ٱلْعَلْياءِ تاجاً مُرَصَّعا
لَعاشَ ٱلنَّدَى مُذْ ظَلْتَ فِينا فَلا رَأَتْ   لِجَنْبِ ٱلنَّدَى عَيْنٌ مَدَى ٱلدَّهْرِ مَصْرَعا

---

(١) إذا ما تقشّعا (ل)
(٢) الجزيلة (ل)
(٣) فما ظنها (ل)
(٤) طول الليالي (ل)
(٥) المغاني ؟ (ع) سقي غيثها روض المغاني ؟ (م)

٦١

وقال(١) يمدح الوزير اليازوري (٢)

قَسَماً بِسُؤْدُدِكَ الَّذِي لا يُدَّعا ... وَحُلُولِكَ الشَّرَفَ الَّذي لَنْ يُفْرَعا
لَقَدِ اكْتَسَتْ أَيَّامُنا بِكَ رَوْنَقاً ... حَسُنَتْ بِهِ مَرْأًى وَطابَتْ مَسْمَعا
طالَ الأُلَى طالُوا الأَنامَ بِباطِلٍ ... وَعَلَوْتَ بِالْحَقِّ الَّذي لَنْ يُدْفَعا
وَسَلَكْتَ فِي حَوْزِ الثَّناءِ مَسالِكاً ... ظَلَّ الأَنامُ (٣) بِها وَراءَكَ ظُلَّعا
بِمَكارِمٍ أَوْلَيْتَها مُتَبَرِّعا ... وَجَرائِمٍ أَلْغَيْتَها مُتَوَرِّعا
مَجْدٌ (٤) تَضَوَّعَتِ الْبِلادُ بِنَشْرِهِ ... طِيباً فَأَغْنَى سائِفاً (٥) أَنْ يَسْمَعا
ما إِنْ أَتَى فَهْمَ الْقَرِيبِ عِبارَةً ... حَتَّى أَتَى أَنْفَ (٦) الْبَعِيدِ تَضَوُّعا
لِلّهِ تاجُ الأَصْفِياءِ فَإِنَّهُ ... أَضْحَى بِدُرِّ الْمَأْثُراتِ مُرَصَّعا

---

(١) محل هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي :
« وقال أيضاً يمدح الوزير الأجل الناصر للدين الأوحد المكين غياث المسلمين أبا محمد اليازوري ويذكر بناء دار جدّدها »

(٢) انظر الحاشية رقم (٢) ص (١٧٩)

(٣) الكرام (ل)

(٤) محد ؟ (ع) و (م)

(٥) شائفاً (ع) و (م) سامعاً (ل) وهو تحريف والصواب ما أثبتناه .

(٦) فهم البعيد (ل)

مَلِكٌ رِيَاضُ ثَرَائِهِ(١) مَرْعِيَّةٌ كَرَماً وَرَوْضُ عَلائِهِ لا يُرْتَمَا(٢)
مَا زَالَ يَكْلَؤُهُ بِعَيْنٍ لَمْ تَذُقْ سِنَةً وَيَمْنَعُهُ بِقَلْبٍ أَصْمَعَا
حَتّى اسْتَبَدَّ بِأَلْفِ جُزْءٍ مِنْ عُلىً وَأَصَارَ جُزْءاً فِي الأَنَامِ مُوَزَّعَا
يَا سَيِّدَ الْوُزَرَاءِ فُقْتَ بِهِمَّةٍ عَزَّتْ عَلَى كِسْرَى وَأَعْيَتْ تُبَّعَا
وَلِهِيَ تَظَلُّ قَرِيبَةً مِمَّنْ(٣) نَأَى عَنْ سَيْبِهَا وَمُجِيبَةً مِمَّنْ دَعَا
أَدْنَى الرَّجَاءُ إِلَيْكَ مَنْ لَمْ يُدْنِهِ وَطَنٌ لَقَدْ نَادَى نَدَاكَ فَأَسْمَعَا
وَأَرَى ارْتِيَاحَكَ ضَامِناً إِيمَانَ مَنْ دَهَتِ(٤) الْخُطُوبُ فَأَمَّ دَارَكَ مُهْطِعَا
دَارٌ بِكَ اسْتَمْلَتْ وَطَالَ بِنَاؤُهَا شَرَفاً فَلا زَالَتْ لِوَجْهِكَ مَطْلَعَا
وَلَقَدْ أَضَفْتَ إِلَى التَّقِيَّةِ هَيْبَةً جَبَرَتْ عَدُوَّكَ أَنْ يَذِلَّ وَيَخْضَعَا
وَتَكَفَّلَتْ لَكَ بِالْمُرَادِ عَزَائِمٌ لَوْ لامَسَتْ جَبَلاً أَشَمَّ تَصَدَّعَا
فَالإِفْكُ مُنْذُ حَضَرْتَهُ لَمْ يَنْفَسِحْ وَالدِّينُ مُنْذُ نَصَرْتَهُ مَا رُوِّعَا
أَمَّا الزَّمَانُ فَقَدْ غَدَا بِكَ مُصْلِحاً مَا كَانَ أَفْسَدَ، حَافِظاً مَا ضَيَّعَا
رَوَّعْتَ عَاصِيَهُ فَأَصْبَحَ طَائِعاً وَقَدَعْتَ جَامِحَهُ فَأَصْحَبَ(٥) طَيِّعَا

---

(١) ترابه (ع) و (م)
(٢) لن ترتعى (ع) و (م)
(٣) مما (م)
(٤) رهب (ل)
(٥) فأصبح (ع) و (م)

فإذا أشرت عليه (١) بالقصد أرعوى ... وإذا أشرت إليه إيماء وعا
قلدته المنن الجسام فجاهل ... من ظنه يثني عليك تطوعا
لما هجرت إلى جنابك مضجعي ... ما كنت في فعل الجميل مضجعا
بل كان جودك من سحاب هاطل ... أندى ومن إيماض برق أسرعا
ما إن لقيتك مادحاً ومسلماً ... حتى لقيتك حامداً ومودعا
لا نالت الآمال أيسر سؤلها ... إن نكبت ما عشت هذا المشرعا
فلقد كفاني غيث كفك أن أرى ... طول الحياة لديمة (٢) متوقعا
أيجوز ذاك وقد أضاق مذاهبي ... عن ملكه ملك أنال فأوسعا (٣)
من توالت بالمواهب فانبرى ... روضي بها أحوى وحوضي مترعا
وسررت من قبل اللقاء بذكرها ... من كان إذ (٤) حم الفراق مروعا
إن ضرهم (٥) بعدي بظاهر أمره ... فلربما ضر الزمان لينفعا
لرددتني بغرائب الجدوى إلى ... من كان أقصى سؤله أن أرجعا

(١) إليه (ع) و (م)
(٢) لدمية (ل)
(٣) وأوسعا (ل)
(٤) مذ (ل)
(٥) ما ضرهم (ل)

إنِّي أتيتُكَ لِلغِنى قَبْلَ العُلى — فنَحَوْتَ لي حتّى أنلتَهما (١) معا
لَمْ تَرضَ لي حُللاً سأنزِعُها غداً — فشفعتَها بملابسٍ لن تُنزَعا
أمْطيْتَني ظهرَ السِّماكِ برُتْبةٍ — سُقِيَتْ عِدايَ بها (٢) سِماماً مُنقَعا
فليعلموا أنّي ثبتُّ بموقفٍ — لو قامَ سَحْبانٌ (٣) بهِ لتتعتَعا
قد كُنتُ مغلولَ اليدينِ عنِ الغِنى (٤) — فجعلتَ لي بنداكَ أنْ أتبوَّعا (٥)
أمَّ الرجاءُ ذراكَ غيرَ مُفَرَّعٍ — فسقيتَهُ ماءَ النَّدى فتفرَّعا (٦)
لم تَنفتقْ عنهُ كمائمُ نَوْرِهِ — في ظلِّكَ المَمْدودِ حتّى أينعا
جاوَزْتَ ما فعلَ ابنُ جَفْنَتِكُمْ بحَسَّانٍ وما فعلَ الرَّشيدُ بأشجعا (٧)
ففدَتْكَ مِنْ صَرْفِ النَّوائبِ أمّةٌ — لولاكَ كانتْ للنَّوائبِ مَرْتَعا
إنْ خافتِ الأزَماتِ كُنتَ غياثَها — أوْ خافتِ النَّكَباتِ كُنتَ المَفزَعا

(١) أتيتها (ل)

(٢) لها (ع) و (م)

(٣) سَحْبان وائل : خطيب يضرب به المثل في البيان توفي سنة ٥٤ .

(٤) المنى (ع) و (م)

(٥) أن أتبرعا و (ع) (م)

(٦) متفرّعا (ل)

(٧) ابن جَفْنَة : هو جَبَلة بن الأيهم آخر ملوك غسّان في الشام كان يفد عليه حسّان بن ثابت في الجاهلية . وأشجع السُّلمي من شعراء الرشيد .

وَهَنَتْكَ عافِيَةُ الْخَطيرِ (١) فإنَّها ... مِنْ أَحْسَنِ الْآلاءِ عِنْدَكَ مَوْقِعا
إنْ رَاعَ إذْ أَلِمَ الْقُلُوبَ جَميعَها ... فَهُوَ ابْنُ مَنْ أَمِنَتْ بِهِ أَنْ تَهْلَعا
أَوْ جانَبَ النَّوْمُ الْعُيُونَ إذِ اشْتَكَى ... فَسُطَى أَبيهِ قَضَتْ لَها أَنْ تَهْجَعا
بَهَرَ الْوَرَى (٢) بِالْحُكْمِ (٣) فيهِمْ حاكِمًا ... عَدْلاً وَرَاعَهُمُ خَطِيبًا مِصْقَعا
فَلَقَدْ أَبانَ عَنِ الْفَصاحَةِ وَالْحِجَى ... وَالْحُكْمِ (٤) يَوْمَ تَلا الْبَيانَ فَأَبْدَعا
فَأَمِنْتَ فيهِ وَفي أَخيهِ حَوادِثًا ... ما كُنَّ في أَيَّامِ غَيْرِكَ خُشَّعا
فَكِلاهُما خَطَبَ الثَّناءَ بِمَهْدِهِ ... وَسَعَى لِحَوْزِ (٥) الْحَمْدِ أَوَّلَ ما سَعَى
وَبَقِيتَ ما مَتَعَ (٦) النَّهارُ مُمَتَّعًا ... بِهِما وَدامَ بِكَ الزَّمانُ مُمَتَّعا
ضَلَّتْ عَوارِفُ لَمْ تَجِدْ (٧) بي مِثْلَها ... إنْ لَمْ تَجِدْني لِلصَّنيعَةِ مَوْضِعا
لا تَحْكُمَنَّ لِصارِمٍ بِفِرِنْدِهِ ... فَأَجَلُّ جَوْهَرِ صارِمٍ أَنْ يَقْطَعا
وَاحْبِسْ عَطاياكَ الَّتي قَدْ أَذْهَلَتْ ... حَسْبي نَوالاً أَنْ أَقُولَ وَتَسْمَعا

---

(١) الخطير: هو خطير الملك ابن الوزير اليازوري كان ينوب عن والده في قضاء القضاة والوزارة وغير ذلك « أخبار مصر لابن ميسر ص ٩ »

(٢) الردى ؟ (ل)

(٣) بالحلم (ل)

(٤) والفضل (ل)

(٥) يحوز المجد (ل)

(٦) ما بقي النهار (ل)

(٧) لم تجدني بعدها (ل)

سَأَعُودُ عَنْ كَثَبٍ وَإِنْ لَمْ تُبْقِ لِي فَمَلاَتُكَ الْحُسْنَى إِلَيْهَا مَرْجِعَا
أَسْتَوْدِعُ الْمَجْدَ الْمُؤَثَّلَ وَالتُّقَى وَالْعَدْلَ رَبّاً حَافِظاً مَا اسْتُودِعَا
وَأَجَلُّ مَا أَرْجُوهُ بَعْدَ لِقَائِكَ[1] الْـ مَحْبُوبِ أَنْ أُلْفَى لِشُكْرِكَ مُوزَعَا

٦٢

واقترح[2] عليه محمود[3] أن يرثي أباه شبل الدولة[4] بقصيدة على وزن قصيدة مروان بن أبي حفصة[5] التي يرثي بها معن بن زائدة[6] التي يقول فيها :

أيا قبر معنٍ كيف واريتَ جودَهُ وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا[7]

فقال يرثيه ويمدح محموداً ويشكره على جميله .

لِصَرْفِ اللَّيَالِي أَنْ يَصُولَ وَيَخْضَعَا وَحَتْمٌ عَلَيْنَا أَنْ يَقُولَ وَنَسْمَعَا

(١) بقائك (ع) و (م)

(٢) مكان هذه القصيدة في (ل) يختلف عنه هنا ، وعنوانها هناك كما يلي : « واقترح عليه محمود أن يرثي أباه شبل الدولة نصر بن صالح بقصيدة على وزن قصيدة مروان بن أبي حفصة التي يرثي بها معن بن زائدة وعلى قافيتها ويقول فيها :

أيا قبر معنٍ كيف واريتَ جُودَهُ وقد كان منه البَرُّ والبحرُ مُتْرَعا

فقال يرثيه ويمدح محموداً ويشكره على جميله »

(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص (٢٦)

(٤) انظر الحاشية رقم (٣) ص (٧١)

(٥) انظر الحاشية رقم (٣) ص (٣٢٥)

(٦) هو أبو الوليد معن بن زائدة بن عبد الله الشيباني المشهور بالكرم والشجاعة والفصاحة قتل غيلة وهو والٍ على سجستان سنة ١٥١ وله ترجمة حافلة في وفيات الأعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٤٢ .

(٧) هذا البيت من أبيات أولها :

أَلِمَّا على مَعْنٍ وقولا لقبره سقتكَ الغوادي مَرْبعاً ثُمَّ مَرْبعا

وهي للحسين بن مطيرٍ الأسدي وليستَ لمروان بن أبي حفصة وهي من أبيات الحماسة .

أَطَعْناهُ كَرْهاً حِينَ لَمْ نَلْقَ ناصِراً عَلَيْهِ وَلاَ فِي كَفٍّ عَدْوَاهُ مَطْمعا
فَكَمْ فَلَّ ذَا حَدٍّ وَذَلَّقَ نابِياً وَآمَنَ مُرْتاعاً وَرَوَّعَ أَرْوَعا
وَأَبْطَلَ أَمْراً كانَ يُرْجى وُقُوعُهُ وَجاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يَكُنْ مُتَوَقَّعا
وَبَلَّغَ غاياتِ الْأَمانِيِّ عاجِزاً وَخابَ مُشِيحٌ خَبَّ فِيها وَأَوْضَعا
سَواءٌ عَلَيْهِ مَنْ أَقامَ بِبَيْتِهِ عَلَى (١) الذُّلِّ صَبَّاراً وَمَنْ باشَرَ الْوَعا
وَهَلْ هُوَ إِلاَّ الرِّيحُ عِنْدَ هُبُوبِها تَبِيتُ رُخاءً ثُمَّ تُصْبِحُ زَعْزَعا
وَمِنْ جَوْرِهِ أَنْ غادَرَ الذُّلَّ قاهِراً عَزِيزاً وَأَبْقى مارِنَ الْعِزِّ أَجْدَعا
أَضاعَ الْعُفاةَ فَقْدُ نَصْرِ بْنِ صالِحٍ عَلَى أَنَّ دَهْراً غالَهُ كانَ أَضْيَعا
غَداةَ دَعا أَنْصارَهُ فَتَصامَمُوا وَقَدْ طالَما نادى نَداهُ فَأَسْمَعا
وَلَوْ دافَعُوا عَنْ رَبِّهِمْ بَعْدَ رَبِّهِمْ (٢) بِأَنْفُسِهِمْ ما أَبْطَأُوا (٣) إِذْ تَسَرَّعا
وَلاَقى (٤) الْأُلُوفَ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِها هُمامٌ أَجابَ الْمَوْتَ أَوَّلَ ما دَعا
فَهَلْ ظَنَّهُ بَعْضَ الْعُفاةِ فَلَمْ يَجِدْ إِلى رَدِّهِ نَهْجاً وَلاَ عَنْهُ مَدْفَعا
وَجادَ بِنَفْسٍ لاَ يُجادُ بِمِثْلِها وَأَعْطى قِياداً لَمْ يَكُنْ قَبْلُ طَيِّعا

---

(١) من الذل (ل)
(٢) كذا .
(٣) ما أُنْظِرُوا (ع) و (م)
(٤) ولا في الألوفِ (ع) ولا في ألوفٍ (ل)

وَما خِلتُ أَنَّ الشَمسَ قَبلَ مُصابِهِ تُضامُ وَلا زُهرَ المَجَرَّةِ تُرتَعا
لِيَبكِ طَويلاً كُلُّ مُكدٍ وَعائِلٍ عَلى مَلِكٍ أَغنى وَأَروى وَأَشبَعا
وَبَحرِ نَوالٍ يَنزَحُ النَّاسُ ماءَهُ إِذا ظُنَّ أَن قَد غيضَ عاوَدَ مُترَعا
أَضاقَ سَبيلَ المَأثُراتِ عَلى الوَرى وَعَمَّهُمُ بِالمُنفِساتِ وَأَوسَعا
فَقُلنا غَمامٌ طَبَّقَ الأَرضَ سَيلُهُ وَقالَ العِدى لَو كانَ غَمّاً تَقَشَّعا
وَما زالَ رَبَّ الجودِ طِفلاً وَيافِعاً إِلى أَن ثَوى وَالجودَ في حُفرَةٍ مَعا
وَأَعجَزَ رَيبَ الدَّهرِ أَن يَتَفَرَّقا وَكانَ بِتَفريقِ الأَحِبَّةِ مولَعا
لَقَد راضَهُ حَتّى لَأَنفَذَ حُكمَهُ وَلَو لَم يُرِض لَم يَرضَ بِالتُربِ مَضجَعا
وَلا اتَّخَذَ الغَبراءَ دارَ إِقامَةٍ وَقَد كانَ مَثواهُ مِنَ النَّجمِ أَرفَعا
وَلَم يَدرِ مَن هالَ التُرابَ عَلَيهِ مَن يُواري وَلا ناعيهِ أُخرِسَ مَن نَعا
أَرى ضَحوَةَ الإِثنَينِ يَومَ تَقَطَّعَت قُوى عِزَّةٍ ما خِلتُها أَن تَقَطَّعا
فَفاضَت دُموعٌ لا تَقومُ بِحَقِّهِ وَلَو نَزَحَت أَمواهَ دِجلَةَ أَجمَعا
وَريعَت قُلوبٌ عَمَّها الخَوفُ بَعدَهُ وَعَهدي بِها في ظِلِّهِ لَن تُرَوَّعا
وَتَحتَ مُلوكِ الخافِقَينِ أَسِرَّةٌ تُزَعزَعُ يَوماً إِن قَناهُ تَزَعزَعا
كَيَومِ عَزازٍ (١) إِذ حَمى الدّينَ سَيفُهُ وَقَد قارَبَت أَركانُهُ أَن تَضَعضَعا

---

(١) عَزاز : بلدة شمالي حلب .

أَقامَ بِهِ سُوقَ ٱلطِّعانِ وَلَمْ يُقِمْ دَعائِمَ هٰذا ٱلشَّرْعِ كاُلسُّمْرِ شُرَّعا
فَوَلّى عَظِيمُ ٱلرُّومِ وَٱلرَّأْيُ مارَأَى مُصِيخاً إِلى داعِي السَّلامَةِ مُهْطِعا[1]
وَطائِفَةٍ خَرُّوا[2] إِلى غَيْرِ قِبْلَةٍ سُجُوداً بِحُكْمِ ٱلباتِراتِ وَرُكَّعا
فَلِلّٰهِ نَفْسٌ لا تُنافَسُ غالَها ٱلْـ حِمامُ وَحَقٌّ لِلْمَكارِمِ ضُيِّعا
لَئِنْ ماتَ مَقْصُورَ ٱلْحَياةِ فَلَمْ يَزَلْ أَمَدَّ ٱلْوَرى طَوْلاً وَباعاً وَتُبَّعا[3]
شَبابٌ نَهاهُ[4] ٱلْحِلْمُ أَنْ يَتْبَعَ ٱلْهَوى وَعَزْمٌ كَفاهُ ٱلْحَزْمُ أَنْ يُتَتَبَّعا
وَمَلْكٌ وَأَيْمُ ٱللهِ كَذَّبَ كُلَّ مَنْ يُكَبِّرُ كِسْرى أَوْ يُعَظِّمُ تُبَّعا
فَقِيدٌ أَماتَ ٱلْمَحْلَ[5] قَبْلَ فِطامِهِ وَرَوَّعَ أَهْلَ ٱلْأَرْضِ لَمَّا تَرَعْرَعا
إِذا عَنَّتِ ٱلْفَحْشاءُ فِي نَيْلِها ٱلْمُنى تَوَرَّعَ أَوْ عَزَّ[6] ٱلسُّؤالُ تَبَرَّعا
حَيِيٌّ وَإِنْ لَمْ يَأْتِ ما يُوجِبُ ٱلْحَيا وَصَوْبُ حَياً باقٍ إِذا ٱلْغَيْثُ أَقْلَعا[7]
وَذُو سُورَةٍ شَطَّتْ مَراماً وَسَوْرَةٍ تُمِيتُ لِتُحْيِي أَوْ تَضُرُّ لِتَنْفَعا

---

(١) تجهز الروم سنة ٤٢٠ من أنطاكية الى حلب بجيش عظيم فلقيهم نصر ابن صالح على عزاز وهزمهم وغنم منهم أشياء كثيرة .
(الكامل لابن الأثير ٩/٧٩) و (ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٧٥ في الحاشية)

(٢) جروا (ع) و (م)

(٣) التُّبَّع : كَسُكَّر الظل .

(٤) كفاه (ع) و (م)

(٥) البخل (ع) و (م)

(٦) عَنَّ (ع) و (م)

(٧) أمرعا (ل)

خَلائِقُ أَعْيا فِي ٱلْخَلائِقِ نِدُّها تَشُوقُكَ[١] مَرْأًى أَوْ تَرُوقُكَ مَسْمَعا
تَزِيدُ عَلَى ماءِ ٱلْغَوادِي طَهارَةً وَيُنْسِيكَ رَيَّاها ٱلرَّحِيقَ ٱلْمُشَعْشَعا
كَساهُ ٱلْحِجَى وَٱلْحِلْمُ وَٱلْعَدْلُ[٢] حُلَّةً تَرَدَّى بِهـــا فِي مَهْدِهِ وَتَلَفَّعا
فَكُلُّ جَمِيلٍ كانَ أَوْ هُوَ كائِنٌ تَأَصَّلَ مِنْ أَفْعالِهِ وَتَفَرَّعا
مَساعٍ إِلَى غَيْرِ ٱلْمَحامِدِ لَمْ تَمِلْ وَنَفْسٌ إِلَى غَيْرِ ٱلْعُلَى لَنْ تَطَلَّعا
أَحَلَّ بِمَغْناهُ ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ بِهِ حِمًى وَخَلا ٱلْغابُ ٱلَّذِي كانَ مُسْبِعا
مَحَلٌّ عَهِدْنا ٱلْعُرْفَ لِلْعُرْفِ شافِعاً بِهِ وَشَفِيعَ ٱلسَّائِلِينَ مُشَفَّعا
إِذَا خِيفَتِ ٱلْأَوْطانُ أُومِنَ سِرْبُهُ وَإِنْ غَمَرَ ٱلْمَحْلُ ٱلْبَسِيطَةَ أَمْرَعا
لَحَى ٱللهُ دَهْراً بَزَّناهُ بِرَغْمِنـــا فَعَثْرَتُهُ ما لا يُقالُ لَهـــا لَعا
وَمِنْ عَدْلِهِ أَنَّ ٱللَّذَيْنِ تَغَلَّبا عَلَى مُلْكِهِ مِنْ بَعْدِهِ ما تَمَتَّعا
فَخَصْمٌ[٣] بِسَيْفِ ٱللهِ عاجَلَهُ ٱلرَّدَى[٤] وَأَغْرَبَ فِي قَتْلِ ٱلْأَخِيرِ وَأَبْدَعا
خَلِيفَةُ[٥] لَمْ يَصْلُحْ[٦] لِنَصْرِ خَلِيفَةٍ وَهَلْ أُلْبِسَ ٱلْعَلْياءَ إِلَّا لِيَنْزَعا[٦]

(١) تروقك ... تشوقك ... (ل) و (مسالك الأبصار ج ١٠)
(٢) والعلم (ل)
(٣) لعل المراد بهذا الخصم أنوشتكين الدزبري .
(٤) عاجله به (ل)
(٥) هو خليفة بن جابر الكعبي ولاه ثمال بن صالح حلب ولكن كان هواه مع الدزبري .
(زبدة الحلب من تاريخ حلب لابن العديم ج ١ ص ٢٥٥ و ٢٥٦)
(٦) لم تصلح ... لتنزعا (ع) و (م)

أَبا كامِلٍ إنْ غالَبَتْكَ يَدُ ٱلرَّدٰى وَلَمْ يُغْنِكَ ٱلْبَأْسُ ٱلَّذي لَيْسَ يُدَّعا
فَإِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ تَكُونُ قُبُورُهُمْ إِذَا ما خَشُوا ضَيْماً نُسُوراً وَأَضْبُعا
إِذَا فاخَرُوا طابُوا أَخيراً وَأَوَّلاً وَإِنْ طاعَنُوا طالُوا رِماحاً وَأَذْرُعا
وَإِنْ طَلَبُوا جابُوا مَهامِهَ لَمْ تُجَبْ وَإِنْ حارَبُوا ٱجْتابُوا مِنَ ٱلصَّبْرِ أَدْرُعا
مَضَيْتَ وَلَمْ تَتْرُكْ مِنَ ٱلْمَجْدِ غايَةً وَلَمْ تُبْقِ في قَوْسِ ٱلْمُرُوءَةِ مَنْزِعا
كَذاكَ ٱلْبُدُورُ ٱلنَّيِّراتُ خُسُوفُها يُخافُ إِذا أَتْمَمْنَ عَشْراً وَأَرْبعا
وَمِنْ بُخْلِي[1] أَنْ جاءَ ذا ٱلْقَوْلُ آخِراً وَلَمْ أَعْتَمِدْ نَظْمَ ٱلْقَوافِي تَطَوُّعا
وَحَسَّنَ لِي شَرْخُ ٱلشَّبابِ وَجَهْلُهُ إِضاعَةَ فَرْضٍ مِثْلُهُ لَنْ يُضَيَّعا
وَإِنْ قُلْتُ مَأْمُوراً وَأَبْدَعَ خاطِري فَيَقْبُحُ بي إِذْ لَمْ أَقُلْ مُتَبَرِّعا
عَدِمْتُ لِساناً حالَفَ[2] ٱلْعَجْزَ ضِلَّةً وَخالَفَ[3] قَلْباً كَٱلْقُلُوبِ مُفَجَّعا
يُؤَبِّنُ مَنْ يُدْلِي بِأَدْنٰى فَضِيلَةٍ فَكَيْفَ بِمَنْ حازَ ٱلْفَضائِلَ أَجْمَعا
بِنَفْسِي وَحِيدٌ أَسْلَمَتْهُ جُيُوشُهُ وَمُرْتَحِلٌ لَمْ يَنْتَظِرْ أَنْ يُوَدَّعا
وَحَلَّ ضَرِيحاً أُودِعَ ٱلْبَأْسَ وَٱلنَّدٰى وَلَوْلا ٱبْنُهُ ما رَدَّ ما كانَ أُودِعا
فَنابَ مَنابَ ٱلشَّمْسِ عَنْ قَمَرِ ٱلدُّجٰى وَهَلْ[4] غابَ بَدْرُ ٱلتِّمِّ إِلَّا لِيَطْلُعا

---

(١) بُخْلِ (ل)
(٢) خَلَّفَ (ل)
(٣) وحالف (ع) و (م)
(٤) وما غاب ... (ل)

إذا جارَ (١) في كسْبِ الثَّناءِ طريقُهُ أجدَّ طريقاً (٢) لم يكُنْ قطُّ مَهْيَعا
بعيدُ المَرامي في مَساعيهِ ما جرَى يَرُومُ مَداهُ الفِكْرُ إلاَّ تتعتَعا
حوى حسباً (٣) محْضاً ورأياً مُؤيَّداً ومنّاً بلا منٍّ وعِزّاً مُمنَّعا
أصالةُ وثّابٍ وصوْلةُ صالحٍ وهزَّةُ (٤) نصْرٍ للعطايا تبرُّعا (٥)
حَمِدْنا بمحْمودٍ ذَميمَ زمانِنا (٦) وعاودَ مَشْتانا بنُعْماهُ مَرْبعا
بأنطقِ (٧) مَنْ شاهدْتُ بالحِكَمِ الَّتي تفنَّنَ في إظْهارِها وتنوَّعا
فأوْضحَ معْناها الَّذي كانَ غامضاً وآنسَ مَغْناها الَّذي كانَ بلْقعا
ومازالَ مخْدوعاً لراجيهِ عاصياً على غيْرِهِ أنْ يُسْتزَلَّ فيُخْدعا
وثبْتُ الجَنانِ عندَ كُلِّ مُلمَّةٍ تضَعْضعَ مَنْ مرَّتْ بهِ وتَصعْصعا (٨)
مُبيدُ الأعادي والفَوارسُ تدَّعي صَحيحُ الدَّعاوي والمآثِرُ تُدَّعا

(١) حار (ل)
(٢) أجدَّ طريقاً فيه لم يك مهيعا (ل)
(٣) حوى قصباً ... (ل)
(٤) وغرة (ل)
(٥) وثّاب النميري جد محمود بن نصر لأمه، وصالح بن مرداس جده لأبيه، ونصر والده.
«الكامل لابن الأثير ٩/ ٨٠»
(٦) فعالنا (ل)
(٧) كذا في جميع النسخ ولعله فأنطق.
(٨) تصَعْصعَ الرجل: جبن وذلّ وخضع.

وَمُخْفِي الْهِبَاتِ سُؤْدُداً غَيْرَ أَنَّهَا ... تَنِمُّ نَمِيمَ الْمِسْكِ لَمَّا تَضَوَّعَا
تَوَلَّيْتَ يَاتَاجَ الْمُلُوكِ رِعَايَتِي ... فَلَمْ أَخْشَ مِنْ جَوْرِ الْخُطُوبِ مُرَوَّعَا
أَمِنْتُ أَذَاهَا مُذْ (١) لَقِيتُكَ خَائِفاً ... وَعُدْتُ غَنِيّاً يَوْمَ زُرْتُكَ مُدْقِعَا
وَبَيَّضْتَ لِي وَجْهَ الرَّجَاءِ وَطَالَمَا ... بَدَا لِي بِوَجْهٍ أَرْبَدِ اللَّوْنِ أَسْفَعَا
بِطَلْعَتِكَ الشَّمَّاءِ شِمْتُ سَحَابَةً ... كَفَتْنِي فَلَا زَالَتْ لِوَجْهِكَ مَطْلَعَا
إِذَامَا انْبَرَى مَدْحِيكَ فِي النَّاسِ شَائِعاً ... رَأَوْا مَا أَفَادَتْنِي عَطَايَاكَ أَشْيَعَا
وَأَكْثَرُ مَا أَدْعُو إِلَى اللهِ أَنْ أُرَى ... لِشُكْرِكَ مَا امْتَدَّتْ حَيَاتِي مُوزَعَا

٦٣

وقال (٢) يمدح أمير الجيوش (٣)

دَلَّ عَلَى الْمَجْدِ مَنْ إِلَيْهِ سَعَى ... كَيْلَا يَدَعْ (٤) فِي فَضِيلَةٍ طَمَعَا
قَدْ عَجَزَ الْوَهْمُ فِي طَرِيقِكَ أَنْ ... تَسْعَا (٥) وَضَاقَ الزَّمَانُ أَنْ يَسَعَا
فَاعْتَرَفَ النَّاسُ طَائِعِينَ وَلَوْ ... دُوفِعَ ضَوْءُ الصَّبَاحِ مَا انْدَفَعَا
فَالْأَمْنُ وَالْعَدْلُ يَا مُفِيضَهُمَا ... عَلَى جَمِيعِ الْأَنَامِ قَدْ جُمِعَا

---

(١) إذ لقيتك (ل)
(٢) هذه القصيدة برمتها لم ترد في (ل)
(٣) انظر الحاشية رقم (١) ص (٣)
(٤) كذا ولعله «فلم يدع»
(٥) كذا ولعله «يسعى»

بَيْنَ دِماءٍ أَرَقْتَها طَلَبَ ٱلْأَجْـ ـرِ وَأُخْرى حَقَنْتَهـا وَرَعا
وَباطِلٍ ظَلَّ فِي زَمانِكَ مَـدْ حُوضاً وَحَقٍّ بِحُكْمِكَ ٱرْتُجِعا
فَضائِلٌ فِي ٱلْبِلادِ قَدْ شُهِرَتْ حَتّى ٱسْتَوى مَنْ رَأى وَمَنْ سَمِعا
ذُدْتَ خُطُوباً لَوَ ٱنَّهـا نَزَلَتْ يَوْماً بِطَوْدٍ أَشَمَّ لَٱنْصَدَعا
فَآمَنَ ٱلْخائِفِينَ خَوْفُ سُطىً بِها رَدَعْتَ ٱلزَّمانَ فَٱرْتَدَعا
زَمَمْتَهُ (١) زَمَّكَ ٱلْعَنُودَ وَلَوْ مَكَّنْتَهُ مِنْ زِمامِهِ (٢) رَتَعا
حَتّى ٱنْبَرى خاضِعاً وَلا عَجَبٌ أَيُّ عَظِيمٍ لَدَيْكَ ما خَضَعا
وَأَيُّ أَرْضٍ حَمَيْتَ فَٱبْتُذِلَتْ وَأَيُّ شَيْءٍ أَرَدْتَ فَٱمْتَنَعـا
وَأَيُّ جانٍ لَجَّ ٱلْعِثـارُ بِهِ فَلَمْ يَقُلْ صَفْحُكَ ٱلْجَمِيلُ لَعا
يا مَنْ مُلُوكُ ٱلزَّمانِ قاطِبَةً قَدْ أَصْبَحُوا حَوْلَ قَصْرِهِ دُفَعا
لَمْ يَجِدِ ٱلرّاغِبُونَ مُنْفَسَحاً عَنْكَ وَلا ٱلرّاهِبُونَ مُنْدَفَعـا
فَشاعَ فِي سائِرِ ٱلْقَبـائِلِ إِنْـ ـعامُكَ حَتّى ٱرْتَبَطْتَهـا شِيَعا (٣)

(١) زَمَّ البعير : خطمه . والعَنُود من النوق : التي ترعى ناحية . وفي الأصل (رممته رَمَّكَ) وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : (من زمانه) وهو تصحيف .

(٣) شبعا (م)

وَٱتَّخَذَتْ فِي جِنانِ جُودِكَ مُصْطافًا وَمَشْتًى لَها وَمُرْتَبَعا

إِنَّ أَمِيرَ ٱلْجُيُوشِ مَنْ فَرَعَ ٱلْمَجْدَ فَأَضْحَى عَلَيْهِ مُطَّلِعا

قَضَى بِحُكْمِ ٱلْكِتابِ مُتَّبِعا وَأَظْهَرَ ٱلْمُعْجِزاتِ مُبْتَدِعا

إِنْ شَفَعَ ٱلْحاضِرونَ حَضْرَتَهُ أَوْ أَجْزَلَ ٱلْبَذْلَ بِٱلنَّدَى شَفَعا

تم الجزء الأول من ديوان ابن حيّوس
ويليه الجزء الثاني وأوله قافية الفاء
وفي آخره فهارس الجزئين

طبع من هذا الجزء على ورق أزرق فاخر من نوع ريجستر
خمس عشرة نسخة تحمل أرقاماً متسلسلة . وعلى ورق فلندري
فاخر خمس عشرة نسخة تحمل أرقاماً متسلسلة .
وطبع ألف نسخة على ورق حسن لا تحمل أرقاماً .